فِي مُصْطَلَحِ النَّحْوِ الكُوفِيِّ
تَصْنِيفًا وَاخْتِلَافًا وَاسْتِعْمَالًا

الأستاذ الدكتور
حمدي محمود حمد جبالي

مُقَدِّمَةٌ:

الحَمْدُ للَّه الَّذي أَنْزَلَ عَلَى عَبْده الكتَابَ، وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنْ أَرْسَلَهُ بِلِسَانِ قَوْمه، بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَعَلَى آله، وَصَحْبه، وَالَّذينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ أَجْمَعِينَ. وَبَعْدُ:

فَقَدْ عُنِيَ العُلَمَاءُ، وَالبَاحِثُونَ بِالنَّحْوِ البَصْرِيِّ، أَكْثَرَ مِنْ عِنَايَتِهِمْ بِالنَّحْوِ الكُوفِيِّ. فَمُنْذُ ظُهُورِ كِتَابِ سِيبَوَيْه، أَوَّلِ كِتَابٍ جَامِعٍ فِي النَّحْوِ العَرَبِيِّ حَتَّى اليَوْمِ، ظَهَرَ مِنَ الكُتُبِ، وَالأَبْحَاثِ فِي النَّحْوِ البَصْرِيِّ مَا لاَ يَكَادُ يُحْصَرُ فِي عَدَدٍ، عَلَى حِينِ لَمْ يُبْذَلْ فِي النَّحْوِ الكُوفِيِّ مِنَ الجُهُودِ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ ذَا غَنَاءٍ، إِذَا مَا قُورِنَ بِمَا بُذِلَ فِي النَّحْوِ البَصْرِيِّ.

عَلَى أَنَّ البُحُوثَ النَّحْوِيَّةَ، الَّتِي قَدَّمَهَا البَاحِثُونَ، سَوَاءٌ أَكَانَتْ فِي النَّحْوِ البَصْرِيِّ، أَمْ فِي النَّحْوِ الكُوفِيِّ، لَمْ يَكُنْ أَحَدُهَا لِيَخْتَصَّ بِالمُصْطَلَحِ النَّحْوِيِّ البَصْرِيِّ، أَوِ الكُوفِيِّ، بِاسْتِثْنَاءِ بَعْضِ الإِشَارَاتِ السَّرِيعَةِ، وَالمُقْتَضَبَةِ إِلَى بَعْضِ المُصْطَلَحَاتِ، الَّتِي ظَهَرَتْ فِي الكُتُبِ، الَّتِي تَنَاوَلَتِ المَذَاهِبَ النَّحْوِيَّةَ، كَكِتَابِ (مَدْرَسَةِ الكُوفَةِ) لِلدُّكْتُورِ مَهْدِيٍّ المَخْزُومِيِّ، وَكِتَابِ (مَدْرَسَةِ البَصْرَةِ) لِلدُّكْتُورِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّيِّدِ، وَكِتَابِ (المَدَارِسِ النَّحْوِيَّةِ) لِلدُّكْتُورِ شَوقِي ضَيْف، أَوِ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي الكُتُبِ، الَّتِي تُعَدُّ مِنْ حَقْلِ التَّارِيخِ النَّحْوِيِّ، كَالكُتُبِ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي سِيبَوَيْه، وَالأَخْفَشِ، وَالكِسَائِيِّ، وَالفَرَّاءِ، وَالمُبَرِّدِ، وَأَبِي عَلِيٍّ الفَارِسِيِّ، وَابْنِ جِنِّي، وَالزَّجَّاجِيِّ، وَالزُّبَيدِيِّ، وَابْنِ النَّاظِمِ، وَغَيْرِهِمْ.

فَمِنْ هَذَا الإِحْسَاسِ بِقِلَّةِ الكُتُبِ، المُؤَلَّفَةِ فِي المُصْطَلَحِ النَّحْوِيِّ، وَحَاجَةِ البَاحِثِينَ، وَالدَارِسِينَ إِلَى التَّعْرِيفِ بِالنَّحْوِ الكُوفِيِّ، وَمُصْطَلَحَاتِه، وَتَوَافُرِ المَادَّةِ الغَزِيرَةِ بَيْنَ يَدَيَّ عَنِ المُصْطَلَحِ الكُوفِيِّ، انْطَلَقَتْ، عِنْدِي، فِكْرَةُ هَذِهِ الرِّسَالَةِ[1]؛ لِتَبْحَثَ فِي مُصْطَلَحِ النَّحْوِ الكُوفِيِّ تَصْنِيفًا، بِحَسَبِ الأَبْوَابِ النَّحْوِيَّةِ، وَاخْتِلاَفًا مَعَ المُصْطَلَحِ البَصْرِيِّ، وَاسْتِعْمَالاً لَدَى النَّحْوِيِّينَ.

وَقَدْ جَاءَتْ خُطَّةُ البَحْثِ وَفْقًا لِلمُصْطَلَحَاتِ النَّحْوِيَّةِ، وَمَوْقِعِهَا مِنَ الظَّوَاهِرِ النَّحْوِيَّةِ؛ مِنْ تَمْهِيدٍ، وَبَابَيْنِ، وَستَّةِ فُصُولٍ.

فَفِي التَّمْهِيدِ أَلْمَمْتُ إِلْمَامَةً مُوجَزَةً بِنَشْأَةِ البَحْثِ اللُّغَوِيِّ، وَأَنَّهُ بَدَأَ بِأَبِي الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ، ثُمَّ عَرَضْتُ لِلْكَلاَمِ عَلَى نَشْأَةِ المَذْهَبِ الكُوفِيِّ، وَتَمَيُّزِهِ عَنِ المَذْهَبِ البَصْرِيِّ، وَاخْتِلاَفِ العُلَمَاءِ، وَالبَاحِثِينَ فِي تَحْدِيدِ المُؤَسِّسِ الأَوَّلِ لِمَدْرَسَةِ الكُوفَةِ، وَأَنْبَهْتُ إِلَى أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ الرُّؤَاسِيَّ مِنَ المُؤَسِّسِينَ الأَوَّلِينَ لِمَدْرَسَةِ الكُوفَةِ، وَأَنَّ الكِسَائِيَّ وَالفَرَّاءَ؛ تِلْمِيذَيْهِ، هُمَا اللَّذَانِ نَهَضَا بِهَا، وَمَيَّزَاهَا مِنْ مَدْرَسَةِ البَصْرَةِ؛ مَنْهَجًا، وَأُسْلُوبًا.

---

[1] أَصْلُ هَذَا البَحْثِ رِسَالَةُ (مَاجِسْتِير)، قُدِّمَتْ عَامَ 1983م، اسْتِكْمَالاً لِمُتَطَلَّبَاتِ دَرَجَةِ (المَاجِسْتِير)، فِي جَامِعَةِ اليَرْمُوكِ، فِي إِرْبِدَ، فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ.

ثُمَّ عَرَضْتُ لأَهمِّ مَصَادِرِ النَّحْوِ الكُوفِيِّ، فَوَجَدْتُهَا أَرْبَعَةً. هِيَ: النَّحْوُ البَصْرِيُّ، وَلُغَاتُ الأَعْرَابِ، وَالشِّعْرُ العَرَبِيُّ، وَالقِرَاءَاتُ القُرْآنِيَّةُ. ثُمَّ تَكَلَّمْتُ عَلَى خَصَائِصِ المَدْرَسَةِ الكُوفِيَّةِ، الَّتِي مَيَّزَتْهَا مِنْ مَدْرَسَةِ البَصْرَةِ، فَأَلْفيتُهَا تَمْتَازُ بِالاعْتِمَادِ عَلَى المَسْمُوعِ مِنْ كَلَامِ العَرَبِ، وَالبُعْدِ عَنِ التَّأْوِيلِ، وَالتَّقْدِيرِ، وَالخَوْضِ فِي القَضَايَا الفَلْسَفِيَّةِ، وَالمَنْطِقِيَّةِ، فِي تَعْلِيلِ الظَّوَاهِرِ النَّحْوِيَّةِ، وَبِالاعْتِدَادِ بِالشَّوَاهِدِ الفَرْدِيَّةِ، وَتَعْمِيمِ الظَّاهِرَةِ الوَاحِدَةِ، وَالقِيَاسِ عَلَيْهَا، حَتَّى إِنْ لَمْ يَرِدْ غَيْرُهَا فِي اللُّغَةِ.

ثُمَّ سَرَدْتُ، بَعْدَ ذَلِكَ، أَغْلَبَ أَعْلَامِ المَدْرَسَةِ الكُوفِيَّةِ، وَسَمَّيْتُهُمْ، مِنْ دُونِ أَنْ أُتَرْجِمَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّ بَحْثًا كَهَذَا، لَا يَتَّسِعُ المَجَالُ فِيهِ لِمِثْلِ هَذَا.

ثُمَّ تَكَلَّمْتُ عَلَى المُصْطَلَحِ، وَأَهَمِّيَّتِهِ العِلْمِيَّةِ، فِي الرَّمْزِ إِلَى المَعْنَى بِأَيْسَرِ السُّبُلِ، وَالاسْتِعَانَةِ عَلَى التَّعَلُّمِ، وَتَبَادُلِ الآرَاءِ، وَالأَفْكَارِ بَيْنَ العُلَمَاءِ. وَأَشَرْتُ إِلَى نَشْأَةِ المُصْطَلَحِ النَّحْوِيِّ، وَأَنَّ هَذِهِ المُصْطَلَحَاتِ لَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً عِنْدَ الأَعْرَابِ؛ أَصْحَابِ اللُّغَةِ. وَقُلْتُ أَيْضًا: إِنَّ المُصْطَلَحَاتِ النَّحْوِيَّةَ البَصْرِيَّةَ نَشَأَتْ قَبْلَ الكُوفِيَّةِ، بِحُكْمِ سَبْقِ البَصْرَةِ الكُوفَةَ فِي الدِّرَاسَةِ النَّحْوِيَّةِ، وَإِنَّ النَّحْوَ الكُوفِيَّ تَمَيَّزَ عَنِ البَصْرِيِّ، وَاتَّخَذَ لِنَفْسِهِ مُصْطَلَحَاتٍ خَاصَّةً، تُغَايِرُ مُعْظَمَ المُصْطَلَحَاتِ البَصْرِيَّةِ.

وَأَمَّا البَابُ الأَوَّلُ، فيقَعُ فِي فَصْلَيْنِ.

الفَصْلُ الأَوَّلُ فِي مُصْطَلَحَاتِ الأَبْوَابِ النَّحْوِيَّةِ. وَكَانَ أَوَّلُ مَا تَحَدَّثْتُ فِيهِ عَنْ أَقْسَامِ الكَلِمَةِ: الاسْمِ، وَالفِعْلِ، وَالأَدَاةِ، وَمُصْطَلَحَاتِ الكُوفِيِّينَ فِيهَا. فَفِي القِسْمِ الأَوَّلِ، وَهُوَ الاسْمُ، تَحَدَّثْتُ عَنِ اصْطِلَاحَاتِ المَكْنِيَّاتِ، وَحُرُوفِ المِثْلِ، وَصِلَةِ المَوْصُولِ، فَوَجَدْتُهَا مُتَعَدِّدَةً، وَلَا سِيَّمَا اصْطِلَاحَاتُ المَكْنِيَّاتِ. وَفِي القِسْمِ الثَّانِي، وَهُوَ الفِعْلُ، بَيَّنْتُ التَّسْمِيَاتِ الكُوفِيَّةَ، الَّتِي أُطْلِقَتْ عَلَى الأَفْعَالِ، وَأَشَرْتُ إِلَى أَنَّ أَقْسَامَ الفِعْلِ عِنْدَ الكُوفِيِّينَ تَخْتَلِفُ عَنْهَا عِنْدَ البَصْرِيِّينَ. فَوَجَدْتُهُمْ يَتَّفِقُونَ مَعَ البَصْرِيِّينَ عَلَى الفِعْلِ المَاضِي، وَالفِعْلِ المُضَارِعِ، وَيَخْتَلِفُونَ مَعَهُمْ فِي القِسْمِ الثَّالِثِ، وَهُوَ فِعْلُ الأَمْرِ، الَّذِي يَعُدُّونَهُ لَيْسَ قِسْمًا لِلمَاضِي وَالمُضَارِعِ، كَمَا يَرَى البَصْرِيُّونَ، وَإِنَّمَا هُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الفِعْلِ المُضَارِعِ، وَمُقْتَطَعٌ مِنْهُ.

ثُمَّ بَيَّنْتُ أَنَّهُمْ أَلْحَقُوا بِالأَفْعَالِ مَوَادَّ لُغَوِيَّةً، هِيَ عِنْدَ البَصْرِيِّينَ أَسْمَاءٌ، كَاسْمِ الفَاعِلِ، الَّذِي يُسَمُّونَهُ فِعْلًا دَائِمًا، وَيَعُدُّونَهُ القِسْمَ الثَّالِثَ مِنْ أَقْسَامِ الفِعْلِ، وَأَلْحَقُوا، أَيْضًا، بِالأَفْعَالِ المَصْدَرَ، وَأَسْمَاءَ الأَفْعَالِ، وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ بَيَّنْتُ بَعْضَ التَّسْمِيَاتِ، الَّتِي أَطْلَقَهَا الكُوفِيُّونَ عَلَى هَذِهِ المَوَادِّ اللُّغَوِيَّةِ.

وَعَرَضْتُ بَعْدَ ذَلِكَ مُصْطَلَحَ الفِعْلِ الوَاقِعِ، وَغَيْرِ الوَاقِعِ، الَّذِي يَعْنِي عِنْدَ البَصْرِيِّ الفِعْلَ المُتَعَدِّيَ، وَغَيْرَ المُتَعَدِّي، وَمُصْطَلَحَ الفِعْلِ التَّامِّ، وَالنَّاقِصِ، الَّذِي يَعْنِي عِنْدَ البَصْرِيِّينَ مَا يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولٍ، وَمَا يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ.

ثُمَّ تَحَدَّثْتُ عَنِ القِسْمِ الثَّالِثِ مِنْ أَقْسَامِ الكَلِمَةِ، وَهُوَ الأَدَاةُ، فَبَيَّنْتُ أَنَّهُ مُصْطَلَحٌ كُوفِيٌّ، يُقَابِلُهُ مُصْطَلَحُ حَرْفٍ، جَاءَ لِمَعْنًى عِنْدَ البَصْرِيِّينَ.

وَبَعْدَ أَنْ فَرَغْتُ مِنْ مُصْطَلَحَاتِ أَقْسَامِ الكَلِمَةِ، تَحَدَّثْتُ عَنْ بَعْضِ مُصْطَلَحَاتِ المَرْفُوعَاتِ، كَمُصْطَلَحِ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، وَالمَجْهُولِ، وَمُصْطَلَحِ الفِعْلِ، الَّذِي كَانَ يُطْلِقُهُ الفَرَّاءُ عَلَى خَبَرِ المُبْتَدَأِ، وَخَبَرِ النَّوَاسِخِ.

ثُمَّ انْتَقَلْتُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الاسْمِ المَنْصُوبِ. فَبَيَّنْتُ تَسْمِيَاتِ المَفَاعِيلِ الخَمْسَةِ، وَالتَّمْيِيزِ، وَالحَالِ، وَالاسْتِثْنَاءِ، وَالمُنَادَى، وَرَأَيْتُ أَنَّ الكُوفِيِّينَ قَدْ يُطْلِقُونَ المُصْطَلَحَ الوَاحِدَ عَلَى أَكْثَرَ مِنْ مَنْصُوبٍ، كَمَا هِيَ الحَالُ فِي مُصْطَلَحِ التَّفْسِيرِ، مَثَلاً، الَّذِي أَطْلَقَهُ الكُوفِيُّونَ عَلَى المَفْعُولِ لأَجْلِهِ، وَالمَفْعُولِ مَعَهُ، وَالتَّمْيِيزِ، ثُمَّ أَطْلَقُوهُ كَذَلِكَ عَلَى تَابِعٍ مِنَ التَّوَابِعِ، هُوَ البَدَلُ.

ثُمَّ عَرَضْتُ الاسْمَ المَجْرُورَ، فَتَكَلَّمْتُ عَلَى مُصْطَلَحِ الخَفْضِ، وَالصِّفَاتِ، وَالخَوَافِضِ، وَحُرُوفِ الإِضَافَةِ، وَبَيَّنْتُ أَنَّ مُصْطَلَحَ الخَفْضِ لَيْسَ مِنِ ابْتِكَارَاتِ الكُوفِيِّينَ، وَإِنَّمَا اقْتَبَسُوهُ مِنَ الخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ، الَّذِي كَانَ يُطْلِقُهُ عَلَى مَا وَقَعَ مِنْ أَعْجَازِ الكَلِمِ مُنَوَّنًا.

دَرَسْتُ مُصْطَلَحَاتِ التَّوَابِعِ، وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا، فَبَيَّنْتُهَا وَاحِدًا وَاحِدًا، وَقَرَّرْتُ أَنَّ مُصْطَلَحَ النَّسَقِ لَيْسَ مِنِ ابْتِكَارَاتِ الكُوفِيِّينَ، وَإِنَّمَا هُوَ مُقْتَبَسٌ مِنْ مُصْطَلَحَاتِ الخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ، وَوَجَدْتُ، كَذَلِكَ، أَنَّ الكُوفِيِّينَ يُطْلِقُونَ أَكْثَرَ مِنْ تَسْمِيَةٍ عَلَى التَّابِعِ الوَاحِدِ، كَمَا هِيَ الحَالُ، مَثَلاً، فِي مُصْطَلَحِ البَدَلِ، الَّذِي سَمَّاهُ الكُوفِيُّونَ بِأَكْثَرَ مِنْ تَسْمِيَةٍ.

وَأَمَّا الفَصْلُ الثَّانِي، فَجَعَلْتُهُ فِي الإِعْرَابِ، وَالبِنَاءِ. فَتَحَدَّثْتُ فِيهِ أَوَّلاً عَنْ خَلْطِ الكُوفِيِّينَ عَلاَمَاتِ الإِعْرَابِ بِعَلاَمَاتِ البِنَاءِ، مِنْ دُونِ أَنْ يَمِيزُوا بَيْنَهَا كَالبَصْرِيِّينَ، وَعَنْ مُصْطَلَحِ المُجْرَى، وَغَيْرِ المُجْرَى، وَهُوَ مَا يُسَمِّيهِ البَصْرِيُّونَ المَصْرُوفَ، وَالمَمْنُوعَ مِنَ الصَّرْفِ.

ثُمَّ تَحَدَّثْتُ عَنِ العَوَامِلِ النَّحْوِيَّةِ. فَبَدَأْتُهَا بِمُقَدِّمَةٍ، تَارِيخِيَّةٍ، مُخْتَصَرَةٍ عَنِ العَامِلِ. ثُمَّ قَسَّمْتُ مَا يَتَّصِلُ بِهَا مِنْ مُصْطَلَحَاتٍ إِلَى قِسْمَيْنِ؛ قِسْمِ العَوَامِلِ اللَّفْظِيَّةِ، وَقِسْمِ العَوَامِلِ المَعْنَوِيَّةِ، فَوَجَدْتُ النَّحْوَ الكُوفِيَّ غَنِيًّا بِالعَوَامِلِ المَعْنَوِيَّةِ، عَلَى حِينَ لَيْسَ فِي النَّحْوِ البَصْرِيِّ سِوَى عَامِلَيْنِ اثْنَيْنِ؛ هُمَا الابْتِدَاءُ، وَقِيَامُ الفِعْلِ المُضَارِعِ مَقَامَ الاسْمِ. وَعَلَى هَذِهِ العَوَامِلِ المَعْنَوِيَّةِ ارْتَكَزَ النَّحْوُ الكُوفِيُّ فِي تَفْسِيرِ كَثِيرٍ مِنْ ظَوَاهِرِ الإِعْرَابِ، وَهِيَ عَوَامِلُ تُمَثِّلُ لَبِنَةً أَسَاسًا فِي بِنَاءِ قَوَاعِدِ العَرَبِيَّةِ عِنْدَهُمْ.

وَبِهَذَا انْتَهَيْتُ مِنَ البَابِ الأَوَّلِ.

وَأَمَّا البَابُ الثَّانِي، فَجَعَلْتُهُ فِي الأَدَوَاتِ النَّحْوِيَّةِ، وَقَسَّمْتُهُ، بِحَسَبِ تَآلُفِ هَذِهِ الأَدَوَاتِ، وَارْتِبَاطِهَا، بَعْضِهَا مَعَ بَعْضٍ، إِلَى أَرْبَعَةِ فُصُولٍ.

الفَصْلُ الأَوَّلُ كَانَ فِي تَسْمِيَةِ الأَدَوَاتِ النَّحْوِيَّةِ، كَمَا ظَهَرَتْ عِنْدَ الكُوفِيِّينَ. فَوَجَدْتُ أَنَّهُمْ كَثِيرًا مَا يَعْمِدُونَ إِلَى مُخَالَفَةِ البَصْرِيِّينَ فِي تَسْمِيَةِ عَدَدٍ مِنَ الأَدَوَاتِ، فَجَمَعْتُ مِنْ ذَلِكَ جُمْلَةً مِنْ هَذِهِ التَّسْمِيَاتِ.

وَالفَصْلُ الثَّانِي كَانَ فِي اخْتِلاَفِ الكُوفِيِّينَ، والبَصْرِيِّينَ فِي خَصَائِصِ بَعْضِ الأَدَوَاتِ؛ أَسْمَاءٌ هِيَ، أَمْ أَفْعَالٌ، أَمْ حُرُوفٌ، وَبَيَّنْتُ مَوْقِفَ كُلِّ فَرِيقٍ إِزَاءَ هَذِهِ الأَدَوَاتِ، وَجَمَعْتُ مِنْ ذَلِكَ جُمْلَةً مِنْ هَذِهِ الأَدَوَاتِ، وَصَلَتْ إِلَى أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثَ عَشْرَةَ أَدَاةً.

وَالفَصْلُ الثَّالِثُ كَانَ فِي مَعَانٍ جَدِيدَةٍ، أَثْبَتَهَا الكُوفِيُّونَ لِبَعْضِ الأَدَوَاتِ النَّحْوِيَّةِ، عَلَى حِينَ أَهْمَلَهَا البَصْرِيُّونَ، وَلَمْ يَعْتَدُّوا بِهَا، فَوَجَدْتُهَا مَعَانِيَ كَثِيرَةً، اعْتَمَدُوا فِي تَحْدِيدِهَا عَلَى مَنْزِلَةِ الأَدَاةِ فِي تَأْلِيفِ الكَلاَمِ، وتَرْكِيبِهِ.

وَأَمَّا الفَصْلُ الرَّابِعُ، فَتَحَدَّثْتُ فِيهِ عَنْ أَدَوَاتٍ جَدِيدَةٍ، قَالَ بِهَا الكُوفِيُّونَ، وَأَضَافُوهَا إِلَى النَّحْوِ العَرَبِيِّ، عَلَى حِينَ أَنْكَرَهَا البَصْرِيُّونَ، وَلَمْ يَعْتَدُّوا بِهَا؛ لأَنَّهَا خرجت على أَقيستهم، وأُصولهم الَّتِي وضَعوها، فوجدتها أَدوات كثيرة، جمعتها فِي مجموعات، كلُّ مَجْمُوعَةٍ تَحْتَ ظَاهِرَةٍ مُعَيَّنَةٍ، فَكَانَ أَدَوَاتٌ لِلْجَزْمِ، وَأُخْرَى لِلاسْتِثْنَاءِ، وَثَالِثَةٌ لِلْعَطْفِ، وَرَابِعَةٌ لِلنَّصْبِ، وَهَكَذَا. وَبِذَلِكَ يَكُونُ الكُوفِيُّونَ قَدِ اسْتَدْرَكُوا عَلَى البَصْرِيِّينَ كَثِيراً مِنْ هَذِهِ الزِّيَادَاتِ، وَالإِضَافَاتِ، الَّتِي أَهْمَلَهَا البَصْرِيُّونَ، وَلَمْ يَعْتَدُّوا بِهَا.

وَأَمَّا عَنْ مَنْهَجِي فِي عَرْضِ المُصْطَلَحَاتِ، وَالكَلاَمِ عَلَيْهَا، فَكَانَ يَتَمَثَّلُ، فِي أَغْلَبِ الأَحْيَانِ، فِي ذِكْرِ المُصْطَلَحِ، وَمَا يُقَابِلُهُ عِنْدَ البَصْرِيِّينَ، أَوِ العَكْسِ، ثُمَّ تَعْرِيفِهِ لُغَةً، وَاصْطِلاَحًا، ثُمَّ اسْتِعْمَالِهِ عِنْدَ الكُوفِيِّينَ، أَوْ عِنْدَ غَيْرِهِمْ، أَوِ اسْتِعْمَالِ الكُوفِيِّينَ مُصْطَلَحَ غَيْرِهِمْ. فَقَدْ ثَبَتَ مِنْ سَيْرِ البَحْثِ أَنَّ المُصْطَلَحَاتِ النَّحْوِيَّةَ، لَمْ تَكُنْ وَاضِحَةَ التَّمْيِيزِ مِنْ حَيْثُ اسْتِعْمَالُ كُلِّ مَذْهَبٍ لَهَا، عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ اليَوْمَ، فَكَثِيراً مَا وَجَدْتُ البَصْرِيِّينَ، أَوْ بَعْضَهُمْ يَسْتَعْمِلُونَ مُصْطَلَحَ الكُوفِيِّينَ، وَالكُوفِيِّينَ، أَوْ بَعْضَهُمْ يَسْتَعْمِلُونَ مُصْطَلَحَ البَصْرِيِّينَ. وَمِثْلُ هَذَا وَاضِحٌ فِي كَثِيرٍ مِنَ المُصْطَلَحَاتِ النَّحْوِيَّةِ، الَّتِي عَرَضْتُ لَهَا. وَرُبَّمَا يَكُونُ سَبَبُ ذَلِكَ رَاجِعًا إِلَى أَنَّ النَّحْوَ كَانَ فِي أَوَّلِيَّتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ هَمُّ أَحَدِهِمْ إِذَا اسْتَعْمَلَ هَذَا المُصْطَلَحَ، أَوْ ذَاكَ، إِلاَّ أَنْ يُؤَدِّيَ عَنْ مُرَادِهِ، بِحَسَبِ حِسِّهِ النَّحْوِيِّ عِنْدَ اسْتِعْمَالِهِ. كَمَا ثَبَتَ، أَيْضًا، أَنَّ المُصْطَلَحَ البَصْرِيَّ هُوَ الَّذِي شَاعَ، وَأُخِذَ بِهِ، وَأَنَّ النِّسْيَانَ لَفَّ المُصْطَلَحَاتِ الكُوفِيَّةَ، بِاسْتِثْنَاءِ عَدَدٍ يَسِيرٍ مِنْهَا، كُتِبَ لَهُ الشُّيُوعُ، وَالذُّيُوعُ.

وَقَدِ اعْتَمَدْتُ فِي تَوْثِيقِ المُصْطَلَحِ النَّحْوِيِّ الكُوفِيِّ عَلَى نَوْعَيْنِ مِنَ المَصَادِرِ؛ مَصَادِرَ أَسَاسٍ، هِيَ كُتُبُ الكُوفِيِّينَ أَنْفُسِهِمْ، كَكِتَابِ (مَعَانِي القُرْآنِ) لِلفَرَّاءِ، وَ(المَجَالِسِ) وَ(الفَصِيحِ) لِثَعْلَبٍ، وَ(المُذَكَّرِ وَالمُؤَنَّثِ)، وَ(الأَضْدَادِ)، وَ(إِيضَاحِ الوَقْفِ وَالابْتِدَاءِ) لابْنِ الأَنْبَارِيِّ؛ لِذَلِكَ تَجِدُنِي أُكْثِرُ مِنَ النُّصُوصِ الكُوفِيَّةِ، المُسْتَعْمَلِ فِيهَا المُصْطَلَحُ، تَوْثِيقًا لَهُ؛ وَمَصَادِرَ فَرْعِيَّةٍ، هِيَ مُطَوَّلاَتُ النَّحْوِ، وَبَعْضُ الكُتُبِ الأُخْرَى، الَّتِي وَجَدْتُ فِيهَا إِشَارَاتٍ إِلَى مُصْطَلَحَاتِ النَّحْوِ الكُوفِيِّ.

وَبِهَذَا انْتَهَيْتُ تَمَامًا مِنْ دِرَاسَةِ النَّحْوِ الكُوفِيِّ، مُلِمًّا بِأَغْلَبِ هَذِهِ المُصْطَلَحَاتِ، مُحَاوِلاً مَا أَمْكَنَنِي الحَصْرَ، وَالجَمْعَ، بَاذِلاً مَا لَدَيَّ مِنْ جَهْدٍ، وَقُدْرَةٍ فِي إِنْجَازِ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ.

وَكَانَ لِلأُسْتَاذ المُشْرِف فَضْلُ المُتابَعَة وَالتَّوْجيه، وَلَهُ عَلَيَّ العِرْفَانُ بالفَضْلِ، وَالشُّكْرِ، وَلِكُلِّ مَنْ مَدَّ إِلَيَّ يَدَ العَوْنِ فِي إِنْجَازِ هَذَا البَحْث، وَأَخُصُّ بالذِّكْرِ لَجْنَةَ المُنَاقَشَة. أَخَذَ اللهُ بِيَدِ الجَمِيعِ إِلَى مَا فِيهِ صَلَاحُ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَسَلَامَةُ لُغَتِهَا، وَنَحْوِهَا. وَمِنَ اللهِ نَسْتَمِدُّ العَوْنَ، فَهُوَ نِعْمَ المَوْلَى، وَنِعْمَ النَّصِيرِ.

أ . د . حمدي محمود حمدجبالي

تَمْهِيدٌ

. مَدْرَسَةُ الكُوفَةِ
. مَصَادِرُ النَّحْوِ الكُوفِيِّ
. خَصَائِصُ المَدْرَسَةِ الكُوفِيَّةِ
. أَعْلاَمُ المَدْرَسَةِ الكُوفِيَّةِ
. مُصْطَلَحَاتُ النَّحْوِ الكُوفِيِّ

مَدْرَسَةُ الكُوفَةِ:

كَانَت اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ، وَمَا تَزَالُ، عَزِيزَةً عَلَى أَهْلِهَا، قَرِيبَةً مِنْ نُفُوسِهِمْ، ثُمَّ أَكْرَمَهُمُ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ، نُزُلَ القُرْآنَ الكَرِيمَ بِهَا، فَرَفَعَ مِنْ شَأْنِهَا، وَزَادَهَا فِي نُفُوسِ أَهْلِهَا عِزَّةً، وَتَقدِيسًا، وَسَخَرَ اللهُ عُلَمَاءَ أَحبُّوهَا، فقامُوا على رِعايتِها، وبذلُوا فِي سبيلِ المُحَافَظَةِ عَلَيْهَا جُهُودًا، تَسْتَحِقُّ مِنَّا كُلَّ إِجْلَالٍ، وَإِكْبَارٍ.

وَلِذَلِكَ نَشَأَت الدِّرَاسَاتُ اللُّغَوِيَّةُ، خِدْمَةً لِلقُرْآنِ الكَرِيمِ، الَّذِي خَشِيَ عَلَيهِ المُسْلِمُونَ، مِنْ أَنْ يُصِيبَهُ تَحْرِيفٌ، أَوْ يَدْخُلَهُ مَا يُفْسِدَ لُغَتَهُ، وَلاَ سِيَّمَا بَعْدَ اتِّسَاعِ رُقْعَةِ الدَّوْلَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ، وَدُخُولِ أُمَمٍ كَثِيرَةٍ فِي الدِّينِ الجَدِيدِ، وَانْتِشَارِ اللَّحْنِ، وَفَسَادِ الأَلْسِنَةِ.

وَأَوَّلُ عَلَمٍ يَبْرُزُ، عِنْدَ النَّظَرِ فِي نَشْأَةِ البَحْثِ اللُّغَوِيِّ، اسْمُ أَبِي الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ، (ت 69 هـ)، عَلَى اخْتِلاَفٍ بَيْنَ العُلَمَاءِ المُحَدَثِينَ، فِيمَا إِذَا كَانَ هُوَ أَوَّلَ مَنْ وَضَعَ النَّحْوَ، أَوْ غَيْرَهُ مِنْ عُلَمَاءِ القَرْنِ الهِجْرِيِّ الأَوَّلِ.

وَمَهْمَا يَكُنْ مِنْ أَمْرِ هَذَا الاخْتِلاَفِ، فَلاَ يَصِحُّ تَجَاهُلُ مَا قَامَ بِهِ أَبُو الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ مِنْ أَعْمَالٍ لُغَوِيَّةٍ. فَقَدْ رَوَى العُلَمَاءُ القُدَمَاءُ أَنَّهُ قَامَ بِمُهِمَّةِ شَكْلِ المُصْحَفِ، وَضَبْطِهِ، وَأَنَّهُ وَضَعَ شَيْئًا مِنَ النَّحْوِ، كَبَابِ الفَاعِلِ، وَالمَفْعُولِ، وَالمُضَافِ، وَحُرُوفِ الجَرِّ، وَالرَّفْعِ، وَالنَّصْبِ، وَالجَزْمِ[1]، وَأَنَّهُ "أَوَّلُ مَنْ أَسَّسَ العَرَبِيَّةَ، وَنَهَجَ سُبُلَهَا، وَوَضَعَ قِيَاسَهَا"[2]. وَيَمُوتُ أَبُو الأَسْوَدِ، وَيَتْرُكُ مِنْ تلاميذه مَنْ نَهَضُوا مِنْ بَعْدِهِ بِالدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ، كَعَنْبَسَةَ الفِيلِ، وَنَصْرِ بْنِ عَاصِمٍ اللَّيْثِيِّ، وَيَحْيَى بْنِ يَعْمُرَ، وَكَوَّنُوا بِذَلِكَ مَدْرَسَةَ البَصْرَةِ، الَّتِي اكْتَمَلَتْ نُضْجًا عَلَى يَدَيِّ الخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ، وَتِلْمِيذِهِ سِيبَوَيْهِ، وَاضِعِ أَوَّلِ كِتَابٍ فِي النَّحْوِ العَرَبِيِّ.

وَتَخْتَلِفُ الآرَاءُ فِي نَشْأَةِ المَذْهَبِ الكُوفِيِّ، الَّذِي ظَهَرَ بَعْدَ نَحْوِ مِائَةِ عَامٍ، مَنْ تَأْسِيسِ المَذْهَبِ البَصْرِيِّ. فَيَكَادُ يَتَّفِقُ القُدَمَاءُ عَلَى أَنَّ المَذْهَبَ الكُوفِيَّ يَبْدَأُ بِأَبِي جَعْفَرٍ الرُّؤَاسِيِّ. فَقَدْ جَعَلَهُ الزُّبَيْدِيُّ فِي (طَبَقَاتِهِ) رَأْسَ المَذْهَبِ الكُوفِيِّ، وَأُسْتَاذَ أَهْلِ الكُوفَةِ فِي النَّحْوِ[3]، وَتَابَعَهُ فِي ذَلِكَ ابْنُ النَّدِيمِ، فَذَكَرَ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ فِي النَّحْوِ كِتَابًا مِنَ الكُوفِيِّينَ، وَأَنَّهُ كَانَ أُسْتَاذَ الكِسَائِيِّ، وَالفَرَّاءِ، كَمَا يَرْوِي ثَعْلَبٌ[4].

وَلَكِنَّ المُحْدَثِينَ انْقَسَمُوا فَرِيقَيْنِ؛ فَرِيقٌ رَأَى رَأْيَ القُدَمَاءِ أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ الرُّؤَاسِيَّ أَوَّلُ مَنْ أَلَّفَ فِي النَّحْوِ مِنَ الكُوفِيِّينَ، وَأَوَّلُ مَنْ أَسَّسَ مَدْرَسَةَ الكُوفَةِ، وَأَنَّ تِلْمِيذَيْهِ؛ الكِسَائِيَّ وَالفَرَّاءَ، هُمَا اللَّذَانِ نَهَضَا بِالمَذْهَبِ الجَدِيدِ وَدَعَمَاهُ، وَكَانَا نَظِيرَيْ سِيبَوَيْهِ، رَأْسِ المَدْرَسَةِ البَصْرِيَّةِ[5].

---

[1] طبقات الشعراء ص10، وطبقات النحويين واللغويين ص21.

[2] طبقات النحويين واللغويين ص21.

[3] طبقات النحويين واللغويين ص125.

[4] الفهرست ص96.

[5] ضحى الإسلام 285/1.

وَفَرِيقٌ آخرُ يَنْفِي أَنْ يَكُونَ أَبُو جَعْفَرٍ الرُّؤَاسِيُّ مِمَّنْ يُوضَعُ فِي طَبَقَةِ المُؤَسِّسِينَ لِهَذِهِ المَدْرَسَةِ النَّحْوِيَّةِ النَّاشِئَةِ، أَوْ تَخَرَّجَ عَلَيهِ أَحَدٌ مِنَ الكُوفِيِّينَ، وَاكْتَفَى بِمَا تَلَقَّاهُ عَنْهُ، لَيْسَ هَذَا فَحَسْبُ، بَلْ إِنَّهُمْ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ كُوفِيًّا نَحْوِيًّا، بِالمَعْنَى الدَّقِيقِ لِهَذِهِ الكَلِمَةِ قَبْلَ الكِسَائِيِّ[1].

ولكنَّ هذه المزاعم تتلاشى إذا نحن علمنا أَنَّ الفَرَّاءَ، وَهُوَ مِنْ رُوَّادِ المَذْهَبِ الكُوفِيِّ، كَانَ يَتَّصِلُ بِأَبِي جَعْفَرٍ، وَيَأْخُذُ العَرَبِيَّةَ عَنْهُ، وَلَيْسَ بَيْنَ أَيْدِينَا حُجَّةٌ، أَقْوَى مِنْ كَلاَمِ الفَرَّاءِ نَفْسِهِ. فَفِي كِتَابِهِ، (مَعَانِي القُرْآنِ) يَنْقُلُ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الرُّؤَاسِيِّ، وَيَرْوِي لَهُ فِي أَكْثَرَ مِنْ مَوْضِعٍ، مِنْ كِتَابِهِ، مُسْتَعْمِلاً عِبَارَاتٍ، وَأَلْفَاظًا، تَدُلُّ بِوُضُوحٍ عَلَى تَلْمَذَتِهِ عَلَيْهِ، وَأَخْذِهِ العَرَبِيَّةَ عَنْهُ، فَهُوَ يَقُولُ: "وَقَدْ قَرَأَهَا رَجُلٌ مِنَ النَّحْوِيِّينَ، أَيْ قَوْلَهُ تَعَالَى: {آلم الله}[2]، وَهُوَ أَبُو جَعْفَرٍ الرُّؤَاسِيُّ، وَكَانَ رَجُلاً صَالِحًا: {الم الله}، بِقَطْعِ الأَلِفِ"[3]. وَيَقُولُ: "وَزَعَمَ الرُّؤَاسِيُّ أَنَّهُ سَأَلَ أَبَا عَمْرٍو"[4]. وَيَقُولُ: "وَزَعَمَ أَبُو جَعْفَرٍ الرُّؤَاسِيُّ أَنَّهُ سَأَلَ أَبَا عَمْرٍو"[5]. وَيَقُولُ: "حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ الرُّؤَاسِيُّ، قَالَ: قُلْتُ لأَبِي عَمْرِو بْنِ العَلاَءِ"[6]. أَلاَ تَكْفِي هَذِهِ العِبَارَاتُ للاعْتِرَافِ بِأَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ الرُّؤَاسِيَّ رَأْسُ المَدْرَسَةِ الكُوفِيَّةِ، وَمِنَ المُؤَسِّسِينَ الأَوَّلِينَ لَهَا، فَضْلاً عَلَى كَوْنِهِ أُسْتَاذَ الكِسَائِيِّ، وَالفَرَّاءِ؟ فَهُوَ، إِذًا، المُؤَسِّسُ الأَوَّلُ لِمَدْرَسَةِ الكُوفَةِ، وَتِلْمِيذَاهُ؛ الكِسَائِيُّ وَالفَرَّاءُ، نَهَضَا بِهَا، وَمَيَّزَاهَا عَنْ مَدْرَسَةِ البَصْرَةِ، مَنْهَجًا، وَأُسْلُوبًا، فِي دِرَاسَةِ اللُّغَةِ، وَالنَّحْوِ.

مَصَادِرُ النَّحْوِ الكُوفِيِّ:

وَمِنْ أَهَمِّ مَصَادِرِ النَّحْوِ الكُوفِيِّ:

1- النَّحْوُ البَصْرِيُّ: تَلَقَّى الكُوفِيُّونَ الآرَاءَ النَّحْوِيَّةَ، فِي بَدْءِ الأَمْرِ، عَنْ شُيُوخِ المَدْرَسَةِ البَصْرِيَّةِ. فَقَدْ ذَكَرْنَا، قَبْلَ قَلِيلٍ، فِيمَا نَقَلْنَاهُ عَنِ الفَرَّاءِ، أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ الرُّؤَاسِيَّ كَانَ يَلْتَقِي أَبَا عَمْرٍو، وَيَسْأَلُهُ. وَمَعْنَى هَذَا أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُ العَرَبِيَّةَ عَنْ أَبِي عَمْرِو بْنِ العَلاَءِ. وَهَذَا مَا أَكَّدَتْهُ، أَيْضًا، كُتُبُ التَّرَاجِمِ[7].

وَيَذْكُرُ الرُّوَاةُ، أَيْضًا، أَنَّ الكِسَائِيَّ خَرَجَ إِلَى البَصْرَةِ، وَلَقِيَ الخَلِيلَ بْنَ أَحْمَدَ، وَجَلَسَ فِي حَلَقَتِهِ، وَأَنَّهُ سَأَلَ الخَلِيلَ عَنْ عِلْمِهِ، فَقَالَ لَهُ: مِنْ بَوَادِي الحِجَازِ، وَنَجْدٍ، وَتِهَامَةَ، فَخَرَجَ الكِسَائِيُّ، وَأَنْفَدَ خَمْسَ

---

[1] مدرسة الكوفة ص68.

[2] آل عمران الآيتان 1 و 2.

[3] معاني القرآن 9/1.

[4] معاني القرآن 289/2.

[5] معاني القرآن 357/2-357.

[6] معاني القرآن 61/3، وينظر أيضا: 182/2، 292/3.

[7] ينظر: إنباه الرواة 99/4.

عَشْرَةَ قِنِّينَةً حِبْرًا، فِي الكِتَابَةِ عَنِ العَرَبِ، سِوَى مَا حَفِظَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ هَمٌّ غَيْرَ البَصْرَةِ وَالخَلِيلِ، فَوَجَدَ الخَلِيلَ قَدْ مَاتَ، وَجَلَسَ فِي مَوْضِعِهِ، يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ البَصْرِيُّ النَّحْوِيُّ، فَجَرَتْ بَيْنَهُمَا مَسَائِلُ، أَقَرَّ لَهُ يُونُسُ فِيهَا، وَصَدَّرَهُ فِي مَوْضِعِهِ[1].

وَيَذْكُرُونَ، أَيْضًا، أَنَّ الكِسَائِيَّ دَرَسَ كِتَابَ سِيبَوَيْهِ عَلَى الأَخْفَشِ البَصْرِيِّ[2]، وَأَنَّ الفَرَّاءَ كَانَ قَدْ وَقَفَ عَلَى كِتَابِ سِيبَوَيْهِ، وَاطَّلَعَ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ مَاتَ، وَتَحْتَ رَأْسِهِ كِتَابُ سِيبَوَيْهِ[3].

وَمِمَّا يَدُلُّ، أَيْضًا، عَلَى أَنَّ شُيُوخَ المَدْرَسَةِ الكُوفِيَّةِ كَانُوا يَتَّصِلُونَ بِشُيُوخِ مَدْرَسَةِ البَصْرَةِ، وَيَأْخُذُونَ عَنهُمْ؛ قَوْلُ الفَرَّاءِ فِي كِتَابِ (مَعَانِي القُرْآنِ): "وَأَنْشَدَنِي يُونُسُ البَصْرِيُّ"[4]. وَيُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ، كَمَا نَعْرِفُ، مِنْ شُيُوخِ مَدْرَسَةِ البَصْرَةِ.

فَمِنْ هَذِهِ الأَمْثِلَةِ نَسْتَنْتِجُ أَنَّ عُلَمَاءَ المَدْرَسَةِ الكُوفِيَّةِ، كَانُوا قَدِ اطَّلَعُوا عَلَى النَّحْوِ البَصْرِيِّ، وَاتَّصَلُوا بِشُيُوخِهِ، وَأَفَادُوا مِنْهُ فِي بِنَاءِ نَحْوِهِمْ، وَدَعْمِ مَذْهَبِهِمُ الجَدِيدِ.

2- لُغَاتُ الأَعْرَابِ:

اعْتَمَدَ الكُوفِيُّونَ فِي بِنَاءِ أُصُولِهِمْ، وَأَحْكَامِهِمُ النَّحْوِيَّةِ، عَلَى لُغَاتِ الأَعْرَابِ، الَّذِينَ وَثِقَ بِهِمُ البَصْرِيُّونَ، وَأَخَذُوا عَنْهُمْ، وَهُمُ البَدْوُ الأَعْرَابُ، الَّذِينَ سَكُنُوا البَادِيَةَ بَعِيدًا عَنْ سُكَّانِ الحَضَرِ، وَالأَرْيَافِ، وَالَّذِينَ بَقُوا يَحْتَفِظُونَ بِفَصَاحَةِ التَّعْبِيرِ، وَسَلَامَةِ اللُّغَةِ[5]. غَيْرَ أَنَّ الرُّوَاةَ تَذْكُرُ أَنَّ الكُوفِيِّينَ قَدْ تَوَسَّعُوا فِي الأَخْذِ عَنِ القَبَائِلِ العَرَبِيَّةِ، غَيْرِ تِلْكَ الَّتِي أَخَذَ عَنْهَا البَصْرِيُّونَ، كَأَعْرَابِ سَوَادِ الكُوفَةِ مِنْ تَمِيمٍ، وَأَسَدٍ، وَأَعْرَابِ سَوَادِ بَغْدَادَ، مِنْ أَعْرَابِ الحُطَمَةِ. فَقَدْ ذَكَرَ أَبُو الطَّيِّبِ اللُّغَوِيُّ أَنَّ الفَرَّاءَ "أَخَذَ عَنْ أَعْرَابٍ، وَثِقَ بِهِمْ، مِثْلُ أَبِي الجَرَّاحِ، وَأَبِي ثَرْوَانَ، وَغَيْرِهِمَا"[6]. وَيُؤَكِّدُ هَذَا أَنَّ الفَرَّاءَ كَثِيرًا مَا يَقُولُ: أَنْشَدَنِي أَبُو ثَرْوَانَ[7]، وَأَنْشَدَنِي أَبُو الجَرَّاحِ[8]، كَمَا كَانَ أُسْتَاذُهُ الكِسَائِيُّ، مِنْ قَبْلِهِ، يَعْتَمِدُ عَلَى أَعْرَابِ الحُطَمَةِ، فَيَأْخُذُ عَنْهُمْ.

3 . الشِّعْرُ العَرَبِيُّ:

---

[1] ينظر: نزهة الألباء، ص59، ومعجم الأدباء 16/13.

[2] مراتب النحويين ص120، وطبقات النحويين واللغويين ص72.

[3] مراتب النحويين ص139.

[4] معاني القرآن 37/2.

[5] الاقتراح ص73.

[6] مراتب النحويين ص139.

[7] ينظر: معاني القرآن 4/1، 135، 139، 262، 15/3، 42، 272، إلخ.

[8] ينظر: معاني القرآن 23،30/2، 35، 75، 139، و 147/2، 174، إلخ.

احْتَجَّ عُلَمَاءُ اللُّغَةِ البَصْرِيُّونَ بالشِّعْرِ الجَاهِلِيِّ، وَالإِسْلاَمِيِّ، وَبِشِعْرِ مَنْ وَثِقُوا بِه، مِنَ الشُّعَرَاءِ المُعَاصِرِينَ، وَكَانَ آخرُ مَنْ يُحْتَجُّ بِه عِنْدَهُمْ إِبْرَاهِيمَ بْنَ هَرْمَةَ، الَّذي مَاتَ فِي نِصْفِ القَرْنِ الثَّانِي لِلْهِجْرَةِ[1]. وَكَذَلِكَ فَعَلَ الكُوفِيُّونَ، فَقَدْ جَعَلُوا الشِّعْرَ العَرَبِيَّ؛ جَاهِلِيَّهُ، وَإِسْلاَمِيَّهُ، وَمُعَاصِرَهُ، مَصْدَرًا هَامًّا مِنْ مَصَادِرِهِمْ فِي الدِّرَاسَةِ النَّحْوِيَّةِ.

4 . القِرَاءَاتُ القُرْآنِيَّةُ:

اعْتَدَّ الكُوفِيُّونَ بالقِرَاءَاتِ القُرْآنِيَّةِ، وَجَعَلُوهَا أَصْلاً مِنْ أُصُولِ دَرْسِهِمُ النَّحْوِيِّ، وَاعْتَمَدُوا عَلَيْهَا فِي اسْتِخْرَاجِ كَثِيرٍ مِنَ الأَحْكَامِ. وَالأَمْثِلَةُ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرَةٌ.

(أ) مِنْهَا تَجْوِيزُهُمُ الفَصْلَ بَيْنَ المُضَافِ، وَالمُضَافِ إِلَيْهِ . بِاسْتِثْنَاءِ الفَرَّاءِ[2]. بِغَيْرِ الظَّرْفِ، وَالجَارِّ وَالمَجْرُورِ، مُحْتَجِّينَ بِقِرَاءَةِ ابْنِ عَامِرٍ قَوْلَهُ تَعَالَى: {وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَائِهِمْ}[3]، بِالفَصْلِ بَيْنَ المُضَافِ {قَتْلُ}، وَبَيْنَ المُضَافِ إِلَيْهِ {شُرَكَائِهِمْ}، بِالمَفْعُولِ بِهِ {أَوْلاَدَهُمْ}[4].

(ب) وَمِنْهَا تَجْوِيزُهُمْ . بِاسْتِثْنَاءِ الفَرَّاءِ[5] . العَطْفَ عَلَى الضَّمِيرِ المَخْفُوضِ، مِنْ دُونِ إِعَادَةِ الخَافِضِ، نَحْوُ قَوْلِكَ: مَرَرْتُ بِكَ وَزَيدٍ، مُحْتَجِّينَ بِقِرَاءَةِ حَمْزَةَ قَوْلَهُ تَعَالَى: {وَاتَّقُوا اللهَ الَّذي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامِ}[6]، بِجَرِّ بِجَرِّ {الأَرْحَامِ}، عَطْفًا عَلَى الضَّمِيرِ فِي {بِه}، مِنْ غَيْرِ إِعَادَةِ الخَافِضِ.

(ج) وَمِنْهَا أَنَّهُمْ أَجَازُوا، كَذَلِكَ، إِدْخَالَ نُونِ التَّوْكِيدِ الخَفِيفَةِ عَلَى فِعْلِ الاثْنَيْنِ، وَجَمَاعَةِ النِّسَاءِ، نَحْوُ: افْعَلاَنْ، وَافْعَلْنَانْ، بِالنُّونِ الخَفِيفَةِ، مُحْتَجِّينَ بِقِرَاءَةِ ابْنِ عَامِرٍ قَوْلَهُ تَعَالَى: {وَلاَ تَتَّبِعَانْ}[7]، بِنُونِ التَّوْكِيدِ الخَفِيفَةِ[8].

---

[1] الاقتراح ص202.

[2] نَسَبَ ابْنُ الأَنْبَارِيِّ القَوْلَ فِي تَجْوِيزِ الفَصْلِ بَيْنَ المُضَافِ، وَالمُضَافِ إِلَيهِ، بِغَيرِ الظَّرْفِ، وَالجَارِّ وَالمَجْرُورِ، إِلَى الكُوفِيِّينَ عَامَّةً، غَيْرَ أَنَّ الفَرَّاءَ لاَ يَرَى ذَلِكَ، وَيَمْنَعُ مِثْلَ هَذَا الفَصْلِ. ينظر: معاني القرآن 358/1، و 81/2 . 82.

[3] الأنعام الآية 137.

[4] ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم60.

[5] ذَكَرَ ابْنُ الأَنْبَارِيِّ أَنَّ الكُوفِيِّينَ يُجَوِّزُونَ العَطْفَ عَلَى الضَّمِيرِ المَخْفُوضِ، مِنْ غَيْرِ إِعَادَةِ الخَافِضِ، غَيْرَ أَنَّ الفَرَّاءَ لاَ يَرَى ذَلِكَ، بَلْ إِنَّهُ يَنْعَتُ القِرَاءَةَ هَذِهِ بِالقُبْحِ، وَيَرَى أَنَّ ذَلِكَ لاَ يَجُوزُ إِلاَّ فِي الشِّعْرِ؛ لِضِيقِهِ. ينظر: معاني القرآن 252/1 . 253، و 86/2.

[6] النساء الآية 1.

[7] يونس الآية 89.

[8] الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم94.

وَمَا يَدُلُّ، أَيْضًا، عَلَى اعْتِدَادِ الكُوفِيِّينَ بِالقِرَاءَاتِ القُرْآنِيَّةِ قَوْلُ الفَرَّاءِ: "وَالكِتَابُ أَعْرَبُ، وَأَقْوَى حُجَّةً مِنَ الشِّعْرِ"[1].

عَلَى حِينِ نَجِدُ البَصْرِيِّينَ يُخَطِّئُونَ كَثِيراً مِنَ القِرَاءَاتِ؛ لأَنَّهَا لَمْ تُطَابِقْ قَوَاعِدَهُمُ، الَّتِي قَعَّدُوهَا، وَكَانُوا يَعْتَبِرُونَ نَحْوَ قِرَاءَةِ ابْنِ عَامِرٍ، وَحَمْزَةَ، قِرَاءَاتٍ شَاذَّةً، لاَ يُقَاسُ عَلَيْهَا، وَلاَ يُؤْخَذُ بِهَا.

خَصَائِصُ المَدْرَسَةِ الكُوفِيَّةِ:

قَامَتِ المَدْرَسَةُ الكُوفِيَّةُ، وَنَهَضَ بِهَا عُلَمَاؤُهَا، وَتَمَيَّزَتْ عَنْ مَدْرَسَةِ البَصْرَةِ مَنْهَجًا، وَأُسْلُوبًا، فِي دِرَاسَةِ اللُّغَةِ، وَالنَّحْوِ، وَأَصْبَحَتْ لَهَا خَصَائِصُ، لَيْسَتْ لِمَدْرَسَةِ البَصْرَةِ. وَمِنْ أَهَمِّهَا:

1. الاعْتِمَادُ عَلَى المَسْمُوعِ مِنْ كَلاَمِ العَرَبِ؛ لِذَلِكَ كَانُوا أَكْثَرَ رِوَايَةً لِلشِّعْرِ، وَاحْتِرَامًا لِلنُّصُوصِ اللُّغَوِيَّةِ، حَتَّى إِنَّهُمْ كَثِيرًا مَا يَسْتَشْهِدُونَ بِالشِّعْرِ، لاَ يُعْرَفُ قَائِلُهُ. وَالأَمْثِلَةُ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرَةٌ:

فَقَدِ احْتَجُّوا لِمَذْهَبِهِمُ القَائِلِ: إِنَّهُ يَجُوزُ الفَصْلُ بَيْنَ المُضَافِ وَالمُضَافِ إِلَيْهِ بِغَيْرِ الظَّرْفِ، وَحَرْفِ الخَفْضِ؛ لِضَرُورَةِ الشِّعْرِ، بِأَشْعَارٍ، لاَ يُعْرَفُ قَائِلُوهَا، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

فَزَجَجْتُهَا بِمَزَجَّةٍ زَجَّ القَلُوصَ أَبِي مَزَادَهْ

وَقَوْلِهِ:

تَمُرُّ عَلَى مَا تَسْتَمِرُّ وَقَدْ شَفَتْ غَلاَئِلُ عَبْدِ القَيْسِ مِنْهَا صُدُورَهَا

وَقَوْلِهِ:

فَأَصْبَحَتْ بَعْدَ خَطِّ بَهْجَتِهَا كَأَنَّ قَفْرًا رُسُومَهَا قَلَمَا[2]

وَهَذَا، أَيْضًا، شَأْنُ البَصْرِيِّينَ. فَسِيبَوَيْهِ فِي (الكِتَابِ) اسْتَشْهَدَ بِخَمْسِينَ بَيْتًا مِنَ الشِّعْرِ، لاَ يُعْرَفُ قَائِلُوهَا، بَيْدَ أَنَّهُمْ كَانُوا أَكْثَرَ حِيطَةً، وَتَحَرِّيًا فِي جَمْعِ الشَّوَاهِدِ، وَالأَمْثِلَةِ اللُّغَوِيَّةِ؛ لِذَلِكَ، فَإِنَّهُمْ يَرْفُضُونَ الأَشْعَارَ، الَّتِي لاَ يُعْرَفُ قَائِلُوهَا.

2. البُعْدُ عَنِ التَّعْلِيلِ، وَالخَوْضِ فِي القَضَايَا الفَلْسَفِيَّةِ، وَالمَنْطِقِيَّةِ، فِي تَفْسِيرِ الظَّوَاهِرِ اللُّغَوِيَّةِ، فَكَانُوا بِذَلِكَ أَقْرَبَ إِلَى رُوحِ الدِّرَاسَةِ اللُّغَوِيَّةِ، وَأَبْعَدَ مَا يَكُونُونَ عَنْ تَحْكِيمِ العَقْلِ فِي اللُّغَةِ، وَالنَّحْوِ. وَتَتَكَشَّفُ هَذِهِ الحَقِيقَةُ، بِأَجْلَى صُوَرِهَا، فِي قَوْلِ الكِسَائِيِّ، وَكَانَ سُئِلَ عَنْ (أَيٍّ)، وَأَمْرِ اخْتِلاَفِهَا: "أَيٌّ هَكَذَا خُلِقَتْ"[3].

[1] معاني القرآن 14/1.

[2] الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم60.

[3] الخصائص292/3.

وَابْتَعَدُوا، أَيْضًا، عَنْ كَثْرَةِ التَّأْوِيلاَتِ، وَالتَّقْدِيرَاتِ الَّتِي كَثِيرًا مَا يَلْجَأُ إِلَيْهَا البَصْرِيُّونَ فِي تَفْسِيرِ الظَّوَاهِرِ اللُّغَوِيَّةِ، وَتَخْرِيجِهَا. فَالبَصْرِيُّونَ، مَثَلاً، إِذَا وَجَدُوا أَفْعَالاً مُضَارِعَةً، مَنْصُوبَةً بَعْدَ أَحَدِ هَذِهِ الأَدَوَاتِ: لاَمِ كَيْ، وَلاَمِ الجُحُودِ، وَحَتَّى، وَالوَاوِ، وَالفَاءِ، وَأَوْ؛ عَمَدُوا إِلَى التَّأْوِيلِ، وَالتَّقْدِيرِ؛ لِتَفْسِيرِ عِلَّةِ نَصْبِ هَذِهِ الأَفْعَالِ، فَتَرَاهُمْ يَقُولُونَ: هَذِهِ الأَفْعَالَ لَيْسَتْ مَنْصُوبَةً بِهَذِهِ الأَدَوَاتِ؛ لأَنَّهَا مِنَ الأَدَوَاتِ غَيْرِ المُخْتَصَّةِ، وَإِنَّمَا هِيَ مَنْصُوبَةٌ بِأَنْ مُضْمَرَةٍ، ومُقَدَّرَةٍ بَعْدَهَا.

فِي حِينِ يَتَجَنَّبُ الكُوفِيُّونَ مِثْلَ هَذِهِ التَّقْدِيرَاتِ، وَالتَّأْوِيلاَتِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الأَدَوَاتِ نَفْسَهَا أَدَوَاتٌ نَاصِبَةٌ، تَنْصِبُ مَا بَعْدَهَا، مِنْ دُونِ تَقْدِيرٍ[1].

3. الاعْتِدَادُ بِالشَّوَاهِدِ الفَرْدِيَّةِ، وَتَعْمِيمِ الظَّاهِرَةِ الفَرْدِيَّةِ، وَالقِيَاسِ عَلَيْهَا، وَإِنْ لَمْ يَرِدْ غَيْرُهَا فِي كَلاَمِ العَرَبِ. فَإِذَا سَمِعُوا لَفْظًا فِي شِعْرٍ، أَوْ نَادِرًا فِي كَلاَمٍ، جَعَلُوهُ بَابًا[2]، وَلَوْ "سَمِعُوا بَيْتًا وَاحِدًا، فِيهِ شَيْءٌ مُخَالِفٌ لِلأُصُولِ، جَعَلُوهُ أَصْلاً، وَبَوَّبُوا عَلَيْهِ"[3]. وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا مَا حَدَثَ بَيْنَ أَبِي العَبَّاسِ؛ المُبَرِّدِ، وَأَبِي العَبَّاسِ؛ ثَعْلَبٍ. فَقَدْ ذُكِرَ أَنَّهُمَا اجْتَمَعَا فِي مَجْلِسِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ، فَسَأَلَهُمَا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ}[4]، كَمْ فِيهِ لُغَةً؟ قَالَ المُبَرِّدُ: بُرَآءُ، عَلَى مِثَالِ: كُرَمَاءُ، وَبِرَاءٌ، عَلَى مِثَالِ: كِرَامٌ. فَقَالَ ثَعْلَبٌ: بُرَاءٌ، أَيُّهَا الأَمِيرُ. فَقَالَ: مَا تَقُولُ يَا مُحَمَّدُ. قُلْتُ: أَيُّهَا الأَمِيرُ: سَلْهُ مِنْ أَيْنَ؟ قَالَ: مِنْ أَيْنَ قُلْتَ؟ قَالَ: . وَالكَلاَمُ لِثَعْلَبٍ . حَدَّثَنِي سَلَمَةُ، عَنِ الفَرَّاءِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَعْرَابِيَّةً، تَقُولُ: أَلاَ فِي السَّوَةِ أَنْتُنَّهْ، تُرِيدُ: أَلاَ فِي السَّوْءَةِ، فَطَرَحَتِ الهَمْزَةَ. فَأَخَذَ المُبَرِّدُ يَأْتِي بِالحُجَّةِ تِلْوَ الحُجَّةِ، وَبِالدَّلِيلِ بَعْدَ الدَّلِيلِ، وَكَانَ آخِرُ مَا قَالَ: لاَ يُتْرَكُ كِتَابُ اللهِ، وَإِجْمَاعُ العَرَبِ، لِقَوْلِ أَعْرَابِيَّةٍ رَعْنَاءَ[5].

أَعْلاَمُ المَدْرَسَةِ الكُوفِيَّةِ:

الكَلاَمُ عَلَى النَّحْوِيِّينَ الكُوفِيِّينَ؛ حَيَاتِهِمْ، شُيُوخِهِمْ، تَلاَمِذَتِهِمْ، عَلَمِهِمْ، آرَائِهِمْ، آثَارِهِمْ ... مِمَّا يَطُولُ، وَلاَ يَتَّسِعُ لَهُ المَجَالُ فِي هَذَا البَحْثِ؛ لِذَلِكَ آثَرْتُ سَرْدَهُمْ وَاحِدًا تِلْوَ الآخَرِ، مَعَ الإِحَالَةِ عَلَى مَظَانِّ تَرَاجِمِهِمْ. وَأَشْهَرُهُمْ:

---

[1] يُنْظَرُ الكَلاَمُ عَلَى هَذِهِ الأَدَوَاتِ: الفصل الرابع، من الباب الثاني.

[2] همع الهوامع 45/1.

[3] الاقتراح ص202.

[4] الممتحنة الآية 4.

[5] مجالس العلماء ص120.121. وَلِمَزِيدٍ مِنَ الفَائِدَةِ، يُنظَرُ فِي خَصَائِصمَدْرَسَةِ الكُوفَةِ: مدرسة الكوفة ص376 وما بعدها، والدرس النحوي في بغداد ص76 وما بعدها.

أَبُو جَعْفَرٍ الرُّؤَاسِيُّ[1]، وَمُعَاذٌ الهَرَّاءُ[2]، وَالكِسَائِيُّ[3]، وَعَلِيُّ بْنُ المُبَارَكِ الأَحْمَرُ[4]، وَالفَرَّاءُ[5]، وَهِشَامُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الضَّرِيرُ[6]، وَسَلَمَةُ بْنُ عَاصِمٍ[7]، وَالطَّوَّالُ[8]، وَابْنُ سَعْدَانَ[9]، وَمُحَمَّدُ بْنُ قَادِمٍ[10]، وَأَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبٌ[11]،

---

[1] طبقات النحويين واللغويين ص125، والفهرست ص96، ومعجم الأدباء 121/18، وطبقات القراء 116/2، ونزهة الألباء ص65، وبغية الوعاة 492/1، والبلغة ص49، والأعلام 154/7.

[2] طبقات النحويين واللغويين ص125، والفهرست ص96، ومعجم الأدباء 121/18، وطبقات القراء 116/2، ونزهة الألباء ص65، وبغية الوعاة 290/1.293.

[3] طبقات النحويين واللغويين ص127، ومراتب النحويين ص120، والفهرست ص97، ومعجم الأدباء 167/13، ونزهة الألباء ص67، وشذرات الذهب 316/2، وبغية الوعاة 162/2، والبلغة ص156، والأعلام 93/5، وإنباه الرواة 256/2، والمعارف ص237، والوفيات ص147.

[4] طبقات النحويين واللغويين ص134، وبغية الوعاة 328/2.

[5] طبقات النحويين واللغويين ص131، ومراتب النحويين ص135، والفهرست ص98، ومعجم الأدباء 9/20، ونزهة الألباء ص98، وبغية الوعاة 333/2، والبلغة ص156، والأعلام 178/9، وإنباه الرواة 1/4، والمعارف ص237، ووفيات الأعيان 201/2، وأخبار النحويين البصريين ص51.

[6] الفهرست ص98، وبغية الوعاة 328/2.

[7] طبقات النحويين واللغويين ص137، والفهرست ص101، وطبقات القراء 311/1، وبغية الوعاة 596/1، وإنباه الرواة 56/2.

[8] الفهرست ص101، وبغية الوعاة 50/1، وإنباه الرواة 92/2.

[9] طبقات النحويين واللغويين ص139، الفهرست ص104، وبغية الوعاة 111/1.

[10] طبقات النحويين واللغويين ص138، ومعجم الأدباء 307/18، وإنباه الرواة 156/3، وبغية الوعاة 240/1، والبلغة ص227، والأعلام 93/7، ومعجم المؤلفين 231/10.

ثَعْلَبٌ[1]، وَأَبُو عُمَرَ الزَّاهِدُ[2]، وَابْنُ الحَائِكِ[3]، وَأَبُو مُوسَى الحَامِضُ[4]، وَابْنُ كَيْسَانَ[5]، وَأَبُو بَكْرِ بْنِ الأَنْبَارِيُّ[6]، وَابْنُ السِّكِّيتِ[7]، وَغَيْرُهُمْ.

مُصْطَلَحَاتُ النَّحْوِ الكُوفِيِّ:

المُصْطَلَحُ جُزْءٌ مِنَ المَنْهَجِ العِلْمِيِّ، وَلاَ يَستَقِيمُ مَنْهَجٌ إِلاَّ إِذَا ارْتَكَزَ، وَقَامَ عَلَى أَسَاسٍ مِنْ مُصْطَلَحَاتٍ، عِلْمِيَّةٍ، دَقِيقَةٍ، تُؤَدِّي الحَقَائِقَ العِلْمِيَّةَ. وَقَدِيمًا قَالُوا: العِلْمُ لُغَةٌ أُحْكِمَ وَضْعُهَا.

وَالمُصْطَلَحَاتُ العِلْمِيَّةُ أَلفَاظٌ يَتَّفِقُ العُلَمَاءُ، وَذَوو الاخْتِصَاصِ عَلَى اخْتِيَارِهَا؛ لِتَدُلَّ عَلَى شَيْءٍ مَحْدُودٍ، فِي عُرْفِهِمْ، حَدًّا، يَتَمَيَّزُ بِهِ عَنْ سِوَاهُ، فَتَنْتَقِلُ هَذِهِ الأَلْفَاظُ مِنْ مَعَانِيهَا المُعْجَمِيَّةِ إِلَى مَعَانِيهَا الاصْطِلاحِيَّةِ الجَدِيدَةِ، عَلَى أَسَاسِ العَلاقَةِ القَائِمَةِ بَيْنَ المَعْنَى اللُّغَوِيِّ، وَالمَعْنَى الاصْطِلاحِيِّ.

وَمِنَ البَدَهِيِّ أَلاَّ تُوجَدَ المُصْطَلَحَاتُ إِلاَّ بَعدَ أَنْ تُوجَدَ العُلُومُ، فَحِينَ يُوجَدُ الشَّيْءُ، يَحْتَاجُ العُلَمَاءُ، وَأَصْحَابُ الفَنِّ، إِلَى تَسْمِيَتِهِ، فَيَتَخَيَّرُونَ لَهُ مِنْ أَلْفَاظِ اللُّغَةِ مَا يُنَاسِبُهُ مِنْ لَفْظٍ، فَيَكُونُ هَذَا اللَّفْظُ عَلَمًا، بَارِزًا، عَلَى هَذَا الشَّيْءِ.

وَعِلْمُ النَّحْوِ وَاحِدٌ مِنْ تِلْكَ العُلُومِ، الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى مُصْطَلَحَاتٍ، عِلْمِيَّةٍ، دَقِيقَةٍ، تُؤَدِّي عَنْ حَقَائِقِهِ. فَبَعْدَ أَنْ نَشَأَ الإِسْلاَمُ، كَانَ الصَّحَابَةُ، رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ، يَتَعَلَّمُونَ الكِتَابَ، وَالسُّنَّةَ الشَّرِيفَةَ، وَجَدُّوا، وَاجْتَهَدُوا فِي جَمْعِهَا، وَتَدْوِينِهَا، وَدَرَسُوهَا مِنْ نَوَاحٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَقَامَتِ الدِّرَاسَاتُ حَوْلَهَا، فَكَانَ مِنْهَا الدِّرَاسَاتُ اللُّغَوِيَّةُ، وَالنَّحْوِيَّةُ.

وَهَكَذَا وُجِدَ عِلْمُ النَّحْوِ، وَصَارَ صِنَاعَةً، لَهَا أَرْبَابُهَا، وَأَصْحَابُهَا مِنَ اللُّغَوِيِّينَ، وَالنَّحْوِيِّينَ، الَّذِينَ احْتَاجُوا إِلَى مُصْطَلَحَاتٍ، بِهَا يُستَحْضَرُ المَعْنَى بِأَيْسَرِ وَسِيلَةٍ، وَيَقْرُبُ إِلَى الأَذْهَانِ، وَيُسْتَعَانُ عَلَى التَّعلُّمِ،

---

[1] طبقات النحويين واللغويين ص141، والوفيات ص194، والفهرست ص110، وطبقات القراء 184/1، ومعجم الأدباء 102/5، ونزهة الألباء ص293، وتهذيب اللغة 235/2، وبغية الوعاة 396/1، والبلغة ص34، والأعلام 252/1، وإنباه الرواة 138/1.

[2] معجم الأدباء 226/18، وإنباه الرواة 171/3، وبغية الوعاة 164/1، والبلغة ص234، والأعلام 132/7، ومعجم المؤلّفين 132/7، والفهرست ص113، وطبقات الشافعية 171/2.

[3] طبقات النحويين واللغويين ص151، وبغية الوعاة 498/1.

[4] طبقات النحويين واللغويين ص152، وإنباه الرواة 21/3، و 141/3 وبغية الوعاة 601/1.

[5] طبقات النحويين واللغويين ص153، وبغية الوعاة 18/1.

[6] طبقات النحويين واللغويين ص153، والفهرست ص112، وبغية الوعاة 212/1، والبلغة ص245، والأعلام 226/7، وإنباه الرواة 101/3، والوفيات ص209، ومعجم المؤلفين 143/11، والمزهر 466/2، وطبقات القراء 330/1، ووفيات الأعيان 502/1.

[7] طبقات النحويين واللغويين ص202، والفهرست ص107، وبغية الوعاة 349/2.

وَالتَّفَاهُم، وَتَبَادُل الآرَاء، وَالأَفْكَار بَيْنَ العُلَمَاء، بَعْضهِمْ مَعَ بَعْضٍ، وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ غَيْرِهِمْ. قَالَ الجَاحِظُ: "وَهُمْ تَخَيَّرُوا تِلْكَ الأَلْفَاظَ لتِلْكَ المَعَانِي، وَهُمُ اشْتَقُّوا لَهَا مِنْ كَلاَم العَرَب تِلْكَ الأَسْمَاءَ، وَهُمُ اصْطَلَحُوا عَلَى تَسْمِيَة مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي لُغَة العَرَب اسْمٌ، فَصَارُوا فِي ذَلِكَ سَلَفًا لِكُلِّ خَلَف ... وَكَمَا سَمَّى النَّحْوِيُّونَ الحَالَ، وَالظَّرْفَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ لأَنَّهُمْ، لَوْ لَمْ يَضَعُوا هَذِهِ العَلاَمَاتِ، لَمْ يَسْتَطِيعُوا تَعْرِيفَ القَرَوِيِّينَ، وَأَبْنَاءِ البَلَدِيِّينَ، عِلْمَ العَرُوضِ، وَالنَّحْوَ"[1].

وَالمُصْطَلَحَاتُ النَّحْوِيَّةُ، المَحْدُودَةُ، الدَّقِيقَةُ، لَمْ تَتَكَوَّنْ أَوَّلَ وَهْلَة، وَإِنَّمَا عُدِّلَتْ، وَهُذِّبَتْ؛ نَمَتْ وَتَطَوَّرَتْ، حَتَّى أَصْبَحَتْ ذَاتَ مَعالِمَ، وَاضِحَةٍ، دَقِيقَةٍ، مَأْلُوفَةٍ لَدَى النُّحَاةِ عَلَى اخْتِلاَفِهِمْ، تُؤَدِّي عَنِ المُعَانِي، عَلَى أَتَمِّ وَجْه.

وَهَذِهِ المُصْطَلَحَاتُ، الَّتِي اخْتَارَهَا النَّحْوِيُّونَ، وَاصْطَلَحُوا فِيمَا بَيْنَهُم عَلَيْهَا، لَمْ تَكُنْ مُعْرُوفَةً، هُودَةً لَدَى العَرَبِ، الَّذِينَ كَانُوا يَنْطِقُونَ اللُّغَةَ، وَيَتَكَلَّمُونَ بِهَا عَلَى السَّلِيقَةِ، وَالفِطْرَةِ. فَقَدْ رَوَى الأَصْمَعِيُّ أَنَّهُ قَالَ لأَعْرَابِيٍّ: أَتَهْمِزُ إِسْرَائِيلَ؟ فَقَالَ: إِنِّي، إِذاً، لَرَجُلُ سَوْءٍ. وَقَالَ لَهُ، أَيْضًا: أَفَتَجُرُّ فِلَسْطِينَ؟ قَالَ: إِنِّي، إِذًا، لَقَوِيٌّ[2].

فَالأَعْرَابِيُّ، فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ، لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ مِنْ أَمْرِ الهَمْزِ، وَالجَرِّ، وَهُمَا مُصْطَلَحَانِ نَحْوِيَّانِ، إِلاَّ المَعْنَى اللُّغَوِيَّ، أَمَّا المَعْنَى الاصْطِلاَحِيُّ، فَكَانَ يَجْهَلُهُ تَمَامًا، وَهَذَا وَاضِحٌ مِنْ أَجْوِبَتِه. وَيَقُولُ ابْنُ جنِّي: "وَنَحْوٌ مِنْ ذَلِكَ أَنِّي سَأَلْتُ الشَّجَرِيَّ، فَقُلْتُ: كَيْفَ تَجْمَعُ المُحْرَنْجِمَ؟ فَقَالَ: وَأَيْشٍ فَرَّقَهُ حَتَّى أَجْمَعَهُ؟ وَسَأَلْتُهُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: كَيْفَ تُحَقِّرُ الدَّمَكْمَكَ؟ فَقَالَ: شَخيتٌ، فَجَاءَ بِالمَعْنَى، الَّذِي يَعْرِفُهُ، وَلَمْ يُرَاعِ مَذْهَبَ الصِّنَاعَة"[3].

وَإِنْ لَمْ تُلاَقِ هَذِهِ المُصْطَلَحَاتُ أُذُنًا صَاغِيَةً، لَدَى هَؤُلاَءِ الأَعْرَاب، فَإِنَّهَا سَارَتْ فِي الآفَاق، وَشَاعَتْ عَلَى أَلْسِنَة النُّحَاة، وَالدَّارِسِينَ المُهْتَمِّينَ بِالدِّرَاسَة اللُّغَوِيَّة، وَالنَّحْوِيَّة، بِفَضْلِ العِنَايَة الفَائِقَة، الَّتِي صَاحَبَتِ النَّحْوَ فِي نَشْأَتِه، وَنُمُوِّه، وَاضْطِلاَعِ النَّحْوِيِّينَ، البَصْرِيِّينَ، وَالكُوفِيِّينَ، بِهَذِهِ المُهِمَّةِ الجَلِيلَةِ.

وَنَشَأَتِ المُصْطَلَحَاتُ النَّحْوِيَّةُ البصريَّة، قبل المصطلحات النَّحويَّة الكُوفيَّة؛ لأَنَّ الدِّراسةَ النَّحْوِيَّةَ كَانَتْ عِنْدَ البَصْرِيِّينَ أَسْبَقَ مِنْهَا عِنْدَ الكُوفِيِّينَ. فَعِنْدَمَا نَشَأَتْ مَدْرَسَةُ الكُوفَة، وَتَمَيَّزَتْ مِنْ مَدْرَسَة البَصْرَة، أَرَادَ عُلَمَاؤُهَا أَنْ يُمَيِّزُوا نَحْوَهُم مِنْ نَحْوِ البَصْرِيِّينَ، فَعَمَدُوا إِلَى مَنَاهِجَ، وَأَسَالِيبَ خَاصَّة، تَكُونُ عَلاَمَات، وَأَمَارَات، مُحَدِّدَةً، وَمُمَيِّزَةً نَحْوَهُمْ، فَكَانَ مِنْ أَهَمِّ هَذِهِ العَلاَمَاتِ أَنِ اتَّخَذُوا لِنَحْوِهِمْ مُصْطَلَحَاتٍ، تُغَايِرُ مُعْظَمَ مُصْطَلَحَاتِ البَصْرِيِّينَ، وَتُبَايِنُهَا تَمَامًا.

---

[1] البيان والتبيين 140.139/1.

[2] العقد الفريد 299/2.

[3] الخصائص 299/2.

يَقُولُ أَبُو الطَّيِّبِ اللُّغَوِيُّ: "وَكَانَ الفَرَّاءُ يُخَالِفُ عَلَى الكِسَائِيِّ فِي كَثِيرٍ مِن مَذَاهِبِه، فَأَمَّا عَلَى مَذَاهِبِ سِيبَوَيْهِ، فَإِنَّهُ يَتَعَمَّدُ خِلاَفَهُ، حَتَّى عَلَى أَلْقَابِ الإِعْرَابِ، وَتَسْمِيَةِ الحُرُوفِ"[1].

إِذًا، تَمَيَّزَ النَّحْوُ الكُوفِيُّ مِنَ البَصْرِيِّ، وَأَصْبَحَتْ لَهُ مُصْطَلَحَاتُهُ الخَاصَّةُ، الَّتِي يُخَالِفُ فِيهَا أَغْلَبَ مُصْطَلَحَاتِ النَّحْوِ البَصْرِيِّ. وَسَأُحَاوِلُ فِي هَذِهِ الدِّرَاسَةِ أَنْ أَعْرِضَ أَكْبَرَ عَدَدٍ مِنْ هَذِهِ المُصْطَلَحَاتِ، مِمَّا وَقَفْتُ عَلَيْهِ، وَلاَ سِيَّمَا تِلْكَ الَّتِي اخْتَلَفَ فِيهَا الكُوفِيُّونَ، والبَصْرِيُّونَ.

[1] مراتب النحويين ص141.

البَابُ الأَوَّلُ

مُصْطَلَحَاتُ الأَبْوَابِ النَّحْوِيَّةِ

. الفَصْلُ الأَوَّلُ:

. أَقْسَامُ الكَلِمَةِ

. المَرْفُوعَاتُ

. المَنْصُوبَاتُ

. الخَفْضُ وَأَدَوَاتُه

. التَّوَابِعُ

أَقْسَامُ الكَلِمَة:

الكَلِمَةُ لَفْظٌ، يَدُلُّ عَلَى مَعنًى مُفْرَد. وَهِيَ ثَلاَثَةُ أَقْسَام عِنْدَ البَصْرِيِّينَ. فَفِي (كِتَاب سِيبَوَيْه) الكَلِمُ "اسْمٌ، وَفِعْلٌ، وَحَرْفٌ، جَاءَ لِمَعْنًى، لَيْسَ بِاسْمٍ، وَلاَ فِعْلٍ"[1]. وَهِيَ كَذَلِكَ عِنْدَ الكُوفِيِّينَ، إِلاَّ أَنَّ صَاحِبَ (شَرْحِ التَّصْرِيحِ) ذَكَرَ أَنَّ الفَرَّاءَ زَادَ عَلَى أَقْسَامِ الكَلِمَةِ قِسْمًا رَابِعًا، مُتَمَثِّلاً فِي كَلِمَةِ (كَلاَ)[2].

وَقَدْ تَبَايَنَتْ تَسْمِيَاتُ الكُوفِيِّينَ، والبَصْرِيِّينَ، وَاخْتَلَفَتْ لِهَذِهِ الأَقْسَامِ، وَمَا يَتَفَرَّعُ عَنْهَا مِنْ مُفْرَدَاتٍ. فَمَا التَّسْمِيَاتُ، وَالاصْطِلاحَاتُ، الَّتِي أَطْلَقَهَا الكُوفِيُّونَ عَلَى هَذِهِ الأَقْسَامِ، وَمَا الَّذِي أَرَادُوهُ مِن كُلِّ قِسْمٍ؟

الاسْمُ:

وَسَنَتَحَدَّثُ فِيهِ عنِ اصْطِلاحَاتِ: المَكْنِيَّاتِ، وَالمُثُلِ، وَصِلَةِ المَوْصُولِ.

المَكْنِيَّاتُ:

لِلْمَكْنِيِّ، فِي لُغَةِ العَرَبِ، شَأْنٌ كَبِيرٌ. فَهُوَ كَثِيرُ الاسْتِعْمَالِ، وَالدَّوَرَانِ فِيهَا؛ لأَنَّهُ يُوَفِّرُ لِلُّغَةِ عُنْصُرَ الاخْتِصَارِ اللُّغَوِيِّ، الَّذِي كَثِيراً مَا نَسْعَى إِلَيْهِ فِي كَلاَمِنَا؛ حِرْصًا مِنَّا عَلَى الإِيجَازِ، وَالاقْتِصَارِ عَلَى أَقَلِّ عَدَدٍ مِنَ الأَلْفَاظِ. فَعِنْدَمَا نَقُولُ، مَثَلاً: رَأَيْتُكَ، فَإِنَّنَا نَجْعَلُ التَّاءَ، وَالكَافَ، تَقُومَانِ مَقَامَ ذِكْرِ اسْمَيْنِ اثْنَيْنِ. وَقَوْلُنَا، أَيضًا: ضَرَبَ زَيدٌ أَخَاهُ، فَهَذِهِ الهَاءُ، فِي أَخَاهُ أَغْنَتْ، وَقَامَتْ مَقَامَ إِعَادَةِ الاسْمِ مَرَّةً أُخْرَى. وَهَذَا هُوَ المَعْنِيُّ بِعُنْصُرِ الاخْتِصَارِ اللُّغَوِيِّ، بِشَكْلٍ عَامٍّ.

وَالمَكْنِيَّاتُ فِي اللُّغَةِ كَثِيرَةٌ، مُتَعَدِّدَةُ الأَنْوَاعِ، وَالوَظَائِفِ. فَمِنْهَا المَكْنِيُّ المُتَّصِلُ، وَالمُنْفَصِلُ، وَالمُسْتَتِرُ، الَّذِي لاَ يَكُونُ لَهُ، فِي ظَاهِرِ الكَلاَمِ، صُورَةٌ لَفْظِيَّةٌ، وَمِنْهَا، كَذَلِكَ، العُمَادُ، وَالمَجْهُولُ، أَوِ الأَمْرُ.

وَنَظَرًا لِتَعَدُّدِ أَنْوَاعِ المَكْنِيَّاتِ، فَقَدْ كَثُرَتْ تَسْمِيَاتُهَا، وَاخْتَلَفَتْ لِذَلِكَ عِبَارَاتُ البَصْرِيِّينَ، والكُوفِيِّينَ عَنْهَا. فَمَا عِبَارَاتُ الكُوفِيِّينَ عَنْهَا؟

1 . الكِنَايَةُ وَالمَكْنِيُّ:

وَهُمَا تَعْبِيرَانِ كُوفِيَّانِ، يُقَابِلُهُمَا التَّعْبِيرُ بِالضَّمِيرِ، أَوِ المُضْمَرِ، عِنْدَ البَصْرِيِّينَ[3].

---

[1] الكتاب (طبعة هارون) 12/1.

[2] شرح التصريح 25/1.

[3] شرح المفصل 84/3، وشرح اللمحة البدرية 296/1، وشرح الأشموني مع الصبان 109/1، وشرح التصريح على التوضيح 95/1، وهمع الهوامع 56/1، والكواكب الدرية 52/1، وارتشاف الضرب 462/1.

وَالكِنَايَةُ فِي اللُّغَة: مَصْدَرُ كَنَيْتُ كَذَا عَن كَذَا، وَكَنَوْتُ، إِذَا عَبَّرتُ عَنْ شَيْءٍ مَا، بِلَفْظٍ غَيْرِ صَرِيحٍ؛ لِيُسْتَدَلَّ بِه عَلَى غَيْرِه، أَوْ يُرَادَ بِه غَيْرُهُ[1].

وَالكِنَايَةُ اصْطِلاَحًا: تَرْكُ التَّصْرِيحِ بِذِكْرِ الشَّيْءِ، إِلَى ذِكْرِ لاَزِمِه، المُسَاوِي لَهُ؛ لِيَنْتَقِلَ الذِّهْنُ مِنهُ إِلَى المَلْزُومِ، المَطْوِيِّ ذِكْرُهُ[2]. وَمِنْ هُنَا سُمِّيَ هَذَا النَّوْعُ مِن الأَسْمَاءِ مَكْنِيًّا، أَوْ كِنَايَةً؛ لأَنَّ المُتَكَلِّمَ يُكَنِّي عَنْ هَذِهِ الأَسْمَاءِ، الَّتِي سَبَقَ أَنْ ذَكَرَهَا؛ لِيَجْعَلَهَا كِنَايَةً عَمَّا أَخْفَاهُ، وَلَمْ يُصَرِّحْ بِذِكْرِهِ.

وَقَدِ اسْتَأْثَرَ بِهَاتَيْنِ العِبَارَتَيْنِ نُحَاةُ الكُوفَةِ، حَتَّى أَصْبَحَتَا مِن مُصْطَلَحَاتِ نُحَوِيِّهِمْ؛ لِذَلِكَ تَجِدُهُمَا تَتَرَدَّدَانِ كَثِيرًا عِنْدَ ثَلاَثَةِ شُيُوخٍ، مِنْ شُيُوخِ مَدْرَسَةِ الكُوفَةِ، الَّذِينَ بَلَغَتْنَا كُتُبُهُم، وَهُمُ الفَرَّاءُ، وَأَبُو العَبَّاسِ ثَعْلَبٌ، وَأَبُو بَكْرٍ الأَنْبَارِيُّ. فَمِن وُرُودِهِمَا عِنْدَ الفَرَّاءِ قَوْلُهُ مُعَقِّبًا عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {هَانْتُمْ أُولَاءِ}[3]: " عَرَبُ إِذَا جَاءَتْ إِلَى اسْمٍ مَكْنِيٍّ، قَدْ وُصِفَ بِهَذَا، وَهَاذَانِ، وَهَؤُلَاءِ؛ فَرَّقُوا بَيْنَ (هَا) وَ(ذَا)، وَجَعَلُوا المَكْنِيَّ بَيْنَهُمَا، وَذَلِكَ فِي جِهَةِ التَّقْرِيبِ، لاَ فِي غَيْرِهَا، فَيَقُولُونَ: أَيْنَ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ القَائِلُ: هَانَذَا، وَلاَ يَكَادُونَ يَقُولُونَ: هَذَا أَنَا"[4]. وَيَقُولُ، أَيضًا، عِنْدَ الكَلاَمِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ}[5]: "خَيْرًا مَنْصُوبٌ بِاتِّصَالِهِ بِالأَمْرِ؛ لأَنَّهُ مِنْ صِفَةِ الأَمْرِ، وَقَدْ يُسْتَدَلُّ عَلَى ذَلِكَ، أَلَمْ تَرَ الكِنَايَةَ عَنِ الأَمْرِ تَصْلُحُ قَبْلَ الخَبَرِ، فَتَقُولُ لِلرَّجُلِ: اتَّقِ اللهَ هُوَ خَيْرٌ لَكَ"[6].

أَمَّا ثَعْلَبٌ، فَيَقُولُ: "الأَعْدَادُ لاَ يُكْنَى عَنْهَا ثَانِيَةً، فَلاَ أَقُولُ: عِنْدِي الخَمْسَةُ الدَّرَاهِمِ، وَالسِّتَّةُ، وَأَقُولُ: عِنْدِي الحَسَنُ الوَجْهِ، الجَمِيلُ، فَأَكْنِي عَنْهُ، فَكُلُّ مَا كَنَيْتُ عَنْهُ، كَانَ مَفْعُولاً، وَكُلُّ مَا لَمْ أَكْنِ عَنْهُ، لَمْ يَكُنْ مَفعُولاً. وَقَالَ أَصْحَابُ الكِسَائِيِّ: بَلَى، نَكْنِي عَنْ هَذَا، كَمَا كَنَيْنَا عَنْ ذَاكَ"[7].

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ هَذَا، فَإِنَّنَا نَجِدُ الكُوفِيِّينَ يَسْتَعْمِلُونَ المُصْطَلَحَ البَصْرِيَّ؛ الضَّمِيرَ، أَوِ المُضْمَرَ، فِي كُتُبِهِمْ. قَالَ الفَرَّاءُ: "... فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ فِي (مَا) ضَمِيرُ الاسْمِ، قَبُحَ دُخُولُ البَاءِ. وَحَسُنَ ذَلِكَ فِي لَيْسَ أَنْ تَقُولَ: لَيْسَ بِقَائِمٍ أَخُوكَ؛ لأَنَّ لَيْسَ فِعْلٌ يَقْبَلُ المُضْمَرَ، كَقَوْلِكَ: لَسْتُ، وَلَسْنَا"[8].

---

[1] ينظر: القاموس المحيط 386/3، وأنوار الربيع 309/5.

[2] أنوار الربيع 309/5.

[3] آل عمران الآية 119.

[4] معاني القرآن 213/1 . 232.

[5] النساء الآية 170.

[6] معاني القرآن 295/1. وينظر: 5/1، 93، 96، 285، 311، إلخ.

[7] مجالس ثعلب ص274 . 275. وبنظر: 43، 64، 952، والمذكر والمؤنث ص169، 956 . 958، 673 . 674، وإيضاح الوقف والابتداء 345/1.

[8] معاني القرآن 43/2. وينظر: مجالس ثعلب ص324، والمذكر والمؤنث ص186، 281، والأضداد ص167.

هَذَا، وَلَمْ يَقِفْ بَعْضُ نُحَاةِ البَصْرَةِ عِنْدَ اسْتِعْمَالِهِمْ مُصْطَلَحَ المُضْمَرِ، وَالضَّمِيرِ، بَلْ تَرَاهُمْ يَسْتَعْمِلُونَ المُصْطَلَحَ الكُوفِيَّ، كَابْنِ السَّرَّاجِ[1]، وَالزَّجَّاجِيِّ[2]، وَالزَّمَخْشَرِيِّ[3]، وَابْنِ يَعِيشَ[4]؛ فِي كُتُبِهِمْ.

وَمَهْمَا يَكُنْ مِنْ أَمْرٍ، فَإِنَّ الكُوفِيِّينَ لاَ فَرْقَ عِنْدَهُم بَيْنَ المَكْنِيِّ، وَالمُضمَرِ؛ لأَنَّهُمَا مِنْ قَبِيلِ الأَسْمَاءِ المُتَرَادِفَةِ، وَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ، وَإِن اخْتَلَفَا مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ، عَلَى حِينِ يَفْرُقُ البَصْرِيُّونَ بَيْنَهُمَا، فَعِنْدَهُمْ كُلُّ مُضْمَرٍ مَكْنِيٌّ، وَلَيْسَ كُلُّ مَكْنِيٍّ مُضْمَرًا[5]؛ لأَنَّ الكِنَايَةَ تَشْمَلُ كُلَّ مَا يُكْنَى بِهِ مِنْ إِشَارَةٍ، أَوْ مَوْصُولٍ، أَوْ عَدَدٍ، بِخِلاَفِ الضَّمِيرِ، فَإِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، عِنْدَ القُدَمَاءِ، عَلَى حِينِ يَذْهَبُ بَعْضُ البَاحِثِينَ المُحْدَثِينَ إِلَى أَنَّ الأَعْدَادَ، وَأَسْمَاءَ الإِشَارَةِ، وَالأَسْمَاءَ المَوْصُولَةَ؛ نَوْعٌ مِنَ المَكْنِيَّاتِ[6]، وَعَلَى هَذَا تَكُونُ تَسْمِيَةُ الكُوفِيِّينَ الضَّمِيرَ كِنَايَةً، أَوْ مَكْنِيًّا، صَحِيحَةً مَقْبُولَةً، وَإِنْ بَدَا التَّعْبِيرُ بِالضَّمِيرِ أَوْضَحَ.

2. كِنَايَةُ العِمَادِ أَوِ الدِّعَامَةِ:

وَمِنْ أَنْوَاعِ الكِنَايَةِ نَوعٌ، يُسَمِّيهِ الكُوفِيُّونَ عِمَادًا[7]، وَيُسَمِّيهِ بَعْضُهُم دِعَامَةً[8]، عَلَى حِينِ يُسَمِّيهِ البَصْرِيُّونَ فَصْلًا.

وَالعِمَادُ، أَوِ الدِّعَامَةُ فِي اللُّغَةِ: مَا عُمِّدَ بِهِ الخِيَامُ مِنَ الخَشَبِ، أَوِ السَّوَارِي، الَّتِي يُحْمَلُ عَلَيْهَا البَيْتُ. وَمِن هَذَا المَعْنَى أُخِذَ لَفْظُ العِمَادِ، أَوِ الدِّعَامَةِ، وَأُطلِقَ عَلَى هَذَا المَكْنِيِّ، الَّذِي يَجِيءُ بَيْنَ المُبْتَدَأِ

---

[1] الأصول في النحو 79/1، 101، 117، و 12/2، 364.

[2] الجمل (مخطوط) ص94، 95.

[3] شرح المفصل 118/3.

[4] شرح المفصل 103/3، 118، 119، 121، 122.

[5] شرح المفصل 83/3.

[6] من أسرار اللغة ص196.

[7] ينظر: الأصول في النحو 292/2، وإعراب القرآن المنسوب للزجاج 539/1، والجمل (مخطوط) ص112، وإعراب القرآن للنحاس 133/1، 139، 160، 380، 674، ومشكل إعراب القرآن 314/1، والأمالي الشجرية 107/1، 108، و 209/2، والبيان في غريب إعراب القرآن 44/2، 83، 189، والإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم100، والمفصل ص133، وشرح المفصل 110/3، وشرح الكافية 24/2، وشرح الوافية ص282، والفصول ص230، وتسهيل الفوائد ص29، ومغني اللبيب ص644 . 645، ورصف المباني ص128، ولسان العرب 524/11، وشرح الأشموني 142/1، وشرح التصريح 224/1، وهمع الهوامع 68/1.

وَمِنَ المُنَاسِبِ أَنْ نُشِيرَ إِلَى أَنَّ الأُسْتَاذَ المُحَقِّقَ أَحْمَد رَاتِب النَّفَّاخ قَدْ خَصَّأَمْرَ كِتَاب (إعراب القرآن) المَنْسُوبِ لِلزَّجَّاجِ، وَصَحَّحَ نِسْبَتَهُ إِلَى أَبِي الحُسَينِ جَامِعِ العُلُومِ. تُنظر مَقَالتهُ بِمجلّة مَجمعِ اللُّغة العربيَّة بِدمَشقَ 1973م.

[8] مغني اللبيب ص645، وهمع الهوامع 68/1.

وَخَبَرِه، وَبَيْنَ اسْمِ كَانَ وَخَبَرِه، وَبَيْنَ اسْمِ إِنَّ وَخَبَرِه، وَبَيْنَ مَفْعُولَيْ ظَنَنْتُ وَبَابِه؛ لأَنَّهُ يَحْفَظُ مَا بَعْدَهُ، وَيَصُونُهُ؛ حَتَّى لاَ يَسْقُطَ عَنِ الخَبَرِيَّة[1]، مِثْلَمَا يَحْفَظُ عِمَادُ البَيْتِ السَّقْفَ مِنْ أَنْ يَسْقُطَ.

وَقِيلَ: إِنَّهُ سُمِّيَ عِمَادًا؛ لأَنَّ المُتَكَلِّمَ، أَوِ السَّامِعَ، يَعْتَمِدُ عَلَيه، مِنْ أَوَّلِ الأَمْرِ فِي التَّمْيِيزِ بَيْنَ الخَبَرِ، وَالتَّابِعِ. فَأَنْتَ إِذَا قُلْتَ: أَبُوكَ الحَلِيمُ، قَدْ يَظُنُّ السَّامِعُ أَنَّ (الحَلِيمُ) نَعْتٌ، تَابِعٌ لِ(أَبُوكَ)؛ لأَنَّ شُرُوطَ النَّعْتِ كُلَّهَا مُتَوَافِرَةٌ، أَمَّا إِذَا قُلْتَ: أَبُوكَ هُوَ الحَلِيمُ، فَتَبَيَّنَ لِلسَّامِعِ، بِجَلاءٍ، أَنَّ (الحَلِيمُ) خَبَرٌ، لاَ نَعْتٌ. وَقِيلَ: إِنَّهُ سُمِّيَ عِمَادًا، أَوْ دِعَامَةً؛ لأَنَّهُ يُؤْتَى بِه تَأْكِيدًا، وَتَقْوِيَةً لِلاسْمِ، الَّذِي قَبْلَه.

وَأَمَّا البَصْرِيُّونَ، فَسَمَّوْهُ فَصْلًا؛ لأَنَّهُ فَصَلَ بَيْنَ الخَبَرِ، وَالتَّابِعِ؛ لأَنَّ الفَصْلَ بِهِ يُوَضِّحُ كَوْنَ الثَّانِي خَبَرًا، لاَ تَابِعًا.

وَقَدْ جَاءَ مُصْطَلَحُ العِمَادِ مِرَارًا كَثِيرَةً، عِنْدَ كُلٍّ مِنَ الفَرَّاءِ، وَثَعْلَب. فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الفَرَّاءِ، تَعْلِيقًا عَلَى قَوْلِه تَعَالَى: {وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ}[2]: "فِي (الحَقّ) النَّصْبُ، وَالرَّفْعُ، إِنْ جَعَلْتَ (هُوَ) اسْمًا، رَفَعْتَ (الحَقّ) بِ(هُوَ)، وَإِنْ جَعَلْتَهَا عِمَادًا، بِمَنْزِلَةِ الصِّلَةِ، نَصَبْتَ (الحَقّ). وَكَذَلِكَ، فَافْعَلْ فِي أَخَوَاتِ كَانَ، وَأَظُنُّ، وَأَخَوَاتِهَا، كَمَا قَالَ اللهُ تَبَارَكَ، وَتَعَالَى: {وَيَرَى الَّذِينَ أُتُوا العِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الحَقَّ}[3]، تَنْصِبُ (الحَقَ)؛ لأَنَّ رَأَيْتَ مِن أَخَوَاتِ ظَنَنْتُ. وَكُلُّ مَوْضِعٍ صَلَحَتْ فِيهِ يَفْعُلُ، أَوْ فَعَلَ، مَكَانَ الفِعْلِ[4] المَنْصُوبِ، فَفِيهِ العِمَادُ، وَنَصْبُ الفِعْلِ"[5].

وَجَاءَ فِي (المَجَالِسِ): "وَقَالَ أَبُو العَبَّاسِ: قَالَ سِيبَوَيْهِ: احْتَجَّ ابْنُ جُؤَيَّةَ فِي اللَّحْنِ، فِي قَوْلِه: {هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ}[6]؛ لأَنَّهُ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّهُ حَالٌ. قَالَ: وَالحَالُ لاَ يَدخُلُ عَلَيْهِ العِمَادُ. وَذَهَبَ أَهْلُ الكُوفَةِ؛ الكُوفَةِ؛ الكِسَائِيُّ وَاالفَرَّاءُ، إِلَى أَنَّ العِمَادَ لاَ يَدخُلُ مَعَ هَذَا؛ لأَنَّهُ تَقْرِيبٌ"[7].

وَيَبدُو أَنَّ هَذِهِ التَّسْمِيَةَ لَمْ تَتَعَدَّ حُدُودَ النَّحْوِ الكُوفِيِّ، فَغَيْرُهُمْ، مِنَ النُّحَاةِ، لاَ يَكَادُ يَسْتَعْمِلُ العِمَادَ، أَوِ الدِّعَامَةَ، إِلَّا فِي مَعْرِضِ المُقَارَنَةِ بَيْنَ المُصْطَلَحِ الكُوفِيِّ، وَالمُصْطَلَحِ البَصْرِيِّ.

---

[1] شرح الكافية 24/2.

[2] الأنفال الآية 32.

[3] سبأ الآية 6.

[4] يَقْصِدُ بِالفِعْلِ هُنَا: الخَبَرَ.

[5] معاني القرآن 409/1. وينظر: 104/1، 248، و113/2، 145، 352، و37/3.

[6] هود الآية 78.

[7] مجالس ثعلب ص359. وينظر: ص43، 133.

وَلَمْ يَقْتَصِرِ الخِلافُ عَلَى التَّسْمِيَةِ فَقَطْ، بَلْ تَرَاهُمْ يَخْتَلِفُونَ فِي إِعْرَابِ هَذَا المَكْنِيِّ. فَعِنْدَ البَصْرِيِّينَ لَا مَحَلَّ لِضَمِيرِ الفَصْلِ مِنَ الإِعْرَابِ، عَلَى حِينِ يَرَى الكُوفِيُّونَ أَنَّ لَهُ مَوْضِعًا مِنَ الإِعْرَابِ، عَلَى خِلَافٍ بَيْنَ الكِسَائِيِّ وَالفَرَّاءِ، فِيمَا إِذَا كَانَ العِمَادُ تَوْكِيدًا لِمَا قَبْلَهُ، أَوْ لِمَا بَعْدَهُ[1].

وَيَبْدُو لَنَا، أَخِيرًا، أَنَّ ثَلَاثَةَ المُصْطَلَحَاتِ هَذِهِ؛ الفَصْلَ، وَالعِمَادَ، وَالدِّعَامَةَ، لَا فَرْقَ بَيْنَهَا مِنْ جِهَةِ المَعْنَى؛ لِأَنَّهَا تُؤَدِّي مَعْنًى وَاحِدًا، يَنْتَهِي بِنَا إِلَى أَنَّ هَذَا المَكْنِيَّ، وَظِيفَتُهُ الأَسَاسُ رَفْعُ الْتِبَاسِ الخَبَرِ بِالنَّعْتِ.

3. المَجْهُولُ أَوِ العِمَادُ أَوِ الأَمْرُ:

المَجْهُولُ:

هَذِهِ تَسْمِيَةٌ كُوفِيَّةٌ لِصِنْفٍ آخَرَ مِنَ الكِنَايَاتِ، يُعْرَفُ، عِنْدَ البَصْرِيِّينَ، بِاسْمِ ضَمِيرِ الشَّأْنِ، أَوِ القِصَّةِ، أَوِ الحَدِيثِ[2].

وَالمَجْهُولُ، فِي اللُّغَةِ، نَقِيضُ المَعْلُومِ، وَمِنْ ثَمَّ قِيلَ لِلأَرْضِ، الَّتِي لَا أَعْلَامَ فِيهَا، يُهْتَدَى بِهَا: أَرْضٌ مَجْهُولَةٌ، أَوْ لِلنَّاقَةِ الغُفْلِ، الَّتِي لَا سِمَةَ عَلَيْهَا، أَوِ الَّتِي لَمْ تُحْلَبْ قَطُّ: نَاقَةٌ مَجْهُولَةٌ[3].

وَعَلَى مَا يَبْدُو، أُخِذَتِ التَّسْمِيَةُ الكُوفِيَّةُ مِنْ هَذَا المَعْنَى؛ لِتُطْلَقَ عَلَى ذَلِكَ المَكْنِيِّ، الَّذِي يَبْقَى مَا يُرَادُ مِنْهُ مَجْهُولاً، مُبْهَمًا، لَا يُعْلَمُ مَا يَعُودُ عَلَيْهِ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُفَسَّرَ بِمَا بَعْدَهُ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ مَجْهُولاً؛ لِأَنَّهُ لَا يُدْرَى مَا يَعُودُ عَلَيْهِ.

وَهَذَا المَكْنِيُّ يَخْتَلِفُ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ المَكْنِيَّاتِ، إِذْ يُذْكَرُ قَبْلَ جُمْلَةِ مَا، أَوْ قَبْلَ مُفْرَدٍ مَا، عَلَى رَأْيِ الكُوفِيِّينَ، الَّذِينَ يُجَوِّزُونَ أَنْ يُفَسَّرَ هَذَا المَكْنِيُّ بِغَيْرِ جُمْلَةٍ، نَحْوُ: ظَنَنْتُهُ قَائِمًا زَيْدٌ، وَيَكُونُ كِنَايَةً عَنْ هَذِهِ الجُمْلَةِ، أَوِ المُفْرَدِ، ثُمَّ إِنَّهُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِصِيغَةِ الغَائِبِ، سَوَاءٌ أَكَانَ مُتَّصِلاً، أَمْ مُسْتَتِرًا، أَمْ مُنْفَصِلًا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ مَكْنِيٌّ، يُرَادُ مِنْهُ الإِبْهَامُ؛ لِأَنَّهُ لَا يُدْرَى مَا يَعُودُ عَلَيْهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ سَمَّاهُ الكُوفِيُّونَ مَجْهُولاً، كَمَا سَبَقَ أَنْ ذَكَرْنَا. وَلِهَذَا المَكْنِيِّ أَحْكَامٌ أُخَرَى، لَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى ذِكْرِهَا هُنَا.

وَإِذَا فَتَّشْنَا عَنْ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ، فِي مَصَادِرِ الكُوفِيِّينَ، وَجَدْنَا كُلاًّ مِنَ الفَرَّاءِ، وَثَعْلَبٍ، يَسْتَعْمِلُهَا مِرَارًا. فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الفَرَّاءِ: "وَإِذَا أَخْلَيْتَ كَانَ بِاسْمٍ وَاحِدٍ، جَازَ أَنْ تَرْفَعَهُ، وَتَجْعَلَ لَهُ الفِعْلَ، وَإِنْ شِئْتَ

---

[1] ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم100، وشرح الكافية 27/2، ومغني اللبيب ص645.

[2] ينظر: الخصائص397/2، وإعراب الحديث النبوي الشريف ص41، والمفصل ص133، وشرح المفصل 77/1، و 114/3، و 28/8، وتسهيل الفوائد ص28، وشرح الكافية 28/2، ومغني اللبيب ص636، والبحر المحيط 315/1، وهمع الهوامع 67/1، وحاشية الشنواني 108/1.

[3] القاموس المحيط، (جهل)، ولسان العرب، (جهل).

أَضمَرْتَ فيه مَجْهُولاً، وَنَصَبْتَ مَا بَعْدَهُ، فَقُلْتَ: إِذَا كَانَ غَدًا، فَأْتِنَا. وَتَقُولُ: اذْهَبْ، فَلَيْسَ إِلاَّ أَبَاكَ، وَأَبُوكَ. فَمَنْ رَفَعَ أَضْمَرَ أَحَدًا، كَأَنَّهُ قَالَ: لَيْسَ أَحَدٌ إِلاَّ أَبُوكَ، وَمَنْ نَصَبَ أَضْمَرَ الاسْمَ المَجْهُولَ، فَنَصَبَ؛ لأَنَّ المَجْهُولَ مَعْرِفَةٌ، فَلذَلكَ نَصَبْتَ. وَمَنْ قَالَ: إِذَا كَانَ غُدْوَةً، فَأْتِنَا، لَمْ يَجُزْ لَهُ أَنْ يَقُولَ: إِذَا غُدْوَةً كَانَ، فَأْتِنَا، كَذَلكَ الاسْمُ المَجْهُولُ، لاَ يَتَقَدَّمُهُ مَنْصُوبُهُ"[1].

وَقَالَ ثَعْلَبٌ: "إِنْ عَبْدُ اللهِ قَامَ أَقُمْ. قَالَ الفَرَّاءُ: إِنْ أَضْمَرَ مَجْهُولاً، رَفَعَ، لاَ غَيْرُ، وَإِذَا أَضْمَرَ غَيْرَ مَجْهُولٍ، رَفَعَ، وَنَصَبَ"[2].

وَتَسْمِيَةُ الكُوفِيِّينَ هَذه بَقِيَتْ قَصْرًا عَلَى النَّحْوِ الكُوفِيِّ، وَلَمْ تَتَجَاوَزْهُ. فَلاَ نَكَادُ نَجِدُ لَهَا ذِكْرًا فِي كُتُبِ غَيْرِهِمْ مِنَ النَّحْوِيِّينَ، إِلاَّ لِمُجَرَّدِ المُقَارَنَةِ بَيْنَهَا، وَبَيْنَ تَسْمِيَةِ البَصْرِيِّينَ، الَّتِي مَا زَالَتْ شَائِعَةً حَتَّى الآنَ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ تَأْدِيَةِ هَذه التَّسْمِيَةِ لِلْمَعْنَى، الَّذي جِيءَ مِنْ أَجْلِهِ، بِهَذَا الضَّمِيرِ، وَهُوَ الإِبْهَامُ؛ وَمِنْ صِلَةِ هَذه التَّسْمِيَةِ بِالمَعْنَى اللُّغَوِيِّ، لِكَلِمَةِ (مَجْهُولٍ). فَلَى حِينِ نَفْقِدُ المَعْنَى المَنُوطَ بِهَذَا الضَّمِيرِ، عِنْدَمَا نَسْتَعْمِلُ عِبَارَاتِ البَصْرِيِّينَ. وَمَا تَسْمِيَاتُهُمْ إِلاَّ نَتِيجَةَ تَقْدِيرِهِمْ؛ إِمَّا الشَّأْنَ، وَإِمَّا القِصَّةَ، وَإِمَّا الحَدِيثَ، بَدَلَ هَذَا المَكْنِيِّ.

العِمَادُ:

وَهَذَا مُصْطَلَحٌ آخَرُ، سَمَّى بِهِ الكُوفِيُّونَ ضَمِيرَ الشَّأْنِ، أَوِ القِصَّةِ، أَوِ الحَدِيثِ. وَقَدْ سَبَقَ أَنْ عَرَفْنَا أَنَّ العِمَادَ اصْطِلاَحٌ كُوفِيٌّ، يُقَابِلُ مَا يُعْرَفُ عِنْدَ البَصْرِيِّينَ بِضَمِيرِ الفَصْلِ، كَمَا سَبَقَ أَنْ بَيَّنَّا مَعْنَاهُ اللُّغَوِيَّ.

فَإِلَى جَانِبِ تَسْمِيَةِ هَذَا المَكْنِيِّ مَجْهُولاً، نَجِدُ الفَرَّاءَ وَثَعْلَبًا، كَثِيرًا مَا يَسْتَعْمِلاَنِ عِبَارَةَ العِمَادِ؛ لِلدِّلاَلَةِ عَلَى هَذَا المَكْنِيِّ. مِنْ ذَلكَ قَوْلُ الفَرَّاءِ، بَعْدَ أَنْ تَلاَ قَوْلَهُ تَعَالَى: {فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا}[3]: "تَكُونُ (هِيَ) عِمَادًا، يَصْلُحُ فِي مَوْضِعِهَا (هُوَ)، فَتَكُونُ كَقَوْلِهِ: {إِنَّهُ أَنَا العَزِيزُ الحَكِيمُ}[4]، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ: {فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ}[5]، فَجَاءَ التَّأْنِيثُ؛ لأَنَّ الأَبْصَارَ مُؤَنَّثٌ، وَالتَّذْكِيرُ لِلْعِمَادِ. وَسَمِعْتُ بَعْضَ العَرَبِ يَقُولُ: كَانَ مَرَّةً، وَهُوَ يَنْفَعُ النَّاسَ إِحْسَانُهُمْ، فَجَعَلَ (هُوَ) عِمَادًا"[6].

---

[1] معاني القرآن 362/1 . 363. وينظر: 361/1، و 275/2، 328.

[2] مجالس ثعلب ص230 . 231. وينظر: 102، 272، 386.

[3] طه الآية 97.

[4] النمل الآية 9.

[5] الحج الآية 46.

[6] معاني القرآن 212/2. وينظر: 51/1 . 52، و 228/2، 287، و 185/3، 236، 299.

أَمَّا مَا جَاءَ فِي (المَجَالِسِ)، فَذَلِكَ قَوْلُ أَبِي العَبَّاسِ؛ ثَعْلَبٍ: "سُئِلَ عَنْ قَولِهِمْ: إِنَّهُ قَامَ زَيدٌ، مَا تَقَدَّمَ قَبْلَهُ مِنَ الكَلَامِ؟ فَقَالَ: هَذَا مِثْلُ قَوْلِهِمْ: إِنَّهُ قَامَتْ هِنْدٌ، إِنَّمَا تَقَدَّمَ العِمَادُ هَهُنَا، يَعْنِي أَوَّلَ الكَلَامِ؛ لِيَعْلَمُوا أَنَّ الكَلَامَ يَجِيءُ مُذَكَّرًا، وَمُؤَنَّثًا"[1].

وَرُبَّمَا يَكْشِفُ لَنَا قَوْلُ الفَرَّاءِ، عِنْدَ كَلَامِهِ عَلَى قَولِهِ تَعَالَى: {فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ}[2]؛ أَصْلَ تَسْمِيَةِ هَذَا المَكْنِيِّ بِالعِمَادِ. يَقُولُ: "لَهَاءُ عِمَادٌ تُوَقِّي بِهَا إِنَّ"[3]. وَلاَ رَيْبَ أَنَّ المَعْنَى اللُّغَوِيَّ لِكَلِمَةِ (تُوَقِّي)، هُوَ أَنَّهَا تَكُفُّ أَنْ تَطْلُبَ غَيْرَهَا. وَمَعْنَى هَذَا أَنَّهَا - هِيَ، وَغَيْرَهَا مِنَ النَّوَاسِخِ، الَّتِي يَدْخُلُ عَلَيْهَا هَذَا المَكْنِيُّ - تَكُونُ مُعْتَمِدَةً عَلَى هَذَا الضَّمِيرِ، وَمُكْتَفِيَةً بِهِ، لاَ تَطْلُبُ غَيْرَهُ، حَتَّى يَأْتِيَ مَا يُفَسِّرُهُ، مِثْلَمَا يَعْتَمِدُ سَقْفُ البَيْتِ عَلَى العِمَادِ، إِلَى أَنْ يَأْتِيَ شَيْءٌ مَا، يُغَيِّرُهُ عَنْ حَالِهِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ ثَعْلَبٌ: "وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ قَامَ زَيدٌ، لَمْ يَحْذِفِ الهَاءَ؛ لأَنَّ الهَاءَ دَخَلَتْ وِقَايَةً لِفَعَلَ، وَيَفْعَلُ"[4].

وَهَذَا المُصْطَلَحُ، كَصِنْوِهِ الأَوَّلِ، لَمْ يُكْتَبْ لَهُ الشُّيُوعُ، أَوِ الذَّيوعُ.

الأَمْرُ:

وَهَذِهِ تَسْمِيَةٌ، ثَالِثَةٌ، سَمَّى بِهَا أَبُو العَبَّاسِ؛ ثَعْلَبٌ ضَمِيرَ الشَّأْنَ، وَالقِصَّةِ، وَالحَدِيثِ. وَهِيَ تَعْنِي الحَادِثَةَ فِي اللُّغَةِ. فَهِيَ، إِذًا، عَيْنُ التَّسْمِيَةِ البَصْرِيَّةِ؛ الحَدِيثِ، وَإِنِ اخْتَلَفَتْ جِهَةُ اللَّفْظِ. قَالَ ثَعْلَبٌ: "وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ المَازِنِيُّ: إِذَا قُلْتَ: إِنَّ غَدًا يَجِيءُ زَيدٌ، عَلَى إِضْمَارِ الأَمْرِ، وَتُضْمِرُ الهَاءَ، فَيَرْجِعُ إِلَى غَيْرِ شَيْءٍ. قَالَ أَبُو العَبَّاسِ: وَكُلُّ هَذَا غَلَطٌ، العَرَبُ تَقُولُ: إِنَّ فِيكَ يَرْغَبُ زَيدٌ، وَلاَ تَحْتَاجُ إِلَى إِضْمَارِ الأَمْرِ؛ لأَنَّ المَجْهُولَ لاَ يُحْذَفُ"[5].

وَلاَ يَبْعُدُ عِنْدِي أَنْ تَكُونَ هَذِهِ التَّسْمِيَةُ لِلمَازِنِيِّ، وَلَيْسَتْ لِثَعْلَبٍ، بِدَلِيلِ أَنَّ ثَعْلَبًا أَرْدَفَهَا بِاصْطِلَاحِ المَجْهُولِ، وَهُوَ، كَمَا عَرَفْنَا، قَبْلَ قَلِيلٍ، تَسْمِيَةٌ كُوفِيَّةٌ.

وَقَدْ أَخَذَ الزَّجَّاجِيُّ بِهَذِهِ التَّسْمِيَةِ، فَسَمَّى ضَمِيرَ الشَّأْنِ، فِي بَعْضِ المَوَاضِعِ، مِنْ كِتَابِهِ (الجُمَلِ)، أَمْرًا[6].

نُونُ العِمَادِ:

---

[1] مجالس ثعلب ص593. وينظر: ص354، والبحر المحيط 316/1.

[2] الحج الآية 46.

[3] معاني القرآن 228/2.

[4] مجالس ثعلب ص272.

[5] مجالس ثعلب ص272.

[6] الجمل (مخطوط) ص39.

وَمِمَّا يَتَّصِلُ بِالمَكْنِيَّاتِ، وَلاَ سِيَّمَا يَاءُ المُتَكَلِّمِ، مَا يُسَمَّى، عِنْدَ البَصْرِيِّينَ، بِنُونِ الوِقَايَةِ، وَعِنْدَ الكُوفِيِّينَ بِنُونِ العِمَادِ[1]. وَسَمَّاهَا البَصْرِيُّونَ نُونَ الوِقَايَةِ؛ لأَنَّهَا تَقِي آخِرَ الفِعْلِ، فِي نَحْوِ: ضَرَبَنِي، مِنْ أَنْ يَدْخُلَهُ الكَسْرُ، الخَاصُّ بِالأَسْمَاءِ. قَالَ سِيبَوَيْهِ: "وَسَأَلْتُهُ، رَحِمَهُ اللهُ، عَنِ الضَّارِبِي، فَقَالَ: هَذَا اسْمٌ، وَيَدْخُلُهُ الجَرُّ، وَإِنَّمَا قَالُوا فِي الفِعْلِ: ضَرَبَنِي، وَيَضْرِبُنِي، كَرَاهِيَةَ أَنْ يُدْخِلُوا الكَسْرَةَ فِي هَذِهِ البَاءِ، كَمَا تَدْخُلُ الأَسْمَاءَ، فَمَنَعُوا هَذَا أَنْ يَدْخُلَهُ، كَمَا مُنِعَ الجَرَّ"[2].

وَسَمَّاهَا الكُوفِيُّونَ نُونَ العِمَادِ؛ لِيَعْتَمِدَ عَلَيْهَا آخِرُ الفِعْلِ، لِيَمْنَعَ دُخُولَ الكَسْرِ عَلَيْهِ. وَهِيَ، كَمَا تَرَى، تَسْمِيَةٌ أَدَّتِ المَعْنَى نَفْسَهُ، الَّذِي أَدَّتْهُ تَسْمِيَةُ البَصْرِيِّينَ.

وَقَدْ يَكُونُ تَعْلِيلُ النَّحْوِيِّينَ سَبَبَ دُخُولِ هَذِهِ النُّونِ، بِهَذِهِ العِلَّةِ؛ قَاصِرًا، وَغَيْرَ مُقْنِعٍ، فَرُبَّمَا أُتِيَ بِهَذِهِ النُّونِ؛ لاَ لِشَيْءٍ، إِلاَّ لِيَكُونَ ثَمَّ تَنَاسُبٌ، صَوْتِيٌّ، فِي نُطْقِ الفِعْلِ مَعَ الضَّمِيرِ، وَلِيَسْهُلَ هَذَا النُّطْقُ. وَأَبْسَطُ مِنْ هَذَا أَنْ يُقَالَ: إِنَّ العَرَبَ هَكَذَا نَطَقَتْ هَذِهِ الكَلِمَاتِ، وَأَشْبَاهَهَا.

وَمِنَ العُلَمَاءِ مَنْ أَخَذَ بِالتَّسْمِيَةِ الكُوفِيَّةِ، فَسَمَّى نُونَ الوِقَايَةِ نُونَ العِمَادِ، كَالحَرِيرِيِّ، مَثَلاً، الَّذِي كَانَ يَقُولُ[3]: "وَقَدْ تَدْخُلُ نُونُ العِمَادِ عَلَى قَطْ، وَقَدْ، مَعَ ضَمِيرِ المُتَكَلِّمِ المَجْرُورِ، كَمَا قَالَ الرَّاجِزُ فِي قَطْ:

امْتَلأَ الحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي"

غَيْرَ أَنَّ الَّذِي شَاعَ هُوَ التَّسْمِيَةُ البَصْرِيَّةُ، فِي الأَوْسَاطِ النَّحْوِيَّةِ، لإِلْفِهِمْ هَذِهِ التَّسْمِيَةَ، وَكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِمْ لَهَا.

وَمِنَ المُنَاسِبِ أَنْ نُشِيرَ هُنَا، إِلَى أَنَّ سِيبَوَيْهِ[4]، وَتَابَعَهُ فِي ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ الأَنْبَارِيُّ[5]، أَحَدُ نُحَاةِ الكُوفَةِ؛ يَرَيَانِ أَنَّ هَذِهِ النُّونَ، مَعَ يَاءِ المُتَكَلِّمِ، أَوِ المُتَكَلِّمَةِ، حَرْفٌ وَاحِدٌ، هُوَ الاسْمُ. فَالنُّونُ، وَاليَاءُ فِي نَحْوِ: رَأَيْتَنِي، وَتَرَكْتَنِي، حَرْفٌ وَاحِدٌ، هُوَ الاسْمُ، لاَ حَرْفَانِ مُنْفَصِلاَنِ؛ الأَوَّلُ هُوَ مَا يُسَمُّونَهُ نُونَ الوِقَايَةِ، أَوْ نُونَ العِمَادِ، وَالثَّانِي ضَمِيرُ المُتَكَلِّمِ، أَوِ المُتَكَلِّمَةِ.

---

[1] المرتجل ص283، والموفي في النحو الكوفي ص94.

[2] الكتاب 2/ 369.

[3] درة الغواصفي أوهام الخواصص14.

[4] الكتاب 355/2. وَمِنْ كَلاَمِ سيبويه: "اعْلَمْ أَنَّ عَلاَمَةَ المُضْمَرِينَ المَنْصُوبِينَ (إِيَّا) ... وَكُمَا ... وَكُمْ ... وَنِي الَّتِي فِي رَأَيْتَنِي".

[5] المذكر والمؤنث ص151-152. وينظر: الأشباه والنظائر 160/4.

وَلِبَعْضِ البَاحِثِينَ المُحْدَثِينَ رَأْيٌ مُوَافِقٌ رَأْيَ سِيبَوَيْهِ، وَرَأْيَ أَبِي بَكْرٍ الأَنْبَارِيِّ، فِي جَعْلِ هَذِهِ النُّونِ، مَعَ يَاءِ المُتَكَلِّمِ، أَوِ المُتَكَلِّمَةِ؛ اسْمًا وَاحِدًا، لاَ حَرْفَيْنِ مُنْفَصِلَيْنِ[1]. وَرُبَّمَا يَكُونُ هَذَا البَّاحِثُ اسْتَوْحَاهُ مِنْ مَقَالَةِ سِيبَوَيْهِ، أَوْ أَبِي بَكْرٍ الأَنْبَارِيِّ، أَوْ رُبَمَّا يَكُونُ مِنْ تَوَافُقِ الخَوَاطِرِ.

وَلاَ رَيْبَ أَنَّ هَذِهِ النَّظْرَةَ اللُّغَوِيَّةَ نَظْرَةٌ، صَائِبَةٌ، حَكِيمَةٌ؛ لأَنَّنَا، لَوْ تَتَبَّعْنَا هَذِهِ النُّونَ، وَاسْتِعْمَالَا فَإِنَّنَا لَنْ نَعْثُرَ عَلَيْهَا مُسْتَعْمَلَةً وَحْدَهَا، وَمُنْفَصِلَةً عَنْ ضَمِيرِ المُتَكَلِّمِ، أَوِ المُتَكَلِّمَةِ، بَلْ سَنَجِدُهَا دَائِمًا، مُقْتَرِنَةً بِهِمَا؛ لِذَلِكَ، فَاعْتِبَارُهَا جُزْءًا، مُكَمِّلًا لِضَمِيرِ المُتَكَلِّمِ، أَوِ المُتَكَلِّمَةِ؛ أَقْرَبُ إِلَى رُوحِ اللُّغَةِ، وَطَبِيعَتِهَا. لعَرَبُ، أَصْحَابُ اللُّغَةِ، هَكَذَا تَكَلَّمُوا، وَنَطَقُوا بِهَذِهِ النُّونِ، مُجْتَمِعَةً مَعَ عَلاَمَةِ الإِضْمَارِ؛ لِيَكُونَ ثَمَّ تَنَاسُبٌ صَوْتِيٌّ فِي نُطْقِ الكَلِمَةِ، وَلاَ سِيَّمَا، إِذَا تَذَكَّرْنَا، أَنَّ العَرَبَ أَفَادُوا كَثِيرًا مِنَ النُّونِ، وَالمِيمِ، فِي مَسَائِلَ كَثِيرَةٍ. فَالنُّونُ وَضَعُوهَا فِي أَمْكِنَةٍ كَثِيرَةٍ؛ لِتَحْسِينِ الكَلاَمِ فَقَطْ.

وَمِمَّا يَدْحَضُ زَعْمَ النَّحَّاةِ أَنَّ لِهَذِهِ النُّونِ وُجُودًا مُسْتَقِلًا، وَوَظِيفَةً مُحَدَّدَةً، هِيَ وِقَايَةُ آخِرِ الفِعْلِ مِنْ دُخُولِ الكَسْرِ عَلَيْهِ؛ أَنَّنَا نَجِدُ كَثِيرًا مِنَ الصِّيَغِ الفِعْلِيَّةِ، يَدْخُلُ عَلَيْهَا الكَسْرُ، مِنْ دُونِ أَنْ تَدْخُلَ هَذِهِ النُّونُ، كَقَوْلِكَ: تَدْرُسِينَ، وَادْرُسِي، وَتَعْلَمِينَ، وَاعْلَمِي ...، كَمَا أَنَّنَا نَجِدُ كَثِيرًا مِنَ الصِّيَغِ، غَيْرِ الفِعْلِيَّةِ، تَدْخُلُ عَلَيْهَا هَذِهِ النُّونُ، مِنْ دُونِ أَنْ يَكُونَ لَهَا وَظِيفَةُ الوِقَايَةِ مِنَ الكَسْرِ، فَنَقُولُ، مَثَلاً: عَنِي، وَمِنِي.

حُرُوفُ المُثُلِ:

حُرُوفُ المُثُلِ مُصْطَلَحٌ كُوفِيٌّ، يُقَابِلُهُ، عِنْدَ البَصْرِيِّينَ، التَّعْبِيرُ بِحُرُوفِ الإِشَارَةِ، أَوِ الأَسْمَاءِ المُبْهَمَةِ. وَاصْطِلاَحُ المُثُلِ مَأْخُوذٌ مِنْ مَثَلَ الرَّجُلُ بَيْنَ يَدَيِ فُلاَنٍ مُثُولاً: قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ مُنْتَصِبًا. وَمِنْ هَذَا المَعْنَى سَمَّى الكُوفِيُّونَ: ذَا، وَتَا، وَتِلْكَ، وَذَلِكَ، وَهَذَا، وَهَذِه، وَهَؤُلاَءِ، وَنَحْوَهَا؛ حُرُوفَ المُثُلِ. يَقُولُ ثَعْلَبٌ: "هَذَا تَكُونُ مِثَالًا، وَتَكُونُ تَقْرِيبًا، فَإِذَا كَانَتْ مِثَالًا، قُلْتَ: هَذَا زَيْدٌ، هَذَا الشَّخْصُ شَخْصُ زَيْدٍ، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: هَذَا الشَّخْصُ كَزَيْدٍ"[2].

وَيُفَادُ مِنْ كَلاَمِ ابْنِ مَنْظُورٍ، فِي (لِسَانِ العَرَبِ)، أَنَّ الكُوفِيِّينَ يُطْلِقُونَ اصْطِلاَحَ المُثُلِ عَلَى الأَسْمَاءِ المَوْصُولَةِ، أَيْضًا. يَقُولُ: "أَهْلُ الكُوفَةِ يُسَمُّونَ: ذَا، وَتَا، وَتِلْكَ، وَذَلِكَ، وَهَذَا، وَهَذِه، وَهَؤُلاَءِ، وَالَّذِي، وَالَّتِي، وَاللاَّتِي؛ حُرُوفَ المُثُلِ، وَأَهْلُ البَصْرَةِ يُسَمُّونَهَا حُرُوفَ الإِشَارَةِ، وَالأَسْمَاءَ المُبْهَمَةَ"[3]. وَرُبَّمَا اسْتَعْمَلَ الكُوفِيُّونَ، اصْطِلاَحَ أَسْمَاءِ الإِشَارَةِ، وَقَالُوا بِهِ، كَالبَصْرِيِّينَ[4].

---

[1] المفتاح لتعريب النحو ص158.

[2] مجالس ثعلب ص42. وينظر: المذكر والمؤنث ص449.

[3] لسان العرب 454/15.

[4] ينظر: إيضاح الوقف والابتداء 118/1، 138.

وَمِنْ هَذَا البَاب أَنَّ الكُوفِيِّينَ، وَمَعَهُمُ الحَرِيرِيُّ[1]، يُطْلِقُونَ مُصْطَلَحَ (التَّقْرِيبِ) عَلَى هَذَا وَهَذِهِ، فِي مِثْلِ: هَذَا بَكْرٌ قَائِمًا، وَهَذِهِ هِنْدٌ جَالِسَةً، وَيَجْعَلُونَهُ مِنْ أَخَوَاتِ كَانَ، فِي احْتِيَاجِهِ إِلَى اسْمٍ مَرْفُوعٍ، وَخَبَرٍ مَنْصُوبٍ[2].

وَالتَّقْرِيبُ مِنَ الاصْطِلَاحَاتِ الكُوفِيَّةِ، الَّتِي لاَ يَعرِفُهَا البَصْرِيُّونَ. وَمَعنَى التَّقْرِيبِ، عِنْدَ الكُوفِيِّينَ، أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: كَيْفَ أَخَافُ الظُّلْمَ، وَهَذَا الخَلِيفَةُ قَادِمًا؟ إِنَّمَا المَعنَى هُوَ الإِخْبَارُ، عَنِ الخَلِيفَةِ بِالقُدُومِ، لاَ الإِشَارَةُ إِلَيْهِ؛ لأَنَّهُ حَاضِرٌ، مَعرُوفٌ، لاَ يَحْتَاجُ إِلَى تَبْيِينِهِ بِالإِشَارَةِ إِلَيْهِ؛ لِذَلِكَ، أُتِيَ بِاسْمِ الإِشَارَةِ تَقْرِيبًا لِلقُدُومِ فَقَطْ. وَيَكُونُ التَّقْرِيبُ، أَيضًا، إِذَا كَانَ مَا بَعْدَ اسْمِ الإِشَارَةِ وَاحِدًا، لاَ ثَانِيَ لَهُ، نَحْوُ: هَذَا القَمَرُ طَالِعًا. فَالمَعنَى هُنَا، إِنَّمَا هُوَ إِخْبَارٌ عَنِ القَمَرِ بِالطُّلُوعِ، لاَ الإِشَارَةُ إِلَيهِ؛ لأَنَّهُ مَعرُوفٌ، لاَ ثَانِيَ لَهُ فِي الوُجُودِ، لِذَا لاَ يَحْتَاجُ إِلَى تَبْيِينِهِ، بِالإِشَارَةِ إِلَيهِ؛ لِذَلِكَ يُؤْتَى بِاسْمِ الإِشَارَةِ تَقْرِيبًا لِطُلُوعِهِ فَقَطْ. وَقَد نَصَّ عَلَى ذَلِكَ الكُوفِيُّونَ أَنْفُسُهُم. يَقُولُ ثَعْلَبٌ: "... وَإِذَا جَاءَ وَاحِدًا، لاَ ثَانِيَ لَهُ، فَقِيلَ: هَذَا القَمَرُ، وَهَذَا اللَّيْلُ، وَهَذَا النَّهَارُ، لَمْ يَكُنْ إِلاَّ تَقْرِيبًا. وَقَدْ تُسْقِطُ هَذَا، فَتَقُولُ: كَيْفَ أَخَافُ الظُّلْمَ، وَهَذَا الخَلِيفَةُ قَائِمًا، وَالخَلِيفَةُ قَائِمٌ، فَتُدخِلُ هَذَا، وَتُخْرِجُهُ، وَيَكُونُ المَعنَى وَاحِدًا. وَكُلَّمَا رَأَيْتَ إِدْخَالَ هَذَا، وَإِخْرَاجَهُ وَاحِدًا، فَهُوَ تَقْرِيبٌ"[3].

وَيَعْرِبُ الكُوفِيُّونَ اسْمَ الإِشَارَةِ، إِذَا وَلِيَهُ اسْمٌ مَرْفُوعٌ، وَاسْمٌ مَنْصُوبٌ، نَحْوُ: هَذَا القَمَرُ طَالِعًا، عَلَى النَّحْوِ الآتِي[4]: هَذَا: تَقْرِيبُ. القَمَرُ: اسْمُ التَّقْرِيبِ. طَالِعًا: خَبَرُ التَّقْرِيبِ.
عَلَى حِينِ يُعرِبُ البَصْرِيُّونَ هَذَا المِثَالَ، وَنَحْوَهُ، كَالآتِي[5]: هَذَا: مُبْتَدَأٌ. القَمَرُ: خَبَرُ المُبْتَدَأِ. طَالِعًا: حَالٌ.

صِلَةُ المَوْصُولِ:

الصِّلَةُ مُصْطَلَحٌ كُوفِيٌّ، أَطْلَقَهُ الكُوفِيُّونَ عَلَى الجُمْلَةِ، الَّتِي تُذْكَرُ بَعْدَ الاسْمِ المَوْصُولِ. وَيُقَابِلُهَا التَّعْبِيرُ بِالحَشْوِ، عِنْدَ سِيبَوَيْهِ[6].

---

[1] درة الغواصفي أوهام الخواصص81.

[2] مجالس ثعلب ص43، والأصول في النحو 181/1، وإعراب القرآن للنحاس 360/1، ولسان العرب 453/15، وهمع الهوامع 113/1.

[3] مجالس ثعلب44. وينظر: أيضا: ص359، ومعاني القرآن: 12/1، 23، 232، 168/2، وإيضاح الوقف والابتداء 763/2-764.

[4] همع الهوامع 113/1.

[5] الكتاب 78/2.

[6] الكتاب 105/2 والمفصل ص142 وشرح المفصل 151/3.

وَالصِّلَةُ فِي اللُّغَةِ مَصْدَرٌ كَالوَصْلِ. وَأَصْلُهَا مِن اتِّصَالِ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ، وَمُمَاسَّتِهِ لَهُ، وَكَوْنِهِ فِي أَكْثَرِ الأَحْوَالِ بَعْضًا لَهُ. وَمِنْ هُنَا أُطْلِقَ عِنْدَ أَهْلِ العَرَبِيَّةِ مُصْطَلَحُ الصِّلَةِ عَلَى الجُمْلَةِ، الَّتِي تُذْكَرُ بَعْدَ الاسْمِ المَوْصُولِ، وَتُوصَلُ بِهِ، فَتَكُونُ بَعْضًا مِنْهُ؛ لِتُتَمِّمَ مَعْنَاهُ، وَتُوَضِّحَهُ، وَتُزِيلَ مَا يَكْتَنِفُهُ مِنْ إِبْهَامٍ، وَخَفَاءٍ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ: جَاءَ الَّذِي ضَرَبَكَ. فَضَرَبَكَ صِلَةُ المَوْصُولِ الَّذِي، وَهِيَ الَّتِي تَمَّمَتْ مَعْنَاهُ، وَوَضَّحَتْهُ، بَعْدَ أَنْ كَانَ مُبْهَمًا، خَافِيًا.

وَكَانَ الكُوفِيُّونَ يُسَمُّونَ الجُمْلَةَ صِلَةً؛ لأَنَّهَا تُوصَلُ بِالاسْمِ، وَإِذَا وُصِلَ الاسْمُ بِهَا، وَضَحَ بَعْدَ انْبِهَامٍ. وَكَانَ سِيبَوَيْهِ يُسَمِّيهَا حَشْوًا؛ لأَ ـا لَيْسَتْ أَصْلًا، وَإِنَّمَا هِيَ زِيَادَةٌ، وَفَضْلَةٌ، يُتَمَّمُ بِهَا الاسْمُ، وَيُوَضَّحُ مَعْنَاهُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُم: فُلَانٌ مِنْ حَشْوِ بَنِي فُلَانٍ، أَيْ: مِنْ أَتْبَاعِهِم، وَلَيْسَ مِن صَمِيمِهِم.

وَتَتَجَلَّى هَذِهِ التَّسْمِيَةُ فِي أَقْوَالِ الكُوفِيِّينَ أَنْفُسِهِمْ. فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الفَرَّاءِ، عِنْدَ كَلَامِهِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ}[1]: "العَرَبُ تَجْعَلُ (مَا) صِلَةً فِي المَعْرِفَةِ، وَالنَّكِرَةِ وَاحِدًا. قَالَ اللهُ: {فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ}[2]، وَالمَعْنَى فَبِنَقْضِهِمْ. وَ{عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ}[3]، وَالمَعْنَى عَنْ قَلِيلٍ. وَاللهُ أَعْلَمُ. وَرُبَّمَا جَعَلُوهُ اسْمًا، وَهِيَ فِي مَذْهَبِ الصِّلَةِ، فَيَجُوزُ فِيمَا بَعْدَهَا الرَّفْعُ عَلَى أَنَّهُ صِلَةٌ، وَالخَفْضُ عَلَى اتِّبَاعِ الصِّلَةِ لِمَا قَبْلَهَا، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

فَكَفَى بِنَا فَضْلًا عَلَى مَنْ غَيْرُنَا حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِيَّانَا

وَتَرْفُعُ (غَيْر)، إِذَا جُعِلَتْ صِلَةً، بِإِضْمَارِ (هُوَ)، وَتَخْفِضُ عَلَى الإِتْبَاعِ لِـ(مَنْ)"[4]. وَيَقُولُ ثَعْلَبٌ: "وَفِي قَوْلِهِ، عَزَّ وَجَلَّ: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ}[5]. قَالَ هُوَ جَزَاءٌ لِمَا قَرُبَ، وَهُوَ (الَّذِي)، وَيُرْفَعُ حِينَئِذٍ، وَإِذَا كَانَ جَزَاءً لِـ(مَنْ) نُصِبَ. سُئِلَ: هَلْ هَذَا مِثْلُ قَوْلِكَ: مَنْ زَيْدٌ فَأَقُومَ إِلَيْهِ؟ فَقَالَ: زَيْدٌ لَا يَكُونُ صِلَةً، وَلَا يُجَابُ"[6].

وَمِنْ هُنَا كَانَ الفَرَّاءُ يُطْلِقُ عَلَى المَوْصُولِ اسْمَ الصِّلَةِ. يَقُولُ: "وَالرَّفْعُ فِي بَعُوضَةٍ، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا}[7]، هَهُنَا جَائِزٌ؛ لِأَنَّ الصِّلَةَ تُرْفَعُ، وَاسْمُهَا مَنْصُوبٌ، وَمَخْفُوضٌ"[8].

---

[1] آل عمرا ن الآية 159.

[2] النساء الآية 155، والمائدة الآية 13.

[3] المؤمنون الآية 40.

[4] معاني القرآن 244/1-245. وينظر:21/1، 105، 157، إلخ.

[5] البقرة الآية 245.

[6] مجالس ثعلب ص525. وينظر: ص526، وإيضاح الوقف والابتداء 134/1، 476، 491.

[7] البقرة الآية 26.

[8] معاني القرآن 22/1.

وَقَدْ أَخَذَ أَكْثَرُ النَّحْوِيِّينَ بِالتَّسْمِيَةِ الكُوفِيَّةِ، عَلَى حِينَ أُهْمِلَتْ تَسْمِيَةُ سِيبَوَيْهِ؛ لِذَلِكَ يَنْدُرَ أَنْ نَجِدَ نَحْوِيًّا، بَعْدَ سِيبَوَيْهِ، يُسَمِّي هَذِهِ الجُمْلَةَ حَشْوًا؛ لِأَنَّ مُصْطَلَحَ الصِّلَةِ شَاعَ اسْتِعْمَالُهُ، وَأَلِفَهُ النَّاسُ، كَمَا أَنَّ قَوْلَكَ: صِلَةٌ أَوْضَحُ، وَأَبْيَنُ مِنْ قَوْلِكَ: حَشْوٌ؛ لِأَنَّ الحَشْوَ الزَّائِدُ، وَمَا كَانَ زَائِدًا، كَانَ دُخُولُهُ كَخُرُوجِهِ، وَهَذَا المَوْصُولَ لاَ يَنْعَقِدُ، وَلاَ يَتِمُّ مَعْنَاهُ إِلاَّ بِهَذِهِ الصِّلَةِ.

وَمِنْ مُفْرَدَاتِ البَابِ كِلَا. فَقَدْ نَقَلَ عَنِ الفَرَّاءِ أَنَّ كِلَا لَيْسَتْ بِاسْمٍ، وَلاَ فِعْلٍ، وَلاَ حَرْفٍ، إِنَّمَا هِيَ تُمَثِّلُ قِسْمًا، رَابِعًا، مِنْ أَقْسَامِ الكَلِمَةِ، يَكُونُ بَيْنَ الأَسْمَاءِ[1]، وَالأَفْعَالِ. وَيَتَّضِحُ هَذَا مِنْ كَلَامِهِ فِي (طَبَقَاتِ) الزُّبَيْدِيِّ. "قَالَ أَبُو العَبَّاسِ: قَالَ الخَلِيلُ: كِلَا اسْمٌ، وَقَالَ الفَرَّاءُ: هِيَ بَيْنَ الأَسْمَاءِ وَالأَفْعَالِ، فَلاَ أَحْكُمُ عَلَيْهَا بِالاسْمِ، وَلاَ بِالفِعْلِ"[2].

الفِعْلُ:

الفِعْلُ مَا دَلَّ عَلَى مَعْنًى فِي نَفْسِهِ، مُقْتَرِنٍ بِزَمَنٍ؛ لِذَلِكَ قَسَّمَهُ البَصْرِيُّونَ، بِاعْتِبَارِ زَمَانِهِ، إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ، مُتَّفِقِينَ مَعَ البَصْرِيِّينَ فِي القِسْمَيْنِ الأَوَّلَيْنِ، وَمُخْتَلِفِينَ مَعَهُمْ فِي القِسْمِ الثَّالِثِ، فَقَدْ جَعَلُوهُ الفِعْلَ الدَّائِمَ، لاَ فِعْلَ الأَمْرِ، مَعَ تَعَدُّدِ التَّسْمِيَاتِ، الَّتِي تَدُلُّ عَلَى هَذِهِ الأَفْعَالِ كَافَّةً. وَقَدْ جَعَلَ الكُوفِيُّونَ مِنَ الأَفْعَالِ مَا لَيْسَ مِنَ الأَفْعَالِ عِنْدَ البَصْرِيِّينَ، كَاسْمِ الفَاعِلِ، وَالمَصْدَرِ، وَأَسْمَاءِ الأَفْعَالِ. وَسَنُوَضِّحُ هَذَا، إِنْ شَاءَ اللهُ.

أ. المَاضِي وَالمُسْتَقْبَلُ – وَصِيغَتَا فَعَلَ وَيَفْعَلُ:

إِذَا أَرَادَ الكُوفِيُّونَ الإِشَارَةَ إِلَى الدِّلَالَةِ الزَّمَنِيَّةِ فِي الفِعْلِ، فَإِنَّهُمْ يُعَبِّرُونَ عَنْ ذَلِكَ، كَالبَصْرِيِّينَ، بِالمَاضِي؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الفِعْلَ يَدُلُّ عَلَى وُقُوعِ الحَدَثِ فِي الزَّمَنِ المَاضِي.

وَإِذَا أَرَادُوا الإِشَارَةَ إِلَى أَنَّ الفِعْلَ يَدُلُّ عَلَى وُقُوعِ الحَدَثِ فِي زَمَنِ الحَالِ، أَوِ الاسْتِقْبَالِ، اسْتَعْمَلُوا تَعْبِيرَ المُسْتَقْبَلِ، عَلَى حِينِ يَسْتَعْمِلُ البَصْرِيُّونَ تَعْبِيرَ المُضَارِعِ[3].

وَأَمَّا إِذَا أَرَادُوا الإِشَارَةَ إِلَى صِيغَةِ الفِعْلِ الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: فَعَلَ، إِذَا كَانَ الفِعْلُ مَاضِيًا، وَيَفْعَلُ، إِذَا كَانَ الفِعْلُ مُسْتَقْبَلًا. وَتَتَّضِحُ هَذِهِ التَّسْمِيَاتُ فِي قَوْلِ الفَرَّاءِ: "وَأَنْشَدَنِي بَعْضُ العَرَبِ، وَهُوَ المُفَضَّلُ:

مَطَوْتُ بِهِمْ حَتَّى تَكِلَّ غَزَاتُهُمْ وَحَتَّى الجِيَادُ مَا يُقَدْنَ بِأَرْسَانِ

---

[1] شرح التصريح 25/1.

[2] طبقات النحويين واللغويين 133.

[3] الكتاب 13/1-14.

فَنَصَبَ تَكَلَّ، وَالفِعْلُ الَّذي أَدَّاهُ قَبْلَ حَتَّى مَاضٍ؛ لأَنَّ المَطْوَ بالإبِلِ يَتَطَاوَلُ، حَتَّى تَكِلَّ عَنْهُ، وَيَدُلُّكَ عَلَى أَنَّهُ مَاضٍ، أَنَّكَ تَقُولُ: مَطَوْتُ بِهِمْ حَتَّى كَلَّتْ غُزَاتُهُمْ. فَبِحُسْنِ فَعَلَ مَكَانَ يَفْعَلُ، تَعْرِفُ المَاضِيَ مِنَ المُسْتَقْبَلِ، وَلاَ يَحْسُنُ مَكَانَ المُسْتَقْبَلِ فعل، أَلاَ تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ: أَضْرِبُ زَيْدًا حَتَّى أَقَرَّ؛ لأَنَّكَ تُرِيدُ: حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ مِنْهُ"[1].

وَكَانَ ثَعْلَبٌ يَفْرُقُ أَحْيَانًا، بَيْنَ نَوْعَيْنِ مِنَ الفِعْلِ المُسْتَقْبَلِ. فَإِذَا كَانَ الفِعْلُ يَدُلُّ عَلَى حَدَثٍ، يَقَعُ فِي زَمَنِ الاسْتِقْبَالِ، أَطْلَقَ عَلَيْهِ اسْمَ المُسْتَقْبَلِ. يَقُولُ: "وَلاَ تَجِيءُ عَسَى إِلاَّ مَعَ مُسْتَقْبَلٍ، وَلاَ تَجِيءُ مَعَ مَاضٍ، وَلاَ دَائِمٍ"[2].

وَكَانَ الفَرَّاءُ يُعَبِّرُ أَحْيَانًا، عَنِ الفِعْلِ بِقَوْلِه: الَّذي فِي أَوَّلِه اليَاءُ، أَوِ التَّاءُ، أَوِ النُّونُ، أَوِ الأَلِفُ، يَقُولُ: "(إِذَا) إِذَا اسْتُؤْنِفَ بِهَا الكَلاَمُ، نَصَبْتَ الفِعْلَ، الَّذي فِي أَوَّلِه اليَاءُ، أَوِ التَّاءُ، أَوِ النُّونُ، أَوِ الأَلِفُ، فَيَقَالُ: إِذًا أَضْرِبَكَ، إِذَا أَجْزِيَكَ"[3].

وَيَبْدُو لِي أَنَّ التَّعْبِيرَ عَنِ الفِعْلِ، الَّذي يَدُلُّ عَلَى زَمَنِ الحَالِ، أَوِ الاسْتِقْبَالِ، باصْطِلاَحِ المُسْتَقْبَلِ أَوِ الدَّائِمِ، أَوْضَحُ، وَأَبْيَنُ فِي الدِّلاَلَةِ عَلَى هَذَيْنِ الزَّمَنَيْنِ، مِنْ قَوْلِ البَصْرِيِّينَ: مُضَارِعٌ، وَمَا التَّسْمِيَةُ بالمُضَارِعِ، إِشَارَةً إِلَى فِعْلِ الحَالِ، وَالاسْتِقْبَالِ؛ إِلاَّ لأَنَّ البَصْرِيِّينَ لَمَحُوا فِي صِيغَةِ يَفْعَلُ شَبَهًا بِصِيغَةِ فَاعِلٍ، مِنْ دُونِ أَيِّ اعْتِبَارٍ لِلزَّمَنِيَّةِ، الَّتِي يَدُلُّ عَلَيْهَا الفِعْلُ، وَالَّتِي هِيَ مَحَطُّ الفَائِدَةِ مِنَ التَّعْبِيرِ بالفِعْلِ؟ أَيْ أَنَّهَا تَسْمِيَةٌ، تُعْرِبُ عَنِ انْصِرَافِ النَّحْوِيِّينَ الأَقْدَمِينَ عَنْ حَقِيقَةِ الفِعْلِ، وَوَظِيفَتِهِ الصَّحِيحَةِ فِي بِنَاءِ الجُمْلَةِ، وَهُوَ الخُصُوصِيَّةُ الزَّمَنِيَّةُ[4].

ب. فِعْلُ الأَمْرِ مَأْخُوذٌ مِنَ الفِعْلِ المُضَارِعِ:

إِنَّ مَا يُسَمَّى فِعْلُ أَمْرٍ عِنْدَ البَصْرِيِّينَ، لاَ يُثْبِتُهُ الكُوفِيُّونَ، وَلاَ يَقُولُونَ بِه؛ لأَنَّهُمْ يَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِقِسْمٍ، مُسْتَقِلٍّ، مِنْ أَقْسَامِ الفِعْلِ، كَمَا يَذْهَبُ البَصْرِيُّونَ، بَلْ هُوَ فَرْعٌ عَلَى المُضَارِعِ؛ المُسْتَقْبَلِ، وَمُقْتَطَعٌ مِنْهُ. وَبَنَو عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ مُعْرَبٌ، وَإِعْرَابُهُ الجَزْمُ، وَعَامِلُ جَزْمِهِ اللاَّمُ المَحْذُوفَةُ؛ لأَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنَ

---

[1] معاني القرآن 133/1. وينظر: 84/1، 134، 165، 175، 312، 386، 409، وإصلاح المنطق ص216، 217، 221، 301، ومجالس ثعلب ص39، 231، 272، 295، 447، 462، والأضداد ص12، وإيضاح الوقف والابتداء 152/1، 153، 156، 163، 168.

[2] مجالس ثعلب ص395. وينظر: ص231، 447.

[3] معاني القرآن 273/1. وينظر: 163/1، 386، 469.

[4] الفعل زمانه وأبنيته ص18.

الفعْلِ، المُضَارِعِ، المُقْتَرِنِ بِاللاَّمِ. فَعِنْدَهُمُ اللاَّمُ، كَمَا تَعْمَلُ الجَزْمَ فِي الفِعْلِ المُضَارِعِ؛ تَعْمَلُ الجَزْمَ فِي فِعْلِ الأَمْرِ[1].

وَقَدْ جَاءَ هَذَا عَنِ الكُوفِيِّينَ. يَقُولُ الفَرَّاءُ، عِنْدَ تَفْسِيرِهِ قَوْلَهُ تَعَالَى: {قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا}[2]: "هَذِهِ قِرَاءَةُ العَامَّةِ، وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ أَنَّهُ قَرَأَ {فَبِذَلِكَ فَلْتَفْرَحُوا} ... وَقَوَّى قَوْلَ زَيْدٍ أَنَّهَا فِي قِرَاءَةِ أُبَيٍّ: {فَبِذَلِكَ فَافْرَحُوا}، وَهُوَ البِنَاءُ، الَّذِي خُلِقَ لِلأَمْرِ خَاصَّةً، فِي كَلاَمِهِمْ، فَحَذَفُوا التَّاءَ مِنَ الفِعْلِ. وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الجَازِمَ، أَوِ النَّاصِبَ لاَ يَقَعَانِ إِلاَّ عَلَى الفِعْلِ، الَّذِي أَوَّلُهُ اليَاءُ، وَالتَّاءُ، وَالنُّونُ، وَالأَلِفُ. فَلَمَّا حَذَفْتَ التَّاءَ، ذَهَبْتَ بِاللاَّمِ، وَأَحْدَثْتَ الأَلِفَ فِي قَوْلِكَ: اضْرِبْ، وَافْرَحْ؛ لِأَنَّ الضَّادَ سَاكِنَةٌ، فَلَمْ يَسْتَقِمْ أَنْ يُسْتَأْنَفَ بِحَرْفٍ سَاكِنٍ، فَأَدْخَلُوا أَلِفًا خَفِيفَةً، يَقَعُ بِهَا الابْتِدَاءُ"[3].

وَاسْتَدَلَّ الكُوفِيِّينَ لِرَأْيِهِمْ مِنْ ثَلاَثَةِ أَوْجُهٍ:

الوَجْهُ الأَوَّلُ: أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّمَا قُلْنَا: إِنَّهُ مُعْرَبٌ مَجْزُومٌ؛ لِأَنَّ الأَصْلَ فِي قُمْ، وَاذْهَبْ: لِتَقُمْ، وَلْتَذْهَبْ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: {فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)[4]، وَذُكِرَ أَنَّهَا قِرَءَةُ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ: لِتَأْخُذُوا مَصَّافَكُمْ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الأَصْلَ فِي قُمْ: لِتَقُمْ، وَاذْهَبْ: لِتَذْهَبْ. إِلاَّ أَنَّهُ لَمَّا كَثُرَ فِي كَلاَمِهِمْ، وَجَرَى عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، اسْتَثْقَلُوا مَجِيءَ اللاَّمِ فِيهِ، مَعَ كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ فِيهِ، فَحَذَفُوهُ مَعَ حَرْفِ المُضَارِعَةِ تَخْفِيفًا، كَمَا قَالُوا: أَيْشٍ، وَالأَصْلُ فِيهِ: أَيُّ شَيْءٍ.

وَالوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّهُمْ قَالُوا: الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ مَجْزُومٌ، أَنَّكَ تَقُولُ فِي المُعْتَلِّ: اغْزُ، وَارْمِ، وَاخْشَ، بِلاَمٍ مُقَدَّرَةٍ. وَقَدْ يَجُوزُ إِعْمَالُ حَرْفِ الجَزْمِ مَعَ الحَذْفِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

مُحَمَّدُ تَفْدِ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ إِذَا مَا خِفْتَ مِنْ أَمْرٍ تَبَالاَ

---

[1] ينظر فِي هذا الخِلاَفِ: المقتضب 3/2، والأصول في النحو 180/2، واللامات ص90-91، وأسرار العربية ص317، والإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم72، ومسائل خلافية مسألة رقم15، والمرتجل ص22، والمفصل ص257، ورصف المباني ص227، ومغني اللبيب ص300، وهمع الهوامع 7/1، 9، والكواكب الدرية 10/1، 11.

[2] يونس الآية 58.

[3] معاني القرآن 469/1. وينظر: 476/1، و45/3، ومجالس ثعلب ص456، وإيضاح الوقف والابتداء 222/1، 224.

[4] يونس الآية 58.

وَالوَجْهُ الثَّالِثُ: أَنَّهُمْ قَالُوا: أَجْمَعْنَا عَلَى أَنَّ فِعْلَ النَّهْيِ مُعْرَبٌ مَجْزُومٌ، نَحْوُ: لاَ تَقُمْ، وَلاَ تَذْهَبْ، فَكَذَلِكَ فِعْلُ الأَمْرِ، نَحْوُ: قُمْ، وَاقْعُدْ؛ لِأَنَّ النَّهْيَ ضِدُّ الأَمْرِ، وَهُمْ يَحْمِلُونَ الشَّيْءَ عَلَى ضِدِّهِ، كَمَا يَحْمِلُونَهُ عَلَى نَظِيرِهِ[1].

وَيُعَلِّقُ المُبَرِّدُ عَلَى قَوْلِ الكُوفِيِّينَ: إِنَّ فِعْلَ الأَمْرِ مَجْزُومٌ، بِقَوْلِهِ: "وَهَذَا خَطَأٌ فَاحِشٌ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الإِعْرَابَ لاَ يَدْخُلُ مِنَ الأَفْعَالِ إِلاَّ فِيمَا كَانَ مُضَارِعًا لِلأَسْمَاءِ، وَقَوْلُكَ: اضْرِبْ، وَقُمْ، لَيْسَ فِيهِ مِنْ حُرُوفِ المُضَارَعَةِ، وَلَوْ كَانَتْ فِيهِ، لَمْ يَكُنْ جَزْمُهُ إِلاَّ بِحَرْفٍ، يَدْخُلُ عَلَيْهِ"[2].

وَقَدِ اخْتَارَ رَأْيَ الكُوفِيِّينَ؛ أَنَّ فِعْلَ الأَمْرِ مَأْخُوذٌ مِنَ الفِعْلِ المُضَارِعِ، وَأَنَّهُ مُعْرَبٌ، مَجْزُومٌ بِلاَمِ الأَمْرِ مُقَدَّرَةً، لاَ مَبْنِيٌّ عَلَى الوَقْفِ؛ ابْنُ هِشَامٍ، فِي (مُغْنِي اللبيب)، مُحْتَجًّا:

1. بِأَنَّ الأَمْرَ مَعْنًى، فَحَقُّهُ أَنْ يُؤَدَّى بِالحَرْفِ.

2 . وَأَنَّ الفِعْلَ إِنَّمَا وُضِعَ؛ لِتَقْيِيدِ الحَدَثِ بِالزَّمَانِ المُحَصَّلِ، وَكَوْنُهُ أَمْرًا، أَوْ خَبَرًا، خَارِجًا عَنْ مَقْصُودِهِ.

3. وَأَنَّ الأَمْرَ أَخُو النَّهْيِ، وَقَدْ دُلَّ عَلَيْهِ بِالحَرْفِ، فَكَذَلِكَ الأَمْرُ هَهُنَا.

4. وَأَنَّ العَرَبَ قَدْ نَطَقَتْ بِذَلِكَ الأَصْلِ، كَقَوْلِهِ:

لِتَقُمْ أَنْتَ يَابْنَ خَيْرِ قُرَيْشٍ كَيْ لِتَقْضِيَ حَوَائِجَ المُسْلِمِينَا

وَكَقِرَاءَةِ جَمَاعَةٍ: {فَبِذَلِكَ فَلْتَفْرَحُوا}، وَفِي الحَدِيثِ "لِتَأْخُذُوا مَصَافَّكُمْ".

5 . قَوْلُكَ: اغْزُ، وَاخْشَ، وَارْمِ، وَاضْرِبْ، وَاضْرِبُوا، وَاضْرِبِي، كَمَا تَقُولُ فِي الجَزْمِ، أَيْ بِالحَذْفِ، وَالبِنَاءُ لَمْ يُعْهَدْ كَوْنُهُ بِالحَذْفِ.

6 . أَنَّ المُحَقِّقِينَ عَلَى أَنَّ أَفْعَالَ الإِنْشَاءِ مُجَرَّدَةٌ عَنِ الزَّمَانِ، كَبِعْتُ، وَأَقْسَمْتُ، وَقَبِلْتُ. وَأَجَابُوا عَنْ كَوْنِهَا، مَعَ ذَلِكَ، أَفْعَالًا، بِأَنَّ تَجَرُّدَهَا عَارِضٌ لَهَا، عِنْدَ نَقْلِهَا عَنِ الخَبَرِ، وَلاَ يُمْكِنُهُمُ ادِّعَاءُ ذَلِكَ فِي نَحْوِ: قُمْ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ غَيْرُ هَذِهِ الحَالَةِ، وَحِينَئِذٍ فَتُشْكِلُ فِعْلِيَّتُهُ، فَإِذَا ادُّعِيَ أَنَّ أَصْلَهُ لِتَقُمْ، كَانَ الدَالُّ عَلَى الإِنْشَاءِ اللاَّمَ، لاَ الفِعْلَ[3].

وَمِنَ المُحْدَثِينَ مَنْ وَافَقَ الكُوفِيِّينَ فِي إِبْعَادِ فِعْلِ الأَمْرِ أَنْ يَكُونَ قَسِيمًا لِلمَاضِي، وَالمُسْتَقْبَلِ؛ لِأَنَّ فِعْلَ الأَمْرِ طَلَبٌ، وَهُوَ حَدَثٌ، كَسَائِرِ الأَفْعَالِ، غَيْرَ أَنَّ الدِّلاَلَةَ الزَّمَنِيَّةَ فِيهِ، لاَ تَتَّضِحُ اتِّضَاحَهَا فِي غَيْرِهِ؛ لِأَنَّ الحَدَثَ فِي صِيغَةِ الأَمْرِ غَيْرُ حَاصِلٍ، إِلاَّ بَعْدَ زَمَانِ التَّكَلُّمِ، كَمَا أَنَّهُ قَدْ لاَ يَتَرَتَّبُ عَلَى هَذَا الأَمْرِ أَنْ يَقَعَ حَدَثٌ مِنَ الأَحْدَاثِ[4].

---

[1] ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم72، وأسرار العربية ص317-319 ومسائل خلافية مسألة رقم15.

[2] الأصول في النحو 180/2، 181. وينظر: المقتضب 3/2-4، 131/2.

[3] مغني اللبيب ص300.

[4] الفعل زمانه وأبنية ص21-22.

وَمِمَّا يَعْمَدُ قَوْلَ الكُوفِيِّينَ، وَمَنْ تَابَعَهُمْ، أَنَّ اللُّغَاتِ السَّامِيَّةَ، لاَ تَفْرُقُ إلاَّ بَيْنَ نَوْعَيْنِ مِنَ الأَزْمِنَةِ فَقَطْ، هُمَا مَا يُعْرَفُ بِالزَّمَنِ المُضَارِعِ، وَمَا يُعْرَفُ بِالزَّمَنِ المَاضِي، وَأَنَّ الأَوَّلَ يَحْمِلُ مَعْنَى الحَدَثِ، الَّذِي لَمْ يَنْتَهِ بَعْدُ، وَالثَّانِي يَحْمِلُ مَعْنَى الحَدَثِ، الَّذِي انْتَهَى[1].

أَمَّا فِعْلُ الأَمْرِ، فَكَوْنُهُ دَالاً عَلَى الحَالِ، إِنْ وَقَعَ الحَدَثُ فِي الحَالِ، أَوْ دَالاً عَلَى المُسْتَقْبَلِ، إِنْ لَمْ يَقَعِ الحَدَثُ فِي الحَالِ؛ فَمِنْ بَابِ أَوْلَى أَنْ يُحْمَلَ عَلَى المُضَارِعِ؛ لِدِلاَلَتِهِ عَلَى الحَالِ، وَالاسْتِقْبَالِ، وَلاتِّفَاقِهِمَا فِي الزَّمَانِ، كَمَا أَنَّهُ يُذْكَرُ عَنْهُمْ قَوْلُهُمْ، أَيْ البَصْرِيِّينَ: إِنَّ صِيغَةَ الأَمْرِ مَأْخُوذَةٌ مِنْ لَفْظِ المُضَارِعِ، بَعْدَ نَزْعِ أَحْرُفِ المُضَارَعَةِ[2].

ج . وَأَلْحَقَ الكُوفِيُّونَ بِالأَفْعَالِ مَا يُسَمِّيهِ البَصْرِيُّونَ اسْمَ الفَاعِلِ، فَسَمَّوْهُ فِعْلًا دَائِمًا أَحْيَانًا، وَاسْمَ فَاعِلٍ أَحْيَانًا أُخْرَى، كَمَا سَمَّوا المَصْدَرَ فِعْلًا، وَأَسْمَاءَ الأَفْعَالِ أَفْعَالًا حَقِيقِيَّةً، إِلَى جَانِبِ تَسْمِيَاتِهَا تَسْمِيَاتٍ أُخْرَى. وَهَذَا بَيَانُهُ.

1- تَسْمِيَاتُ اسْمِ الفَاعِلِ:

أ-أَلْحَقَ الكُوفِيُّونَ بِأَقْسَامِ الفِعْلِ مَا يُسَمِّيهِ البَصْرِيُّونَ اسْمَ الفَاعِلِ، فَسَمَّوهُ الفِعْلَ الدَّائِمَ[3]، وَجَعَلُوهُ قَسِيمًا لِلفِعْلِ المَاضِي، وَالفِعْلِ المُضَارِعِ المُسْتَقْبَلِ[4]، بَدَلاً مِنْ فِعْلِ الأَمْرِ، الَّذِي اعْتَبَرُوهُ مَأْخُوذًا مِنَ المُضَارِعِ، كَمَا سَلَفَ، قَبْلَ قَلِيلٍ.

وَقَدْ أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ الفَرَّاءُ، وَثَعْلَبٌ، فَكَانَا يُطْلِقَانِ عَلَى اسْمِ الفَاعِلِ، إِذَا كَانَ عَامِلًا، اصْطِلاَحَ الفِعْلِ، أَوِ اصْطِلاَحَ الدَّائِمِ؛ لِإِحْسَاسِهِمْ أَنَّ هَذِهِ الصِّيغَةَ تَدُلُّ عَلَى الحَدَثِ، كَمَا تَدُلُّ عَلَى زَمَنٍ، تُحَدِّدُهُ القَرَائِنُ اللَّفْظِيَّةُ، وَالسِّيَاقِيَّةُ؛ لِذَلِكَ فَهُوَ يَعْمَلُ النَّصْبَ، كَمَا يَعْمَلُ الفِعْلُ المُضَارِعُ. وَهَذَا مِمَّا قَالَ بِهِ الفَرَّاءُ، كَمَا جَاءَ فِي (مَجَالِسِ العُلَمَاءِ). "قَالَ ثَعْلَبٌ: كَلَّمْتُ ذَاتَ يَوْمٍ مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ البَصْرِيَّ، فَقَالَ: كَانَ الفَرَّاءُ يُنَاقِضُ، يَقُولُ: قَائِمٌ فِعْلٌ، وَهُوَ اسْمٌ؛ لِدُخُولِ التَّنْوِينِ عَلَيْهِ. فَإِنْ كَانَ فِعْلًا، لَمْ يَكُنِ اسْمًا، وَإِنْ كَانَ اسْمًا، فَلاَ يَنْبَغِي أَنْ تُسَمِّيَهُ فِعْلًا. فَقُلْتُ: الفَرَّاءُ يَقُولُ: فِعْلٌ دَائِمٌ، لَفْظُهُ لَفْظُ الأَسْمَاءِ، وَمَعْنَاهُ مَعْنَى الفِعْلِ؛

---

[1] فقه اللغات السامية ص113.

[2] ينظر: شرح المفصل 58/7.

[3] الأصول في النحو 254/2، والإيضاح في علل النحو ص53، 86، ومجالس العلماء ص345، والصاحبي في فقه اللغة ص272، والأشباه والنظائر 84/3.

[4] شرح الكتاب للسيرافي 1/ورقة 493، نقلا عن هوامش الإيضاح في علل النحو ص53.

لِأَنَّهُ يَنْصِبُ، فيقَالُ: قَائِمٌ قِيَامًا، وَضَارِبٌ زَيدًا، فَالجِهَةُ الَّتِي هُوَ فِيهَا اسْمٌ، لَيْسَ هُوَ فِيهَا فِعْلًا، وَالجِهَةُ الَّتِي هُوَ فِيهَا فِعْلٌ، لَيْسَ هُوَ فِيهَا اسْمًا"[1].

وَكَانَ يَقُولُ عِنْدَ تَفْسِيرِهِ قَوْلَهُ تَعَالَى: {هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ}[2]: "نَوَّنَ فِيهَا عَاصِمٌ، وَالحَسَنُ، وَشَيْبَةُ المَدَنِيُّ، وَأَضَافَ يَحْيَى بْنُ وَثَّابٍ. وَكُلٌّ صَوَابٌ. وَمِثْلُهُ {إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ}[3]، وَ{بَالِغٌ أَمْرَهُ}، وَ{مُوهِنُ كَيْدِ الكَافِرِينَ}[4]، وَ{مُوهِنٌ كَيْدَ الكَافِرِينَ}، وَلِلإِضَافَةِ مَعْنَى مُضِيٍّ مِنَ الفِعْلِ. فَإِذَا رَأَيْتَ الفِعْلَ، قَدْ مَضَى فِي المَعْنَى، فَآثِرِ الإِضَافَةَ فِيهِ، تَقُولُ: أَخُوكَ أَخَذَ حَقَّهُ، فَتَقُولَ هَهُنَا: أَخُوكَ آخِذُ حَقِّهِ، وَيَقْبُحُ أَنْ تَقُولَ: آخِذٌ حَقَّهُ. فَإِذَا كَانَ مُسْتَقْبَلًا، لَمْ يَقَعْ بَعْدُ، قُلْتَ: أَخُوكَ آخِذٌ حَقَّهُ عَنْ قَلِيلٍ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَا تَقُولُ: هَذَا قَاتِلٌ حَمْزَةَ مُبْغِضًا؛ لِأَنَّهُ مَعْنَاهُ مَاضٍ، فَقَبُحَ التَّنْوِينُ؛ لِأَنَّهُ اسْمٌ"[5].

وَمِنِ اسْتِعْمَالِ الدَّائِمِ قَوْلُ ثَعْلَبٍ: "وَلَا يُحَالُ بَيْنَ الدَّائِمِ، وَالاسْمِ بِـ(مَا): طَعَامَكَ مَا آكِلٌ زَيْدًا"[6]. وَيَقُولُ: "يَا غُلَامِ، أَقْبِلْ، تُسْقِطُ اليَاءَ مِنْهُ، وَيَا ضَارِبِي، أَقْبِلْ، لَا تُسْقِطُ اليَاءَ مِنْهُ. وَذَلِكَ فَرْقٌ بَيْنَ الاسْمِ، وَالفِعْلِ"[7].

وَقَدْ يُطْلِقُونَ مُصْطَلَحَ الدَّائِمِ عَلَى اسْمِ الفَاعِلِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ عَامِلٍ، كَمَا فَعَلَ أَبُو بَكْرٍ الأَنْبَارِيُّ، فِي كِتَابِ (الأَضْدَادِ)[8].

وَمِنَ المُنَاسِبِ أَنْ نُشِيرَ هُنَا، إِلَى أَنَّ الزَّجَّاجِيَّ[9]، وَابْنَ قُتَيْبَةَ[10]، قَدْ أَخَذَا بِالتَّعْبِيرِ الكُوفِيِّ؛ الدَّائِمِ، الدَّائِمِ، وَاسْتَعْمَلَاهُ، بَيْدَ أَنَّهُمَا قَصَرَاهُ عَلَى الحَالِ، وَهُوَ عِنْدَ الكُوفِيِّينَ الدَّائِمُ، الَّذِي يُؤَدَّى بِصِيغَةِ مَا يُسَمَّى بِاسْمِ الفَاعِلِ.

---

[1] مجالس العلماء ص349.

[2] الزمر الآية 38.

[3] الطلاق الآية 3.

[4] الأنفال الآية 18.

[5] معاني القرآن 420/2. وينظر أيضا: 32/1-33، 142، 185، و 43/2، 80-81، و46/3، 146، 208.

[6] مجالس ثعلب ص271. وينظر: معاني القرآن 165/1.

[7] مجالس ثعلب ص388. وينظر: ص44، 97، 123-124، 309، 463.

[8] الأضداد ص201.

[9] الجمل (تحقيق بن أبي شنب باريس) ص21.

[10] تأويل مشكل القرآن ص295.

ب- الاسْمُ، أَوِ اسْمُ الفَاعِلِ:

أَمَّا إِذَا كَانَ اسْمُ الفَاعِلِ غَيْرَ عَامِلٍ، فَإِنَّهُ يَدْخُلُ فِي بَابِ الأَسْمَاءِ، فيطْلَقُونَ عَلَيْهِ؛ إِمَّا (اسْمًا)، خَالِيًا مِنْ أَيِّ قَيْدٍ لَفْظِيٍّ، وَإِمَّا اسْمَ فَاعِلٍ، كَالبَصْرِيِّينَ. فَمِنَ الأُولَى قَوْلُ الفَرَّاءِ، مُعَلِّقًا عَلَى قَوْلِه تَعَالَى: {لاَ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ}[1]: "بَيْنَ ذَلِكَ – وَبَيْنَ لاَ تَصْلُحُ إِلاَّ مَعَ اسْمَيْنِ فَمَا زَادَ، وَإِنَّمَا صَلَحَتْ مَعَ ذَلِكَ وَحْدَهُ؛ لأَنَّهُ فِي مَذْهَبِ اثْنَيْنِ، وَالفِعْلاَنِ قَدْ يُجْمَعَانِ بِذَلِكَ، وَذَاكَ، أَلاَ تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ: أَظُنَّ زَيدًا أَخَاكَ، وَكَانَ زَيدٌ أَخَاكَ، فَلاَ بُدَّ لِكَانَ مِنْ شَيْئَيْنِ، وَلاَ بُدَّ لأَظُنُّ مِنْ شَيْئَيْنِ، ثُمَّ يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ: قَدْ كَانَ ذَاكَ، وَأَظُنُّ ذَلِكَ. وَأَمَّا المَعْنَى فِي الاسْمَيْنِ، اللَّذَيْنِ ضَمَّهُمَا ذَلِكَ: بَيْنَ الهَرَمِ وَالشَّبَابِ. وَلَوْ قَالَ فِي الكَلاَمِ: بَيْنَ هَاتَيْنِ، أَوْ بَيْنَ تَيْنِكَ، يُرِيدُ الفَارِضَ، وَالبِكْرَ؛ كَانَ صَوَابًا، وَلَوْ أُعِيدَ ذِكْرُهُمَا، لَمْ يَظْهَرْ إِلَّا بِتَثْنِيَةٍ؛ لأَنَّهُمَا اسْمَانِ، لَيْسَا بِفِعْلَيْنِ"[2].

وَمِنَ الثَّانِيَةِ قَوْلُ ثَعْلَبٍ: "فَإِذَا قُلْنَا: شَجٍ، بِالتَّخْفِيفِ، كَانَ اسْمَ الفَاعِلِ مِنْ شَجَى يَشْجَي فَهُوَ شَجٍ، كَقَوْلِكَ: عَمِيَ يَعْمَى عَمًى فَهُوَ عَمٍ"[3].

ج- صِيغَةُ فَاعِلٍ:

أَمَّا إِذَا أَرَادُوا الإِشَارَةَ إِلَى صِيغَةِ اسْمِ الفَاعِلِ، وَإِلَى بِنَائِهِ فَقَطْ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: (فَاعِلٌ). قَالَ الفَرَّاءُ: "لأَنَّ الفِعْلَ لاَ يَنْصِبُ بِتَحْوِيلِهِ مِنْ يَفْعَلُ إِلَى فَاعِلٍ. أَلاَ تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ: أَقَائِمٌ"[4].

وَقَدْ لاَقَتْ تَسْمِيَةُ اسْمِ الفَاعِلِ فِعْلاً دَائِمًا قَبُولًا لَدَى بَعْضِ البَاحِثِينَ المُحْدَثِينَ، وَأَنَّهُ القِسْمُ الثَّالِثُ مِنْ أَقْسَامِ الفِعْلِ، بَدَلاً مِنَ الأَمْرِ، مُسْتَدِلًا بِأَنَّ عُلَمَاءَ السَّامِيَّاتِ، مِنَ المُحْدَثِينَ، أَثْبَتُوا أَنَّ البَابِلِيَّةَ، أَوِ الأَكَادِيَّةَ، تَعْرِفُ مِثْلَ هَذَا التَّقْسِيمِ لِلأَفْعَالِ، وَبِالتَّسْمِيَةِ نَفْسِهَا، الَّتِي سَمَّى بِهَا الكُوفِيُّونَ اسْمَ الفَاعِلِ[5].

وَيَرَى بَعْضُهُمْ أَنَّ الفَرَّاءَ عَلَى حَقٍّ؛ لأَنَّهُ عَدَّ بِنَاءَ فَاعِلٍ فِعْلًا، وَلاَ سِيَّمَا إِذَا كَانَ عَامِلًا؛ لأَنَّهُ يَخْتَلِفُ عَنْ فَاعِلٍ غَيْرِ العَامِلِ، وَيَرَى أَنَّ صِيغَةَ فَاعِلٍ غَيْرَ العَامِلَةِ، لاَ تُشْعِرُ السَّامِعَ بِأَنَّ ثَمَّ حَدَثًا، مُقْتَرِنًا بِزَمَنٍ مَا؛ لِذَلِكَ، فَصِيغَتُهُ تَكُونُ أَقْرَبَ إِلَى الصِّفَاتِ، الَّتِي تُطْلَقُ لِبَيَانِ اتِّصَافِ مَوْصُوفِهَا بِهَا، كَالمُبْتَدَأِ، أَوِ الخَبَرِ، فِي نَحْوِ: زَيْد عالِم، أَيْ: أَنَّ زَيْدًا اتَّصَفَ بِالعِلْمِ، مِنْ دُونِ الجَهْلِ، مَثَلًا[6].

---

[1] البقرة الآية 68.

[2] معاني الفرآن 45/1، وينظر: 259/2، 265،420، و173/3، وينظر: إصلاح المنطق ص300.

[3] الفصيح ص81، وينظر: ص41.

[4] معاني القرآن 208/3. وينظر: 201/1، و 15/2، 54، و 237/2، 255.

[5] مدرسة الكوفة ص241، وفي النحو العربي قواعد وتطبيق ص19.

[6] الفعل زمانه وأبنيته ص34.

وَقَدْ حَلاَ لِبَعْضِهِمْ أَنْ يُسَمِّيَهَا قَرِينًا. يَقُولُ: "وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ المَادَّةُ، لَيْسَتْ أَسْمًا، وَلَيْسَتْ فِعْلًا، كَمَا ثَبَتَ مِنْ سَيْرِ البَحْثِ، فَإِنِّي أَمِيلُ إِلَى جَعْلِهَا قِسْمًا، قَائِمًا بِذَاتِهِ، يَكُونُ قَسِيمًا لِلاسْمِ، وَالفِعْلِ، وَالحَرْفِ، وَأَنْ أُطْلِقَ عَلَيْهِ القَرِينَ. وَسَبَبُ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ، يَتَجَلَّى فِي أَنَّ هَذِهِ المَادَّةَ تَقْتَرِنُ أَحْيَانًا، بِعَلاَمَاتِ الاسْمِ، وَلاَ تَكُونُ اسْمًا مَحْضًا، كَمَا تَقْتَرِنُ بِضَمَائِمَ سِيَاقِيَّةٍ، عَلَى نَحْوِ مَا يُقْرَنُ الفِعْلُ بِضَمَائِمِهِ، وَلاَ تَكُونُ فِعْلاً، وَعِنْدَئِذٍ تَكُونُ أَقْسَامُ الكَلاَمِ فِي النَّحْوِ العَرَبِيِّ: اسْمًا، وَفِعْلاً، وَحَرْفًا، وَقَرِينًا"[1].

أَمَّا رَأْيِي، فَيَتَلَخَّصُ فِيمَا يَأْتِي: إِنَّ اطْلاَقَ مُصْطَلَحِ الفِعْلِ الدَّائِمِ عَلَى بِنَاءِ فَاعِلٍ، لَيْسَ دَقِيقًا، وَإِنْ كَانَتْ بَعْضُ أَبْنِيَتِهِ تَدُلُّ عَلَى الدَّوَامِ، وَالاسْتِمْرَارِ، مِثْلُ: دَائِمٍ، وَخَالِدٍ، وَمُسْتَمِرٍّ، وَمُسْتَدِيمٍ؛ لأَنَّ أَغْلَبَ صِيَغِ هَذَا البِنَاءِ، لاَ تُشِيرُ إِلَى الدَّوَامِ، وَالاسْتِمْرَارِ، فَكَمْ صِيغَةٍ، مِنْ هَذَا البِنَاءِ، تَدُلُّ عَلَى زَمَنِ المُضِيِّ، أَوِ الحَالِ، أَوِ الاسْتِقْبَالِ، وَلاَ سِيَّمَا إِذَا كَانَتْ هُنَاكَ قَرَائِنُ، تَصْرِفُهَا إِلَى هَذِهِ الأَزْمِنَةِ، نَحْوُ: هَذَا قَاتِلُ بَكْرٍ أَمْسِ، أَوِ الآنَ، أَوْ غَدًا.

وَإِذَا كَانَ هَذَا البِنَاءُ يَخْلُفُ الاسْمَ، وَيَنُوبُ عَنْهُ، وَيَقْبَلُ بَعْضًا مِنْ ضَوَابِطِهِ، كَمَا يَخْلُفُ الفِعْلَ، وَيَنُوبُ عَنْهُ، وَيَقْبَلُ بَعْضًا مِنْ ضَوَابِطِهِ، فَلاَ ضَيْرَ مِنْ أَنْ نَضُمَّهُ إِلَى قَائِمَةِ الكَلِمَاتِ، الَّتِي مِنْ هَذَا القَبِيلِ، كَمَا سَيَأْتِي عِنْدَ الكَلاَمِ عَلَى أَسْمَاءِ الأَفْعَالِ، وَأَنْ نُسَمِّيَ هَذِهِ القَائِمَةَ خَوَالِفَ؛ لأَنَّهَا تَخْلُفُ الاسْمَ، وَتَنُوبُ عَنْهُ، كَمَا تَخْلُفُ الفِعْلَ، وَتَنُوبُ عَنْهُ، تَخَلُّصًا مِنَ الخِلاَفِ عَلَى اسْمِيَّتِهَا، أَوْ فِعْلِيَّتِهَا. فَمَا دَامَتْ لاَ تَخْلُصُ لِلْفِعْلِيَّةِ، وَلاَ لِلاسْمِيَّةِ، بَلْ تَجْمَعُ بَيْنَ هَذَا، وَذَاكَ؛ فَمِنَ الإِجْحَافِ أَنْ نَعُدَّهَا مِنْ أَحَدِ هَذَيْنِ القِسْمَيْنِ.

2- تَسْمِيَةُ المَصْدَرِ فِعْلًا:

وَكَانَ الفَرَّاءُ يُسَمِّي المَصْدَرَ أَحْيَانًا فِعْلاً، وَأَحْيَانًا أُخْرَى يُسَمِّيهِ مَصْدَرًا. وَمَا أَظُنُّ الفَرَّاءَ سَمَّى المَصْدَرَ فِعْلاً؛ إِلاَّ لأَنَّهُ لَمَحَ دِلاَلَةَ المَصْدَرِ عَلَى الحَدَثِ، وَالزَّمَانِ. يَقُولُ: "وَقَوْلُهُ: {قُرَّةَ أَعْيُنٍ}[2]، وَلَوْ قِيلَ: {عَيْنٍ}، كَانَ صَوَابًا، كَمَا قَالَتْ: {قُرَّةَ عَيْنٍ لِي وَلَكَ}[3]، وَلَوْ قُرِئَتْ: قُرَّاتِ أَعْيُنٍ؛ لأَنَّهُمْ كَثِيرٌ، كَانَ صَوَابًا. وَالوَجْهُ التَّقْلِيلُ {قُرَّةَ أَعْيُنٍ}؛ لأَنَّهُ فِعْلٌ، وَالفِعْلُ لاَ يَكَادُ يُجْمَعُ، أَلاَ تَرَى أَنَّهُ قَالَ: {لاَ تَدْعُوا اليَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا)[4]، فَلَمْ يَجْمَعْهُ، وَهُوَ كَثِيرٌ. وَالقُرَّةُ مَصْدَرٌ. تَقُولُ: قَرَّتْ عَيْنُكَ قُرَّةً"[5].

---

[1] اسم الفاعل بين الاسمية والفعلية ص131-132.

[2] الشعراء الآية 74.

[3] القصص الآية 9.

[4] الفرقان الآية 14.

[5] معاني القرآن 274/2، وينظر: 44/2، 123، 309، و45/1، و27/3.

وَرُبَّمَا كَانَ الفَرَّاءُ سَمَّى المَصْدَرَ فِعْلاً؛ لأَنَّ الكُوفِيُّونَ يَرَوْنَ أَنَّ المَصْدَرَ مُشْتَقٌّ مِنَ الفِعْلِ، وَفَرْعٌ عَلَيْهِ، وَمَا دَامَ فَرْعًا عَلَى الفِعْلِ، فَلاَ أَقَلَّ مِنْ أَنْ يَحْتَفِظَ بِشَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِ الفِعْلِ، كَالدِّلاَلَةِ عَلَى الحَدَثِ، وَالزَّمَانِ، وَإِنْ كَانَ زَمَانُهُ مُطْلَقًا. وَأَمَّا البَصْرِيُّونَ، فَلاَ يُسَمُّونَهُ إِلاَّ مَصْدَرًا، كَمَا يَرَوْنَ أَنَّ المَصْدَرَ أَصْلٌ لِلْفِعْلِ[1].

3- تَسْمِيَاتُ أَسْمَاءِ الأَفْعَالِ:

ثَمَّ طَائِفَةٌ مِنَ الكَلِمَاتِ فِي اللُّغَةِ، اخْتَلَفَ النَّحْوِيُّونَ فِي حَقِيقَتِهَا. فَذَهَبَ جُمْهُورُ البَصْرِيِّينَ إِلَى أَنَّهَا أَسْمَاءٌ حَقِيقِيَّةٌ، اسْتُعْمِلَتِ اسْتِعْمَالَ الأَفْعَالِ، وَسُمِّيَتْ بِهَا الأَفْعَالَ[2]، بِدَلِيلِ أَنَّ مِنْهَا مَا هُوَ عَلَى حَرْفَيْنِ أَصَالَةً، كَصَهْ، وَمَهْ، وَأَنَّهَا لاَ تَتَّصِلُ بِهَا ضَمَائِرُ الرَّفْعِ البَارِزَةُ، وَأَنَّ مِنْهَا مَا يُخَالِفُ أَوْزَانَ الأَفْعَالِ، كَنَزَالِ، وَقَرْقَارِ، وَأَنَّ الطَّلَبِيَّ مِنْهَا لاَ تَلْحَقُهُ نُونَ التَّوْكِيدِ.

وَذَهَبَ بَعْضُ البَصْرِيِّينَ إِلَى أَنَّهَا أَفْعَالٌ، اسْتُعْمِلَتِ اسْتِعْمَالَ الأَسْمَاءِ[3]، بِدَلِيلِ أَنَّهَا تُنَوَّنُ تَارَةً، وَلاَ تُنَوَّنُ تَارَةً أُخْرَى، وَأَنَّهَا لاَ تَتَّصِلُ بِهَا ضَمَائِرُ الرَّفْعِ البَارِزَةُ، وَأَنَّ الطَّلَبِيَّ مِنْهَا، لاَ تَلْحَقُهُ نُونُ التَّوْكِيدِ.

وَأَمَّا الكُوفِيُّونَ، فَيَبْدُو أَنَّ حَقِيقَةَ هَذِهِ الكَلِمَاتِ لَمْ تَكُنْ ثَابِتَةً فِي أَذْهَانِهِمْ. فَمَا جَاءَ فِي مَصَادِرِهِمُ النَّحْوِيَّةِ، وَاللُّغَوِيَّةِ، يُخَالِفُ مَا تَنَاقَلَتْهُ الكُتُبُ المُتَأَخِّرَةُ، وَعَزَتْهُ إِلَيْهِمْ، بَلْ إِنَّ حَدِيثَ الفَرَّاءِ، وَثَعْلَبٍ عَنْهُمَا، لَيَخْتَلِفُ مِنْ وَاحِدٍ لِآخَرَ. وَاسْتَطِيعُ أَنْ أَحْصُرَ مَوْقِفَهُمْ مِنْ هَذِهِ الكَلِمَاتِ فِي خَمْسِ تَسْمِيَاتٍ.

1- أَفْعَالٌ حَقِيقِيَّةٌ:

وَهَذِهِ التَّسْمِيَةُ هِيَ الَّتِي حَمَلَتْنِي عَلَى أَنْ أَجْعَلَ هَذِهِ الكَلِمَاتِ فِي زُمْرَةِ الأَفْعَالِ. فَيَرَى الكُوفِيُّونَ أَنَّ هَذِهِ الطَّائِفَةَ مِنَ الكَلِمَاتِ تَدُلُّ عَلَى الحَدَثِ، وَالزَّمَانِ، كَالفِعْلِ الحَقِيقِيِّ؛ لِذَلِكَ، فَهِيَ عِنْدَهُمْ أَفْعَالٌ حَقِيقِيَّةٌ، لاَ يَجُوزُ أَنْ تُسْتَعْمَلَ اسْتِعْمَالَ الأَسْمَاءِ[4]، غَيْرَ عَابِئِينَ بِمَا يَدْخُلُهَا مِنْ خَصَائِصِ الاسْمِيَّةِ، أَوْ مَا يَنْقُصُهَا مِنْ خَصَائِصِ الفِعْلِيَّةِ. وَلَمْ أَقِفْ، فِي حُدُودِ مَا أَعْلَمُ، عَلَى هَذِهِ التَّسْمِيَةِ عِنْدَ الفَرَّاءِ، أَوْ ثَعْلَبٍ، أَوْ غَيْرِهِمَا مِنَ الكُوفِيِّينَ.

---

[1] ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم5.

[2] الكتاب 241/1، المقتضب 202/3، الأصول في النحو 167/1، وشرح اللمحة البدرية 80/2، وشرح الأشموني مع الصبان 195/3، وشرح التصريح 195/2، وحاشية الخضري 89/2، وهمع الهوامع 105/2.

[3] شرح الأشموني مع الصبان 195/3، وحاشية الخضري 89/2.

[4] شرح اللمحة البدرية 80/2، وشرح الأشموني مع الصبان 195/3، وشرح التصريح 195/2، وحاشية الخضري 89/2، وهمع الهوامع 105/2.

2- أَصْوَاتٌ:

عِنْدَ كَلامِه عَلَى قَوْلِه تَعَالَى: {وَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا}[1]، سَمَّى الفَرَّاءُ أُفٍّ، وَصَهْ، وَمَهْ، سَمَّاهَا أَصْوَاتًا. يَقُولُ: "وَقَوْلُهُ: {وَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ}. قَرَأَهَا عَاصِمُ بْنُ أَبِي النُّجُود، وَالأَعْمَشُ {أُفٍّ}، خَفْضًا، بِغَيْرِ تَنْوِينٍ. وَقَرَأَ العَوَامُّ {أُفٌّ}. فَالَّذِينَ خَفَضُوا، وَنَوَّنُوا، ذَهَبُوا إِلَى أَنَّهَا لاَ يُعْرَفُ مَعْنَاهُ إِلاَّ بِالنُّطْقِ بِه، فَخَفَضُوا، كَمَا تُخْفَضُ الأَصْوَاتُ. مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ العَرَبِ: سَمِعْتُ طَاقٍ طَاقٍ، لِصَوْتِ الضَّرْبِ، وَيَقُولُونَ: سَمِعْتُ تَغٍ تَغٍ، لِصَوْتِ الضَّحِكِ. وَالَّذِينَ لَمْ يُنَوِّنُوا، وَخَفَضُوا، قَالُوا: أُفٍّ عَلَى ثَلاَثَةِ أَحْرُفٍ، وَأَكْثَرُ الأَصْوَاتِ إِنَّمَا يَكُونُ عَلَى حَرْفَيْنِ، مِثْلُ: صَهْ، وَمِثْلُ: تَغْ، وَمَهْ"[2]. وَلاَ يَخْفَى أَنَّ: أُفٍّ، وَصَهْ، وَمَهْ، أَسْمَاءُ أَفْعَالٍ عِنْدَ البَصْرِيِّينَ[3].

3- أَسْمَاءٌ:

وَسَمَّاهَا الفَرَّاءُ، فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي كِتَابِه (مَعَانِي القُرْآن)؛ أَسْمَاءً، فَقَالَ مُعَلِّقًا عَلَى قَوْلِه تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ}[4]: "هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ، عَزَّ وَجَلَّ، كَقَوْلِكَ: عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ. وَالعَرَبُ تَأْمُرُ مِنَ الصِّفَاتِ[5] بِعَلَيْكَ، وَعِنْدَكَ، وَدُونَكَ، وَإِلَيْكَ. يَقُولُونَ: إِلَيْكَ إِلَيْكَ، يُرِيدُونَ: تَأَخَّرْ: كَمَا تَقُولُ: وَرَاءَكَ. فَهَذِهِ الحُرُوفُ كَثِيرَةٌ. وَزَعَمَ الكِسَائِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ: بَيْنَكُمَا البَعِيرُ، فَخُذَاهُ. فَأَجَازَ ذَلِكَ فِي كُلِّ الصِّفَاتِ، الَّتِي قَدْ تُفْرَدُ، وَلَمْ يُجِزْهُ فِي اللاَّمِ، وَلاَ فِي البَاءِ، وَلاَ فِي الكَافِ. وَسَمِعَ بَعْضَ العَرَبِ تَقُولُ: كَمَا أَنْتَ زَيْدًا، وَمَكَانَكَ زَيْدًا. قَالَ الفَرَّاءُ: وَسَمِعْتُ بَعْضَ بَنِي سَلِيمٍ، يَقُولُ فِي كَلاَمِه: كَمَا أَنْتَنِي، وَمَكَانَكِنِي، يُرِيدُ انْتَظِرِي فِي مَكَانَكِ. وَلاَ تُقَدِّمَنَّ مَا نَصَبَتْهُ هَذِهِ الحُرُوفُ قَبْلَهَا؛ لأَنَّهَا أَسْمَاءٌ، وَالاسْمُ لاَ يَنْصِبُ شَيْئًا قَبْلَهُ، تَقُولُ: ضَرْبًا زَيْدًا، وَلاَ تَقُولُ: زَيْدًا ضَرْبًا. فَإِنْ قُلْتَهُ، نَصَبْتَ زَيْدًا بِفِعْلٍ مُضْمَرٍ قَبْلَهُ، كَذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

يَا أَيُّهَا المَائِحُ دَلْوِي دُونَكَا

إِنْ شِئْتَ، نَصَبْتَ الدَّلْوَ بِمُضْمَرٍ قَبْلَهُ، وَإِنْ شِئْتَ، جَعَلْتَهَا رَفْعًا، تُرِيدُ: هَذِهِ دَلْوِي، فَدُونَكَا"[6].

---

[1] الإسراء الآية 23.

[2] معاني القرآن 121/2، وينظر: لسان العرب 9/7.

[3] ينظر: سيبويه 58/4، 242/1، 529/3.

[4] المائدة الآية 105.

[5] يُرِيدُ بِالصِّفَاتِ: الظُّرُوفَ وَحُرُوفَ الجَرِّ.

[6] معاني القرآن 322/1-323.

4- أَدَاةٌ لَيْسَتْ بِمَأْخُوذَةٍ مِنْ فِعْلٍ:

وَقَالَ عَنْ هَيْهَاتَ، وَهَلُمَّ: إِنَّهُمَا أَدَاتَانِ، لَيْسَتَا بِمَأْخُوذَتَيْنِ مِنْ فِعْلٍ، وَذَلِكَ فِي كَلَامِهِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ}[1]: قَالَ: "وَمَعْنَى هَيْهَاتَ بَعِيدٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: بَعِيدٌ {مَا تُوعَدُونَ}...، وَمَنْ أَدْخَلَ اللَّامَ قَالَ: هَيْهَاتَ أَدَاةٌ، لَيْسَتْ بِمَأْخُوذَةٍ مِنْ فِعْلٍ، بِمَنْزِلَةِ بَعِيدٍ، أَوْ قَرِيبٍ، فَأَدْخَلْتَ لَهُمَا اللَّامَ، كَمَا يُقَالُ: هَلُمَّ لَكَ، إِذْ لَمْ تَكُنْ مَأْخُوذَةً مِنْ فِعْلٍ"[2]. فَهَاتَانِ الكَلِمَتَانِ مِنْ أَسْمَاءِ الأَفْعَالِ عِنْدَ البَصْرِيِّينَ، فَالأُولَى اسْمُ فِعْلٍ مَاضٍ، بِمَعْنَى بَعُدَ، وَالثَّانِيَةُ اسْمُ فِعْلِ أَمْرٍ، بِمَعْنَى إِئْتِ، أَوْ هَاتِ[3].

5- الخَالِفَةُ أَوِ الخَلْفَةُ:

نَسَبَ بَعْضٌ مِنَ النُّحَاةِ هَذِهِ التَّسْمِيَةَ إِلَى بَعْضٍ مِنْ نُحَاةِ الأَنْدَلُسِ، وَهُوَ ابْنُ صَابِرٍ الأَنْدَلُسِيُّ، وَقَالُوا: إِنَّهُ سَمَّى بِهَا أَسْمَاءَ الأَفْعَالِ، وَإِنَّهُ جَعَلَهَا القِسْمَ الرَّابِعَ مِنْ أَقْسَامِ الكَلِمِ[4]. وَالحَقِيقَةُ أَنَّ أَصْلَ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ، يَعُودُ إِلَى الكُوفِيِّينَ، وَبِالتَّحْدِيدِ، إِلَى الفَرَّاءِ. فَقَدْ أَطْلَقَ كَلِمَةَ خَلْفَةٍ عَلَى اسْمِ الفِعْلِ دُونَكَ، وَذَلِكَ عِنْدَ كَلَامِهِ عَلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ:

يَا أَيُّهَا المَائِحُ دَلْوِي دُونَكَا إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَا

يَقُولُ: "الدَّلْوُ رَفْعٌ، كَقَوْلِكَ: زَيْدٌ فَاضْرِبُوهُ. وَالعَرَبُ تَقُولُ: اللَّيْلُ فَبَادِرُوا، وَاللَّيْلَ فَبَادِرُوا. وَتَنْصِبُ الدَّلْوَ بِمُضْمَرٍ فِي الخَلْفَةِ كَأَنَّكَ قُلْتَ: دُونَكَ دَلْوِي دُونَكَ"[5].

وَقَدِ اسْتَعَارَ هَذِهِ التَّسْمِيَةَ مِنَ الفَرَّاءِ، غَيْرُ ابْنِ صَابِرٍ، بَعْضٌ مِنَ البَاحِثِينَ المُحْدَثِينَ، إِلاَّ أَنَّهُ عَمَّمَهَا، لِتَشْمَلَ، مَعَ أَسْمَاءِ الأَفْعَالِ، التَّعَجُّبَ، وَالمَدْحَ، وَالذَّمَّ، وَجَعَلَهَا كُلَّهَا أَحَدَ أَقْسَامِ الكَلِمِ[6].

وَقَدْ تَعَرَّضَ بَعْضُ الأُصُولِيِّينَ المُتَأَخِّرِينَ لِمَا يُسَمُّونَهُ أَسْمَاءُ أَفْعَالٍ، فَنَفَى أَنْ تَكُونَ أَسْمَاءَ أَفْعَالٍ، وَأَرْجَعَ بَعْضَهَا إِلَى الأَفْعَالِ، كَنَزَالِ، وَدَرَاكِ، مُعْتَبِراً مَا جَاءَ عَلَى صِيغَةِ فَعَالِ فِعْلَ أَمْرٍ حَقِيقِيًّا، وَأَرْجَعَ بَعْضَهَا إِلَى مَا نُقِلَتْ عَنْهُ مِنَ المَصَادِرِ، وَالظُّرُوفِ، وَالجَارِّ وَالمَجْرُورِ، نَحْوُ: رُوَيْدَكَ، ودُونَكَ، وعَلَيْكَ"[7].

---

[1] المؤمنون الآية 36.

[2] معاني القرآن 235/2.

[3] سيبويه 241/1، 302/3.

[4] شرح اللمحة البدرية 80/2، وهمع الهوامع 4/1، 105/2، وبغية الوعاة 311/1.

[5] معاني القرآن 260/1.

[6] اللغة العربية معناها ومبناها ص89، 113.

[7] البحث النحوي عن الأصول في النحويين ص76-77.

وَأَنْكَرَ بَعْضُ البَاحِثِينَ المُحْدَثِينَ عَلَى الكُوفِيِّينَ تَسْمِيَتَهَا أَفْعَالًا حَقِيقِيَّةً، مُصَوِّبًا رَأْيَ البَصْرِيِّينَ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الأَلْفَاظَ، وَإِنْ دَلَّتْ عَلَى مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الفِعْلُ، إِلاَّ أَنَّهَا يَنْقُصُهَا بَعْضُ خَصَائِصِ الفِعْلِ. فَهِيَ لاَ تَتَّصِلُ بِهَا الضَّمَائِرُ، كَمَا تَتَّصِلُ بِالفِعْلِ، وَلاَ تَقْبَلُ مِنَ العَلاَمَاتِ، كَمَا يَقْبَلُ الفِعْلُ[1]. وَمِنَ المُحْدَثِينَ، أَيْضًا، مَنِ اعْتَبَرَهَا موادَّ فِعْلِيَّةً، بَيْدَ أَنَّهَا جَمَدَتْ عَلَى هَيْئَةٍ مَخْصُوصَةٍ، فَلَمْ يُتَصَرَّفْ فِيهَا تَصَرُّفَ الأَفْعَالِ[2].

وَمِنْهُمْ مَنْ أَنْكَرَ فِعْلِيَّتَهَا، أَوِ اسْمِيَّتَهَا، فَجَعَلَهَا قِسْمًا خَاصًّا بِرَأْسِهِ، أَطْلَقَ عَلَيْهِ، كَالفَرَّاءِ وَابْنِ صَابِرٍ، خَالِفَةً[3].

وَيَبْدُو لِي أَنَّ هَذِهِ الكَلِمَاتِ لَيْسَتْ بِأَسْمَاءٍ، كَمَا أَنَّهَا لَيْسَتْ بِأَفْعَالٍ؛ لِأَنَّهَا إِنْ تَمَيَّزَتْ بِبَعْضِ مِنْ خَصَائِصِ الاسْمِيَّةِ، أَوِ الفِعْلِيَّةِ، فَإِنَّهَا لاَ تَسْمَحُ بِقَبُولِ بَاقِي ضَوَابِطِ الاسْمِيَّةِ، أَوِ الفِعْلِيَّةِ، وَهِيَ مِنْ أَهَمِّ الضَّوَابِطِ الشَّكْلِيَّةِ، الَّتِي تُتَّخَذُ مِقْيَاسًا لِتَصْنِيفِ أَقْسَامِ الكَلاَمِ. وَمَا دَامَتْ تَخْلُفُ الاسْمَ، وَتَنُوبُ عَنْهُ، وَتَقْبَلُ بَعْضًا مِنْ خَوَاصِّهِ؛ فَإِنِّي أَضُمُّهَا إِلَى أَسْمَاءِ الفَاعِلِينَ، وَأُطْلِقُ عَلَيْهَا اسْمَ الخَوَالِفِ.

الفِعْلُ الوَاقِعُ وَغَيْرُ الوَاقِعِ:

وَمِنْ أَصْنَافِ الفِعْلِ مَا يُسَمِّيهِ البَصْرِيُّونَ بِالفِعْلِ المُتَعَدِّي، وَغَيْرِ المُتَعَدِّي[4]، وَيُسَمِّيهِ الكُوفِيُّونَ بِاسْمِ الوَاقِعِ، وَغَيْرِ الوَاقِعِ. يَقُولُ ابْنُ مَنْظُورٌ: "وَأَهْلُ الكُوفَةِ يُسَمُّونَ الفِعْلَ المُتَعَدِّيَ وَاقِعًا"[5].

وَيُقَالُ فِي اللُّغَةِ: وَقَعَ يَقَعُ وُقُوعًا، سَقَطَ. وَمِنْ هُنَا سَمَّى الكُوفِيُّونَ الفِعْلَ المُتَعَدِّيَ، وَغَيْرَ المُتَعَدِّي إِلَى مَفْعُولٍ، وَاقِعًا، وَغَيْرَ وَاقِعٍ؛ لِأَنَّهُ يَقَعُ، وَلاَ يَقَعُ عَلَى المَفْعُولِ. فَأَنْتَ إِذَا قُلْتَ: ضَرَبَ خَالِدٌ بَكْرًا، كَانَ الضَّرْبُ سَاقِطًا، وَوَاقِعًا مِنْ خَالِدٍ عَلَى بَكْرٍ.

وَالفِعْلُ الوَاقِعُ، وَغَيْرُ الوَاقِعِ، عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ الكُوفِيِّينَ، هُوَ كُلُّ فِعْلٍ كَانَ فَهْمُهُ مَوْقُوفًا عَلَى فَهْمِ غَيْرِ الفَاعِلِ، كَضَرَبَ، وَقَتَلَ، وَأَكَلَ ... إِلَخ، وَكُلُّ فِعْلٍ لاَ يَتَوَقَّفُ فَهْمُهُ عَلَى فَهْمِ أَمْرٍ غَيْرِ الفَاعِلِ، سُمِّيَ غَيْرَ وَاقِعٍ، كَخَرَجَ، وَجَلَسَ، وَقَعَدَ، وَمَرَّ ... إِلَخ.

وَهَذِهِ التَّسْمِيَةُ تَتَرَدَّدُ مِرَارًا، عِنْدَ الفَرَّاءِ، وَثَعْلَبٍ، إِلَى جَانِبِ عِبَارَاتٍ أُخْرَى، مِثْلُ: يَقَعُ، وَلاَ يَقَعُ، وَتُوقِعُ، وَوُقُوعٌ، وَأَوْقَعْتُ عَلَيْهِ الفِعْلِ، بِمَعْنَى عَدَّيْتُ إِلَيْهِ الفِعْلَ، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

---

[1] مدرسة البصرة ص345.

[2] الفعل زمانه وأبنيته ص121.

[3] اللغة العربية معناها ومبناها ص89، 113.

[4] الكتاب 33/1، والمقتضب 104/2، و187/3، 189.

[5] لسان العرب 408/8. وينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم119.

وَتَبْدُو التَّسْمِيَاتُ الكُوفِيَّةُ هَذِه فِي قَوْلِ الفَرَّاءِ: "...لأَنَّ الفِعْلَ فيه، إِذَا فُتِحَ يَكُونُ عَلَى وَجْهَيْنِ. فَأَمَّا الَّذِي يَقَعُ، فَالوَاوُ مِنْهُ سَاقِطَةٌ، مِثْلُ: وَزَنَ يَزِنُ، وَالَّذِي لاَ يَقَعُ تَثْبُتُ وَاوُهُ فِي الفِعْلِ. وَالمَصَادِرُ تَسْتَوِي فِي الوَاقِعِ، وَغَيْرِ الوَاقِعِ"[1].

وَالنَّحْوِيُّونَ الكُوفِيُّونَ قَدْ يَسْتَعْمِلُونَ المُصْطَلَحَ البَصْرِيَّ، فَيُسَمُّونَ الفِعْلَ الوَاقِعَ مُتَعَدِّيًا، كَأَبِي العَبَّاسِ ثَعْلَب، فِي (المَجَالِسِ)[2]. وَقَدْ يَسْتَعْمِلُ النَّحْوِيُّونَ البَصْرِيُّونَ العِبَارَاتِ الكُوفِيَّةَ، فِي كُتُبِهِمْ، كَسِيبَوَيْهِ[3]، وَالمُبَرِّدِ[4]، وَالزَّجَّاجِيِّ[5].

وَقَدْ يُسَمِّي النَّحْوِيُّونَ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الأَفْعَالِ، أَيْضًا: مُجَاوِزًا؛ لِمُجَاوَزَتِهِ الفَاعِلَ إِلَى المَفْعُولِ، وَقَاصِرًا؛ لِقُصُورِهِ عَلَى الفَاعِلِ، وَغَيْرَ مُجَاوِزٍ، وَلاَزِمًا، وَغَيْرَ لاَزِمٍ[6].

الفِعْلُ التَّامُّ وَالنَّاقِصُ:

وَيَفْرُقُ الفَرَّاءَ بَيْنَ نَوْعَيْنِ مِنَ الأَفْعَالِ الوَاقِعَةِ. فَإِذَا كَانَ الفِعْلُ يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ، فَقَطْ، فَقَدْ سَمَّاهُ فِعْلاً تَامًّا، كَقَتَلَ، وَأَحْسَنَ؛ لِأَنَّ مَعْنَاهُ يَتِمُّ بِذِكْرِ مَفْعُولِهِ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ الفِعْلُ يَتَعَدَّى إِلَى أَكْثَرَ مِنْ مَفْعُولٍ، مِثْلَ: ظَنَّ، وَحَسِبَ، وَزَعَمَ، وَأَخَوَاتِهَا، فَإِنَّهُ يُسَمِّيهِ فِعْلاً نَاقِصًا؛ لِأَنَّ مَعْنَاهُ لاَ يَتِمُّ، وَيَبْقَى نَاقِصًا، حَتَّى يَسْتَوْفِيَ مَفْعُولَيْهِ. يَقُولُ: "وَالعَرَبُ إِذَا أَوْقَعَتْ فِعْلَ شَيْءٍ عَلَى نَفْسِهِ، فَقَدْ كُنِيَ فِيهِ عَنِ الاسْمِ. قَالُوا فِي الأَفْعَالِ التَّامَّةِ غَيْرَ مَا يَقُولُونَ فِي الأَفْعَالِ النَّاقِصَةِ، فَيُقَالُ: قَتَلْتَ نَفْسَكَ، وَأَحْسَنْتَ إِلَى نَفْسِكَ ... فَإِذَا كَانَ الفِعْلُ نَاقِصًا، مِثْلُ: حَسِبْتُ، وَظَنَنْتُ، قَالُوا: أَظُنُّنِي خَارِجًا".[7]

وَمَا سَمَّاهُ فِعْلاً تَامًّا، هُنَا، سَمَّاهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، مِنْ كِتَابِهِ (مَعَانِي القُرْآنِ)، فِعْلاً مُكْتَفِيًا بِاسْمٍ وَاحِدٍ، أَيْ لا يتعدَّى إلاَّ إِلَى مفعولٍ واحدٍ، نحو قولِكَ: قَتَلْتَ نَفْسَكَ، وَأَحْسَنْتَ إِلَى نَفْسِكَ"[8].

وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الأَفْعَالِ يُسَمِّيهِ البَصْرِيُّونَ مَا يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولٍ، وَمَا يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ[9].

---

[1] معاني القرآن 150/2. وينظر: 16/1، 17، 21، 40، 46، 59، 97، 101، إلخ. ومجالس ثعلب ص272، 588.

[2] مجالس ثعلب ص124، 400.

[3] الكتاب 102/1، 103، 106.

[4] المقتضب 105/2، و189/3.

[5] الجمل (مخطوط) ص8، 21، 78، 97، 106، 226.

[6] شرح الأشموني 195/1.

[7] معاني القرآن 333/1 . 334. وينظر: 83/2 . 106.

[8] معاني القرآن 278/3.

[9] الكِتَاب 34/1، 37، والمقتضب 95/3، 97.

3 . الأَدَاةُ:

وَالقِسْمُ الثَّالِثُ، مِنْ أَقْسَامِ الكَلاَمِ، هُوَ الأَدَاةُ. وَالأَدَاةُ مُصْطَلَحٌ كُوفِيٌّ، يُقَابِلُهُ فِي تَعْبِيرِ البَصْرِيِّينَ حَرْفٌ جَاءَ لِمَعْنًى[1].

وَالأَدَاةُ فِي اللُّغَةِ الآلَةُ، جَمْعُ أَدَوَاتٍ، وَعِنْدَ النُّحَاةِ، وَالمَنْطِقِيِّينَ الحَرْفُ المُقَابِلُ للاسْمِ، وَالفِعْلِ.

وَهَذَا القِسْمُ مِنَ الكَلِمَاتِ كَانَ يُسَمِّيهِ البَصْرِيُّونَ حُرُوفًا؛ إِمَّا، كَمَا يَقُولُ ابْنُ جِنِّي؛ لأَنَّهَا تَأْتِي فِي أَوَائِلِ الكَلاَمِ، وَأَوَاخِرِهِ، فِي غَالِبِ الأَمْرِ، فَصَارَتْ كَالحُرُوفِ، وَالحُدُودِ لَهُ[2]، وَإِمَّا لأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، يُفِيدُ مَعْنًى مِنَ المَعَانِي، كَالأَلِفِ وَهَلْ لِلاسْتِفْهَامِ، وَاللاَّمِ لِلابْتِدَاءِ، وَعَلَى لِلاسْتِعْلاَءِ، وَعَنْ لِلْمُجَاوَزَةِ، وَقَدْ لِلتَّحْقِيقِ، وَفِي لِلظَّرْفِيَّةِ، إِلَخ.

وَسَمَّاهَا الكُوفِيُّونَ أَدَوَاتٍ؛ لأَنَّهَا، فِي حَقِيقَةِ الأَمْرِ، عَنَاصِرُ مُجَرَّدَةٌ، أَوْ وَسَائِلُ نَحْوِيَّةٌ، لَيْسَ لَهَا مَعْنًى مُسْتَقِلٌّ خَاصٌّ بِهَا، وَظِيفَتُهَا التَّعْبِيرُ عَنِ العَلاَقَاتِ الدَّاخِلِيَّةِ بَيْنَ أَجْزَاءِ الجُمْلَةِ، فَتُخَصِّصُ دِلاَلَةَ الأَسْمَاءِ، وَالأَفْعَالِ المَذْكُورَةِ.

وَيَبْدُو أَنَّ هَذِهِ الأَدَوَاتِ، كَانَتْ فِي الأَصْلِ كَلِمَاتٍ مُسْتَقِلَّةً، أُفْرِغَتْ مِنْ مَعْنَاهَا الحَقِيقِيِّ؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، وَاسْتُعْمِلَتْ عَنَاصِرَ مُجَرَّدَةً، أَوْ وَسَائِلَ نَحْوِيَّةً مُوَضِّحَةً أَجْزَاءَ الجُمْلَةِ[3].

وَيَتَرَدَّدُ مُصْطَلَحُ الأَدَاةِ كَثِيرًا، عِنْدَ الفَرَّاءِ، وَثَعْلَبٍ، وَابْنِ الأَنْبَارِيِّ، كَقَوْلِ ثَعْلَبٍ، وَقَدْ أَنْشَدَ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

امْتَلأَ الحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي سَلاَّ رُوَيْدًا قَدْ مَلأْتُ بَطْنِي

"قَالَ أَبُو العَبَّاسِ: إِذَا ضَمُّوا هَذِهِ الحُرُوفَ، جَعَلُوهَا مِثْلَ: قَبْلُ، وَبَعْدُ، وَإِذَا فَتَحُوا، فَمِثْلُ: لَيْتَ، وَلَعَلَّ، وَإِذَا خَفَضُوا، فَمِثْلُ الأَدَوَاتِ"[4].

وَقَدْ وَجَدْتُ الكُوفِيِّينَ يَسْتَعْمِلُونَ المُصْطَلَحَ البَصْرِيَّ، فَيُسَمُّونَ الأَدَوَاتِ حُرُوفًا، كَقَوْلِ الفَرَّاءِ: "... مِثْلُهُ مِنَ الكَلاَمِ أَنْ تَقُولَ: وَاللهِ لأَضْرِبَنَّكَ، أَوْ تُقِرَّ لِي، فَيَكُونَ مَعْنَاهُ مَعْنَى حَتَّى، أَوْ إِلَّا، إِلاَّ أَنَّهَا جَاءَتْ بِحَرْفِ نَسَقٍ"[5]. وَقَوْلِهِ: "وَجَازَ الرَّفْعُ؛ لأَنَّ الوَاوَ حَرْفُ نَسَقٍ"[6].

---

[1] الإيضاح في علل النحو ص82، ومفاتيح العلوم ص29.

[2] سر صناعة الإعراب 17/1.

[3] اللغة (فندريس) ص216، ودور الكلمة في اللغة ص53، 56.

[4] مجالس ثعلب ص158. وينظر: 590، ومعاني القرآن 52/1، 58، 467، و207/2، 213، 236، 84/3، والمذكر والمؤنث ص166، 167، 172، 449، وإيضاح الوقف والابتداء 300/1، 412، 413.

[5] معاني القرآن 70/2.

[6] معاني القرآن 2/ 71. وينظر: إيضاح الوقف والابتداء 117/1، 119، 135، والأضداد ص12، 311.

وَوَجَدْتُ البَصْرِيِّينَ يَسْتَعْمِلُونَ المُصْطَلَحَ الكُوفِيَّ؛ الأَدَاةِ، وَيُعَبِّرُونَ بِهِ، كَابْنِ السَّرَّاجِ[1]، وَابْنِ جِنِّي[2]، وَالحَرِيرِيِّ[3]، وَغَيْرِهِمْ.

وَقَدْ شَاعَ المُصْطَلَحَانِ بَيْنَ النَّحْوِيِّينَ، وَالدَّارِسِينَ، فَتَجِدُهُمْ يُعَبِّرُونَ بِالأَدَاةِ، كَمَا يُعَبِّرُون بِالحَرْفِ.

وَتَخْصِيصُ البَصْرِيِّينَ الحَرْفَ بِقَوْلِهِمْ: حَرْفٌ جَاءَ لِمَعْنًى؛ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَلْتَبِسَ بِقَوْلِهِمْ: حَرْفٌ، وَهُمْ يَعْنُونَ أَحَدَ حُرُوفِ الهِجَاءِ، أَوْ يَعْنُونَ كَلِمَةً مِنَ الكَلِمَاتِ، فَكَمْ مَرَّةً يَسْتَعْمِلُ النَّحْوِيُّونَ كَلِمَةَ حَرْفٍ، أَوْ حُرُوفٍ، وَيُرِيدُونَ بِهَا كَلِمَةً، أَوْ كَلِمَاتٍ؛ لِذَلِكَ، فَإِنَّ قَوْلَنَا: أَدَاةٌ، أَدَقُّ، وَأَوْلَى مِنْ قَوْلِنَا: حَرْفٌ جَاءَ لِمَعْنًى؛ لِقِصَرِهِ، وَلِأَمْنِ اللَّبْسِ، مَعَ المَعَانِي المُتَعَدِّدَةِ لِكَلِمَةِ حَرْفٍ[4].

المَرْفُوعَاتُ

وَمِنْ بَابِ المَرْفُوعَاتِ بَعْضٌ مِنَ المُصْطَلَحَاتِ النَّحْوِيَّةِ، الَّتِي اخْتَلَفَ فِيهَا البَصْرِيُّونَ، والكُوفِيُّونَ. مِنْهَا:

مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ:

فَمُصْطَلَحُ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، مِنْ مُصْطَلَحَاتِ النَّحْوِ الكُوفِيِّ[5]، يُقَابِلُهُ عِنْدَ البَصْرِيِّينَ، التَّعْبِيرُ؛ إِمَّا بِالمَفْعُولِ الَّذِي لَمْ يَتَعَدَّهُ فِعْلُهُ، وَلَمْ يَتَعَدَّ إِلَيْهِ فِعْلُ فَاعِلٍ[6]، وَإِمَّا بِالمَفْعُولِ الَّذِي لاَ يُذْكَرُ فَاعِلُهُ[7]، وَإِمَّا بِالفِعْلِ الَّذِي بُنِيَ لِلْمَفْعُولِ، وَلَمْ يُذْكَرْ مَنْ فَعَلَ بِهِ[8].

وَتَعْنِي هَذِهِ التَّسْمِيَاتُ، فِي اصْطِلاَحِ النَّحْوِيِّينَ، مَا أُسْنِدَ إِلَيْهِ فِعْلٌ مَبْنِيٌّ لِلْمَفْعُولِ، أَيْ: المَجْهُولِ، أَوْ شِبْهُهُ مُتَقَدِّمٌ عَلَيْهِ، نَحْوُ قَوْلِكَ: ضُرِبَ الوَلَدُ، وَقُتِلَ الفَارِسُ. وَشِبْهُ الفِعْلِ المَبْنِيِّ لِلْمَجْهُولِ يَكُونُ؛ إِمَّا

---

[1] الأصول في النحو 1 / 178، و 2/ 215، 235.

[2] سر صناعة الإعراب 1/ 17.

[3] درة الغواصفي أوهام الخواص ص25.

[4] مدرسة الكوفة ص242

[5] ينظر: الجمل (مخطوط) ص61؛ وحواشي كتاب حجة القراءات ص273، والمدارس النحوية ص200.

[6] الكتاب 1/ 24، 41، 43.

[7] المقتضب 51/4.

[8] الأصول في النحو 2/ 287، 299.

اسْمَ مَفْعُول، مِثْلُ قَوْلِه تَعَالَى: {ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ}[1]، وَإِمَّا اسْمًا مَنْسُوبًا، كَقَوْلِكَ: هَذَا غَلَامٌ كُوفِيٌّ أَبُوهُ. وَمُصْطَلَحُ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ يُطْلِقُهُ الكُوفِيُّونَ؛ إِمَّا عَلَى مَا يُسَمَّى بِالفِعْلِ المَبْنِيِّ لِلْمَفْعُولِ، وَإِمَّا عَلَى مَا يُسَمَّى نَائِبَ فَاعِلٍ.

فَمِنَ التَّسْمِيَةِ الأُولَى قَوْلُ الفَرَّاءِ، مُفَسِّرًا قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: {وَكَذَلِكَ نُنْجِي المُؤْمِنِينَ}[2]: "... وَقَدْ قَرَأَ عَاصِمٌ، فِيمَا أَعْلَمُ، {نُجِّيَ}، بِنُونٍ وَاحِدَةٍ، وَنَصْبِ {المُؤْمِنِينَ}، كَأَنَّهُ احْتَمَلَ اللَّحْنَ، وَلاَ نَعْلَمُ لَهَا جِهَةً إِلاَّ تِلْكَ؛ لِأَنَّ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، إِذَا خَلاَ بِاسْمٍ رَفَعَهُ، إِلاَّ أَنْ يُكُونَ أَضْمَرَ المَصْدَرَ فِي نُجِّيَ، فَنَوَى بِهِ الرَّفْعَ، وَنَصَبَ {المُؤْمِنِينَ}، فَيَكُونُ كَقَوْلِكَ: ضُرِبَ الضَّرْبُ زَيْدًا، ثُمَّ تُكَنِّي عَنِ الضَّرْبِ، فَتَقُولُ: ضُرِبَ زَيْدًا، وَكَذَلِكَ: نُجِّيَ النَّجَاءُ المُؤْمِنِينَ[3].

وَمِنَ التَّسْمِيَةِ الثَّانِيَةِ قَوْلُهُ، أَيْضًا، مُعَقِّبًا عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ: {وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادِهِمْ}[4]: "فَيُرْفَعُ القَتْلُ، إِذَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ[5].

وَقَدْ أَخَذَ بِمُصْطَلَحِ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّحْوِيِّينَ البَصْرِيِّينَ، وَاسْتَعْمَلُوهُ فِي كِتَابَاتِهِمْ، مِثْلُ: المُبَرِّدِ[6]، وَابْنِ السَّرَّاجِ[7]، وَالزَجَّاجِيِّ[8]، وَابْنِ جِنِّي[9]، وَأَبِي بَكْرٍ الزُّبَيدِيِّ[10]، وابْنِ مُعْطٍ[11]، وغَيْرِهِم.

المَجْهُولُ:

وَمِنَ المُصْطَلَحَاتِ النَّحْوِيَّةِ الكُوفِيَّةِ مُصْطَلَحُ المَجْهُولِ، الَّذِي أَطْلَقَهُ الفَرَّاءُ، فِي بَعْضِ المَوَاضِعِ مِنْ كِتَابِهِ (مَعَانِي القُرْآنِ)، عَلَى مَا سَمَّاهُ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، أَيْ: عَلَى الفِعْلِ المَبْنِيِّ لِلْمَفْعُولِ. وَتَلْتَقِي تَسْمِيَةُ المَجْهُولِ مَعَ تَسْمِيَةِ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، فَكِلاَهُمَا يَكُونُ الفَاعِلُ فِيهِ مَجْهُولاً، غَيْرَ مَعْرُوفٍ. قَالَ الفَرَّاءُ عِنْدَ

---

[1] هود الآية 103.

[2] الأنبياء الآية 88.

[3] معاني القرآن 210/2. وينظر: 332/2.

[4] الأنعام الآية 137.

[5] معاني القرآن 357/1. وينظر في هاتين التسميتين: معاني القرآن 102/1، 112، 114، 146، 301، و99/2، و21/3، 30، 53، 63، ومجالس ثعلب ص207-208، والمذكر والمؤنث ص482، وإيضاح الوقف والابتداء 109/1، 151، 152، 188، 196، 197، 199، 200.

[6] المقتضب 2/2، و332/4.

[7] الأصول في النحو 86/1، 8، 92، و237/2، والموجز في النحو ص30.

[8] الجمل (مخطوط) 59، 61، 62، 63، 64.

[9] سر صناعة الإعراب 148/1.

[10] الواضح ص46، 47.

[11] الفصول ص194.

تَفْسِيرِ قَوْلِه تَعَالَى: {وَلاَ يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا}[1]: "لاَ يَسْأَلُ ذُو قَرَابَةٍ عَنْ قَرَابَتِه، وَلَكِنَّهُمْ يُعَرِّفُونَهُمْ، بِالبِنَاءِ بِالبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ، أَي: الفِعْلُ يُعَرِّفُونَهُمْ، سَاعَةً، ثُمَّ لاَ تَعَارُفَ بَعْدَ تِلْكَ السَّاعَةِ"[2].

وَمِنَ المُنَاسِبِ أَنْ نُشِيرَ، هُنَا، إِلَى أَنَّ ابْنَ مَالِكٍ سَمَّى مَا سَمَّاهُ النَّحْوِيُّونَ المَفْعُولَ، الَّذِي لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، سَمَّاهُ نَائِبَ الفَاعِلِ[3]. وَقَدْ شَاعَتْ تَسْمِيَتُهُ هَذِهِ بَيْنَ النُّحَاةِ، ثُمَّ طَغَتْ عَلَى تَسْمِيَاتِ الكُوفِيِّينَ، والبَصْرِيِّينَ. وَرُبَّمَا يَكُونَ ذَلِكَ رَاجِعًا إِلَى قِصَرِ عِبَارَةِ ابْنِ مَالِكٍ، وَإِيجَازِهَا، وَإِلَى شُمُولِ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ؛ لِتَدُلَّ عَلَى مَا كَانَ نَائِبًا لِلْفَاعِلِ، سَوَاءٌ أَكَانَ مَفْعُولاً بِهِ فِي أَصْلِه، أَمْ غَيْرَ مَفْعُولٍ بِه، كَالمَصْدَرِ، وَشِبْهِ الجُمْلَةِ، بِنَوْعَيْهِ مِنْ ظَرْفٍ، وَجَارٍّ وَمَجْرُورٍ، عَلَى حِينِ يَبْقَى قَوْلُ القُدَمَاءِ: مَفْعُولُ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، قَاصِرًا عَلَى مَا كَانَ مَفْعُولاً فِي الأَصْلِ فَقَطْ، مِنْ دُونِ أَنْ يَشْمَلَ مَا كَانَ غَيْرَ مَفْعُولٍ، كَالمَصْدَرِ، وَشِبْهِ الجُمْلَةِ، كَمَا مَرَّ.

وَنُشِيرُ، أَيْضًا، إِلَى أَنَّ البَصْرِيِّينَ، وَالفَرَّاءَ مِنَ الكُوفِيِّينَ، اخْتَلَفُوا فِي إِعْرَابِ الاسْمِ المَجْرُورِ، الوَاقِعِ بَعْدَ فِعْلٍ مَبْنِيٍّ لِلْمَجْهُولِ، فِي نَحْوِ قَوْلِكَ: سِيرَ بِزَيْدٍ، وَجِيءَ بِعَمْرٍو. فَالفَرَّاءُ، وَحْدَهُ مِنَ الكُوفِيِّينَ، يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ أَدَاةَ الخَفْضِ البَاءَ وَحْدَهَا هِيَ نَائِبُ الفَاعِلِ، وَأَنَّهَا فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ. وَالجُمْهُورُ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ المَخْفُوضَ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ، وَهُوَ نَائِبُ الفَاعِلِ.

وَهَذَا الخِلاَفُ بَيْنَ الفَرَّاءِ وَالجُمْهُورِ مَبْنِيٌّ عَلَى خِلاَفٍ آخَرَ فِي إِعْرَابِ نَحْوِ قَوْلِكَ: مَرَّ زَيْدٌ بِعَمْرٍو. فَالفَرَّاءُ يَرَى أَنَّ أَدَاةَ الخَفْضِ هِيَ الَّتِي فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ؛ لِذَلِكَ فَإِنَّهُ يَرَى أَنَّ الفِعْلَ إِذَا بُنِيَ لِلْمَفْعُولِ، كَانَتْ أَدَاةُ الخَفْضِ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، نَائِبَ فَاعِلٍ. وَيَرَى الجُمْهُورُ أَنَّ المَجْرُورَ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ، وَأَنَّ الفِعْلَ إِذَا بُنِيَ لِلْمَفْعُولِ، كَانَ المَجْرُورُ هُوَ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، نَائِبَ فَاعِلٍ[4].

الفِعْلُ:

وَمِنْ مُفْرَدَاتِ المَرْفُوعَاتِ مُصْطَلَحُ الفِعْلِ. وَهُوَ مُصْطَلَحٌ، كَانَ الفَرَّاءُ يُطْلِقُهُ؛ إِمَّا عَلَى خَبَرِ المُبْتَدَأِ، وَإِمَّا عَلَى مَا كَانَ أَصْلُهُ خَبَرًا لِلْمُبْتَدَأِ، كَأَنْ يَكُونَ خَبَرًا لِكَانَ وَأَخَوَاتِهَا، أَوْ إِنَّ وَأَخَوَاتِهَا، وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: "وَتَقُولُ فِي مَسْأَلَتَيْنِ مِنْهُ، يُسْتَدَلُّ بِهِمَا عَلَى غَيْرِهِمَا: إِنَّهَا أَسَدٌ جَارِيَتَكَ، فَأَنَّثْتَ، أَيِ:

---

[1] المعارج الآية 10.

[2] معاني القرآن 184/3.

[3] شرح التصريح 286/1، وحاشية الخضري 165/1.

[4] ينظر: الأشباه والنظائر 152/2.

الضَّمير؛ لأَنَّ الأَسَدَ فِعْلٌ[1] لِلْجَارِيَة، وَلَوْ جَعَلْتَ الجَارِيَةَ فِعْلًا لِلأَسَدِ[2]، وَلِمِثْلِه مِنَ المُذَكَّرِ، لَمْ يَجُزْ إِلاَّ تَذْكِيرُ الهَاءِ"[3].

المَنْصُوبَاتُ

الاسْمُ المَنْصُوبُ: هُوَ مَا اشْتَمَلَ عَلَى عَلَمِ المَفْعُولِيَّة، وَهُوَ الفَتْحَةُ فِي نَحْوِ: رَأَيْتُ بَكْرًا، وَالكَسْرَةُ فِي نَحْوِ: رَأَيْتُ مُسْلِمَاتٍ، وَالأَلِفُ فِي نَحْوِ: رَأَيْتُ أَخَاكَ. وَقَدْ قَسَّمَ النُّحَاةُ المَنْصُوبَاتِ قِسْمَيْنِ:

الأَوَّلُ أَصْلٌ فِي النَّصْبِ، وَيَعْنُونَ بِهِ المَفْعُولَاتِ الخَمْسَةَ، وَهِيَ: المَفْعُولُ بِهِ، وَالمَفْعُولُ المُطْلَقُ، وَالمَفْعُولُ فِيهِ، وَالمَفْعُولُ لِأَجْلِه، وَالمَفْعُولُ مَعَهُ.

وَالثَّانِي فَرْعٌ عَلَى الأَوَّلِ، وَمَحْمُولٌ عَلَيْهِ، وَهُوَ غَيْرُ المَفْعُولَاتِ مِنَ: الحَالِ، وَالتَّمْيِيزِ، وَالاسْتِثْنَاءِ، وَالمُنَادَى، وَنَحْوِ ذَلِكَ، مِمَّا هُوَ مَعْرُوفٌ عَلَى مَذْهَبِ البَصْرِيِّينَ.

أَمَّا الكُوفِيُّونَ، فَيَبْدُو مِمَّا نُقِلَ عَنْهُمْ، أَوْ جَاءَ فِي مَصَادِرِهِمْ، أَنَّهُمْ خَالَفُوا البَصْرِيِّينَ فِي كَثِيرٍ مِنْ هَذِهِ المَنْصُوبَاتِ، سَوَاءٌ فِي تَسْمِيَاتِهَا، أَوْ فِي مَجَالِ تَطْبِيقِهَا. فَمَا مَذْهَبُ الكُوفِيِّينَ فِي هَذِهِ المَنْصُوبَاتِ، وَمَا التَّسْمِيَاتُ الَّتِي أَطْلَقُوهَا عَلَيْهَا؟ وَالجَوَابُ عَنْ هَذَا التَّسَاؤُلِ سَيَكُونُ فِيمَا يَأْتِي، إِنْ شَاءَ اللهُ.

أَشْبَاهُ المَفَاعِيلِ:

فَمَا يُسَمِّيهِ البَصْرِيُّونَ مِنَ المَفْعُولَاتِ: مَفْعُولًا بِهِ، وَمَفْعُولًا مُطْلَقًا، وَمَفْعُولًا فِيهِ، وَمَفْعُولًا لَهُ، أَوْ لِأَجْلِه، وَمَفْعُولًا مَعَهُ[4]؛ لَا يُسَمِّي الكُوفِيُّونَ مِنْهُ مَفْعُولًا، إِلاَّ المَفْعُولَ بِهِ[5]؛ لِأَنَّ الفِعْلَ، كَمَا يَرَوْنَ، إِنَّمَا لَهُ مَفْعُولٌ وَاحِدٌ، لَيْسَ غَيْرُ، هُوَ المَفْعُولُ بِهِ، أَمَّا غَيْرُهُ مِنَ المَفَاعِيلِ، كَالمَفْعُولِ المُطْلَقِ، وَالمَفْعُولِ فِيهِ، وَالمَفْعُولِ لَهُ، أَوْ لِأَجْلِه، وَالمَفْعُولِ مَعَهُ؛ فَهِيَ عِنْدَهُمْ شَبِيهَاتٌ بِالمَفْعُولِ، لَا مَفْعُولَاتٌ حَقِيقِيَّةٌ[6].

وَمِنَ الأَهَمِّيَّةِ أَنْ نَذْكُرَ أَنَّ اصْطِلَاحَ مُشَبَّهٍ بِالمَفْعُولِ، إِنَّمَا يُطْلِقُهُ البَصْرِيُّونَ عَلَى الحَالِ، وَالتَّمْيِيزِ، وَخَبَرِ كَانَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ[7]، كَمَا أَنَّهُ يَصِحُّ عِنْدَ البَصْرِيِّينَ أَنْ يُطْلَقَ عَلَى المَفْعُولِ المُطْلَقِ مَفْعُولًا، مُجَرَّدًا مِنَ

---

[1] أَيِ الأَسَدُ خَبَرٌ لِلْجَارِيَة. وَذَلِكَ بِجَعْلِ (جَارِيَتُكَ) مُبْتَدَأً مُؤَخَّرًا، وَ(أَسَدٌ) خَبَرًا مُقَدَّمًا.

[2] بِأَنْ تَكُونَ الجَارِيَةُ خَبَرًا عَنْ (أَسَدٌ).

[3] معاني القرآن 362/1. وينظر: 361/1، 409، 471، و28/3.

[4] ينظر: الأصول في النحو 189/1.

[5] ينظر: معاني القرآن 137/1، و89/2-90، 166، و43/3، وإيضاح الوقف والابتداء 199/1.

[6] شرح التصريح 323/1، وهمع الهوامع 165/1.

[7] الأصول في النحو 257/1.

القَيْد اللَّفْظِيِّ مُطْلَق؛ لأَنَّهُ المَفْعُولُ الحَقِيقِيُّ، الَّذي فَعَلَهُ فَاعِلُ الفعْلِ المَذْكُور، بخلاَف المَفْعُولاَت: به، وَلَهُ، وَفيه، وَمَعَهُ؛ لأَنَّهَا لَيْسَتْ ممَّا فَعَلَهَا فَاعِلُ الفعْلِ المَذْكُور، وَمِنْ هُنَا لاَ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ لَهَا: مَفْعُولٌ إِلاَّ بَعْدَ تَقْيِيدِهَا بالصِّلَة، بأَنْ يُقَالَ لَهَا: به، أَوْ لَهُ، أَوْ فيه، أَوْ مَعَهُ[1].

وَلَعَلَّ هَذَا التَّقْسِيمَ لِلْمَفْعُولاَت عِنْدَ البَصْرِيِّينَ: إِلَى مُطْلَق، أَوْ مُقَيَّد بأَحَد القُيُود اللَّفْظِيَّة ؛ به، فيه، لَهُ، مَعَهُ؛ لَعَلَّهُ نَاتِجٌ عَنْ صِلَة الدَّرْس النَّحْوِيِّ البَصْرِيِّ، وَتَأَثُّرِه المُبَاشِر بِعِلْم الكَلاَم، الَّذي كَانَ شَائِعًا آنَئِذ، في البَصْرَة، وَلاَ سِيَّمَا، إِذَا تَذَكَّرْنَا أَنَّ الإِطْلاَقَ، وَالتَّقْيِيدَ مُصْطَلَحَان مِنْ مُصْطَلَحَات المُتَكَلِّمِينَ، عَلَى حِين تَبْدُو مُجَافَاةُ الكُوفِيِّينَ لأَسَالِيبِ المُتَكَلِّمِينَ، وَاصْطِلاَحَاتِهِمْ، مِنْ تَقْسِيمِ المَفْعُولاَتِ إِلَى مَفْعُولٍ به، وَجَعْلِ مَا سِوَاهُ شَبِيهًا بالمَفْعُول؛ لأَنَّ ما يسمَّى مفعولًا له، أَو فيه، أَو معه، ليس بمفعول، يقابل الفَاعِلَ، بحَيْثُ يَكُونُ وُاقِعًا عَلَيْه فِعْلُ الفَاعِلِ المَذْكُور، كَالمَفْعُول به؛ لِذَلِكَ شَبَّهُوهَا بالمَفْعُول به؛ لأَنَّهَا تَشْرُكُهُ في النَّصْب، عَلَى نَحْوٍ يَكُونُ فِعْلُ الفَاعِلِ وَاقِعًا؛ إِمَّا لأَجْلِه، وَإِمَّا في زَمَانِه أَوْ مَكَانِه، وَإِمَّا يَكُونُ وَاقِعًا مَعَهُ[2].

الفِعْلُ:

وَمِنْ مُفْرَدَات بَاب المَفْعُول به أَنَّ الفَرَّاءَ عَبَّرَ عَمَّا يُعْرَفُ في اصْطِلاَح البَصْرِيِّينَ بالمَفْعُول به الثَّاني؛ باصْطِلاَح الفِعْل، وَذَلِكَ عِنْدَ تَفْسِيرِه قَوْلَهُ تَعَالَى: {وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي}[3]. قَالَ: "إِنْ شِئْتَ، أَوْقَعْتَ {اجْعَلْ} عَلَى {هَارُونَ أَخِي}، وَجَعَلْتَ الوَزِيرَ فِعْلًا لَهُ"[4]. أَيْ مَفْعُولاً بِهِ ثَانِيًا ثَانِيًا لِـ {اجْعَلْ}.

الاسْمُ في أَوَّله كَلاَمٌ، وَفي آخره فِعْلٌ وَقَعَ عَلَى رَاجِعِ ذِكْره:

وَمِنْ أَسَالِيبِ المَفْعُول به، مَا يُعْرَفُ عِنْدَ البَصْرِيِّينَ بالاشْتِغَال؛ لانْشِغَال العَامِلِ المُتَعَدِّي بالعَمَلِ في ضَمِيرِ المَفْعُول، أَوْ بِمَا يُلاَبِسُ ضَمِيرَهُ، كَقَوْلِكَ: زَيْدًا ضَرَبْتُهُ[5]. وَتَعْبِيرُ الكُوفِيِّينَ عَنْ هَذَا الأُسْلُوب يَتَمَثَّلُ في قَوْلِ الفَرَّاءِ[6]: "وَإِذَا رَأَيْتَ اسْمًا في أَوَّلِه كَلاَمٌ، وَفي آخِرِه فِعْلٌ، قَدْ وَقَعَ عَلَى رَاجِعِ ذِكْرِه، جَازَ

---

[1] ينظر: الكواكب الدرية 13/2.

[2] ينظر: مدرسة الكوفة ص309.

[3] طه الآيتام 29، 30.

[4] معاني القرآن 178/2.

[5] كتاب سيبويه 80/1 وما بعدها.

[6] معاني القرآن 240/1. وينظر: 336/1، 95/2.

الرَّفْعُ، وَالنَّصْبُ. فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ}[1]، وَقَوْلُهُ: {وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ المَاهِدُونَ}[2]، يَكُونُ نَصْبًا، وَرَفْعًا ...".

الاسْتِيتَاءُ:

وَمِنْ أَسَالِيبِ المَفْعُولِ بِهِ اصْطِلَاحُ الاسْتِيتَاءِ، الَّذِي يَعْنِي مَا يُعْرَفُ بِأُسْلُوبِ الإِغْرَاءِ. فَقَدْ زَعَمَ خَلَفٌ البَصْرِيُّ. ت 180هـ. أَنَّ الإِغْرَاءَ يُسَمِّيهِ الكُوفِيُّونَ الاسْتِيتَاءَ، وَيُسَمِّيهِ البَصْرِيُّونَ القَطْعَ، كَمَا زَعَمَ أَنَّ بَعْضَ أَصْحَابِ العَرَبِيَّةِ يُسَمِّيهِ التَّمَامَ، مِنْ دُونِ أَنْ يُشِيرَ إِلَى أَصْحَابِ التَّسْمِيَةِ[3].

وَالاسْتِيتَاءِ فِي اللُّغَةِ: مَصْدَرُ اسْتَأْتَاهُ: طَلَبَ أَنْ يَأْتِيَهُ. وَفِي (القَامُوسِ المُحِيطِ): اسْتَأْتَى زَيْدٌ فُلَانًا سَأَلَهُ الإِتْيَانَ[4]. وَمِنْ هُنَا سُمِّيَ الإِغْرَاءُ اسْتِيتَاءً؛ لِأَنَّ المُتَكَلِّمَ، فِي الإِغْرَاءِ، يَطْلُبُ مِنَ السَّامِعِ، أَوِ المُخَاطَبِ المُخَاطَبَ أَنْ يُطَاوِعَهُ، وَيَمْتَثِلَ لِمَا يُغْرِيهِ بِهِ. فَإِذَا قُلْتَ: الجِهَادَ الجِهَادَ، فَأَنْتَ تُرِيدُ مِنَ المُخَاطَبِ أَنْ يَأْتِيَ الجِهَادَ، وَيَلْزَمَهُ، وَيُعْنَى بِهِ، أَيْ: أَنَّكَ تُغْرِيهِ بِشَيْءٍ، وَتُزَيِّنُهُ فِي قَلْبِهِ، وَتُحَبِّبُهُ إِلَيْهِ.

وَفِي كُلِّ حَالٍ، هَذِهِ تَسْمِيَاتٌ غَرِيبَةٌ شَاذَّةٌ، لَمْ أَقَعْ عَلَيْهَا، فِي حُدُودِ مَا أَعْلَمُ، إِلاَّ عِنْدَ خَلَفٍ الأَحْمَرِ البَصْرِيِّ، وَهِيَ تُعَدُّ مِنَ المُصْطَلَحَاتِ المَوَاتِ، الَّتِي لَمْ يُكْتَبْ لَهَا الشُّيُوعُ، أَوِ الاسْتِعْمَالُ، بِاسْتِثْنَاءِ مُصْطَلَحِ الإِغْرَاءِ.

المَصْدَرُ:

وَيُسَمَّى المَفْعُولَ المُطْلَقَ. وَهُوَ مَصْدَرٌ مَنْصُوبٌ، يَعْمَلُ فِيهِ فِعْلٌ، أَوْ شِبْهُهُ، كَاسْمِ الفَاعِلِ، أَوِ اسْمِ المَفْعُولِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، عَلَى أَنْ يُذْكَرَ مَعَهُ، وَيَكُونَ مِنْ لَفْظِهِ، نَحْوُ: ضَرَبْتُهُ ضَرْبًا مُبَرِّحًا، وَجَاءَ زَيْدٌ رَاكِضًا رَكْضًا، وَعَلِيٌّ مَحْمُولٌ عَلَى الأَكْتَافِ حَمْلًا. وَيُسْتَعْمَلُ المَصْدَرُ؛ إِمَّا لِتَوْكِيدِ عَامِلِهِ، نَحْوُ: أَعْجَبَنِي ضَرْبُكَ عَمْرًا ضَرْبًا، وَإِمَّا يُبَيِّنُ نَوْعَهُ، نَحْوُ: عَمِلَ أَخُوكَ عَمَلاً حَسَنًا، وَإِمَّا يُبَيِّنُ عَدَدَهُ، نَحْوُ: ضَرَبْتُهُ ضَرْبَتَيْنِ.

غَيْرَ أَنَّ الكُوفِيِّينَ، وَالزَّجَّاجَ، أَضَافُوا إِلَى اسْتِعْمَالَاتِ المَصْدَرِ اسْتِعْمَالاً رَابِعًا هُوَ أَنَّهُ يُبَيِّنُ عِلَّةَ عَامِلِهِ، نَحْوُ: ضَرَبْتُهُ تَأْدِيبًا. وَبِذَلِكَ يُدْخِلُ مَا يُسَمِّيهِ البَصْرِيُّونَ مَفْعُولًا لَهُ، أَوْ لِأَجْلِهِ، فِي بَابِ المَصْدَرِ، أَوِ المَفْعُولِ المُطْلَقِ، عَلَى رَأْيِ الكُوفِيِّينَ، وَالزَّجَّاجِ؛ لِذَلِكَ، فَهُمْ لاَ يُتَرْجِمُونَ المَفْعُولَ لَهُ، اسْتِغْنَاءً بِبَابِ المَصْدَرِ

---

[1] الذاريات الآية 47.

[2] الذاريات الآية 48.

[3] مقدمة في النحو ص53.

[4] القاموس المحيط مادة "الأتو".

عَنْهُ. فَهُوَ عِنْدَهُمْ مِنْ قَبِيلِ المَصْدَرِ المَعْنَوِيِّ، المُبَيِّنِ لعلَّة عَامله. فَإِذَا قُلْتَ: ضَرَبْتُ عَمْرًا تَأْدِيبًا، كَانَ (تَأْدِيبًا) مَفْعُولًا مطلقًا، لاَ مَفْعُولًا لأَجْله، فَكَأَنَّكَ قُلْتَ: أَدَّبْتُهُ تَأْدِيبًا.

وَمَا يَخْتَلفُ فِيه الكُوفِيُّونَ، وَالزَّجَّاجُ، هُنَا، هُوَ عَاملُ النَّصْب فِي هَذَا المَصْدَر. فَمَذْهَبُ الكُوفِيِّينَ أَنَّهُ مَنْصُوبٌ بالفعْلِ المُتَقَدِّم؛ لأَنَّهُ مُلاَق لَهُ فِي المَعْنَى، وَإِنْ خَالَفَهُ فِي الاشْتِقَاق، نَحْوُ: قَعَدْتُ جُلُوسًا. وَمَذْهَبُ الزَّجَّاجِ أَنَّ نَاصبَهُ فِعْلٌ مُقَدَّرٌ منْ لَفْظه، فَالتَّقْديرُ فِي قَوْلِكَ: جِئْتُكَ إِكْرَامًا: جِئْتُكَ أُكْرِمُكَ إِكْرَامًا. وَعَلَى كلاَ المَذْهَبَيْنِ هُوَ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ[1].

وَعِنْدَ جُمْهُورِ البَصْرِيِّينَ هَذَا النَّوْعُ مِنَ المَصَادِرِ مَفْعُولٌ لَهُ، وَنَاصِبُهُ الفِعْلُ المُتَقَدِّمُ عَلَيْهِ، عَلَى تَقْدِيرِ حَرْفِ الجَرِّ؛ اللاَّم. قَالَ سِيبَوَيْهِ: "... فَهَذَا كُلُّهُ يَنْتَصِبُ؛ لأَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ، كَأَنَّهُ قِيلَ لَهُ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: لِكَذَا وَكَذَا، وَلَكِنَّهُ لَمَّا طَرَحَ اللاَّمَ عَمِلَ فِيهِ مَا قَبْلَهُ"[2].

التَّفْسِيرُ:

سَمَّى الفَرَّاءُ المَفْعُولَ لَهُ، فِي بَعْضِ المَوَاضِعِ مِنْ كِتَابِه؛ (مَعَانِي القُرْآن)، تَفْسِيرًا، وَمُفَسِّرًا. وَقَدْ تَابَعَهُ ابْنُ الأَنْبَارِيِّ فِي ذَلِكَ، فِي كِتَابِه؛ (إِيضَاحِ الوَقْفِ وَالابْتِدَاءِ)[3]. وَقَدْ تَكُونُ هَذِهِ التَّسْمِيَةُ مَقْبُولَةً؛ لأَنَّ التَّفْسِيرَ، فِي اللُّغَة، الإِبَانَةُ، وَكَشْفُ المَعْنَى المُرَاد، بشَرْحه، وَبَيَانه. فَإِذَا قُلْتَ: جِئْتُكَ طَمَعًا فِي إِحْسَانِكَ، كَانَ (طَمَعًا) تَفْسِيرًا لِسَبَبِ المَجِيءِ، لِمَ كَانَ؟ يَقُولُ الفَرَّاءُ مُفَسِّرًا قَوْلَهُ تَعَالَى: {يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ المَوْتِ}[4]: "... فَنَصَبَ {حَذَرَ} عَلَى غَيْرِ وُقُوعٍ مِنَ الفِعْلِ عَلَيْهِ، لَمْ تُرِدْ يَجْعَلُونها حذرا، إِنَّمَا هو كقولك: أَعْطَيْتُكَ خَوْفًا، وَفَرَقًا. فَأَنْتَ لاَ تُعْطِيهِ الخَوْفَ، وَإِنَّمَا تُعْطِيهِ مِنْ أَجْلِ الخَوْف، فَنَصْبُهُ عَلَى التَّفْسِير، لَيْسَ بالفعْلِ، كَقَوْلِه، عَزَّ وَجَلَّ: {يَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا)[5]، وَكَقَوْلِه: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً}[6]. وَالمَعْرِفَةُ، وَالنَّكِرَةُ تُفَسِّرَانِ فِي هَذَا المَوْضِعِ، وَلَيْسَ نَصْبُهُ عَلَى طَرْحِ مِنْ"[7].

وَمِنَ المُنَاسِبِ أَنْ نُشِيرَ إِلَى أَنَّ سِيبَوَيْهِ سَمَّى المَفْعُولَ لَهُ، فِي بَعْضِ المَوَاضِعِ مِنْ (كِتَابِه)، تَفْسِيرًا، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: "هَذَا بَابُ مَا يَنْتَصِبُ مِنَ المَصَادِرِ؛ لأَنَّهُ عُذْرٌ لِوُقُوعِ الأَمْرِ، فَانْتَصَبَ؛ لأَنَّهُ مَوْقُوعٌ لَهُ، وَلأَنَّهُ تَفْسِيرٌ

---

[1] ينظر: شرح الكافية 191/1-192، وشرح اللمحة البدرية 160/2، وشرح التصريح 337/1، وحاشية الخضري 194/1، والصبان مع الأشموني 122/2، وهمع الهوامع 194/1-195، والموفي في النحو الكوفي ص31.

[2] الكتاب 369/1، والأصول في النحو 249/1.

[3] إيضاح الوقف والابتداء 501/1.

[4] البقرة الآية 19.

[5] الأنبياء الآية 90.

[6] الأعراف الآية 55.

[7] معاني القرآن 17/1. وينظر: 73/1.

لِمَا قَبْلَهُ، وَلَيْسَ بِصِفَةٍ لِمَا قَبْلَهُ، وَلاَ مِنْهُ، فَانْتَصَبَ كَمَا انْتَصَبَ دِرْهَمٌ فِي قَوْلِكَ: عِشْرُونَ دِرْهَمًا، وَذَلِكَ: فَعَلْتُ ذَاكَ حِذَارَ الشَّرِّ"[1].

وَنَذْكُرُ، أَيْضًا، أَنَّ الفَرَّاءَ أَطْلَقَ مُصْطَلَحَ التَّفْسِيرِ عَلَى مَا يُعْرَفُ بِالمَفْعُولِ مَعَهُ. فَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ مَنْ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ}[2]، فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى التَّفْسِيرِ[3]، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

إِذَا كَانَتِ الهَيْجَاءُ وَانْشَقَّتِ العَصَا فَحَسْبُكَ وَالضَّحَّاكَ سَيْفٌ مُهَنَّدُ

فَالضَّحَّاكُ مَفْعُولٌ مَعَهُ، أَوْ تَفْسِيرٌ، عَلَى رَأْيِ الفَرَّاءِ. وَيُسْتَأْنَسُ لِهَذَا بِأَنَّ الأَخْفَشَ يَرْوِي الضَّحَّاكَ، فِي البَيْتِ االسَّابِقِ، بِالنَّصْبِ، وَبِالجَرِّ، وَبِالرَّفْعِ. فَالنَّصْبُ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ مَعَهُ، وَالجَرُّ عَلَى أَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى الضِّمِيرِ، مِنْ غَيْرِ إِعَادَةِ حَرْفِ الجَرِّ، وَالرَّفْعُ عَلَى أَنَّهُ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفُ الخَبَرِ، كَأَنَّهُ قَالَ: فَحَسْبُكَ سَيْفٌ مُهَنَّدٌ، وَالضَّحَّاكُ كَذَلِكَ[4]. وَمَذْهَبُ سِيبَوَيْهِ، وَجُمْهُورِ البَصْرِيِّينَ أَنَّ النَّصْبَ فِي هَذَا، وَنَحْوِهِ، عَلَى إِضْمَارِ فِعْلٍ بَعْدَ الوَاوِ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَيَحْسَبُ الضَّحَّاكَ[5].

المَفْعُولُ فِيهِ:

سَبَقَتِ الإِشَارَةُ، مُنْذُ قَلِيلٍ، إِلَى أَنَّ الكُوفِيِّينَ لاَ يُسَمُّونَ مَفْعُولًا، مِنَ المَفْعُولَاتِ الخَمْسَةِ: بِهِ، وَمُطْلَقٍ، وَفِيهِ، وَلَهُ، وَمَعَهُ؛ إِلاَّ المَفْعُولَ بِهِ، وَأَنَّ البَاقِيَ، عِنْدَهُمْ، شَبِيهَاتٌ بِالمَفْعُولِ. غَيْرَ أَنَّنِي وَجَدْتُ عَدَدًا مِنْ كُتُبِ التُّرَاثِ، تَذْكُرُ أَنَّ اصْطِلَاحَ المَفْعُولِ فِيهِ [illegible] يُسَمُّونَهُ ظَرْفَ الزَّمَانِ، وَظَرْفَ المَكَانِ[6]، عَلَى الزَّعْمِ مِنْ أَنَّ مُصْطَلَحَ المَفْعُولِ فِيهِ، وَرَدَ مُسْتَعْمَلًا لَدَى سِيبَوَيْهِ، فِي (الكِتَابِ)[7]، مَرَّةً وَاحِدَةً، فِيمَا أَعْلَمُ. وَعَلَيْهِ يَكُونُ أَصْلُ التَّسْمِيَةِ لِسِيبَوَيْهِ.

وَالمَفْعُولُ فِيهِ هُوَ الاسْمُ، الَّذِي يَدُلُّ عَلَى الزَّمَانِ، أَوِ المَكَانِ، الَّذِي يَقَعُ فِيهِ الفِعْلُ. فَإِذَا قُلْتَ: سِرْتُ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَجَلَسْتُ خَلْفَ زَيْدٍ، كَانَ (يَوْمَ الجُمُعَةِ) هُوَ الزَّمَانَ، الَّذِي سَرْتُ فِيهِ، وَ(خَلْفَ) هُوَ

---

[1] الكتاب 367/1.

[2] الأنفال الآية 64.

[3] معاني القرآن 417/1. وينظر: لسان العرب 312/1.

[4] شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ ص406 -408.

[5] ينظر: البحر المحيط 4-516.

[6] الكواكب الدرية 16/2، والصبان مع الأشموني 125/2، وشرح التصريح 337/1، وحاشية الخضري 196/1، والموفي في النحو الكوفي ص35، وضياء السالك 156/2.

[7] الكتاب (بولاق) 295/1,

المَكَانَ، الَّذي جَلَسْتُ فيه؛ لذَلكَ قيلَ لهَذَا الضَّرْبِ منَ المَفْعُولَاتِ: مَفْعُولٌ فيه؛ لأَنَّ الحَدَثَ وَاقِعٌ في هَذَا الزَّمَانِ، أَوْ هَذَا المَكَانِ، كَمَا أَنَّه لاَ بُدَّ منْ تَقْديرِ حرفِ الجَرِّ (في) تَقْديراً مُبَاشِرًا، أَوْ غَيْرَ مُبَاشِرٍ[1].

وَسَمَّى البَصْرِيُّونَ هَذَا الضَّرْبَ منَ الأَسْمَاءِ الدَّالَّة؛ إِمَّا عَلَى زَمَانٍ، وَإِمَّا عَلَى مَكَانٍ ظَرْفًا؛ لأَنَّهَا مُتَضَمِّنَةٌ للأَشْيَاءِ، فَكَذَلكَ هَهُنَا، (فَيَوْمَ)، في مِثَالنَا السَّابِقِ، مُتَضَمِّنٌ السَّيْرَ، وَمُحْتَوٍ عَلَيْه، وَ(خَلْفَ) مُتَضَمِّنٌ الجُلُوسَ، وَمُحْتَوٍ عَلَيْه، وَلأَنَّهَا إِنْ نُصِبَتْ، قَامَتْ، أَيِ: الظُّرُوفُ، مَقَامَ أَدَاةِ الظَّرْفِ؛ فِي[2].

وَرُبَّمَا تَكُونُ تَسْمِيَةُ البَصْرِيِّينَ أَسْمَاءَ الزَّمَانِ، وَأَسْمَاءَ المَكَانِ ظُرُوفًا، لَيْسَتْ بِدَقِيقَةٍ؛ لأَنَّ الظَّرْفَ في اللُّغَةِ الوِعَاءُ المُتَنَاهِي الأَطْرَافِ، كَالجِرَابِ، وَنَحْوِه، وَكَثِيرٌ منْ أَسْمَاءِ الزَّمَانِ، وَأَسْمَاءِ المَكَانِ، لَيْسَ كَذَلكَ[3]، فَلاَ حَدَّ لَهَا يَحُدُّهَا، وَتَنْتَهِي إِلَيْه، كَمَا يَكُونُ لِلْجِرَابِ، وَنَحْوِه حَدٌّ، وَطَرَفٌ يَنْتَهِي إِلَيْه.

وَلَا أَظُنُّ أَحَدًا منَ الكُوفِيِّينَ، فِيمَا أَعْلَمُ، اسْتَعْمَلَ التَّعْبِيرَ البَصْرِيَّ، عَلَى حِينِ نَجِدُ نَحْوِيِّينَ، غَيْرَ كُوفِيِّينَ يَسْتَعْمِلُونَ مُصْطَلَحَ المَفْعُولِ فيه، كَالمُبَرِّد[4]، وَابْنِ السَّرَّاجِ[5].

وَقَدِ اكْتَسَبَ المُصْطَلَحَانِ؛ المَفْعُولُ فيه، وَالظَّرْفُ شُيُوعًا. فَتَجِدُ المُتَأَخِّرِينَ يُعَبِّرُونَ بِهَذَا، كَمَا يُعَبِّرُونَ بِهَذَا، وَقَدْ يَقْرِنُونَ بَيْنَهُمَا فِي عِبَارَةٍ وَاحِدَةٍ، فَيَقُولُونَ: مَفْعُولٌ فيه، ظَرْفُ زمانٍ، أَوْ مكانٍ.

وَلِأَسْمَاءِ الزَّمَانِ، وَأَسْمَاءِ المَكَانِ، تَسْمِيَاتٌ أُخْرَى عِنْدَ الكُوفِيِّينَ، هِيَ: الصِّفَاتُ، وَالمَحَالُّ، وَالأَوْقَاتُ.

أَوَّلُ مَنِ اسْتَعْمَلَ مُصْطَلَحَ الصِّفَاتِ، منَ الكُوفِيِّينَ، الكِسَائِيُّ. فَقَدْ أَطْلَقَهُ عَلَى أَسْمَاءِ الزَّمَانِ، وَأَسْمَاءِ المَكَانِ[6]، ثُمَّ جَاءَ الفَرَّاءُ، وَأَخَذَ المُصْطَلَحَ، وَعَمَّمَهُ؛ لِيَشْمَلَ شِبْهَ الجُمْلَةِ بِنَوْعَيْه؛ اسْمِ الزَّمَانِ، وَاسْمِ وَاسْمِ المَكَانِ، وَالجَارِّ وَالمَجْرُورِ، وَيَبْدُو هَذَا فِي قَوْلِه: "وَالعَرَبُ تَأْمُرُ بِالصِّفَاتِ بِعَلَيْكَ، وَعِنْدَكَ، وَدُونَكَ، وَإِلَيْكَ. يَقُولُونَ: إِلَيْكَ إِلَيْكَ، يُرِيدُونَ: تَأَخَّرْ، كَمَا تَقُولُ: وَرَاءَكَ وَرَاءَكَ"[7].

---

[1] التَّقْدِيرُ المُبَاشِرُ يَكُونُ مَعَ ظَرْفِ الزَّمَانِ غَيْرِ المَبْنِيِّ، وَظَرْفِ المَكَانِ غَيْرِ المِقْدَارِ؛ وَغَيْرُ المُبَاشِرِ يَكُونُ مَعَ ظَرْفِ الزَّمَانِ المَبْنِيِّ، وَظَرْفِ المَكَانِ الدَّالِّ عَلَى مِقْدَارٍ.

[2] الأصول في النحو 228/1.

[3] الصبان مع الأشموني 125/2، وشرح التصريح 337/1.

[4] المقتضب 328/4، 330، 332.

[5] الأصول في النحو 227/1، 228.

[6] إيضاح الوقف والابتداء 665/2، والأصول في النحو 246/1، وإعراب القرآن للنحاس 119/1، والإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم60، والصبان مع الأشموني 125/2، وشرح التصريح 337/1، وحاشية الخضري 196/1.

[7] معاني القرآن 322/1. وينظر: 345، 367، إلخ، ولسان العرب 309/3.

وَلَكِنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يميز الظَّرْفَ منَ الجَارِّ وَالمَجْرُورِ، فَإِنَّهُ يَسْتَعْمِلُ مُصْطَلَحَ المَحَلِّ لِلظَّرْفِ؛ لِحُلُولِ الأَشْيَاءِ فِيهِ، وَمُصْطَلَحَ الصِّفَةِ لِلْجَارِّ وَالمَجْرُورِ[1]. وَرُبَّمَا أَطْلَقَ المَحَلَّ، وَالصِّفَةَ عَلَى الظَّرْفِ، وَالجَارِّ وَالمَجْرُورِ، مِنْ دُونِ أَنْ يميز، أَوْ يفرق، بَيْنَهُمَا. وَيَتَّضِحُ هَذَا فِي قَوْلِهِ: "وَإِذَا رَأَيْتَ الاسْمَ مَرْفُوعًا بِالمَحَالِّ، مِثْلُ: عِنْدَكَ، وَفَوْقَكَ، وَفِيهَا، فَأَنِّثْ، وَذَكِّرْ فِي المُؤَنَّثِ، وَلاَ تُؤَنِّثْ فِي المُذَكَّرِ. وَذَلِكَ أَنَّ الصِّفَةَ لاَ يُقْدَرُ فِيهَا عَلَى التَّأْنِيثِ، كَمَا يُقْدَرُ فِي: قَامَ جَارِيَتُكَ، عَلَى أَنْ تَقُولَ: قَامَتْ جَارِيَتُكَ، فَلِذَلِكَ كَانَ فِي الصِّفَاتِ الإِجْرَاءُ عَلَى الأَصْلِ"[2].

لَكِنَّنَا نَجِدُ أَبَا العَبَّاسِ؛ ثَعْلَبًا، يَأْخُذُ مُصْطَلَحَ الصِّفَةِ، مَعَ فَارِقٍ يَسِيرٍ فِي التَّطْبِيقِ. فَهُوَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَفْرُقَ بَيْنَ ظَرْفِ الزَّمَانِ، وَظَرْفِ المَكَانِ، تَجْدُهُ يُسَمِّي الأَوَّلَ وَقْتًا، وَيُسَمِّي الثَّانِيَ صِفَةً. قَالَ: "وَالأَوْقَاتُ تُضَافُ، وَلاَ تُضَافُ، فَتَقُولُ: زَيْدٌ ضَارِبُ اليَوْمِ عَمْرًا، وَضَارِبٌ اليَوْمَ عَمْرًا، وَكَذَلِكَ فِي الصِّفَاتِ: زَيْدٌ ضَارِبُ خَلْفَكَ عَمْرًا، وَضَارِبٌ خَلْفَكَ عَمْرًا"[3]. كَمَا أَنَّهُ كَانَ يُطْلِقُ مُصْطَلَحَ الصِّفَةِ عَلَى الجَارِّ وَالمَجْرُورِ، وَالمَجْرُورِ، وَلاَ سِيَّمَا إِذَا كَانَ مَحَلًا لِلاسْمِ، يَقُولُ: "(حَيْثُ) رَفَعُوا بِهَا شَيْئَيْنِ؛ لِأَنَّهَا تَقُومُ مَقَامَ صِفَتَيْنِ. إِذَا قَالُوا: حَيْثُ زَيْدٌ عمرو، فالتَّأْوِيلُ: مَكَانٌ يَكُونُ فِيهِ زَيْدٌ يَكُونُ فِيهِ عَمْرٌو"[4]. وَالظَّاهِرُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الأَنْبَارِيَّ الأَنْبَارِيَّ مَازَ، كَشَيْخِهِ ثَعْلَبٍ، ظَرْفَ الزَّمَانِ مِنْ ظَرْفِ المَكَانِ، فَسَمَّى الأَوَّلَ وَقْتًا[5]، وَسَمَّى الثَّانِيَ صِفَةً[6]، صِفَةً[6]، أَوْ مَحَلًا[7]، مَعَ أَنَّهُ، فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ، كَانَ يُطْلِقُ مُصْطَلَحَ الصِّفَةِ عَلَى ظَرْفَيِ الزَّمَانِ، وَالمَكَانِ[8]. وَالمَكَانِ[8].

وَرُبَّمَا اسْتَعْمَلَ نَحْوِيُّونَ غَيْرُ كُوفِيِّينَ مُصْطَلَحَ الصِّفَةِ، وَأَطْلَقُوهُ عَلَى الظَّرْفِ، مِثْلَمَا فَعَلَ اللَّيْثُ بْنُ المُظَفَّرِ، الَّذِي سَمَّى الظَّرْفَ عِنْدَ صِفَةً[9].

---

[1] معاني القرآن 119/1.

[2] معاني القرآن 362/1. وينظر: 28/1، 119، 340، والأصول في النحو 246/1، و254/2، وإعراب القرآن للنحاس 119/1، والإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم60، وأسرار العربية ص177، ومفاتيح العلوم ص35، والصبان مع الأشموني 125/2، وشرح التصريح 337/1، وحاشية الخضري 196/1.

[3] مجالس ثعلب ص175. وينظر: ص64، 266، 308، 523.

[4] مجالس ثعلب ص558. وينظر: ص471.

[5] المذكر والمؤنث ص223، 224، وإيضاح الوقف والابتداء 350/1.

[6] المذكر والمؤنث ص405.

[7] إيضاح الوقف والابتداء 665/2.

[8] المذكر والمؤنث 449.

[9] لسان العرب 309/3.

الغَايَاتُ:

وَالظُّرُوفُ المَقْطُوعَةُ عَنِ الإِضَافَةِ، مِثْلُ: قَبْلُ، وَبَعْدُ، وَأَمَامُ، وَقُدَّامُ، وَخَلْفُ، وَأَسْفَلُ، وَأَوَّلُ، وَنَحْوُهَا؛ كَانَ يُسَمِّيهَا الكُوفِيُّونَ غَايَاتٍ[1]. وَغَايَةُ كُلِّ شَيْءٍ مَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ؛ لِذَلِكَ قِيلَ لِهَذَا الصِّنْفِ مِنَ الظُّرُوفِ: غَايَاتٌ؛ لأَنَّهُ كَانَ حَقُّهَا، فِي الأَصْلِ، أَلاَّ تَكُونَ غَايَةً، يَنْتَهِي عِنْدَهَا الكَلاَمُ، وَيَتِمُّ، بَلْ يَكُونُ غَايَةُ الكَلاَمِ وَتَمَامُهُ آخِرَ المُضَافِ إِلَى هَذِهِ الظُّرُوفِ، فَلَمَّا قُطِعَتْ عَنِ الإِضَافَةِ، بِحَذْفِ المُضَافِ إِلَيْهِ، وَأُرِيدَ بِهَا مَعْنَاهُ، صَارَتْ هِيَ غَايَاتِ ذَلِكَ الكَلاَمِ، فَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ غَايَاتٍ[2].

وَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ التَّسْمِيَةُ عِنْدَ الفَرَّاءِ، فِي كَلاَمٍ لَهُ عَلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ:

إِذَا أَنَا لَمْ أُومَنْ عَلَيْكِ وَلَمْ يَكُنْ ... لِقَاؤُكِ إِلاَّ مِنْ وَرَاءُ وَرَاءُ

قَالَ: "تَرْفَعُ، أَيْ: وَرَاءُ وَرَاءُ، إِذَا جَعَلْتَهُ غَايَةً، وَلَمْ تَذْكُرْ بَعْدَهُ الَّذِي أَضَفْتَهُ إِلَيْهِ ... وَمِثْلُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ ... عَلَى أَيِّنَا تَغْدُو المَنِيَّةُ أَوَّلُ

رَفَعْتَ (أَوَّلُ)؛ لأَنَّهُ غَايَةٌ، أَلاَ تَرَى أَنَّهَا مُسْتَنِدَةٌ إِلَى شَيْءٍ، هِيَ أَوَّلُهُ"[3].

الصِّفَةُ التَّامَّةُ:

وَمِنَ الظُّرُوفِ مَا يُسَمِّيهِ الكُوفِيُّونَ صِفَةً تَامَّةً. وَمُصْطَلَحُ الصِّفَةِ التَّامَّةِ أَطْلَقَهُ الكُوفِيُّونَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الظُّرُوفِ يَكُونُ خَبَرًا، وَمَحَلًا لِلأَسْمَاءِ، كَقَوْلِكَ: فِيهَا زَيْدٌ قَائِمًا، فَالصِّفَةُ (فِيهَا) خَبَرٌ لِلْمُبْتَدَإِ (زَيْد)، وَمَحَلٌّ لَهُ، وَهِيَ صِفَةٌ تَامَّةٌ؛ لأَنَّهَا مَحَلٌّ لِلاسْمِ. وَقَدْ بَنَى الكُوفِيُّونَ عَلَى ذَلِكَ أَنَّكَ إِنْ كَرَّرْتَ الصِّفَةَ، وَقُلْتَ: فِيهَا زَيْدٌ قَائِمًا فِيهَا، لَمْ يَجُزْ فِي (قَائِمًا) إِلاَّ النَّصْبُ، أَمَّا إِنْ لَمْ تُكَرِّرْهَا، فَأَنْتَ بِالخِيَارِ، إِنْ شِئْتَ نَصَبْتَ، وَإِنْ شِئْتَ رَفَعْتَ[4].

وَمِثْلُ هَذَا يُسَمِّيهِ سِيبَوَيْهِ ظَرْفًا مُسْتَقِرًّا[5].

الصِّفَةُ النَّاقِصَةُ:

وَيُقَابِلُ الصِّفَةَ التَّامَّةَ الصِّفَةُ النَّاقِصَةُ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا يَكُونُ الظَّرْفُ غَيْرَ مَحَلٍّ لِلأَسْمَاءِ، وَلَمْ يَكُنْ خَبَرًا، فَإِنْ الكُوفِيِّينَ يُسَمُّونَهُ صِفَةً نَاقِصَةً. فَإِذَا قُلْتَ: فِيكَ زَيْدٌ رَاغِبٌ، لَمْ يَجُزْ فِي الخَبَرِ (رَاغِبٌ) غَيْرُ

---

[1] الموفي في النحو الكوفي ص106.

[2] ينظر: شرح المفصل 85/4، ودرة الغواص في أوهام الخواص ص126-127.

[3] معاني القرآن 320/2.

[4] الأصول في النحو 247/1، وشرح اليسرافي: حواشي كتاب سيبويه (طبعة هارون) 125/1.

[5] الكتاب 125/2.

الرَّفْعِ؛ لأَنَّ (فيكَ)، وَهِيَ الصِّفَةُ، لاَ تَكُونُ مَحَلًّا لِلاسْمِ، وَلاَ يَتِمُّ بِهَا مَعْنَى الكَلاَمِ، إِنْ حَذَفْتَ (رَاغِبٌ)؛ أَطْلَقَ الكُوفِيُّونَ عَلَى نَحْوِ هَذَا صِفَةً نَاقِصَةً[1].

وَمِثْلُ هَذَا يُسَمِّيهِ البَصْرِيُّونَ لَغْوًا؛ لأَنَّ (فِيكَ)، هَهُنَا عَلَى رَأْيِهِمْ، فَضْلَةٌ، لَوْ حُذِفَتْ مِنَ الجُمْلَةِ؛ لَكَانَ الكَلاَمُ مُسْتَغْنِيًا عَنْهُ، غَيْرَ مُحْتَاجٍ إِلَيْهِ[2].

بَدَلُ ظَرْفِ المَكَانِ:

وَمِنْ أَصْنَافِ الظُّرُوفِ مَا يُسَمِّيهِ البَصْرِيُّونَ بَدَلَ ظَرْفِ المَكَانِ، الَّذِي يَعُدُّونَ مِنْ أَلْفَاظِهِ كَلِمَةَ (بَدَلٍ)، فِي نَحْوِ قَوْلِكَ: هَذَا بَدَلَ هَذَا، أَيْ: هَذَا مَكَانَ هَذَا، أَمَّا الكُوفِيُّونَ، فَقَدْ ذَكَرَ السُّيُوطِيُّ أَنَّهُمْ لاَ يَذْكُرُونَ هَذَا الصِّنْفَ مِنَ الظُّرُوفِ، وَلاَ يَعْرِفُونَهُ[3].

لَكِنَّ مَا جَاءَ فِي مَصَادِرِ الكُوفِيِّينَ يَدْفَعُ قَوْلَ السُّيُوطِيِّ، وَيَنْفِي أَنْ يَكُونَ الكُوفِيُّونَ أَهْمَلُوا بَدَلَ ظَرْفِ المَكَانِ، أَوْ لَمْ يَعْرِفُوهُ. فَقَدْ تَعَرَّضَ الفَرَّاءُ، فِي (مَعَانِي القُرْآنِ)، لِهَذَا الضَّرْبِ مِنَ الظُّرُوفِ، فَذَكَرَهُ صَرَاحَةً. قَالَ: "وَإِذَا جَعَلْتَ الشَّيْءَ مَكَانَ الشَّيْءِ، قُلْتَ: قَدْ أَبْدَلْتُهُ، كَقَوْلِكَ: أَبْدِلْ لِي هَذَا الدِّرْهَمَ، أَيْ أَعْطِنِي مَكَانَهُ"[4]. وَقَوْلُ الفَرَّاءِ هَذَا يَكَادُ يَتَّفِقُ مَعَ قَوْلِ سِيبَوَيْهِ: "وَزَعَمَ يُونُسُ أَنَّ العَرَبَ تَقُولُ: إِنَّ بَدَلَكَ زَيْدًا، أَيْ مَكَانَكَ زَيْدًا، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا قَوْلُ العَرَبِ: هَذَا بَدَلَ هَذَا، أَيْ: هَذَا مَكَانَ هَذَا"[5].

التَّفْسِيرُ:

المَشْهُورُ أَنَّ مُصْطَلَحَ التَّفْسِيرِ، أَوِ المُفَسِّرِ أَطْلَقَهُ الكُوفِيُّونَ عَلَى مَا يُسَمِّيهِ البَصْرِيُّونَ تَمْيِيزًا، أَوْ تَبْيِينًا[6]. وَيُسْتَدَلُّ مِنْ كَلاَمِ أَبِي حَيَّانَ، فِي (البَحْرِ المُحِيطِ)، أَنَّ الفَرَّاءَ أَوَّلُ مَنْ سَمَّى، مِنَ الكُوفِيِّينَ، التَّمْيِيزَ التَّمْيِيزَ تَفْسِيرًا، أَوْ مُفَسِّرًا[7]، ثُمَّ تَابَعَهُ فِي ذَلِكَ الكُوفِيُّونَ[8].

وَالتَّفْسِيرُ، فِي اللُّغَةِ، الاسْتِبَانَةُ، وَالكَشْفُ، وَالتَّفْصِيلُ. قَالَ تَعَالَى: {وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}[1]، أَيْ: تَفْصِيلاً. وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الفَسْرِ. قَالَ الخَلِيلُ: الفَسْرُ البَيَانُ، وَمِنْهُ يُقَالُ لِلْمَاءِ، الَّذِي يَنْظُرُ فِيهِ الطَّبِيبُ:

---

[11] الأصول في النحو 247/1، والأشباه والنظائر 233/1-234.

[2] الكتاب 55/1 - 56، و 52/2.

[3] همع الهوامع 201/1.

[4] معاني القرآن 259/2.

[5] الكتاب 143/2.

[6] ينظر: المقتضب 32/3، والأصول في النحو 272/1، 276.

[7] البحر المحيط 520/2.

[8] ينظر: إعراب القرآن للنحاس 387/1، 432.

تَفْسِرَةٌ[2]. كَمَا يُطْلَقُ التَّفْسِيرُ عَلَى التَّعْرِيَةِ لِلانْطِلاَقِ قَالَ ثَعْلَبٌ: فَسَرْتُ الفَرَسَ: عَرَّيْتُهُ؛ لِيَنْطَلِقَ فِي حَصْرِهِ. وَهَذَا المَعْنَى رَاجِعٌ لِمَعْنَى الكَشْفِ، فَكَأَنَّهُ كَشَفَ ظَهْرَ الفَرَسِ؛ لِيَنْطَلِقَ، وَيَجْرِيَ[3].

وَفِي الاصْطِلاَحِ عِبَارَةٌ عَنْ أَنْ تُورِدَ فِي أَوَّلِ الكَلاَمِ كَلاَمًا مُبْهَمًا، يَحْتَمِلُ وُجُوهًا، فَيَتَرَدَّدُ السَّامِعُ فِيهَا، ثُمَّ تُتْبِعُهُ بِتَفْسِيرٍ، يُزِيلُ إِبْهَامَهُ، وَيَكْشِفُ المُرَادَ مِنْهُ.

وَيَكْثُرُ وُرُودُ هَذَا المُصْطَلَحِ عِنْدَ كُلٍّ مِنَ الفَرَّاءِ، وَثَعْلَبٍ، وَأَبِي بَكْرٍ الأَنْبَارِيِّ. وَلاَ أَعْلَمُ أَنَّهُمُ اسْتَعْمَلُوا مُصْطَلَحَ التَّمْيِيزِ. فَمِنْ مَجِيئِهِ عِنْدَ الفَرَّاءِ قَوْلُهُ مُعَلِّقًا عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ}[4]: "العَرَبُ تُوقِعُ سَفِهَ عَلَى (نَفْسَهُ)، وَهِيَ مَعْرِفَةٌ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا}[5]، وَهِيَ مِنَ المَعْرِفَةِ كَالنَّكِرَةِ؛ لأَنَّهُ مُفَسِّرٌ، وَالمُفَسِّرُ، فِي أَكْثَرِ الكَلاَمِ، نَكِرَةٌ، كَقَوْلِكَ: ضِقْتُ بِهِ ذَرْعًا ..."[6].

وَرُبَّمَا اسْتَعْمَلَ نَحْوِيُّونَ غَيْرُ كُوفِيِّينَ المُصْطَلَحَ الكُوفِيَّ، فَيَقُولُونَ عَنِ التَّمْيِيزِ: تَفْسِيرٌ، مِثْلُ: سِيبَوَيْهِ[7]، وَالمُبَرِّدِ[8]، وَابْنِ السَّرَّاجِ[9]، وَالزَّجَّاجِيِّ[10].

وَلاَ أَظُنَّ أَنَّ هُنَاكَ فَرْقًا بَيْنَ مُصْطَلَحَاتِ التَّمْيِيزِ، أَوِ التَّفْسِيرِ، أَوِ التَّبْيِينِ، فَكُلُّهَا مُصْطَلَحَاتٌ، ذَاتُ مُؤَدًّى وَاحِدٍ، يُرَادُ مِنْهُ رَفْعُ الإِبْهَامِ، وَإِزَالَةُ اللَّبْسِ عَنِ المُمَيَّزِ، أَوِ المُفَسَّرِ، أَوِ المُبَيَّنِ.

المُتَرْجِمُ:

وَهَذَا مُصْطَلَحٌ آخَرُ، سَمَّى بِهِ الفَرَّاءُ التَّمْيِيزَ، فِي بَعْضِ المَوَاضِعِ مِنْ (مَعَانِي القُرْآنِ). وَهَذِهِ التَّسْمِيَةُ، لاَ شَكَّ، تَلْتَقِي مَعَ مَثِيلاَتِهَا، السَّابِقَاتِ، فِي المَعْنَى، وَمَا المُتَرْجِمُ، أَوِ التَّرْجَمَةُ إِلاَّ بَيَانٌ وَتَوْضِيحٌ،

---

[1] الفرقان الآية 33.

[2] الصاحبي في فقه اللغة ص193.

[3] البحر المحيط 13/1.

[4] البقرة الآية 130.

[5] القصص الآية 58.

[6] معاني القرآن 79/1. وينظر: 55/1، 57، 152، 169، 225، 251، 320، وإصلاح المنطق ص299، ومجالس ثعلب ص265، 273، 424، 437، والمذكر والمؤنث ص643-644، وإيضاح الوقف والابتداء 116/1، 131، 132.

[7] الكتاب 159/2، 175، وما بعدها.

[8] المقتضب 34/3.

[9] الأصول في النحو 272/1، 494، و238/2، 239، 393، 395.

[10] الجمل (مخطوط) ص51، 58، 103، 115.

مِثْلَمَا التَّفْسيرُ، وَالتَّمْييزُ، وَالتَّبْيينُ؛ بَيَانٌ وَتَوْضيحٌ. قَالَ الفَرَّاءُ: "... وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ هَذَا؛ لأَنَّ العَرَبَ تَقُولُ: للهِ دَرُّهُ مِنْ رَجُلٍ، ثُمَّ يُلْقُونَ (مِنْ)، فَيَقُولُونَ: للهِ دَرُّهُ رَجُلًا، فَالرَّجُلُ مُتَرْجِمٌ لِمَا قَبْلَهُ، وَلَيْسَ بِحَالٍ"[1].

القَطْعُ:

القَطْعُ مُصْطَلَحٌ كُوفِيٌّ، يُقَابِلهُ عِنْدَ البَصْرِيِّينَ مُصْطَلَحُ الحَالِ[2]. وَالقَطْعُ، فِي اللُّغَةِ، الإِبَانَةُ[3]، وَمِنْ وَمِنْ هُنَا قِيلَ لِلْحَالِ: قَطْعٌ؛ لأَنَّهُ يُبَيِّنُ هَيْئَةَ صَاحِبِهِ، المَقْطُوعِ، فَإِذَا قُلْتَ: جَاءَ زَيْدٌ مُسْرِعًا، كَانَتْ (مُسْرِعًا) قَطْعًا، بَيَّنَتْ لَكَ هَيْئَةَ المَقْطُوعِ (زَيْدٌ)، وَحَالَهُ الَّتِي جَاءَ بِهَا.

وَقَدْ كَثُرَ وُرُودُ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ عِنْدَ الفَرَّاءِ، وَابْنِ الأَنْبَارِيِّ. فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الفَرَّاءِ، مُفَسِّرًا قَوْلَهُ تَعَالَى: {ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ}[4]: "... فَأَمَّا النَّصْبُ، فِي أَحَدِ الوَجْهَيْنِ، فَأَنْ تَجْعَلَ (الكِتَابَ) خَبَرًا لِـ(ذَلِكَ)، فَتَنْصِبُ (هُدًى) عَلَى القَطْعِ؛ لأَنَّ (هُدًى) نَكِرَةٌ، اتَّصَلَتْ بِمَعْرِفَةٍ، قَدْ تَمَّ خَبَرُهَا، فَنَصَبْتَهَا؛ لأَنَّ النَّكِرَةَ لاَ تَكُونُ دَلِيلاً عَلَى مَعْرِفَةٍ. وَإِنْ شِئْتَ نَصَبْتَ (هُدًى)، عَلَى القَطْعِ مِنَ الهَاءِ، الَّتِي فِي (فِيهِ)، كَأَنَّكَ قُلْتَ: لاَ شَكَّ فِيهِ هَادِيًا"[5].

وَقَدْ يُعَبِّرُ الفَرَّاءُ عَنِ الحَالِ، بَعْضَ الأَحْيَانِ، بِعِبَارَاتٍ أُخْرَى غَيْرِ القَطْعِ، كَأَنْ يَقُولَ: خَارِجٌ، أَوْ خُرُوجٌ، أَوْ إِخْرَاجٌ[6]. وَقَدْ يُسَمِّيهَا، أَحْيَانًا قَلِيلَةً، (فِعْلاً)[7].

وَقَدْ يَسْتَعْمِلُ الكُوفِيُّونَ المُصْطَلَحَ البَصْرِيَّ، فَيَقُولُونَ: الحَالُ، بَدَلًا مِنَ القَطْعِ[8]. وَأَخِيرًا، فَإِنَّ المُصْطَلَحَ البَصْرِيَّ؛ الحَالَ اكْتَسَبَ شُيُوعًا لَدَى النُّحَاةِ، المُتَقَدِّمِينَ، وَالمُتَأَخِّرِينَ، عَلَى حِينَ أُهْمِلَ المُصْطَلَحُ الكُوفِيُّ؛ القَطْعُ، وَلَمْ يُقَيَّضْ لَهُ عُلَمَاءَ يَسْتَعْمِلُونَهُ، وَيُرَوِّجُونَهُ، كَالمُصْطَلَحِ البَصْرِيِّ؛ الحَالِ.

وَمِنَ المُنَاسِبِ أَنْ نُشِيرَ إِلَى أَنَّ مُصْطَلَحَ القَطْعِ قَالَ بِهِ الكُوفِيُّونَ فِي غَيْرِ الحَالِ. فَهُمْ يَقُولُونَ بِالقَطْعِ فِي الاسْمِ، الَّذِي يَجُوزُ فِيهِ أَنْ يُعْرَبَ بِحَسَبِ إِعْرَابِ الاسْمِ، الَّذِي قَبْلَهُ، لَكِنْ يُقْطَعُ هَذَا الاسْمُ

---

[1] معاني القرآن 104/2.

[2] إعراب القرآن للنحاس 130/1، 308، 316، 323، 387، 584، 615، ولسان العرب 282/8.

[3] القاموس المحيط مادة (قطعه).

[4] البقرة الآية 2.

[5] معاني القرآن 12/1. وينظر أيضا: 193/1، 200، 207، 313، 328، 348، 358، 380، وإيضاح الوقف والابتداء 116/1، 130، 477، 490. وَقَدِ اسْتَعْمَلَهُ ثَعْلَبٌ، كَمَا فِي لسان العرب. ينظر: 282/8.

[6] معاني القرآن 154/1، 171، 301، 302، 365.

[7] معاني القرآن 55/1، و 40/3، 188.

[8] معاني القرآن 103/2، 104، ومجالس ثعلب ص42، 146، 309، 359، والمذكر والمؤنث ص143، 148، 281، وإيضاح الوقف والابتداء ص77، 125، 504، والأضدا ص167.

عَمَّا قَبْلَهُ، وَلاَ يَتْبَعُ فِي الإِعْرَابِ مَا قبله، وَيُنْصَبُ عَلَى القَطْعِ، قَطْعه عَمَّا قَبْلَهُ، كَقَوْلِكَ: جَاءَ زَيْدٌ المِسْكِينَ، فالمِسْكِينَ، هَهُنَا، مَنْصُوبٌ عَلَى القَطْعِ عِنْدَ الكُوفِيِّينَ؛ لأَنَّ إِعْرَابَهُ كَانَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ بِحَسَبِ إِعْرَابِ (زَيْدٌ) المَرْفُوعُ، لَكِنَّهُ قُطِعَ عَنْهُ، وَأُعْرِبَ إِعْرَابًا آخَرَ. وَقَدْ حَمَلُوا عَلَى ذَلِكَ قَوْلَهُ تَعَالَى: {مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً}[1]، فَ(مَثَلاً) يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا عَلَى القَطْعِ، وَقَوْلَهُ: {وَأُولُوا العِلْمِ قَائِمًا بِالقِسْطِ)[2]، فَ(قائما) يجوز أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا عَلَى القَطْعِ، أَيْضًا. قَالَ الفَرَّاءُ فِي قَوْلِه تَعَالَى: {وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِه}[3]: "تَرْفَعُ {السَّمَاوَاتُ} بِـ{مَطْوِيَّاتٌ}، إِذَا رَفَعْتَ المَطْوِيَّات. وَمَنْ قَالَ: (مَطْوِيَّاتٍ)، رَفَعَ {السَّمَاوَاتُ} (بالبَاءِ)، الَّتِي فِي يَمِينِه، كَأَنَّهُ قَالَ: وَالسَّمَاوَاتُ فِي يَمِينِه. وَيُنْصَبُ المَطْوِيَّاتُ عَلَى الحَالِ، أَوْ عَلَى القَطْعِ. وَالحَالُ أَجْوَدُ"[4].

وَمِثْلُ هَذَا يَكُونُ مَنْصُوبًا عِنْدَ البَصْرِيِّينَ؛ إِمَّا بِفِعْلٍ مَحْذُوف[5]، وَإِمَّا عَلَى المَدْحِ، أَوِ الذَّمِ[6]؛ لأَنَّهُمْ لأَنَّهُمْ لاَ يَعْرِفُونَ النَّصْبَ عَلَى القَطْعِ. قَالَ أَبُو حَيَّانَ: "وَالنَّصْبُ عَلَى القَطْعِ، لاَ يَعْرِفُه البَصْرِيُّونَ، وَلَمْ يَقُلْ بِهِ إِلاَّ الكُوفِيُّونَ"[7].

لَا يَتَّصِلُ بِبَابِ الحَالِ؛ القَطْعِ، تَسْمِيَةُ الكُوفِيِّينَ، أَوْ إِعْرَابُهُمْ خَبَرَ كَانَ وَأَخَوَاتِهَا حَالاً، أَوْ مُشَبَّهًا بِالحَالِ، كما يرى الفرَّاء[8]، محتجِّين بِأَنَّ كان فعل غير متعدٍّ، وإذا كان غير متعدٍّ، وجب أَنْ يكُونَ يَكُونَ مَنْصُوبًا نَصْبَ الحَالِ، لاَ نَصْبَ المَفْعُولِ بِه، كَمَا يَرَى البَصْرِيُّونَ، غَيْرَ أَنَّهُمْ يُبْطِلُونَ ادِّعَاءَ الكُوفِيِّينَ أَنَّ خَبَرَ كَانَ، وَأَخَوَاتِهَا حَالٌ، مِنْ وَجْهَيْنِ؛ الأَوَّلِ وُرُودُهُ مَعْرِفَةً، فِي مِثْلِ: كَانَ زَيْدٌ المُنْطَلِقَ، وَالحَالُ لاَ تَأْتِي معرفة. والثَّاني أَنَّ خبر كان ركن أساس من أَرْكَانِ الجُمْلَةِ، لا تتمُّ مع الاقْتِصَارِ عَلَى كَانَ وَاسْمِهَا؛ لأَنَّ الخَبَرَ يَكُونُ مُسْنَدًا فِي الجُمْلَةِ، لاَ حَالًا، يُمْكِنُ الاسْتِغْنَاءُ عَنْهَا[9]. وَلاَ أَظُنُّ أَنَّ بِهَذَا يَنْدَفِعُ قَوْلُ الكُوفِيِّينَ.

---

[1] البقرة الآية 26.

[2] آل عمران الآية 18.

[3] الزمر الآية 67.

[4] معاني القرآن 2/ 425. وينظر: 325/2.

[5] المقتضب 4/ 315، والكامل في اللغة والأدب 40/3.

[6] الكتاب 150/2.

[7] البحر المحيط 150/1. وينظر: 1/ 200 و405/2، والأصول في النحو 261/1، وإعراب القرآن للنحاس 154/1.

[8] الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم119، ومفتاح العلوم ص46، وشرح الكافية 2/ 274، وهمع الهوامع 111/1، وحاشية الشنواني 61/1 -62.

[9] ينظر: النحو الجديد ص233-234.

فَالشَّبَهُ بَيْنَ الحَال، وَبَيْنَ خَبَرِ كَانَ وَاضِحٌ، جَلِيٌّ مِنْ جِهَةِ المَعْنَى. فَالسَّامِعُ يَتَصَوَّرُ زَيْدًا فِي قَوْلِكَ: كَانَ زَيْدٌ مُنْطَلِقًا، فِي حَالِ انْطِلاَقِه.

وَقَدْ عَزَّزَ ابْنُ جِنِّي هَذَا الشَّبَهَ، فَقَالَ: "وَأَجَازَ أَبُو الحَسَنِ زِيَادَةَ الوَاوِ فِي خَبَرِ كَانَ، نَحْوُ قَوْلِهِمْ: كَانَ وَلاَ مَالَ لَهُ، أَيْ كَانَ لاَ مَالَ لَهُ، وَوَجْهُ جَوَازِهِ، عِنْدِي، شَبَهُ خَبَرِ كَانَ بِالحَالِ، فَجَرَى مَجْرَى قَوْلِهِمْ: جَاءَنِي وَلاَ ثَوْبَ عَلَيْهِ، أَيْ جَاءَنِي عَارِيًا"[1].

وَكَذَلِكَ فَإِنَّ الكُوفِيِّينَ يُعْرِبُونَ ثَانِيَ مَفْعُولَيْ بَابِ ظَنَّ، وَأَخَوَاتِهَا حَالاً، لاَ مَفْعُولًا به ثَانِيًا، كَمَا يَرَى البَصْرِيُّونَ[2]. وَإِنَّهُم، أَيْضًا، يَخْتَلِفُونَ مَعَ البَصْرِيِّينَ فِي إِعْرَابِ نَحْوِ: نَحْنُ بَنِي، أَوْ مَعْشَر، أَوْ رَهْطَ فُلاَنٍ، فُلاَن، نَقُولُ: كَيْتَ وَكَيْتَ. فَالبَصْرِيُّونَ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الأَسْمَاءَ المَنْصُوبَةَ مَفْعُولاَتٌ بِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: أَخُصُّ، أَوْ أَعْنِي، وَهُوَ مَا يُسَمَّى بِالاخْتِصَاصِ. وَالكُوفِيُّونَ يَأْبَوْنَ ذَلِكَ، وَيَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّهَا أَحْوَالٌ، مُنْتَصِبَةٌ انْتِصَابَ جَمِيعًا، فِي نَحْوِ قَوْلِكَ: جَاءُوا جَمِيعًا. قَالَ ثَعْلَبٌ: "إِذَا قَالَ: نَحْنُ بَنِي، وَمَعْشَرَ، وَرَهْطَ. قَالَ الفَرَّاءُ: هُوَ مِثْلُ جَمِيعًا، وقَالَ البَصْرِيُّونَ: بِفِعْلٍ مُضْمَرٍ"[3].

الإِيجَابُ:

وَهُوَ مَا يُسَمِّيهِ النَّحْوِيُّونَ بِالتَّفْرِيغِ، أَوْ الاسْتِثْنَاءَ المُفَرَّغَ، أَوْ كَمَا يُسَمِّيهِ البَلاَغِيُّونَ الحَصْرَ، وَالقَصْرَ؛ يُسَمِّيهِ الكُوفِيُّونَ الإِيجَابَ، وَيُسَمِّيهِ البَصْرِيُّونَ التَّحْقِيقَ، وَذَلِكَ كَمَا جَاءَ فِي كِتَابِ (مُقَدِّمَةٍ فِي النَّحْوِ)، لِخَلَفٍ الأَحْمَرِ البَصْرِيِّ[4]. فَإِذَا قُلْتَ: مَا جَاءَنِي إِلاَّ زَيْدٌ، كُنْتَ قَدْ حَقَّقْتَ المَجِيءَ مِنْ زَيْدٍ وَحْدَهُ، وَنَفَيْتَهُ عَنْ سِوَاهُ، وَتَحْقِيقُ المَجِيءِ مِنْ زَيْدٍ وَحْدَهُ، يُوجِبُ، فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ، أَلاَّ يَكُونَ المَجِيءُ إِلاَّ مِنْهُ. فَكَمَا تَرَى، فَإِنَّ الإِيجَابَ، وَالتَّحْقِيقَ بِمَعْنًى وَاحِدٍ.

وَقَدْ عَثَرْتُ عَلَى مُصْطَلَحِ البَصْرِيِّينَ؛ التَّحْقِيقِ، عِنْدَ ابْنِ السَّرَّاجِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: "وَالاسْتِثْنَاءُ إِذَا جَاءَ بَعْدَ النَّفْيِ، فَالمُسْتَثْنَى مُوجَبٌ. وَكَذَلِكَ إِنْ قُلْتَ: مَا قَامَ إِلاَّ زَيْدٌ، فَتُحْسِنَ إِلَيْهِ، مُحَالٌ، لأَنَّ التَّحْقِيقَ لاَ جَوَابَ لَهُ"[5].

يَعْرِضُ:

---

[1] الخصائص 2/ 462.

[2] الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم119، وشرح الكافية 274/2.

[3] مجالس ثعلب ص364. وينظر: ص375.

[4] مقدمة في النحو ص80.

[5] الأصول في النحو ص195/2.

وَرَدَ هَذَا الَمُصْطَلَحُ، فِي (مَجَالِسِ ثَعْلَبٍ)، عَلَى لِسَانِ الكِسَائِيِّ. فَقَدْ ذَكَرَ ثَعْلَبٌ أَنَّ الكِسَائِيَّ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {لاَ يُحِبُّ اللهُ الجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظَلَمَ}[1]: إِنَّ الاسْتِثْنَاءَ، هُنَا، اسْتِثْنَاءٌ (يَعْرِضُ). وَقَدْ فَسَّرَ ثَعْلَبٌ قَوْلَ الكِسَائِيِّ: يَعْرِضُ، بِقَوْلِهِ: "وَمَعْنَى يَعْرِضُ اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ"[2]. كَمَا اسْتَعْمَلَ الفَرَّاءُ، فِي كِتَابِهِ (مَعَانِي القُرْآنِ)، مُصْطَلَحَ المُنْقَطِعِ[3]، وَالمُتَّصِلِ[4]، وَهُمَا مُصْطَلَحَانِ مُسْتَعْمَلاَنِ لَدَى البَصْرِيِّينَ.

المَدْعُوُّ وَالدُّعَاءُ:

وَمِنْ بَابِ النِّدَاءِ أَنَّ الفَرَّاءَ أَطْلَقَ مُصْطَلَحَ المَدْعُوِّ[5]، أَوِ الدُّعَاءِ[6]، عَلَى مَا يُعْرَفُ بِالمُنَادَى. وَلاَ رَيْبَ أَنَّ اصْطِلاَحَاتِ المَدْعُوِّ، وَالدُّعَاءِ، وَالمُنَادَى، وَالنِّدَاءِ، تُؤَدِّي كُلُّهَا مَعْنًى وَاحِدًا، فَإِذَا نَادَيْتَ شَخْصًا، فَقَدْ دَعَوْتَهُ. قَالَ الفَرَّاءُ: "... وَهُوَ فِي مَذْهَبِهِ بِمَنْزِلَةِ المَدْعُوِّ، تَقُولُ: يَا عَمْرُو وَالصَّلْتُ أَقْبِلاَ..."[7]. كَمَا أَنَّ أَنَّ الفَرَّاءَ اسْتَعْمَلَ مُصْطَلَحَ البَصْرِيِّينَ النِّدَاءَ. وقد ورد مُصْطَلَحُ المَدْعُوِّ، أَيْضًا، عِنْدَ المُبَرِّدِ مِنَ البَصْرِيِّينَ[8].

الخَفْضُ وَأَدَوَاتُهُ

الخَفْضُ:

الخَفْضُ مُصْطَلَحٌ كُوفِيٌّ نَحْوِيٌّ، يُقَابِلُهُ مُصْطَلَحُ الجَرِّ، عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ البَصْرِيِّينَ[9]. وَالخَفْضُ فِي اللُّغَةِ اللُّغَةِ مَصْدَرٌ لِلْفِعْلِ: خَفَضَ، وَهُوَ ضِدُّ الرَّفْعِ، أَمَّا الجَرُّ، فَمَعْنَاهُ فِي اللُّغَةِ الجَذْبُ، وَالسَّحْبُ.
وَفِي الاصْطِلاَحِ نَوْعٌ مِنَ الإِعْرَابِ يَلْحَقُ الأَسْمَاءَ المَخْفُوضَةَ؛ إِمَّا بِحَرْفِ خَفْضٍ، كَقَوْلِكَ: نَظَرْتُ إِلَى زَيْدٍ، وَسَلَّمْتُ عَلَى بَكْرٍ، وَإِمَّا بِالإِضَافَةِ، كَقَوْلِكَ: هَذَا قَلَمُ خَالِدٍ.

---

[1] النساء الآية 148.
[2] مجالس ثعلب ص101.
[3] مغاني القرآن 293/1، 479، و258/3 . 259.
[4] معاني القرآن 258/1 . 259.
[5] معاني القرآن 121/1، و422/2.
[6] معاني القرآن 416/2.
[7] معاني القرآن 121/1.
[8] الكامل في اللغة والأدب 270/3، 272.
[9] ينظر: إعراب القرآن للنحاس 116/1، وشرح المفضل 117/2، والكليات 173/2، والأشباه والنظائر 82/2.

وَسَمَّى الكُوفِيُّونَ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الإِعْرَابِ خَفْضًا؛ لانْخِفَاضِ الحَنَكِ الأَسْفَلِ عِنْدَ النُّطْقِ بِهِ، وَمَيْلِهِ إِلَى إِحْدَى الجِهَتَيْنِ، أَمَّا الجَرُّ، فَسَمَّاهُ البَصْرِيُّونَ كَذَلِكَ؛ لأَنَّ مَعْنَى الجَرِّ الإِضَافَةُ، وَذَلِكَ أَنَّ الحُرُوفَ الجَارَّةَ تَجُرُّ مَا بَعْدَهَا، وَتُوصِلُ أَثَرَ الفِعْلِ إِلَى الاسْمِ المَجْرُورِ، كَمَا فِي قَوْلِكَ: مَرَرْتُ بِزَيْدٍ، وَالمَالُ لِخَالِدٍ، وَنَحْوُ ذَلِكَ[1].

وَقَدْ دَخَلَ مُصْطَلَحُ الخَفْضِ النَّحْوَ عَلَى يَدَيِ الخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ الفَرَاهِيدِيِّ، الَّذِي كَانَ أَطْلَقَهُ عَلَى مَا وَقَعَ مِنْ أَعْجَازِ الكَلِمِ مُنَوَّنًا، نَحْوُ: زَيْدٌ، وَخَالِدٌ[2]، وَنَظَائِرُهُمَا، ثُمَّ جَاءَ الكُوفِيُّونَ، وَاقْتَبَسُوهُ مِنْ مُصْطَلَحَاتِ الخَلِيلِ، وَاسْتَأْثَرُوا بِهِ، وَعَمَّمُوهُ؛ لِيَشْمَلَ مَا وَقَعَ مِنْ أَعْجَازِ الكَلِمِ مُنَوَّنًا، وَغَيْرَ مُنَوَّنٍ، بَلْ أَطْلَقُوهُ عَلَى مَا كَانَ مَبْنِيًّا عَلَى الكَسْرِ مِنَ الكَلِمَاتِ، وَذَلِكَ كَعَادَتِهِمْ فِي خَلْطِ عَلَامَاتِ الإِعْرَابِ بِعَلَامَاتِ البِنَاءِ، مِنْ دُونِ أَنْ يُمَيِّزُوا بَيْنَهَا.

إِذًا، فَالخَفْضُ لَيْسَ مِنِ ابْتِكَارَاتِ الكُوفِيِّينَ، وَلاَ مِنْ أَوْضَاعِهِمْ، وَإِنَّمَا هُوَ مُقْتَبَسٌ عَنِ الخَلِيلِ[3]، إِلاَّ أَنَّ الكُوفِيِّينَ وَسَّعُوا مِنْ دَائِرَةِ اسْتِعْمَالِهِ، فَنُسِبَ إِلَيْهِمْ، عَلَى حِينِ أَهْمَلَهُ سِيبَوَيْهِ فِي (الكِتَابِ)، وَلَمْ يَسْتَعْمِلْهُ، فِيمَا أَظُنُّ.

وَيَتَرَدَّدُ مُصْطَلَحُ الخَفْضِ كَثِيرًا فِي مَصَادِرِ الكُوفِيِّينَ، وَيَكْثُرُ اسْتِعْمَالُهُمْ إِيَّاهُ، وَلاَ أَعْلَمُ فِي حُدُودِ مَا قَرَأْتُ لَهُمْ، أَنَّهُمُ اسْتَعْمَلُوا مُصْطَلَحَ البَصْرِيِّينَ؛ الجَرَّ، أَوْ قَالُوا بِهِ. وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الفَرَّاءِ: "وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ تَحُولَ باللَّامِ وَمِثْلِهَا بَيْنَ الرَّافِعِ، وَمَا رَفَعَ، وَالنَّاصِبِ، وَمَا نَصَبَ، فَتَقُولُ: رَأَيْتُ لأَخِيكَ مَالاً، وَلأَبِيكَ مَالاً، وَتَرْفَعُ باللَّامِ، إِذَا لَمْ تُعْمِلِ الفِعْلَ، وَفِي الرَّفْعِ: قَدْ كَانَ لأَخِيكَ مَالٌ، وَلأَبِيكَ إِبِلٌ. وَلَمْ يَجُزْ أَنْ تَقُولَ فِي الخَفْضِ: قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِأَلْفٍ، وَلأَخِيكَ أَلْفَيْنِ؛ لأَنَّ إِضْمَارَ الخَفْضِ غَيْرُ جَائِزٍ، أَلاَ تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ: مَنْ ضَرَبْتَ؟ فَتَقُولُ: زَيْدًا، وَمَنْ أَتَاكَ؟ فَتَقُولُ زَيْدٌ. فَيُضْمَرُ الرَّافِعُ، وَالنَّاصِبُ. وَلَوْ قَالَ: بِمَنْ مَرَرْتَ؟ لَمْ تَقُلْ: زَيْدٍ؛ لأَنَّ الخَافِضَ مَعَ مَا خَفَضَ بِمَنْزِلَةِ الحَرْفِ الوَاحِدِ"[4].

---

[1] الإيضاح في علل النحو ص93.

[2] مفاتيح العلوم ص30، والعربية ليوهان فك ص22.

[3] وَمِمَّا يُؤَيِّدُ، أَيْضًا، أَنَّ مُصْطَلَحَ (الخَفْضِ) لِلخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ، مَا جَاءَ فِي (مَجَالِسِ العُلَمَاءِ) مِنْ أَنَّ الخَلِيلَ سَأَلَ الأَصْمَعِيَّ أَنْ يَفْرُقَ بَيْنَ مُصْطَلَحَيِ الخَفْضِ والجَرِّ. مجالس العلماء ص235.

[4] معاني القرآن 196/1. وينظر أيضا: 3/1، 5، 7، 14، 17، 22، 29، 38، 51.

وَمِن اسْتِعْمَالِ ثَعْلَبٍ لَهُ قَوْلُهُ: "وَسَمِعَ: اللهَ لَآتِيَنَّكَ، وَالحَقَّ لَآتِيَنَّكَ. قَالَ: إِذَا جَاءَ فِي الأَقْسَامِ، وَمَعَهَا وَاوُ خَفْضٍ، وَإِذَا أَسْقَطَ الوَاوَ نَصَبَ، اللهَ لَآتِيَنَّكَ. وَزَعَمَ أَنَّ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا تَدْخُلُ فِيهَا الوَاوُ، فَتُخْفَضُ، وَتَخْرُجُ الوَاوُ، فَتُخْفَضُ، وَتُرْفَعُ"[1].

وَلَمْ يَقْتَصِرِ اسْتِعْمَالُ هَذَا المُصْطَلَحِ عَلَى الكُوفِيِّينَ وَحْدَهُمْ، وَإِنَّمَا اسْتَعْمَلَهُ نَحْوِيُّونَ آخَرُونَ مُتَقَدِّمُونَ، إِلَى جِوَارِ الجَرِّ، كَأَبِي العَبَّاسِ؛ المُبَرِّدِ[2]، وَالزَّجَّاجِيِّ[3]، وَابْنِ السَّرَّاجِ[4]، وَابْنِ قُتَيْبَةَ[5]، وَالسِّيرَافِيِّ[6]، وَابْنِ جِنِّي[7]، وَغَيْرِهِمْ. وَكَذَلِكَ الأَمْرُ بِالنِّسْبَةِ لِلنَّحْوِيِّينَ المُتَأَخِّرِينَ، فَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ تَمَسُّكِهِمْ بِمُصْطَلَحِ الجَرِّ، وَشُيُوعِهِ بَيْنَهُمْ، إِلاَّ أَنَّنَا كَثِيراً مَا نَجِدُهُمْ يَسْتَعْمِلُونَ مُصْطَلَحَ الخَفْضِ، وَيُعَبِّرُونَ بِهِ، كَابْنِ يَعِيشَ[8]، وَابْنِ هِشَامٍ[9]، وَالأُشْمُونِيِّ[10].

وَفِي العَصْرِ الحَدِيثِ نَجِدُ المُصْطَلَحَيْنِ مُتَعَايِشَيْنِ. فَتَكَادُ نِسْبَةُ شُيُوعِهِمَا، فِي كِتَابَاتِ النُّحَاةِ، وَعَلَى أَلْسِنَةِ الدَّارِسِينَ؛ تَكُونُ مُتَسَاوِيَةً.

وَفِي رَأْيِنَا أَنَّ مُصْطَلَحَ الخَفْضِ أَدَقُّ مِنْ نَظِيرِهِ الجَرِّ، وَأَلْصَقُ بِالظَّاهِرَةِ النَّحْوِيَّةِ؛ لأَنَّ الخَفْضَ مَعْنَاهُ التَّسَفُّلُ، وَأَنَّهُ ضِدُّ الرَّفْعِ، وَأَنَّ عَلاَمَتَهُ، مَوْضِعُهَا أَسْفَلَ الحَرْفِ، فَهُنَاكَ، إِذًا، عَلاَقَةٌ تَرْبِطُ بَيْنَ مَعْنَاهُ اللُّغَوِيِّ، وَمَعْنَاهُ الاصْطِلاَحِيِّ، عَلَى حِينِ نَفْتَقِدُ مِثْلَ هَذِهِ العَلاَقَةِ بَيْنَ مَعْنَى الجَرِّ اللُّغَوِيِّ، وَالاصْطِلاَحِيِّ.

وَالَّذِي يَدُلُّ، أَيْضًا، عَلَى أَنَّ مُصْطَلَحَ الخَفْضِ أَدَقُّ مِنَ الجَرِّ، وَأَلْصَقُ بِهَذِهِ الظَّاهِرَةِ النَّحْوِيَّةِ، مَا دَارَ بَيْنَ الخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ، وَالأَصْمَعِيِّ مِنْ حِوَارٍ حَوْلَ الفَرْقِ بَيْنَ المُصْطَلَحَيْنِ. فَقَدْ سَأَلَ الخَلِيلُ الأَصْمَعِيَّ عَنِ الفَرْقِ بَيْنَ الخَفْضِ وَالجَرِّ، فَكَانَ مِمَّا قَالَ الأَصْمَعِيُّ: "الخَفْضُ، عِنْدِي، الشَّيْءُ دُونَ الشَّيْءِ، كَاليَدِ إِذَا

---

[11] مجالس ثعلب ص323. وينظر أيضا: ص9، 59، 60، 84، 114، 157، 176، 249، 430. وإصلاح المنطق ص299، 302، والمذكر والمؤنث ص87، 123، 124، 143، 198، وإيضاح الوقف والابتداء 120/1، 121، 123، والأضداد ص166، 188.

[2] المقتضب 38/2 و57/3، 60، 61، 354، والكامل في اللغة والأدب 92/2، 107 و18/3.

[3] الجمل (مخطوط) ص1، 2، 3، 6، 9، 11، 12، 13، إلخ.

[4] الأصول في النحو: 40/1، 42، 46، 497، 516، 517، 520، إلخ.

[5] تأويل مشكل القرآن ص524، 528، 529، 537.

[6] حواشي كتاب سيبويه (ط هارون) 303/2.

[7] الخصائص 184/1.

[8] شرح المفصل 101/4، 102، و9/8، 10، 15، 17، 26، 28، 29، 53، إلخ.

[9] شرح شذور الذهب ص150، 320، وأوضح المسالك 178/2، 271، إلخ.

[10] شرح الأشموني مع الصبان 215/2، 237، 246، 247.

جَعَلْتَهَا تَحْتَ الرِّجْلِ، وَالجَرُّ أَنْ تَمِيلَ الشَّيْءَ إِلَى الشَّيْءِ، وَتُقِيمَ شَيْئًا مَقَامَ شَيْءٍ، كَقَوْلِكَ: هَذَا غُلاَمَ زَيْدٍ، فَزَيْدٌ أَقَمْتَهُ مَقَامَ التَّنْوِينِ"[1].

فَالَّذِي يُفْهَمُ مِنْ كَلاَمِ الأَصْمَعِيِّ أَنَّ الخَفْضَ أَشْمَلُ لِلظَّاهِرَةِ النَّحْوِيَّةِ مِنَ الجَرِّ؛ لأَنَّ عَلاَمَةَ الخَفْضِ تَكُونُ، كَمَا قَالَ الأَصْمَعِيُّ، دُونَ حَرْفِ الإِعْرَابِ، سَوَاءٌ أَكَانَ الاسْمُ مَجْرُورًا بِحَرْفِ جَرٍّ، أَمْ بِالإِضَافَةِ، عَلَى حِينِ يَبْقَى مُصْطَلَحُ الجَرِّ قَاصِرًا عَلَى الاسْمِ المَجْرُورِ بِالإِضَافَةِ؛ لأَنَّهُ ذَلِكَ الاسْمُ، الَّذِي يَقُومُ مَقَامَ التَّنْوِينِ، وَلاَ يَشْمَلُ مَا سُبِقَ بِحَرْفِ جَرٍّ، وَلأَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ تُقِيمُهُ مَقَامَ شَيْءٍ آخَرَ.

الصِّفَاتُ وَالخَوَاضُ وَحُرُوفُ الإِضَافَةِ:

وَسَمَّى الكُوفِيُّونَ مَا يُعْرَفُ عِنْدَ البَصْرِيِّينَ بِحُرُوفِ الجَرِّ[2] تَسْمِيَاتٍ ثَلاَثًا:

1. الصِّفَاتُ:

سَمَّى الكُوفِيُّونَ حُرُوفَ الجَرِّ صِفَاتٍ؛ لأَنَّهَا تُحْدِثُ صِفَةً فِي الاسْمِ مِنْ ظَرْفِيَّةٍ، أَوْ غَيْرِهَا. فَقَوْلُكَ: جَلَسْتُ فِي الدَّارِ، دَلَّتْ فِي الدَّارِ عَلَى أَنَّ الدَّارَ وِعَاءٌ لِلجُلُوسِ، أَوْ أَنَّهَا تَقَعُ صِفَاتٍ لِمَا قَبْلَهَا مِنَ النَّكِرَاتِ.

وَمِنِ اسْتِعْمَالِ الكُوفِيِّينَ هَذِهِ التَّسْمِيَةَ قَوْلُ الفَرَّاءِ: "... فَلاَ تَحْذِفَنَّ أَلِفَ (اسْمٍ)، إِذَا أَضَفْتَهُ إِلَى غَيْرِ اللهِ تَبَارَكَ، وَتَعَالَى: وَلاَ تَحْذِفَنَّهَا مَعَ غَيْرِ البَاءِ مِنَ الصِّفَاتِ، وَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ الصِّفَةُ حَرْفًا وَاحِدًا، مِثْلُ: اللاَّمِ، وَالكَافِ"[3].

وَقَدْ وَجَدْتُ نَحْوِيِّينَ غَيْرَ كُوفِيِّينَ اسْتَعْمَلُوا هَذَا المُصْطَلَحَ، وَأَخَذُوا بِهِ، كَابْنِ قُتَيْبَةَ، الَّذِي سَمَّى حُرُوفَ الجَرِّ، فِي بَعْضِ المَوَاضِعِ مِنْ كِتَابِهِ (تَأْوِيلِ مُشْكِلِ القُرْآنِ)؛ صِفَاتٍ[4].

2. الخَوَافِضُ:

وَسَمَّوْهَا، أَيْضًا، خَوَافِضَ؛ لأَنَّهَا تَعْمَلُ إِعْرَابَ الخَفْضِ فِيمَا بَعْدَهَا، سَوَاءٌ أَكَانَ الإِعْرَابُ ظَاهِرًا، أَمْ مُقَدَّرًا، أَمْ مَحَلاًّ، مِثْلَمَا قِيلَ: حُرُوفُ النَّصْبِ، وَحُرُوفُ الجَزْمِ؛ لأَنَّهَا تَعْمَلُ النَّصْبَ، وَالجَزْمَ فِيمَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ أَفْعَالٍ.

---

[1] مجالس العلماء ص253.

[2] الكتاب 79/3، 80، والمقتضب 136/4، والأصول في النحو 397/1.

[3] معاني القرآن 2/1. وينظر أيضا: 31/1، 32، 119، 148، 178، 215 إلخ، ومجالس ثعلب ص471، 477، 558، وإصلاح المنطق ص299، واللامات ص52، والمرتجل ص253، وشرح المفصل 74/4، و7/8، والتوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل 479/1، وشرح التصريح 2/2، وهمع الهوامع 19/2.

[4] تأْوِيل مشكل القرآن ص228، 565.

وَتَتَرَدَّدُ هَذِه التَّسْمِيَةُ كَثِيراً عِنْدَ الكُوفِيِّينَ. فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ ثَعْلَب: "مَرَرْتُ بزَيْد، لاَ بعَمْرٍو. قَالَ: الكِسَائِيُّ لاَ يُجِيزُهُ إِلاَّ مَعَ البَاءِ، وَالفَرَّاءُ لاَ يَلْزَمُهُ أَنْ يَقُولَهُ؛ لأَنَّ الكِسَائِيَّ يَقُولُ: الثَّانِي مَحْذُوفٌ، مَطْلُوبٌ. وَإِذَا جَاءَ الخَفْضُ لَمْ يُحْذَفِ الخَافِضُ، وَالفِعْلُ"[1]. وَقَالَ: "البَاءُ لاَ تَدْخُلُ عَلَى مِنْ، وَلاَ خَافِضٌ عَلَى خَافِضٍ"[2].

وَيَسْتَعْمِلُهَا، أَيْضًا، نَحْوِيُّونَ بَصْرِيُّونَ، كَالمُبَرِّدِ[3]، وَالزَّجَّاجِيِّ[4]، وَابْنِ السَّرَّاجِ[5]، وَابْنِ جِنِّي[6]، وَغَيْرِهِمْ. وَغَيْرِهِمْ.

3. حُرُوفُ الإِضَافَة:

وَهَذِه تَسْمِيَةٌ ثَالِثَةٌ، أَطْلَقَهَا الكُوفِيُّونَ عَلَى حُرُوفِ الجَرِّ[7]، وَسَمَّوْهَا كَذَلِكَ؛ لأَنَّهَا تُضِيفُ الأَفْعَالَ إِلَى الأَسْمَاءِ الدَّاخِلَةِ عَلَيْهَا، أَيْ تُوصِلُهَا إِلَيْهَا، وَتَرْبِطُهَا بِهَا. فَفِي قَوْلِكَ: مَرَرْتُ بزَيْد، تَجِدُ الفِعْلَ مَرَرْتُ لاَ يَصِلُ إِلَى الاسْمِ زَيْد، أَوْ يَرْتَبِطُ به إِلاَّ إِذَا أَتَيْتَ بحَرْفِ إِضَافَة؛ حَرْفِ جَرٍّ، وَهُوَ (البَاءُ)، وَأَدْخَلْتَهُ عَلَى الاسْمِ زَيْد؛ لأَنَّ الفِعْلَ (مَرَرْتُ فِعْلٌ قَاصِرٌ، لاَ يَصِلُ أَثَرُهُ إِلَى مَا بَعْدَهُ إِلاَّ بوَسَاطَةٍ، أَوْ بحَرْفِ الإِضَافَةِ، وَهُوَ البَاءُ.

وَلَمْ أَقِفْ عَلَى هَذِه التَسْمِيَةِ عِنْدَ غَيْرِ الفَرَّاءِ مِنَ الكُوفِيِّينَ، فِي حُدُودِ مَا قَرَأْتُ لَهُمْ[8]، غَيْرَ أَنَّنِي وَجَدْتُ عَدَدًا مِنَ النَّحْوِيِّينَ يَسْتَعْمِلُونَهَا، كَسِيبَوَيْهِ الَّذِي أَكْثَرَ مِنِ اسْتِعْمَالِهَا فِي (الكِتَاب)، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: "... وَإِنَّمَا فُصِلَ هَذَا أَنَّهَا أَفْعَالٌ تُوصَلُ بحُرُوفِ الإِضَافَة، فَتَقُولُ: اخْتَرْتُ فُلاَنًا مِنَ الرِّجَال، وَسَمَّيْتُهُ بفُلاَن ... فَهَذِه الحُرُوفُ، يَعْنِي الأَفْعَالَ، كَانَ أَصْلُهَا أَنْ تُوصَلَ بحُرُوفِ الإِضَافَة"[9]. وَاسْتَعْمَلَ هَذَا المُصْطَلَحَ، أَيْضًا، المُبَرِّدُ[10]، وَابْنُ جِنِّي[1].

---

[1] مجالس ثعلب ص449.

[2] مجالس ثعلب ص467. وينظر: معاني القرآن 196/1، و3/2، 45، 222، 292، و11/3، 187، 293، وإيضاح الوقف والابتداء 345/1، 350، و787/2، 794.

[3] المقتضب 61/3، و269/4، والكامل في اللغة والأدب 92/2.

[4] الجمل(مخطوط) ص1، 23، 24، 33، 41، 47، 56.

[5] الأصول في النحو 506/1.

[6] الخصائص 184/1.

[7] حاشية الصبان مع الأشموني 203/2، وحاشية الخضري 226/2، وشرح التصريح 2/2، وهمع الهوامع 19/2، والموفي في النحو الكوفي ص136، وضياء السالك إلى أوضح المسالك 268/2.

[8] معاني القرآن 271/1.

[9] الكتاب 38/1 – 39، وينظر: 92/1، 106، 254، و3 /82.

[10] المقتضب 4/ 136.

وَأَمَّا الَمُصْطَلَحُ البَصْرِيُّ؛ حُرُوفُ الجَرِّ، فَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا مِنَ الكُوفِيِّينَ، فِيمَا أَعْلَمُ، اسْتَعْمَلَهُ، أَوْ عَبَّرَ بِه، غَيْرَ أَنَّ ابْنَ خَالَوَيْه، وَهُوَ المَعْرُوفُ بِمَيْلِه إِلَى الكُوفِيِّينَ، قَدِ اسْتَعْمَلَ الَمُصْطَلَحَ البَصْرِيَّ، وَهُوَ حُرُوفُ الجَرِّ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّة[2]، كَمَا أَنَّهُ سَمَّى البَاءَ فَقَطْ، مِنْ بَيْنِ حُرُوفِ الخَفْضِ؛ صِفَةً[3].

وَيَبْدُو لَنَا أَنَّ هَذِهِ التَّسْمِيَات، أَعْنِي تَسْمِيَاتِ الكُوفِيِّينَ الثلَاثَ، يُكَمِّلُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَهِيَ مُجْتَمِعَةً تُوَضِّحُ عَمَلَ هَذِهِ الحُرُوفِ وَوَظَائِفَهَا، وَتُجَلِّيهَا بِأَفْضَلِ صُورَة، فِي حِينِ تُوهِمُ تَسْمِيَةُ البَصْرِيِّينَ؛ حُرُوفُ الجَرِّ، بِأَنَّ هَذِهِ الحُرُوفَ لَيْسَ لَهَا مِنْ وَظِيفَةٍ إِلاَّ هَذَا العَمَلَ الإِعْرَابِيَّ المَعْرُوفَ بِالجَرِّ.

التَّوَابِعُ

التَّوَابِعُ فِي اللُّغَةِ هِيَ: النَّعْتُ، وَالبَدَلُ، وَعَطْفُ البَيَانِ، وَعَطْفُ النَّسَقِ، وَالتَّوْكِيدُ. وَهِيَ أَسْمَاءٌ تَتْبَعُ مَا قَبْلَهَا مِنْ جِهَتَيْنِ: تَبَعِيَّةً إِعرابِيَّةً فِي رَفْعِهَا، وَنَصْبِهَا، وَخَفْضِهَا، وَتَبَعِيَّةً مَعْنَوِيَّةً، إِذْ يُتَمِّمُ أَكْثَرُهَا مَعْنَى مَا تَتْبَعُهُ، كَالنَّعْت، مَثَلاً، الَّذي يُؤْتَى بِه؛ لِيُوَضِّحَ إِنْ كَانَ مَتْبُوعُهُ مَعْرِفَةً، أَوْ يُخَصِّصَهُ إِنْ كَانَ نَكِرَةً.

وَهَذِهِ التَّوَابِعُ لَمْ تَكُنْ أَسْمَاؤُهَا وَاحِدَةً عِنْدَ البَصْرِيِّينَ وَالكُوفِيِّينَ، بَلِ اخْتَلَفَتْ، وَأَصْبَحَتْ لَهَا أَسْمَاءً بَصْرِيَّةً، وَأُخْرَى كُوفِيَّةً. فَمَا الأَسْمَاءُ الكُوفِيَّةُ، الَّتِي أُطْلِقَتْ عَلَى هَذِهِ التَّوَابِعِ؟

النَّعْتُ:

النَّعْتُ تَعْبِيرٌ كُوفِيٌّ، يُرَادُ بِه مَا يُرَادُ مِنَ الوَصْف، أَوِ الصِّفَة عِنْدَ البَصْرِيِّينَ[4].

وَالنَّعْتُ فِي اللُّغَة: هُوَ الوَصْفُ. وَكِلاَهُمَا مَصْدَرٌ يَعْنِي الحَالَةَ، الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا الشَّيْءُ مِنْ حِلْيَتِه، وَنَعْتِه، كَالسَّوَادِ وَالبَيَاضِ، وَالعِلْمِ وَالجَهْلِ[5].

وَفِي الاصْطِلاَحِ: عِبارَةٌ عَنِ اسْمٍ، أَوْ مَا فِي تَقْدِيرِهِ مِنْ ظَرْفٍ، أَوْ مَجْرُورٍ، أَوْ جُمْلَة، تَتْبَعُ مَا قَبْلَهُ؛ لِتَخْصِيصِ نَكِرَة، أَوْ إِزَالَةِ اشْتِرَاكِ عَارِضٍ فِي مَعْرِفَة، أَوْ مَدْحٍ، أَوْ ذَمٍّ، أَوْ تَرَحُّمٍ، أَوْ تَأْكِيد، بِمَا يَدُلُّ عَلَى حِلْيَتِه كَقَصِيرٍ، أَوْ نَسَبِه كَكُوفِيٍّ وَبَصْرِيٍّ، أَوْ فِعْلِه كَجَالِسٍ وَنَائِمٍ، أَوْ خَاصَّةٍ مِنْ خَوَاصِّه، وَذَلِكَ أَنْ تَصِفَهُ بِصِفَةٍ سَبَبِيَّةٍ، نَحْوُ: مَرَرْتُ بِغُلاَمٍ نَظِيفٍ ثَوْبُهُ[6].

---

[1] سر صناعة الإعراب 36/1، 140.

[2] إعراب ثلاثين من القرآن الكريم ص31، 186، 205، 233.

[3] إعراب ثلاثين من القرآن الكريم ص5، 9، 133، 177.

[4] الفروق اللغوية ص22 وهمع الهوامع 116/2، وحاشية الخضرى 51/2.

[5] القاموس المحيط مادة (نعت ووصف)، والمعجم الوسيط مادة (وصف).

[6] ينظر: المقرب 219/1.

وَقَدْ يُطْلِقُ النَّحْوِيُّونَ النَّعْتَ، أَوِ الصِّفَةَ، أَوِ الوَصْفَ عَلَى المُشْتَقَّاتِ، كَاسْمِ الفَاعِلِ، وَاسْمِ المَفْعُولِ، وَالصِّفَةِ المُشَبَّهَةِ، وَاسْمِ التَّفْضِيلِ[1]، عِنْدَئِذٍ يَكُونُ المُرَادُ مِنْ هَذِهِ التَّسْمِيَاتِ غَيْرَ المُرَادِ مِنْهَا حِينَ يُسَمَّى بِهَا هَذَا التَّابِعُ المَعْرُوفُ بِالنَّعْتِ.

وَقَدْ فَرَّقَ العُلَمَاءُ بَيْنَ عِبَارَةِ النَّعْتِ، وَالصِّفَةِ، أَوِ الوَصْفِ. فَذُكِرَ عَنِ الخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ أَنَّ النَّعْتَ لاَ يَكُونُ إِلاَّ فِي الصِّفَاتِ المَحْمُودَةِ، وَأَنَّ الوَصْفَ يَكُونُ فِي المَحْمُودِ، وَفِي غَيْرِهِ مِنَ الصِّفَاتِ[2]. وَقَالَ غَيْرُهُ: إِنَّ النَّعْتَ هُوَ الصِّفَةُ الرَّاسِخَةُ، الَّتِي تَثْبُتُ، وَلاَ تَتَغَيَّرُ، وَالوَصْفَ الصِّفَةُ الرَّاسِخَةُ، وَغَيْرُ الرَّاسِخَةِ[3]. وَعَلَى القَوْلَيْنِ تَكُونُ الصِّفَةُ أَعَمَّ، وَأَشْمَلَ مِنَ النَّعْتِ.

وَرَأَى فَرِيقٌ ثَالِثٌ أَنَّ النَّعْتَ يُطْلَقُ عَلَى مَا يَظْهَرُ مِنَ الصِّفَاتِ، وَيُشْتَهَرُ، وَأَنَّ النَّعْتَ وَالوَصْفَ يَتَدَاخَلاَنِ، فَيَقَعُ أَحَدُهُمَا مَوْقِعَ الآخَرِ؛ لِتَقَارُبِهِمَا فِي المَعْنَى، كَمَا أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الصِّفَةُ لُغَةً، وَالنَّعْتَ لُغَةً أُخْرَى، مِنْ دُونِ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا أَيُّ فَرْقٍ[4].

وَالَّذِي يَبْدُو أَنَّ الكُوفِيِّينَ لَمْ يَكُونُوا لِيَفْرُقُوا بَيْنَ هَذِهِ الاخْتِلاَفَاتِ فِي اسْتِعْمَالِ كُلٍّ مِنَ النَّعْتِ، أَوِ الصِّفَةِ، بَلْ إِنَّهُمْ أَطْلَقُوا كَلِمَةَ النَّعْتِ عَلَى الصِّفَاتِ، بِشَكْلٍ عَامٍّ، مِنْ دُونِ أَنْ يُمَيِّزُوا بَيْنَ مَا كَانَ مِنْهَا مَحْمُودًا، أَوْ غَيْرَ مَحْمُودٍ، أَوْ مَا كَانَ رَاسِخًا، أَوْ غَيْرَ رَاسِخٍ، مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ، بِدَلِيلِ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِيَسْتَعْمِلُوا المُصْطَلَحَ البَصْرِيَّ؛ الوَصْفَ، أَوِ الصِّفَةَ، إِلَّا أَحْيَانًا قَلِيلَةً، عَلَى حِينَ أَكْثَرُوا مِنِ اسْتِعْمَالِ النَّعْتِ.

فَمِنِ اسْتِعْمَالِ الفَرَّاءِ كَلِمَةَ نَعْتٍ قَوْلُهُ: "وَالعَرَبُ تَرُدُّ الاسْمَ إِذَا كَانَ مَعْرِفَةً عَلَى (مَنْ)، يُرِيدُونَ التَّكْرِيرَ[5]، وَلاَ يَكُونُ نَعْتًا؛ لأَنَّ (مَنْ) قَدْ تَكُونُ مَعْرِفَةً، وَنَكِرَةً، وَمَجْهُولَةً، وَلاَ تَكُونُ نَعْتًا، كَمَا أَنَّ (الَّذِي) قَدْ يَكُونُ نَعْتًا لِلأَسْمَاءِ، فَتَقُولُ: مَرَرْتُ بِأَخِيكَ مَنْ قَامَ، فَلَمَّا لَمْ تَكُنْ نَعْتًا لِغَيْرِهَا مِنَ المَعْرِفَةِ، لَمْ تَكُنِ المَعْرِفَةُ نَعْتًا لَهَا"[6].

وَجَاءَ فِي (المَجَالِسِ) قَوْلُ ثَعْلَبٍ: "... وَإِذَا جَاءُوا مَعَ (هَذَا) بِالأَلِفِ وَاللاَّمِ، كَانَتِ الأَلِفُ وَاللاَّمُ نَعْتًا لِهَذَا، فَقَالُوا: هَذَا الرَّجُلُ قَائِمٌ. وَقَدْ أَجَازَ أَهْلُ البَصْرَةِ، إِذَا كَانَ مَعْهُودًا، أَنْ يُنْصَبَ الفِعْلُ[7]،

---

[1] ينظر: الصاحبي في فقه اللغة ص272.

[2] الصاحبي في فقه اللغة ص88.

[3] الفروق اللغوية ص21-22.

[4] الفروق اللغوية ص21-22.

[5] يَعْنِي بِالتَّكْرِيرِ البَدَلَ، وَهُوَ مُصْطَلَحٌ كُوفِي كَمَا سَيَأْتِي.

[6] معاني القرآن 427/1 -428، وينظر أيضا: 7/1، 11، 12، 13، 14، 73، 106، 112، إلخ.

[7] يَعْنِي بِالفِعْلِ كَلِمَةَ (قَائِم).

وَقَدْ أَجَازَهُ، أَيْضًا، بَعْضُ النَّحْوِيِّينَ، وَالفَرَّاءُ يَأْبَاهُ. وَإِنَّمَا نَعَتُوا هَذَا بِالأَسْمَاءِ، فَقَالُوا: مَرَرْتُ بِهَذَا الرَّجُلِ، وَرَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ، فَجَعَلُوهُ تَابِعًا لِهَذا؛ لأَنَّهُ يَكُونُ بَيْنَ يَدِيِّ الرَّجُلِ أَجْنَاسٌ، فَلاَ يُدْرَى إِلَى أَيِّهِمَا أَشَرْتَ"[1].

وَقَدْ سَبَقَ أَنْ أَشَرْنَا، مُنْذُ قَلِيلٍ، إِلَى أَنَّ الكُوفِيِّينَ رُبَّمَا اسْتَعْمَلُوا المُصْطَلَحَ البَصْرِيَّ؛ الصِّفَةَ، أَوِ الوَصْفَ. فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الفَرَّاءِ، عِنْدَ تَفْسِيرِهِ قَوْلَهُ تَعَالَى: {وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ}[2]: "وَقَوْلُهُ: {مَنْ آمَنَ بِاللهِ} (مَنْ) فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، وَمَا بَعْدَهَا صِلَةٌ لَهَا، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى قَوْلِهِ: {وَالمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ}، فَتَرُدُّ (المُوفُونَ) عَلَى (مَنْ)، (وَالمُوفُونَ) مِنْ صِفَةِ (مَنْ)، كَأَنَّهُ: مَنْ آمَنَ، وَمَنْ فَعَلَ، وَأَوْفَى. وَنَصَبْتَ (الصَّابِرِينَ)؛ لأَنَّهَا مِنْ صِفَةِ (مَنْ)، وَإِنَّمَا نُصِبَتْ؛ لأَنَّهَا مِنْ صِفَةِ اسْمٍ وَاحِدٍ، فَكَأَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى المَدْحِ، وَالعَرَبُ تَعْتَرِضُ مِنْ صِفَاتِ الوَاحِدِ، إِذَا تَطَاوَلَتْ، بِالمَدْحِ، أَوِ الذَّمِّ، فَيَرْفَعُونَ، إِذَا كَانَ الاسْمُ رَفْعًا، وَيَنْصِبُونَ بَعْضَ المَدْحِ، فَكَأَنَّهُمْ يَنْوُونَ إِخْرَاجَ المَنْصُوبِ بِمَدْحٍ، مُجَدَّدٍ، غَيْرِ مُتْبَعٍ لأَوَّلِ الكَلاَمِ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

لاَ يَبْعَدَنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمُ ... سُمُّ العُدَاةِ وَآفَةُ الجُزْرِ

النَّازِلِينَ بِكُلِّ مُعْتَرَكٍ ... وَالطَّيِّبِينَ مَعَاقِدَ الأُزُرِ"[3].

وَمِثْلَمَا وَجَدْنَا الكُوفِيِّينَ يُعَبِّرُونَ أَحْيَانًا بِالتَّعْبِيرِ البَصْرِيِّ، نَجِدُ البَصْرِيِّينَ يَسْتَعْمِلُونَ المُصْطَلَحَ الكُوفِيَّ؛ النَّعْتَ، وَيَقُولُونَ بِهِ[4]. فَهَذَا شَيْخُ البَصْرِيِّينَ، وَإِمَامُهُمْ، سِيبَوَيْهِ يَسْتَعْمِلُ كَلِمَةَ النَّعْتِ فِي (الكِتَابِ)، مِمَّا دَفَعَ بَعْضَ البَاحِثِينَ المُحْدَثِينَ إِلَى القَوْلِ: إِنَّ النَّعْتَ لَيْسَ بِمُصْطَلَحٍ كُوفِيٍّ، وَإِنَّمَا هُوَ بَصْرِيُّ المَوْلِدِ وَالنَّشْأَةِ[5]، نَاسِيًا، أَوْ مُتَنَاسِيًا، أَنَّ المُصْطَلَحَاتِ لَمْ تَكُنْ وَقْفًا عَلَى مَدْرَسَةٍ دُونَ أُخْرَى، فَكَثِيرًا مَا نَجِدُ النَّحْوِيِّينَ يُعَبِّرُونَ بِمُصْطَلَحَاتِهِمُ الخَاصَّةِ، وَبِمُصْطَلَحَاتِ غَيْرِهِمْ. فَكَمْ مُصْطَلَحٍ بَصْرِيٍّ نَجِدُ صَدَاهُ عِنْدَ الكُوفِيِّ، وَكَمْ مُصْطَلَحٍ كُوفِيٍّ نَجِدُ لَهُ دَوِيًّا عِنْدَ البَصْرِيِّ، وَالأَمْثِلَةُ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرَةٌ، أَقْرَبُهَا إِلَيْنَا هَذَا المُصْطَلَحُ الَّذِي نَحْنُ بِصَدَدِهِ. يَقُولُ سِيبَوَيْهِ[6]: "هَذَا بَابُ مَجْرَى النَّعْتِ عَلَى المَنْعُوتِ، وَالشَّرِيكِ عَلَى الشَّرِيكِ، وَالبَدَلِ عَلَى المُبْدَلِ مِنْهُ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. فَأَمَّا النَّعْتُ الَّذِي جَرَى عَلَى المَنْعُوتِ، فَقَوْلُكَ: مَرَرْتُ

---

[1] مجالس ثعلب ص44، وينظر: المذكر والمؤنث ص131 . 137، 274، 281، 321، 322، 426، وإيضاح الوقف والابتداء 116/1، 123، إلخ.

[2] البقرة الآية 177.

[3] معاني القرآن 105/1 وينظر أيضا: 154/1، و347/2، 419، ومجالس ثعلب ص42 وينظر: المذكر والمؤنث ص153،145،143.

[4] همع الهوامع 116/2.

[5] ابن الحاجب النحوى آثارة ومذهبه ص142.

[6] الكتاب (طبعة هَارون) 421/1، وينظر: 422/1، 430.

بِرَجُلٍ ظَرِيفٍ قَبْلُ...". وَغَيْرُ سِيبَوَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّحْوِيِّينَ، مِمَّنْ تَرَدَّدَتْ عِنْدَهُمُ التَّسْمِيَةُ الكُوفِيَّةُ، وَالبَصْرِيَّةُ، كَالمُبَرِّدِ[1]، وَالزَّجَّاجِيِّ[2]، وَابْنِ السَّرَّاجِ[3]، وَالزُّبَيْدِيِّ[4]، وَابْنِ عُصْفُورٍ[5]، حَتَّى إِنَّنَا لاَ نَكَادُ نَجِدُ نَحْوِيًّا قَدِيمًا كَانَ، أَوْ مُتَأَخِّرًا، لاَ يَسْتَعْمِلُ التَّعْبِيرَيْنِ. وَلَعَلَّ فِي ذَلِكَ أَكْبَرَ دِلاَلَةٍ عَلَى أَنَّ النَّعْتَ، وَالوَصْفَ، أَوِ الصِّفَةَ، تُؤَدِّيَانِ مَعْنًى وَاحِدًا، وَأَنَّهُ لاَ فَرْقَ كَبِيرًا بَيْنَهُمَا، وَإِنْ كُنَّا نُفَضِّلُ، أَوْ نَمِيلُ إِلَى تَخْصِيصِ كَلِمَةِ النَّعْتِ بِمَا كَانَ مَحْمُودًا مِنَ الصِّفَاتِ، وَكَلِمَةِ الوَصْفِ، أَوِ الصِّفَةِ، بِمَا كَانَ مَحْمُودًا، أَوْ غَيْرَ مَحْمُودٍ مِنَ الصِّفَاتِ.

النَّعْتُ المُخَالِفُ وَالنَّعْتُ المُوَافِقُ:

وَيَتَّصِلُ بِبَابِ النَّعْتِ مَا يُسَمِّيهِ الكُوفِيُّونَ النَّعْتَ المُخَالِفَ[6]. وَهُوَ مَا كَانَ شِبْهَ جُمْلَةٍ ظَرْفًا، أَوْ جَارًّا وَمَجْرُورًا، كَقَوْلِكَ: رَجُلٌ مِنَ الكِرَامِ عِنْدَنَا. فَشِبْهُ الجُمْلَةِ (مِنَ الكِرَامِ) نَعْتٌ لِ(رَجُلٌ). وَسُمِّيَ هَذَا النَّعْتَ مُخَالِفًا؛ لأَنَّهُ يُخَالِفُ النَّعْتَ العَادِيَّ فِي كَوْنِهِ شِبْهَ جُمْلَةٍ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ المَنْعُوتَ نَفْسَهُ فِي المَعْنَى، كَمَا كَانَ (الكَرِيمُ) فِي قَوْلِكَ: عَمْرٌو الكَرِيمُ، نَفْسَ عَمْرٍو. أَيْ أَنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنَ النَّعْتِ سُمِّيَ مُخَالِفًا لِسَبَبَيْنِ: الأَوَّلِ كَوْنُهُ شِبْهَ جُمْلَةٍ، وَالثَّانِي كَوْنُهُ لَيْسَ المَنْعُوتَ نَفْسَهُ فِي المَعْنَى. وَهَذَا الصِّنْفُ مِنَ النُّعُوتِ لاَ يَصِفُ إِلاَّ نَكِرَةً، وَلاَ يَتَقَدَّمُ عَلَى المَنْعُوتِ.

وَأَمَّا النَّعْتُ المُوَافِقُ[7]، فَسُمِّيَ كَذَلِكَ؛ لأَنَّهُ يَكُونُ عَيْنَ المَنْعُوتِ فِي المَعْنَى، أَيْ أَنَّهُ يُوَافِقُهُ، وَيُطَابِقُهُ. فَإِذَا قُلْتَ: زَيْدٌ العَالِمُ، كَانَ (العَالِمُ)، فِي المَعْنَى، نَفْسَ (زَيْدٌ)، مُتَّصِفًا بِالعِلْمِ. وَهَذَا النَّعْتُ يُفِيدُ مَعْنًى فِي مَتْبُوعِهِ، غَيْرَ الشُّمُولِ. فَالعَالِمُ، فِي المِثَالِ السَّابِقِ، دَلَّ عَلَى مَعْنًى خَاصٍّ فِي (زَيْدٌ)، وَهُوَ العِلْمُ، مِنْ دُونِ أَنْ يَشْمَلَ ذَاتَهُ كُلَّهَا.

نَعْتُ الخَلَفِ:

---

[1] ينظر: المقتضب 4/281-292، والكامل في اللغة والأدب 2/232، و3/17، 40.

[2] الجمل (مخطوط) ص9-11، 16، 63، 74، 119، 175.

[3] الأصول في النحو 2/21-45.

[4] الواضح في علم العربية ص24-27، 60، 62، 202، إلخ.

[5] المقرب 1/219-225.

[6] الموفي في النحو الكوفي ص31.

[7] الموفي في النحو الكوفي ص55.

وَهَذه تَسْمِيَةٌ أُخْرَى لصنْف منَ النُّعوت. وَيَعْنِي بِهَا الكُوفِيُّونَ مَا يَعْنِي البَصْرِيُّونَ فِي قَوْلِهِمْ: صِفَةٌ قَامَتْ مَقَامَ المَوْصُوفِ[1]. وَتَفْسِيرُ ذَلِكَ أَنَّهُ كَثِيراً مَا يحذف الموصوف، وتنوب الصِّفَة منابه، كقول زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلْمَى:

بِهَا العِينُ وَالآرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً وَأَطْلاَؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ

فَالمَوْصوف فِي هَذَا البَيْت، وَهُوَ (البَقَرَاتُ)، مَحْذُوفٌ، قَامَ مَقَامَهُ الصِّفَةُ؛ العِينُ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ الأَعْشَى:

كَنَاطِحِ صَخْرَةً يَوْمًا لِيُوهِنَهَا فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الوَعِلُ

فَالمَوْصُوفُ، وَهُوَ الوَعِلُ، مَحْذُوفٌ قَامَ مَقَامَهُ الصِّفَةُ، وَهِيَ نَاطِحٌ.

فَمِثْلُ هَذه الصِّفَات، الَّتِي قَامَتْ مَقَامَ المَوْصُوفَات المَحْذُوفَة، يُسَمِّيهَا الكُوفِيُّونَ خَلَفًا؛ لأَنَّهَا خَلَفَت المَوْصُوفَ، وَقَامَتْ مَقَامَهُ فِي الجُمْلَة. وَكَمَا تَرَى لاَ تَجِدُ فَرْقًا بَيْنَ قَوْلِ الكُوفِيِّينَ: خَلَفٌ، وَقَوْلِ البَصْرِيِّينَ: صِفَةٌ قَامَتْ مَقَامَ المَوْصُوفِ، اللَّهُمَّ إِلاَّ أَنَّ العِبَارَةَ الكُوفِيَّةَ أَقْصَرُ، وَأَخْصَرُ مِنْ قَوْلِ البَصْرِيِّينَ: صِفَةٌ قَامَتْ مَقَامَ المَوْصُوفِ.

وَذَكَرَ أَبُو حَيَّانَ مَفْهُومًا آخَرَ لِنَعْت الخَلَف عِنْدَ الكُوفِيِّينَ، وَهُوَ الوَصْفُ إِذَا تَلاَهُ اسْمٌ مَرْفُوعٌ، وَلَمْ يَكُنْ مُعْتَمِدًا عَلَى نَفْيٍ، أَوِ اسْتِفْهَامٍ. يَقُولُ: "وَذَهَبَ الكُوفِيُّونَ إِلَى نَحْوِ مَذْهَبِ الأَخْفَشِ، مِنْ عَدَمِ اشْتِرَاطِهِمُ الاسْتِفْهَامَ، وَالنَّفْيَ، إِلاَّ أَنَّهُمْ يَجْعَلُونَ الوَصْفَ مَرْفُوعًا بِمَا بَعْدَهُ، وَمَا بَعْدَهُ مَرْفُوعًا بِهِ، عَلَى قَاعِدَتِهِمْ، وَيُوَافِقُونَهُ فِي إِلْتِزَامِ إِفْرَادِهِ، وَتَجَرُّدِهِ مِنْ ضَمِيرٍ، وَيُجِيزُونَ إِجْرَاءَهُ مُجْرَى اسْمٍ جَامِدٍ، فَيُطَابِقُ مَا بَعْدَهُ، وَيُجِيزُونَ، أَيْضًا، جَعْلَهُ نَعْتًا مَنْوِيًّا، مُطَابِقًا لِلآخَرِ، فِي إِفْرَادِهِ، وَتَثْنِيَتِهِ، وَجَمْعِهِ، وَلاَ بُدَّ إِذْ ذَاكَ، مِنْ مُطَابَقَتِهِ النَّعْتَ، ويسمُّونه خلفا"[2].

التَّرْجَمَةُ وَالتَّبْيِينُ وَالتَّكْرِيرُ وَالتَّفْسِيرُ وَالعِبَارَةُ:

هَذِهِ تَسْمِيَاتٌ كُوفِيَّةٌ، لِلبَدَلِ عِنْدَ البَصْرِيِّينَ. وَهَذَا بَيَانُهَا مُفَصَّلَةً:

1- التَّرْجَمَةُ:

التَّرْجَمَةُ وَاحِدَةٌ منَ التَّسْمِيَات، الَّتِي أَطْلَقَهَا الكُوفِيُّونَ عَلَى البَدَلِ[3]. وَتَعْنِي لُغَةً التَّفْسِيرَ لِلِّسَانِ، وَتَبْيِينَ الكَلاَمِ، وَتَوْضِيحَهُ[4]. وَاصْطِلاَحًا: كَلِمَةٌ تُطْلَقُ عَلَى مَا كَانَ تَابِعًا لِغَيْرِهِ فِي الإِعْرَابِ، مَقْصُودًا فِي

---

[1] الأصول في النحو 222/1.

[2] ارتشاف الضرب 26/2-27.

[3] الأصول في النحو 189/2، وشرح التصريح 155/2، وحاشية الخضري 68/2، والكواكب الدرية 223/2، والموفي في النحو الكوفي ص60.

[4] القاموس المحيط، والمعجم الوسيط مادة (ترجم).

الحُكْمِ، الَّذي يُرَادُ مِنَ الكَلاَمِ، مِنْ دُونِ أَنْ تَقُومَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَتْبَعُهُ وَاسِطَةٌ، كَحُرُوفِ النَّسَقِ، كَقَوْلِكَ: مَرَرْتُ بِعَبْدِ اللهِ زَيْدٍ. فَالاسْمُ (زَيْدٍ) تَابِعٌ فِي الإِعْرَابِ لَمَا قَبْلَهُ (عَبْدِ اللهِ)، فَكَانَ مَجْرُورًا مِثْلَهُ، وَلَكِنَّهُ هُوَ المَقْصُودُ فِي الحُكْمِ.

وَلَعَلَّ الكُوفِيِّينَ سَمَّوا هَذَا التَّابِعَ تَرْجَمَةً؛ لأَنَّهُ يُتَرْجِمُ عَنْ مَتْبُوعِهِ بِتَفْسِيرِهِ، وَتَوْضِيحِهِ، وَبَيَانِ المَقْصُودِ مِنْهُ. وَتِلْكَ هِيَ النُّكْتَةُ، الَّتِي يَجِيءُ بِهَذَا التَّابِعِ مِنْ أَجْلِهَا.

وَكَثِيرًا مَا يَسُوغُ لِكُلٍّ مِنَ الفَرَّاءِ، وَثَعْلَبٍ، وَأَبِي بَكْرٍ الأَنْبَارِيِّ، التَّعْبِيرُ عَنْ هَذَا التَّابِعِ بِكَلِمَةِ تَرْجَمَةٍ، أَوْ مُتَرْجِمٍ. مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الفَرَّاءِ: "... وَمِثْلُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

لِمَيَّةَ مُوحِشًا طَلَلُ يَلُوحُ كَأَنَّهُ خَلَلُ

المَعْنَى: لِمَيَّةَ طَلَلٌ مُوحِشٌ، فَصَلُحَ رَفْعُهُ؛ لأَنَّهُ أُتْبِعَ الطَّلَلَ، فَلَمَّا قُدِّمَ، لَمْ يَجُزْ أَنْ يَتْبَعَ الطَّلَلَ، وَهُوَ قَبْلَهُ. وَقَدْ يَجُوزُ رَفْعُهُ عَلَى أَنْ تَجْعَلَهُ كَالاسْمِ، يَكُونُ الطَّلَلُ تَرْجَمَةً عَنْهُ، كَمَا تَقُولُ: عِنْدِي خُرَاسَانِيَّةٌ جَارِيَةٌ"[1].

وَجَاءَ فِي (المَجَالِسِ): "{فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ}[2] قَالَ: يَوْمَئِذٍ مُرْفِعٌ[3]، وَيَوْمٌ عَسِيرٌ تَرْجَمَةُ يَوْمَئِذٍ"[4].

2- التَّبْيِينُ:

وَهَذِهِ تَسْمِيَةٌ ثَانِيَةٌ عِنْدَ الكُوفِيِّينَ لِلبَدَلِ[5]. وَتَعْنِي لُغَةً تَوْضِيحَ الشَّيْءِ، وَتَعْرِيفَهُ، فَإِذَا قُلْتَ: ضَرَبْتُ زَيْدًا رَأْسَهُ، فَ(رَأْسَهُ) بَيَّنَتْ، وَوَضَّحَتِ المَوْضِعَ، الَّذِي وَقَعَ الضَّرْبُ بِهِ مِنْهُ، بَعْدَ أَنْ كَانَ مَوْضِعُ الضَّرْبِ مُبْهَمًا، لاَ يُعْرَفُ مَكَانُهُ. وَكَذَلِكَ إِذَا قُلْتَ: جَاءَنِي قَوْمُكَ بَعْضُهُمْ، فَبَعْضُهُمْ أَعْلَمَتْكَ، وَبَيَّنَتْ لَكَ أَنَّ بَعْضَ القَوْمِ جَاءَ، لاَ كُلُّهُمْ؛ وَلِذَلِكَ سُمِّيَ البَدَلُ تَبْيِينًا؛ لأَنَّهُ يُوَضِّحُ، وَيُبَيِّنُ الشَّيْءَ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُبْهَمًا.

وَقَدْ نَجِدُ أَبَا العَبَّاسِ المُبَرِّدَ؛ شَيْخَ البَصْرِيِّينَ فِي زَمَانِهِ، يَسْتَعْمِلُ المُصْطَلَحَ الكُوفِيَّ، إِلَى جَانِبِ المُصْطَلَحِ البَصْرِيِّ. فَقَدْ قَالَ فِي (الكَامِلِ فِي اللُّغَةِ وَالأَدَبِ)، مُعَلِّقًا عَلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ:

---

[1] معاني القرآن 167/1-168، وينظر: 159/2، 178، و145/3.

[2] المدثر الآية 9.

[3] مُرْفِعُهُ أَيْ خَبَرُهُ، بِنَاءً عَلَى مَذْهَبِ الكُوفِيِّينَ القَائِلِ: إِنَّ المُبْتَدَأَ وَالخَبَرَ تَرَافَعَا، أَيْ رَفَعَ كُلٌّ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ. وينظر: مُصْطَلَحَ التَّرَافُعِ.

[4] مجالس ثعلب 20، وينظر: المذكر والمؤنث ص449، وإيضاح الوقف والابتداء 117/1، 132، 476، والأضداد 212.

[5] شرح الأشموني 435/2، وشرح التصريح 155/2، وحاشية الخضري 68/2، والكواكب الدرية 123/2، وهمع الهوامع 125/2.

عَلَى سَاعَةٍ لَوْ أَنَّ فِي القَوْمِ حَاتِمًا عَلَى جُودِه مَا جَاءَ بِالمَاءِ حَاتِمُ

قَالَ: "جَعَلَ (حَاتِمُ) تَبْيِينًا فِي جُودِه، وَهُوَ مَا يُسَمِّيهِ البَصْرِيُّونَ البَدَلَ"[1].

وَلَعَلَّ هَذِهِ التَسْمِيَةَ لَمْ تَرِدْ عِنْدَ الفَرَّاءِ، أَوْ ثَعْلَبٍ، فِي حُدُودِ مَا أَعْلَمُ.

3- التَّكْرِيرُ:

وَالتَّكْرِيرُ عِبَارَةٌ ثَالِثَةٌ، أَطْلَقَهَا الكُوفِيُّونَ عَلَى البَدَلِ[2]. وَمَعْنَاهَا فِي اللُّغَةِ إِعَادَةُ الشَّيْءِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى للتَّوْكِيدِ، أَوِ التَّنْبِيهِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ[3]. وَمِنْ هُنَا أُطْلِقَ عَلَى البَدَلِ تَكْرِيرًا؛ لأَنَّ فِي إِعَادَةِ الاسْمِ، أَوْ مَا يُلَابِسُهُ مَرَّةً أُخْرَى نَوْعًا مِنَ التَّأْكِيدِ، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ الاسْمَ المُكَرَّرَ هُوَ المَقْصُودُ بِالحُكْمِ، لاَ غَيْرُهُ.

طَالَمَا وَجَدْنَا الفَرَّاءَ، وَغَيْرَهُ مِنَ الكُوفِيِّينَ، يُسَمِّي البَدَلَ بِهَذِهِ التَسْمِيَةِ، أَوْ بِمَا اشْتُقَّ مِنْهَا، كَـ(مَكْرُور)، وَ(تَكَرُّ)، وَغَيْرِ ذَلِكَ، كَقَوْلِهِ، مُعَقِّبًا عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {بِئْسَمَا اشْتَرَوا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا}[4]: "{أَنْ يَكْفُرُوا} فِي مَوْضِعِ خَفْضٍ، وَرَفْعٍ؛ فَأَمَّا الخَفْضُ، فَأَنْ تَرُدَّهُ عَلَى الهَاءِ، الَّتِي فِي بِهِ، عَلَى التَّكْرِيرِ عَلَى كَلاَمَيْنِ، كَأَنَّكَ قُلْتَ: اشْتَرَوا أَنْفُسَهُمْ بِالكُفْرِ. وَأَمَا الرَّفْعُ، فَأَنْ يَكُونَ مَكْرُورًا، أَيْضًا، عَلَى مَوْضِعِ (مَا)، الَّتِي تَلِي بِئْسَ"[5].

4- التَّفْسِيرُ:

وَالتَّفْسِيرُ رَابِعُ التَّسْمِيَاتِ، الَّتِي أَطْلَقَهَا الكُوفِيُّونَ عَلَى البَدَلِ. وَمَعْنَاهَا فِي اللُّغَةِ الإِبَانَةُ، وَكَشْفُ المَعْنَى المُرَادِ شَرْحُهُ، وَبَيَانُهُ. وَهَذَا المَعْنَى هُوَ المَقْصُودُ فِي اسْتِعْمَالِ البَدَلِ. فَالبَدَلُ يُبَيِّنُ المُبْدَلَ مِنْهُ، وَيَكْشِفُ المُرَادَ مِنْهُ. فَالشَّاعِرُ عِنْدَمَا يَقُولُ:

إِذَا متُّ كَانَ النَّاسُ نِصْفَيْنِ شَامتٌ وَآخَرُ مُثْنٍ بِالَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُ

يَبْقَى قَوْلُهُ: (نِصْفَيْنِ) مُبْهَمًا، غَيْرَ وَاضِحٍ حَتَّى تَأْتِيَ كَلِمَتَا؛ شَامتٌ وَآخَرُ، فَتُوَضِّحَاهُ، وَتُبَيِّنَا المُرَادَ مِنْهُ.

وَيَبْدُو أَنَّ هَذِهِ التَسْمِيَةَ مِنْ مُوَاضَعَاتِ الفَرَّاءِ، بِدَلِيلِ اسْتِعْمَالِهِ إِيَّاهَا، وَعَدَمِ وُرُودِهَا عِنْدَ ثَعْلَبٍ، فِي حُدُودِ مَا أَعْلَمُ. فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الفَرَّاءِ، عِنْدَ كَلاَمِهِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا

---

[1] الكامل في اللغة والأدب 234/1، وينظر: 18/3، والمقتضب 27/1.

[2] الأصول في النحو 198/2، وشرح الأشموني 435/2، وشرح التصريح 155/2، وحاشية الخضري 68/2، والكواكب الدرية 123/2، وهمع الهوامع 125/2.

[3] الكليات 76/2.

[4] البقرة الآية 9.

[5] معاني القرآن 56/1، وينظر: 7/1، 51، 112، 207، 316، و32/2، 33، 140، 291، و5/3، 21، 31، 279، إلخ، والمذكر والمؤنث ص364، 366.

نعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَونَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ، وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ}[1]: "وَقَوْلُهُ: (وَيُذَبِّحُونَ)، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ {يُذَبِّحُونَ}[2]، بِغَيْرِ وَاوٍ، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ {يُقَتِّلُونَ}[3]، بِغَيْرِ وَاوٍ. فَمَعْنَى الوَاوِ أَنَّهُمْ يُمَسُّهُمُ العَذَابُ غَيْرَ التَّذْبِيحِ، كَأَنَّهُ قَالَ: يُعَذِّبُونَكُمْ، بِغَيْرِ الذَّبْحِ، وَالتَّذْبِيحِ. وَمَعْنَى طَرْحِ الوَاوِ، كَأَنَّهُ تَفْسِيرٌ لِصِفَاتِ العَذَابِ. وَإِذَا كَانَ الخَبَرُ مِنَ العَذَابِ، أَوِ الثَّوَابِ، مُجْمَلاً فِي كَلِمَةٍ، ثُمَّ فَسَّرْتَهُ، فَأَجْعَلْهُ بِغَيْرِ الوَاوِ، وَإِذَا كَانَ أَوَّلُهُ غَيْرَ آخِرِهِ، فَبِالوَاوِ. فَمِنَ المُجْمَلِ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا}[4]، فَالأَثَامُ فِيهِ نِيَّةُ العَذَابِ؛ قَلِيلِهِ، وَكَثِيرِهِ، ثُمَّ فَسَّرَهُ بِغَيْرِ الوَاوِ، فَقَالَ: {يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ}، وَلَوْ كَانَ غَيْرَ مُجْمَلٍ، لَمْ يَكُنْ مَا لَيْسَ بِهِ تَفْسِيراً لَهُ، أَلاَ تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ: عِنْدِي دَابَّتَانِ؛ بَغْلٌ وَبِرْذَوْنٌ، وَلاَ يَجُوزُ عِنْدِي دَابَّتَانِ؛ وَبَغْلٌ وَبِرْذَوْنٌ، وَأَنْتَ تُرِيدُ تَفْسِيرَ الدَّابَّتَيْنِ بِالبَغْلِ وَالبِرْذَوْنِ"[5].

5. العِبَارَةُ:

وَالعِبَارَةُ تَسْمِيَةٌ كُوفِيَّةٌ خَامِسَةٌ سَمَّى بِهَا الفَرَّاءُ البَدَلَ، فِي بَعْضِ المَوَاضِعِ مِنْ كِتَابِهِ (مَعَانِي القُرْآنِ). وَاصْطِلاَحُ العِبَارَةِ يَلْتَقِي مَعَ اصْطِلاَحِ التَّفْسِيرِ فِي المَعْنَى، فَكِلاَهُمَا يُرَادُ بِهِ الكَلاَمُ، الَّذِي يُبَيِّنُ بِهِ مَا فِي النَّفْسِ مِنْ مَعَانٍ، قَالَ تَعَالَى: {إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ}[6]، أَيْ تُفَسِّرُونَ. وَهَذَا المَعْنَى هُوَ المَقْصُودُ فِي اسْتِعْمَالِ البَدَلِ، فَالبَدَلُ يُعَبِّرُ عَنِ المُبْدَلِ مِنْهُ، وَيُفَسِّرُهُ، وَيُوَضِّحُهُ. قَالَ الفَرَّاءُ، مُفَسِّرًا قَوْلَهُ تَعَالَى: {وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الحُسْنَى}[7]: "أَنْ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ؛ لأَنَّهُ عِبَارَةٌ عَنِ الكَذِبِ ... وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ}[8]، وَبَعْضُهُمْ يَخْفِضُ الكَذِبَ، يَجْعَلُهُ مَخْفُوضًا باللاَّمِ، الَّتِي فِي قَوْلِهِ: {لِمَا}؛ لأَنَّهُ عِبَارَةٌ عَنْ (مَا)، وَالنَّصْبُ فِيهِ وَجْهُ الكَلاَمِ"[9]. وَرُبَّمَا اسْتَعْمَلَ الكُوفِيُّونَ الكُوفِيُّونَ التَّعْبِيرَ البَصْرِيَّ؛ البَدَلَ، وَقَالُوا بِهِ[10].

---

[1] إبراهيم الآية 6

[2] البقرة الآية 49.

[3] الأعراف الآية 141.

[4] الفرقان الاية 68.

[5] معاني القرآن 68/2-69. وينظر: 193/1، 261، 343، 472، و154/3.

[6] يوسف الآية 43.

[7] النحل الآية 72.

[8] النحل الآية 116.

[9] معاني القرآن 107/2.

[10] المذكر والمؤنث ص366.

وَأَخيراً يَبْدُو أَنَّ الكُوفِيِّينَ أَرَادُوا مِنْ هَذه التَّسْمِيَات، أَعْنِي: التَّرْجَمَة، وَالتَّبْيِين، وَالتَّكْرِير، وَالتَّفْسِير، وَالعِبَارَة، وَهُوَ مَا يُسَمِّيه البَصْرِيُّونَ بَدَلاً؛ أَرَادُوا أَنْ يُوَضِّحُوا، وَيَشْرَحُوا المَعْنَى، الَّذي يُجَاءُ بِهَذَا التَّابِعِ مِنْ أَجْله، عَنْ طَرِيق مَا تُوحِيه هَذه التَّسْمِيَاتُ مِنْ مَعَانٍ مُخْتَلِفَة، تَبَعًا لِمَوْقِعِ هَذَا التَّابِعِ فِي الجُمْلَة.

فَتَسْمِيَةُ مِثْل قَوْله تَعَالَى: {وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ}[1]، وَقَوْله: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}[2]، وَقَوْل الشَّاعِر:

إِذَا متُّ كَانَ النَّاسُ نِصْفَيْنِ شَامتٌ وَآخرُ مُثْنٍ بِالَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُ

تَرْجَمَةً، وَتَبْيِينًا، وَتَكْرِيرًا، وَتَفْسِيرًا؛ تَبْدُو أَوْلَى مِنْ تَسْمِيَته بَدَلاً؛ لأَنَّ مُلاَحَظَةَ المَعْنَى فِي عِبَارَات الكُوفِيِّينَ أَبْيَنُ مِنْهَا، وَأَوْضَحُ مِنْ قَوْل البَصْرِيِّينَ: بَدَلٌ؛ لأَنَّ البَصْرِيِّينَ إِنَّمَا يَعْنُونَ بِكَلِمَة البَدَل إِبْدَالَ لَفْظَة مِنْ لَفْظَة أُخْرَى، تَشْتَرِكُ مَعَهَا فِي الحُكْم؛ لأَنَّهَا المَقْصُودَةُ بِه، وَهُوَ اعْتِبَارٌ يَكَادُ يَكُونُ لَفْظِيًّا مَحْضًا، كَمَا يُفْهَمُ مِنْ قَوْل ابْنِ مَالك فِي الأَلْفِيَّة:

التَّابِعُ المَقْصُودُ بِالحُكْمِ بِلَا وَاسِطَةٍ هُوَ المُسَمَّى بَدَلاً[3]

عَطْفُ البَيَان:

وَقَدْ زَادَ أَكْثَرُ النُّحَاة تَابِعًا خَامِسًا، سَمَّوْهُ عَطْفَ البَيَان؛ لأَنَّهُ تَكْرَارٌ للأَوَّل بِمُرَادِفه؛ لِزِيَادَة البَيَان، فَكَأَنَّكَ رَدَدْتَهُ عَلَى نَفْسه، بِخِلاَف النَّعْت، وَالبَدَل، وَالتَّوْكِيد. وَهَذه التَّسْمِيَةُ لِلْبَصْرِيِّينَ، أَمَّا الكُوفِيُّونَ، فَقَدْ تَظَاهَرَت النُّقُولُ عَنْهُمْ بِصَدَد هَذَا التَّابِع. فَذَكَرَ أَبُو البَرَكَات الأَنْبَارِيُّ أَنَّ بَابَ عَطْف البَيَان لاَ يَعْتَرِفُ بِه الكُوفِيُّونَ، وَلِذَلِكَ لاَ يُتَرْجِمُونَهُ[4]، وَتَبِعَهُ فِي ذَلِكَ السُّيُوطِيُّ فِي كِتَاب (الأَشْبَاه وَالنَّظَائِر فِي النَّحْو)[5]، إِلاَّ أَنَهُ ذَكَرَ فِي (هَمْع الهَوَامِع) أَنَّ الكُوفِيَّةَ تُسَمِّي هَذَا البَابَ (التَّرْجَمَةَ)[6]، وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ الكُوفِيِّينَ الكُوفِيِّينَ يُثْبِتُونَ هَذَا البَابَ، وَلَكِنْ بِتَسْمِيَة مُخَالِفَة لِلتَّسْمِيَّة البَصْرِيَّة، وَهَذَا مَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ كِتَاب (الكَوَاكِب الدُّرِيَّة) مِنْ أَنَّ الكُوفِيِّينَ يُسَمُّونَ هَذَا البَابَ التَّرْجَمَةَ[7]. وَيَغْلُبُ عَلَى الظَّنِّ أَنَّ مَا يُسَمِّيه البَصْرِيُّونَ (عَطْفَ بَيَانٍ)، لاَ يُثْبِتُهُ الكُوفِيُّونَ، وَمِنْ ثَمَّ لاَ يُتَرْجِمُونَهُ، وَهُوَ عِنْدَهُمْ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ البَدَل؛ لأَنَّ

---

[1] الفرقان الآية 68.

[2] الفاتحة الآيتان 6، 7.

[3] ينظر: مدرسة الكوفة ص310.

[4] أسرار العربية ص297.

[5] الأشباه والنظائر 96/2.

[6] همع الهوامع 121/2.

[7] الكواكب الدرية 101/2.

لَفْظَةَ التَّرْجَمَةِ مِنَ الأَلْفَاظِ، الَّتِي أَطْلَقُوهَا عَلَى البَدَلِ، كَمَا مَرَّ؛ لِذَلِكَ جَعْلُهُ نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ البَدَلِ أَوْلَى؛ لِاتِّفَاقِهِ تَسْمِيَةً، عِنْدَ الكُوفِيِّينَ، مَعَ البَدَلِ.

النَّسَقُ:

النَّسَقُ اصْطِلاَحٌ كُوفِيٌّ، يُقَابِلُهُ فِي اصْطِلاَحِ البَصْرِيِّينَ العَطْفُ[1]، أَوِ الشَّرِكَةِ، كَمَا كَانَ يُسَمِّيهِ سِيبَوَيْهِ، وَبَعْضُ أَصْحَابِه[2].

وَالنَّسَقُ مَصْدَرُ نَسَقْتُ الكَلاَمَ أَنسُقُهُ، بِمَعْنَى: وَالَيْتُ أَجْزَاءَهُ، وَرَبَطْتُ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ، رَبْطًا يَجْعَلُهَا عَلَى نِظَامٍ وَاحِدٍ، كَمَا يُجْعَلُ المُتَأَخِّرُ مُتَّصِلاً بِالمُتَقَدِّمِ. وَيُقَالُ: ثَغْرٌ نَسَقٌ، إِذَا تَسَاوَتْ أَسْنَانُهُ، وَانْتَظَمَتْ فِي البَنْيَةِ، وَحُسْنِ تَرْكِيبِهَا[3].

وَالنَّسَقُ فِي الاصْطِلاَحِ حَمْلُ الاسْمِ عَلَى الاسْمِ، أَوِ الفِعْلِ عَلَى الفِعْلِ، أَوِ الجُمْلَةِ عَلَى الجُمْلَةِ، بِتَوَسُّطِ أَحَدِ حُرُوفِ النَّسَقِ بَيْنَ التَّابِعِ، وَمَتْبُوعِه. وَحُرُوفُ النَّسَقِ هِيَ: الوَاوُ، وَالفَاءُ، وَأَوْ، وَثُمَّ، وَلَكِنْ، وَبَلْ، وَأَمْ، وَلَا، وَأَمَّا، وَغَيْرُهَا مِن حُرُوفِ النَّسَقِ، الَّتِي زَادَهَا الكُوفِيُّونَ[4].

وَأَكْبَرُ الظَّنِ أَنَّ اصْطِلاَحَ النَّسَقِ لَيْسَ مِنْ وَضْعِ الكُوفِيِّينَ، وَلاَ مِنِ ابْتِكَارَاتِهِمْ. فَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ لِلْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ قَصِيدَةً فِي النَّحْوِ، مِنْهَا بَيْتَانِ، يَتَحَدَّثُ فِيهِمَا عَنِ النَّسَقِ، وَحُرُوفِه، مُسْتَعْمِلاً لَفْظَةَ النَّسَقِ، وَهُمَا:

فَانْسُقْ وَصِلْ بِالوَاوِ قَوْلَكَ كُلَّهُ ... وَبِلاَ وَثُمَّ وَأَوْ فَلَيْسَتْ تَصْعُبُ

الفَاءُ نَاسِقَةٌ كَذَلِكَ عِنْدَنَا ... وَسَبِيلُهَا رَحْبُ المَذَاهِبِ مُشْعَبُ[5]

وَإِذَا صَحَّتْ هَذِهِ الأَبْيَاتُ أَنَّهَا لِلْخَلِيلِ، فَاصْطِلاَحُ النَّسَقِ مِنْ أَوْضَاعِ الخَلِيلِ، وَمُبْتَكَرَاتِه، وَمِنْ ثَمَّ اقْتَبَسَهُ الكُوفِيُّونَ، فَنُسِبَ إِلَيْهِمْ، تَمَامًا كَمَا اقْتَبَسُوا مِنْهُ مُصْطَلَحَ الخَفْضِ[6].

وَيَتَرَدَّدُ المُصْطَلَحُ الكُوفِيُّ، الَّذِي هُوَ أَصْلًا لِلْخَلِيلِ، مِرَارًا كَثِيرَةً عِنْدَ الفَرَّاءِ، وَثَعْلَب، وَأَبِي بَكْرٍ الأَنْبَارِيِّ. مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الفَرَّاءِ: "(إِذَا) إِذَا اسْتُؤْنِفَ بِهَا الكَلاَمُ، نَصَبَتَ الفِعْلِ، الَّذِي فِي أَوَّلِه اليَاءُ، أَوِ

---

[1] شرح المفصل 74/2، و88/8، والكليات 204/2.

[2] الكتاب 38/3، وإعراب القرآن للنحاس 126/1، وشرح التصريح 134/2، وهمع الهوامع 128/2، والكواكب الدرية 104/2.

[3] لسان العرب مادة (نسق).

[4] ينظر: ما سيأتي من هذا البحث: ما زاده الكوفيون من أدوات.

[5] مقدمة في النحو ص85-86.

[6] ينظر: الكلام على الخفض في هذا البحث.

التَّاءُ، أَوِ النُّونُ، أَوِ الأَلِفُ، فَيُقَالُ: إِذًا أَضْرِبَكَ، إِذًا أَجْزِيَكَ. فَإِذَا كَانَ فِيهَا فَاءٌ، أَوْ وَاوٌ، أَوْ (أَوْ)؛ حَرْفٌ مِنْ حُرُوفِ النَّسَقِ، فَإِنْ شِئْتَ كَانَ مَعْنَاهَا الاسْتِئْنَافَ، فَنَصَبْتَ بِهَا أَيْضًا"[1].

ومن ذلك ما جاء في (المجالس): "وأُنشد للبيد:

تَرَّاكُ أَمْكِنَةٍ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا أَوْ يَرْتَبِطْ بِبَعْضِ النُّفُوسِ حِمَامُهَا

قَالَ: أَرَادَ حَتَّى يَرْتَبِطَ، ثُمَّ نَسَقَ به. وَأَنْشَدَ:

فَيُذْرِكَ مِنْ أُخْرَى القَطَاةِ فَتَزْلَقِ

أَوْ جَزَمَ (يَرْتَبِطْ)؛ لِكَثْرَةِ الحَرَكَاتِ. قَالَ: وَهُوَ نَسَقٌ، كَأَنَّكَ قُلْتَ: إِذَا لَمْ يَكُنْ أَحَدُ ذَيْنِ. قَالَ أَبُو العَبَّاسِ: وَهُوَ أَجْوَدُ"[2].

وَإِلَى جَانِبِ النَّسَقِ نَجِدُ الكُوفِيِّينَ، أَحْيَانًا، يُعَبِّرُونَ بِالمُصْطَلَحِ البَصْرِيِّ؛ العَطْف. مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الفَرَّاءِ مُفَسِّرًا قَوْلَهُ تَعَالَى: {فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ}[3]: "البِئْرُ وَالقَصْرُ يُخْفَضَانِ عَلَى العَطْفِ عَلَى العُرُوشِ"[4]. كَمَا نَجِدُ الفَرَّاءَ يَسْتَعْمِلُ الرَّدَّ بِمَعْنَى العَطْفِ.[5]

وَقَدْ شَاعَ المُصْطَلَحُ الكُوفِيُّ عِنْدَ النُّحَاةِ، وَلاَ سِيَّمَا مُتَأَخِّرُوهُمْ، وَاشْتُهِرَ، عَلَى حِينِ لَفَّ النِّسْيَانُ قَوْلَ سِيبَوَيْهِ، وَبَعْضِ أَصْحَابِهِ: شَرِكَةٌ. وَلاَ أَظُنَّ أَنَّ هُنَاكَ فَرْقًا بَيْنَ قَوْلِنَا: عَطْفٌ، وَقَوْلِنَا: نَسَقٌ، فَكِلاَ المُصْطَلَحَيْنِ يُؤَدِّيَانِ مَعْنًى وَاحِدًا؛ لأَنَّ الشَّيْءَ إِذَا عَطَفْتَ عَلَيْهِ شَيْئًا بَعْدَهُ، جَرَى مَجْرًى وَاحِدًا، كَمَا أَنَّ النَّسَقَ جَرَيَانُ الشَّيْءِ عَلَى نِظَامٍ وَاحِدٍ؛ لِذَلِكَ تَجِدُهُمْ يَجْمَعُونَ بَيْنَ اللَّفْظَتَيْنِ، فَيَقُولُونَ: عَطْفُ نَسَقٍ.

التَّكْرِيرُ وَالتَّشْدِيدُ وَالاسْتِيثَاقُ:

التَّكْرِيرُ:

كَثِيرًا مَا كَانَ الفَرَّاءُ، وَثَعْلَبٌ، وَابْنُ الأَنْبَارِيِّ، يُطْلِقُونَ كَلِمَةَ تَكْرِيرٍ، وَمَا اشْتُقَّ مِنْهَا، عَلَى مَا يُسَمِّيهِ البَصْرِيُّونَ تَوْكِيدًا. وَقَدْ سَبَقَ أَنْ عَرَفْنَا أَنَّهَا إِحْدَى التَّسْمِيَاتِ، الَّتِي أَطْلَقَهَا الكُوفِيُّونَ عَلَى البَدَلِ، وَعَرَفْنَا ثَمَّ مَعْنَاهَا اللُّغَوِيَّ[6]. أَمَّا هُنَا، فَأُرِيدَ بِهَا تَابِعًا مِنَ التَّوَابِعِ، وَهُوَ المُسَمَّى، فِي عُرْفِ البَصْرِيِّينَ، تَوْكِيدًا،

---

[1] معاني القرآن 1-273، وينظر: أيضا 44/1، 59، 71، 72، 75، 157، 160، 196، 224، إلخ.

[2] مجالس ثعلب ص348، وينظر: أيضا ص60، 98، 149، 324، 386. وينظر: المذكر والمؤنث ص635، 646، وإيضاح الوقف والابتداء 116/1، 119، 124، 125، 447.

[3] الحج الآية 45.

[4] معاني القرآن 228/2، وينظر: أيضا 24/2، 58، 67، 198، 291، 355، وإيضاح الوقف والابتداء 413/1.

[5] معاني القرآن 8/1.

[6] ينظر: مصطلح البدل في هذا البحث.

تَوْكِيدًا، وَالَّذِي يُقْسَمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: لَفْظِيٍّ، وَمَعْنَوِيٍّ، مُرَادًا بِهِ تَمْكِينُ المَعْنَى فِي النَّفْسِ، أَوْ إِزَالَةُ الشَّكِّ عَنِ الحَدِيثِ، أَوِ المُحَدَّثِ عَنْهُ.

وَتَتَرَدَّدُ هَذِهِ التَّسْمِيَةُ عِنْدَ الفَرَّاءِ، وَثَعْلَب، وَابْنِ الأَنْبَارِيِّ. فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الفَرَّاءِ، عِنْدَ تَفْسِيرِهِ قَوْلَهُ تَعَالَى: {وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ}[1]: "وَمَنْ قَرَأَ {وَلاَ تَحْسَبَنَّ}، قَالَ: (إِنَّمَا)، وَقَدْ قَرَأَهَا بَعْضُهُمْ: وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفُرُوا أَنَّمَا، بِالتَّاءِ، وَالفَتْحِ، عَلَى التَّكْرِيرِ: لاَ تَحْسَبَنَّهُمْ لاَ تَحْسَبَنَّ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ}[2]، عَلَى التَّكْرِيرِ: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمْ"[3].

وَمِمَّا جَاءَ فِي (المَجَالِسِ) قَوْلُ ثَعْلَب: "أَتَيْتُكَ يَوْمَ يَوْمَ قُلْتَ كَذَا، وَيَوْمَ لَيْلَةَ كَذَا، وَلَيْلَةَ سَاعَةَ قُمْتَ. قَالَ: هَذَا تَكْرِيرٌ، لاَ وَقْتٌ"[4]. وَرُبَّمَا سَمَّى النَّحْوِيُّونَ، مِنْ غَيْرِ الكُوفِيِّينَ، التَّوْكِيدَ تَكْرِيرًا، كَمَا فَعَلَ سِيبَوَيْهِ فِي (الكِتَاب)[5].

التَّشْدِيدُ:

وَهَذَا تَعْبِيرٌ آخَرُ، أَطْلَقَهُ الفَرَّاءُ عَلَى التَّوْكِيد. وَمَعْنَاهُ فِي اللُّغَةِ التَّقْوِيَةُ. وَمِنْ هُنَا سُمِّيَ هَذَا التَّابِعُ تَشْدِيدًا؛ لأَنَّ فِي إِعَادَةِ اللَّفْظِ مَرَّةً أُخْرَى تَشْدِيدًا لِمَعْنَى الكَلَامِ، وَتَقْوِيَتِهِ. يَقُولُ الفَرَّاءُ: "وَقَدْ أَنْشَدَنِي المُفَضَّلُ الضَّبِّيُّ:

أَفَاطِمُ إِنِّي هَالِكٌ فَتَبَيَّنِي ... وَلاَ تَجْزَعِي كُلُّ النِّسَاءِ يَئِيمُ

وَلاَ أُنْبَأَنْ بِأَنَّ وَجْهَكِ شَانَهُ ... خُمُوشٌ وَإِنْ كَانَ الحَمِيمُ الحَمِيمُ

فَرَفَعَهُمَا، وَإِنَّمَا رَفَعَ (الحَمِيمُ) الثَّانِي؛ لأَنَّهُ تَشْدِيدٌ لِلْأَوَّلِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الكَلَامِ الحَمِيمُ لَرَفَعَ الأَوَّلَ"[6].

الاسْتِيثَاق:

وَقَدْ سَمَّاهُ الفَرَّاءُ، فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنَ (مَعَانِي القُرْآنِ)، بِالاسْتِيثَاقِ[7].

---

[1] آل عمران الآية 178.

[2] محمد الآية 18.

[3] معاني القرآن 248/1، وينظر أيضا: 45/2، 218.

[4] مجالس ثعلب ص523، وينظر: إيضاح الوقف والابتداء 540/1، 218.

[5] الكتاب 308/3.

[6] معاني القرآن 186/1، وينظر أيضا: 177/1، و235/2، و122/3.

[7] معاني القرآن 374/1.

وَرُبَّمَا يَعْمَدُ الفَرَّاءُ، وَثَعْلَبٌ إِلَى اسْتِعْمَالِ مُصْطَلَحِ التَّوْكِيد، كَقَوْلِ الفَرَّاءِ: "العَرَبُ لاَ تَجْمَعُ اسْمَيْنِ، قَدْ كُنِيَ عَنْهُمَا، لَيْسَ بَيْنَهُمَا شَيْءٌ، إِلاَّ أَنْ يَنْوُوا التَّكْرِيرَ، وَإِفْهَامَ المُكَلَّمِ، فَإِذَا أَرَادُوا ذَلِكَ، قَالُوا: أَنْتَ فَعَلْتَ، وَهُوَ وَهُوَ أَخَذَهَا ...، وَلَكِنَّهُمْ إِذَا وَصَلُوا الأَوَّلَ بِنَاصِبٍ، أَوْ خَافِضٍ، أَوْ رَافِعٍ، أَدْخَلُوا لَهُ اسْمَهُ، فَكَانَ تَوْكِيدًا. أَمَّا المَنْصُوبُ، فَقَوْلُكَ: ضَرَبْتُكَ أَنْتَ، وَالمَخْفُوضُ: مَرَرْتُ بِكَ أَنْتَ، وَالمَرْفُوعُ: قُمْتَ أَنْتَ"[1].

وَقَدْ يُسَمِّي الكُوفِيُّونَ التَّوْكِيدَ نَعْتًا، كَقَوْلِ أَبِي بَكْرٍ الأَنْبَارِيِّ، مُعَلِّقًا عَلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ:

يَا صَاحِ بَلِّغْ ذَوِي الزَّوْجَاتِ كُلِّهِمُ أَنْ لَيْسَ وَصْلٌ إِذَا انْحَلَّتْ عُرَا الذَّنَبِ

"وَالصَّوَابُ كُلِّهُمْ، عَلَى النَّعْتِ لِذَوِي"[2]. وَتَسْمِيَةُ التَّوْكِيدِ نَعْتًا، أَوْ صِفَةً نَزْعَةٌ بَصْرِيَّةٌ، فَكَمْ مَرَّةٍ سَمَّى سِيبَوَيْهِ التَّوْكِيدَ صِفَةً[3].

وَلاَ أَظُنَّ أَنَّ هُنَاكَ فَرْقًا فِي قَوْلِنَا: لَّ، أَوْ تَكْرِيرٌ، أَوْ تَشْدِيدٌ، فَكُلُّهَا عِبَارَاتٌ ذَاتُ مُؤَدًّى وَاحِدٍ، وَهُوَ تَمْكِينُ المَعْنَى فِي النَّفْسِ، وَتَقْوِيَتُهُ، وَتَأْكِيدُهُ، إِلاَّ أَنَّ عِبَارَةَ التَّوْكِيدِ هِيَ الَّتِي شَاعَتْ، وَانْتَشَرَتْ بَيْنَ النُّحَاةِ.

وَهُنَاكَ بَعْضُ المُصْطَلَحَاتِ، أُطْلِقَتْ عَلَى أَكْثَرَ مِنْ تَابِعٍ. فَكَثِيرًا مَا نَجِدُ الفَرَّاءَ، وَثَعْلَبًا، يَسْتَعْمِلاَنِ كَلِمَةَ الاتِّبَاعِ، أَوِ التَّابِعِ؛ لِلدِّلاَلَةِ عَلَى كَوْنِ اللَّفْظَةِ تَابِعًا مِنْ أَحَدِ التَّوَابِعِ، فَقَدْ تَكُونُ بَدَلاً، أَوْ عَطْفًا، أَوْ تَوْكِيدًا، أَوْ نَعْتًا[4].

وَمِنْ هَذَا النَّوْعِ، أَيْضًا، كَلِمَةُ مَرْدُود، وَمَا تَصَرَّفَ مِنْهَا. فَهَذَا المُصْطَلَحُ كَثِيرُ الدَّوَرَانِ عِنْدَ الفَرَّاءِ، فَنَرَاهُ تَارَةً يُطْلِقُهُ عَلَى العَطْفِ، وَأُخْرَى يُطْلِقُهُ عَلَى البَدَلِ. فَمِنَ الأُولَى قَوْلُهُ، عِنْدَ كَلاَمِهِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى[5]: {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى}: "وَقَوْلُهُ: {تَارَةً أُخْرَى} مَرْدُودَةٌ عَلَى عَلَى قَوْلِهِ: {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ}، لاَ مَرْدُودَةٌ عَلَى {نُعِيدُكُمْ}؛ لأَنَّ الأُخْرَى، وَالآخَرَ إِنَّمَا يُرَدَّانِ عَلَى أَمْثَالِهِمَا. تَقُولُ فِي الكَلاَمِ: اشْتَرَيْتُ نَاقَةً، وَدَارًا، وَنَاقَةً أُخْرَى، فَتَكُونُ (أُخْرَى) مَرْدُودَةً عَلَى النَّاقَةِ، الَّتِي هِيَ مِثْلُهَا، وَلاَ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَرْدُودَةً عَلَى الدَّارِ[6].

---

[1] معاني القرآن 45/2، وينظر أيضا: 228/2، ومجالس ثعلب ص98، 133، وإيضاح الوقف والابتداء 116/1، 118، 124.

[2] المذكر والمؤنث ص376، وينظر: معاني القرآن 75/2، 255، 346، و10/3.

[3] الكتاب 351/1، 359، 378، 379، 381، 391.

[4] ينظر: معاني القرآن 107/1، 188، 137، 235، 312، 347، 360، 420، 479، 480، و67/2، 348، و191/3، ومجالس ثعلب ص44، 124.

[5] طه الآية 55.

[6] معاني القرآن 181/2، وينظر أيضا: 17/1، 34، 70، 74، 107، 304، 339، 396، 407.

وَمِنَ الثَّانِيَةِ قَوْلُهُ: "تَقُولُ: مَرَرْتُ بِمَا عِنْدَكَ مَتَاعِكَ، تَجْعَلُ المَتَاعَ مَرْدُودًا عَلَى (مَا). وَمِثْلُهُ فِي النَّحْلِ: {وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ}[1]، وَالكَذِبِ عَلَى ذَلَكَ"[2].

[1] النحل الآية 116.

[2] معاني القرآن 32/2، وينظر أيضا: 65/2، 295، و82/1، 179، 192، 359، 427، إلخ، والمذكر والمؤنث ص198.

الفَصْلُ الثَّانِي

. الإِعْرَابُ وَالبِنَاءُ

. العَوَامِلُ

عَلاَمَاتُ الإِعْرَاب وَالبِنَاء:

الإِعْرَابُ لُغَةً: يُطْلَقُ عَلَى مَعَانٍ كَثِيرَة. مِنْهَا الإِبَانَةُ، وَالإِفْصَاحُ عَنِ الشَّيْءِ، يُقَالُ: أَعْرَبَ فُلاَنٌ عَمَّا فِي نَفْسِه، إِذَا أَبَانَ عَنْهُ، وَأَفْصَحَ. وَمِنْهَا التَّحْسِينُ، يُقَالُ: أَعْرَبْتُ الشَّيْءَ: أَيْ حَسَّنْتُهُ. وَمِنْهَا التَّغْيِيرُ، يُقَالُ: أَعْرَبَ اللهُ المَعِدَةَ: أَيْ غَيَّرَهَا.

وَاصْطِلاَحًا: يُطْلَقُ عَلَى التَّغْيِير، الَّذِي يَطْرَأُ عَلَى أَوَاخِرِ الكَلِمَاتِ؛ مِنْ رَفْعٍ، وَنَصْبٍ، وَخَفْضٍ، وَجَزْمٍ، وَالَّذِي يَقَعُ لِفُرُوقٍ، وَمَعَانٍ، تَحْدُثُ فِي الكَلاَم.

وَأَمَّا البِنَاءُ لُغَةً، فَوَضْعُ الشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ عَلَى صِفَةٍ، يُرَادُ بِهَا الثَّبْوتُ، كَالبِنَاءِ المَادِيِّ، الَّذِي يَلْزَمُ مَوْضِعَهُ، وَلاَ يَتَحَوَّلُ عَنْهُ.

وَأَمَّا اصْطِلاَحًا، فَضِدُّ الإِعْرَاب، وَهُوَ لُزُومِ آخِرِ الكَلِمَةِ ضَرْبًا وَاحِدًا، لاَ يَحِيدُ عَنْهُ؛ مِنْ سُكُونٍ، أَوْ حَرَكَةٍ، لاَ لِعَامِلٍ.

وَيَعُودُ أَصْلُ مُصْطَلَحَاتِ عَلاَمَاتِ البِنَاءِ وَالإِعْرَاب، أَعْنِي: الرَّفْعَ، وَالفَتْحَ، وَالكَسْرَ، إِلَى أَبِي الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ. فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ عَبَّرَ بِالفَتْحِ، وَالضَّمِّ، وَالكَسْرِ مِنَ النَّحْوِيِّينَ. فَقَدْ قَالَ لِكَاتِبِه، حِينَمَا أَرَادَ ضَبْطَ النَّصِّ القُرْآنِيِّ: "إِذَا رَأَيْتَنِي قَدْ فَتَحْتُ فَمِي بِالحَرْفِ، فَانْقُطْ نُقْطَةً فَوْقَهُ، عَلَى أَعْلاَهُ، وَإِنْ ضَمَمْتُ فَمِي، فَانْقُطْ نُقْطَةً بَيْنَ يَدِي الحَرْفِ، وَإِنْ كَسَرْتُ، فَاجْعَلِ النُّقْطَةَ مِنْ تَحْتِ الحَرْف"[1].

وَلاَ شَكَّ أَنَّ هَذِه التَّعْبِيرَات، الَّتِي اسْتَعْمَلَهَا أَبُو الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ، وَالَّتِي أَطْلَقَهَا عَلَى حَرَكَةِ شَفَتَيْه، مِنْ: فَتْحٍ، وَضَمٍّ، وَكَسْرٍ، كَانَتْ أَسَاسًا لِلْمُصْطَلَحَاتِ الإِعْرَابِيَّة، الَّتِي اتَّخَذَهَا النَّحْوِيُّونَ مِنْ بَعْدِه، فِي النَّحْوِ العَرَبِيِّ.

فَقَدْ جَعَلَ النَّحْوِيُّونَ لِلإِعْرَاب، وَالبِنَاءِ عَلاَمَات، فَمَازَهَا البَصْرِيُّونَ بَعْضَهَا مِنْ بَعْضٍ، فَجَعَلُوا الرَّفْعَ، وَالنَّصْبَ، وَالجَرَّ، وَالجَزْمَ عَلاَمَاتِ الإِعْرَاب؛ وَالضَمَّ، وَالفَتْحَ، وَالكَسْرَ، وَالسُّكُونَ عَلاَمَاتِ البِنَاء[2].

وَأَمَّا الكُوفِيُّونَ، فَلَمْ يَمِيزُوا، كَالبَصْرِيِّينَ، عَلاَمَاتِ الإِعْرَابِ مِنْ عَلاَمَاتِ البِنَاء، فَسَمَحُوا لأَنْفُسِهِمْ أَنْ يُسَمُّوا المُعْرَبَ بِعَلاَمَاتِ المَبْنِيِّ، وَالمَبْنِيَّ بِعَلاَمَاتِ المُعْرَب، مِنْ دُونِ أَنْ يَفْرُقُوا بَيْنَهُمَا[3]، فَيَصِحُّ عِنْدَهُمْ أَنْ نَقُولَ فِي نَحْوِ (حَيْثُ): مَرْفُوعٌ، وَمَضْمُومٌ، وَفِي نَحْوِ (كَيْفَ): مَنْصُوبٌ، وَمَفْتُوحٌ، وَفِي نَحْوِ (أَمْسِ): مَجْرُورٌ، وَمَكْسُورٌ، عَلَى حِينِ يَمْنَعُ البَصْرِيُّونَ ذَلِكَ، فَلاَ يَصِحُّ عِنْدَهُمْ أَنْ يُقَالُ فِي (حَيْثُ)، وَ(كَيْفَ)، وَ(أَمْسِ) سِوَى الضَّمِّ، وَالفَتْحِ، وَالكَسْرِ.

---

[1] ينظر: الفهرست ص60.

[2] الكتاب 13/1-15، والقتضب 4/1، والأصول في النحو 47/1.

[3] شرح المفصل 72/1، 84/3، وشرح الكافية 3/2، والكليات 388/3، ولسان العرب 381/7، والكواكب الدرية 15/1.

وَيَتَّضِحُ هَذَا المَزْجُ، عِنْدَ الكُوفِيِّينَ، بَيْنَ عَلاَمَاتِ الإِعْرَابِ وَالبِنَاءِ، فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ مَصَادِرِهِمْ، كَقَوْلِ الفَرَّاءِ: "زَعَمَ الكِسَائِيُّ أَنَّ العَرَبَ تُؤْثِرُ الرَّفْعَ، إِذَا أَضَافُوا اليَوْمَ إِلَى يَفْعَلُ، وَتَفْعَلُ، وَأَفْعَلُ، وَنَفْعَلُ، فَيَقُولُونَ: هَذَا يَوْمُ نَفْعَلُ ذَاكَ، وَأَفْعَلُ ذَاكَ، وَنَفْعَلُ ذَاكَ. فَإِذَا قَالُوا: هَذَا يَوْمَ فَعَلْتُ، فَأَضَافُوا (يَوْم) إِلَى فَعَلْتُ، أَوْ إِلَى (إِذْ،) آثَرُوا النَّصْبَ، وَأَنْشَدُونَا:

عَلَى حِينَ عَاتَبْتُ المَشِيبَ عَلَى الصِّبَا وَقُلْتُ أَلَمَّا تَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعُ"[1]؟

وَقَالَ: "العَرَبُ تَجْعَلُ العَدَدَ مَا بَيْنَ أَحَدَ عَشَرَ إِلَى تِسْعَةَ عَشَرَ مَنْصُوبًا فِي خَفْضِه، وَرَفْعِه"[2].

وَيَعْزُو بَعْضُ العُلَمَاءِ المُتَأَخِّرِينَ هَذَا الخَلْطَ بَيْنَ عَلاَمَاتِ الإِعْرَابِ، وَعَلاَمَاتِ البِنَاءِ، إِلَى نَحْوِيٍّ بَصْرِيٍّ، هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ المُسْتَنِيرِ؛ قُطْرُبٌ (ت206هـ)؛ تِلْمِيذِ سِيبَوَيْهِ. فَقَدْ ذَكَرَ الفَخْرُ الرَّازِيُّ، وَالسُّيُوطِيُّ أَنَّ قُطْرُبًا كَانَ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ الحَرَكَاتِ الإِعْرَابِيَّةَ، مِثْلُ الحَرَكَاتِ البِنَائِيَّةِ، وَأَنَّهُ كَانَ يُطْلِقُ أَسْمَاءَ هَذِهِ عَلَى هَذِهِ[3].

وَمَهْمَا يَكُنْ مِنْ أَمْرٍ، فَإِنَّ الخِلاَفَ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ عَلاَمَاتِ الإِعْرَابِ، وَعَلاَمَاتِ البِنَاءِ، خِلاَفٌ لاَ يَعْدُو أَنْ يَكُونَ شَكْلِيًّا؛ لِأَنَّ العُلَمَاءَ خَلَصُوا إِلَى أَنَّ أَغْلَبَ اللُّغَةِ مَجَازٌ، وَأَنَّ القُرْآنَ الكَرِيمَ جَرَى فِي مُخَاطَبَةِ النَّاسِ عَلَى ضَرْبِ المَثَلِ، وَاسْتِعْمَالِ المَجَازِ، فِي كَثِيرٍ مِنَ المَوَاضِعِ. وَمَا دَامَتِ اللُّغَةُ مَجَازًا، فَمَا المَانِعُ أَنْ يُطْلَقَ عَلَى الضَّمِّ، وَالفَتْحِ، وَالكَسْرِ، وَالسُّكُونِ، الرَّفْعَ، وَالنَّصْبَ، وَالخَفْضَ، وَالجَزْمَ مجازًا[4]، فَيُقَالُ فِي نَحْوِ جَاءَ زَيْدٌ: مَضْمُومٌ، أَوْ مَرْفُوعٌ، وَفِي نَحْوِ رَأَيْتُ زَيْدًا: مَفْتُوحٌ، أَوْ مَنْصُوبٌ، وَفِي نَحْوِ مَرَرْتُ بِزَيْدٍ: مَكْسُورٌ، أَوْ مَخْفُوضٌ، وَفِي نَحْوِ لَمْ أَضْرِبْهُ: مَجْزُومٌ، أَوْ مَبْنِيٌّ عَلَى السُّكُونِ؟

وَمِنْ مُفْرَدَاتِ هَذَا البَابِ أَنَّ الكُوفِيِّينَ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يُعَبِّرُوا عَمَّا يُعْرَفُ بِالمَبْنِيِّ وَالمُعْرَبِ، اسْتَعْمَلُوا أَلْفَاظًا أُخَرَ، مِثْلَ قَوْلِهِمْ: حَرْفٌ عَلَى جِهَةٍ وَاحِدَةٍ فِي رَفْعِه، وَنَصْبِه، وَخَفْضِه،[5] وَقَوْلِهِمْ: مَا لاَ يَتَبَيَّنُ فِيهِ الإِعْرَابُ، وَمَا يَتَبَيَّنُ فِيهِ الإِعْرَابُ[6]، لِلدِّلاَلَةِ عَلَى أَنَّ الكَلِمَةَ؛ إِمَّا مَبْنِيَّةٌ عَلَى حَرَكَةٍ وَاحِدَةٍ، سَوَاءٌ أَكَانَتْ مَرْفُوعَةً، أَمْ مَنْصُوبَةً، أَمْ مَخْفُوضَةً؛ وَإِمَّا مُعْرَبَةٌ، تَعْتَوِرُهَا الحَرَكَاتُ الإِعْرَابِيَّةُ كَافَّةً.

---

[1] معاني القرآن 245/3.

[2] معاني القرآن 32/2-33، وينظر أيضا: 12/2، 75، 86، 85، و70/3، 95، 239، 245. وإصلاح المنطق ص299، 300، ومجالس ثعلب ص158، 578، 560، وإيضاح الوقف والابتداء 263/1، 350.

[3] التفسير الكبير 47/1، وهمع الهوامع 20/1.

[4] ينظر: شرح الكافية 2/2-3.

[5] معاني القرآن 310/1.

[6] معاني القرآن 311/1، 208، و217/2، 222، 226، ومجالس ثعلب ص262، والمذكر والمؤنث ص174، 284، 378، وإيضاح الوقف والابتداء 780/2.

وَرُبَّمَا أَطْلَقُوا عَلَى حَرَكَةِ الإِعْرَابِ اسْمَ الحَرْفِ[1]، وَعَلَى مَا يُسَمَّى بِنُونِ التَّنْوِينِ اسْمَ النُّونِ، بِلاَ قَيْدٍ لَفْظِيٍّ[2]، أَوْ نُونَ الإِعْرَابِ[3].

مَا يَجْرِي وَمَا لاَ يَجْرِي:

بَابُ مَا يَنْصَرِفُ ومَا لاَ يَنْصَرِفُ عِنْدَ البَصْرِيِّينَ[4]، يُسَمِّيهِ الكُوفِيُّونَ: بَابَ مَا يَجْرِي وَمَا لاَ يَجْرِي[5].

وَأَصْلُ الجَرْيِ فِي اللُّغَةِ انْدِفَاعُ الفَرَسِ، وَنَحْوِهِ فِي السَّيْرِ، أَوِ المَاءِ، فِي المَسِيلِ. وَفِي الاصْطِلاَحِ أُطْلِقَ مَا يَجْرِي عَلَى الاسْمِ الَّذِي يُنَوَّنُ، وَيُخْفَضُ، وَمَا لاَ يَجْرِي عَلَى الاسْمِ الَّذِي لاَ يَدْخُلُهُ تَنْوِينٌ، وَلاَ خَفْضٌ؛ لِتَوَافُرِ عِلَّتَيْنِ فِيهِ مِنْ عِلَلِ مَوَانِعِ الإِجْرَاءِ.

وَتَتَرَدَّدُ عِبَارَاتُ: مَا يَجْرِي وَمَا لاَ يَجْرِي، وَالمُجْرَى وَغَيْرُ المُجْرَى، وَالإِجْرَاءُ وَتَرْكُ الإِجْرَاءِ، وَنَحْوُهَا؛ فِي مَصَادِرِ الكُوفِيِّينَ، مُرَادًا بِهَا قَوْلَ البَصْرِيِّينَ: مَا يَنْصَرِفُ وَمَا لاَ يَنْصَرِفُ، وَالمَصْرُوفُ وَغَيْرُ المَصْرُوفِ، إلخ. فمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ الأَنْبَارِيِّ فِي كِتَابِهِ (المُذَكَّرِ وَالمُؤَنَّثِ): "وَاعْلَمْ أَنَّ أَسْمَاءَ المُؤَنَّثِ كُلَّهَا لاَ تَجْرِي إِلاَّ يَسِيرًا مِنْ أَسْمَائِهِمْ، نَحْوُ: هِنْد، وَدَعْد، وَجُمْل، وَنُعْم. وَمَا لاَ يَجْرِي لاَ يَدْخُلُهُ تَنْوِينٌ، وَلاَ خَفْضٌ"[6].

وَيَغْلُبُ عَلَى ظَنِّي أَنَّ الكُوفِيِّينَ اقْتَبَسُوا هَذَا المُصْطَلَحَ مِنْ مُصْطَلَحَاتِ الخَلِيلِ، وَتَسْمِيَاتِهِ. فَقَدْ وَرَدَ هَذَا المُصْطَلَحُ فِي (الكِتَابِ) لِسِيبَوَيْهِ، فِي كَلاَمِ الخَلِيلِ عَلَى أَفْعَلَ، فِي بَابِ مَا يَنْصَرِفُ مِنَ الأَمْثِلَةِ، وَمَا لاَ يَنْصَرِفُ[7]. وَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ يَكُونَ أَصْلُ المُصْطَلَحِ لِلْخَلِيلِ، فَكَمْ مُصْطَلَحٍ وَضَعَهُ الخَلِيلُ، فَجَاءَ الكُوفِيُّونَ، وَاقْتَبَسُوهُ، وَأَصْبَحَ عَلَمًا مِنْ أَعْلاَمِ نَحْوِهِمُ المُمَيِّزِ، وَنَخُصُّ بِالذِّكْرِ مُصْطَلَحَ الخَفْضِ، وَالنَّسَقِ.

وَقَدْ يُعَبِّرُ النَّحْوِيُّونَ، غَيْرُ الكُوفِيِّينَ، بِالتَّعْبِيرِ الكُوفِيِّ، فَيُسَمُّونَ مَا يَنْصَرِفُ وَمَا لاَ يَنْصَرِفُ: مَا يَجْرِي وَمَا لاَ يَجْرِي، كَالمُبَرِّدُ[8]، وَالطَّبَرِيِّ[1]، وَابْنِ السَّرَّاجِ[2]، وَأَيْضًا فَإِنَّ الكُوفِيِّينَ قَدْ يُعَبِّرُونَ بِالتَّعْبِيرِ البَصْرِيِّ، البَصْرِيِّ، فَيَقُولُونَ: يَنْصَرِفُ وَلاَ يَنْصَرِفُ، بَدَلًا مِنْ قَوْلِهِمْ: يَجْرِي وَلاَ يَجْرِي[3].

---

[1] معاني القرآن 2/1، 18، 291، 443.

[2] معاني القرآن 120/1، 208.

[3] معاني القرآن 120/1، 300/3.

[4] الكتاب 193/3، والمقتضب 309/3.

[5] الأشباه والنظائر 29/2. وكشاف اصطلاحات الفنون (طبعة مصر) 241/4.

[6] المذكر والمؤنث ص123، وينظر:124-137، 174-181، 464-484، وإيضاح الوقف والابتداء 364/1، وما بعدها، ومجالس ثعلب ص128، 217، 585، ومعاني القرآن 42/1-34، 208، 254-255، 340، إلخ.

[7] الكتاب 203/3.

[8] المقتضب 309/3.

وَرُبَّمَا يَسْتَعْمِلُ الكُوفِيُّونَ مُصْطَلَحَ المَصْرُوف[4]، وَيُرِيدُونَ بِه مَا يُرِيدُ البَصْرِيُّونَ مِنْ قَوْلِهِمْ: مَعْدُولٌ، أَوْ مَحْدُودٌ[5]، مَعَ أَنَّهُمْ يَسْتَعْمِلُونَ مُصْطَلَحَ العَدْلِ. فَإِذَا أَرَادُوا أَنْ يَقُولُوا: إِنَّ (عُمَرَ) مَعْدُولٌ عَنْ (عَامِرٍ)، قَالُوا: إِمَّا مَعْدُولٌ، وَإِمَّا مَصْرُوفٌ[6].

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ شُيُوعِ المُصْطَلَحِ الكُوفِيِّ، عِنْدَ الكُوفِيِّينَ أَنْفُسِهِمْ، وَعِنْدَ غَيْرِهِمْ مِنَ النُّحَاةِ القُدَمَاءِ؛ فَإِنَّ المُصْطَلَحَ البَصْرِيَّ هُوَ الَّذِي شَاعَ عَلَى أَلْسِنَةِ العُلَمَاءِ؛ لأَنَّهُمْ أَلِفُوا قَوْلَ البَصْرِيِّينَ: مَا يَنْصَرِفُ وَمَا لاَ يَنْصَرِفُ، عَلَى حِينَ أُهْمِلَ قَوْلُ الكُوفِيِّينَ: مَا يَجْرِي وَمَا لاَ يَجْرِي، وَلَمْ يُقَيَّضْ لَهُ عُلَمَاءُ يَسْتَعْمِلُونَهُ، وَيُرَوِّجُونَ لَهُ، كَالمُصْطَلَحِ البَصْرِيِّ.

العَوَامِلُ

نَظَرِيَّةُ العَامِلِ:

قَبْلَ الشُّرُوعِ فِي بَحْثِ مَا يَتَّصِلُ بِالعَوَامِلِ النَّحْوِيَّةِ مِنْ تَسْمِيَاتٍ عِنْدَ الكُوفِيِّينَ، لاَ بُدَّ مِنْ إِعْطَاءِ فِكْرَةٍ وَجِيزَةٍ عَنِ العَامِلِ، وَنَظَرِيَّتِهِ فِي النَّحْوِ العَرَبِيِّ.

---

[1] جامع البان في تفسير القرآن 112/30.

[2] الأصول في النحو 101/2.

[3] ينظر: معاني القرآن 42/1، 43، و175/2، 167، و209/3، 232، والفصيح ص63، 83، 95.

[4] معاني القرآن 254/1، والمذكر والمُؤنث ص132، 451، 522، 652.

[5] الكتاب 223/1، 224، 225 وما بعدها.

[6] معاني القرآن 33/2، 232/3-233.

يُقَالُ فِي اللُّغَة: عَمِلَ عَمَلاً إِذَا فَعَلَ فِعْلاً عَنْ قَصْدٍ، أَوِ امْتَهَنَ مِهْنَةً، أَوْ صَنَعَ صَنْعَةً؛ لِذَلِكَ قِيلَ لِلشَّخْصِ العَامِلِ: عَامِلٌ؛ لأَنَّهُ يَعْمَلُ فِي مِهْنَة، أَوْ صَنْعَة.

وَالعَامِلُ فِي اصْطِلاَحِ النَّحْوِيِّينَ: هُوَ كُلُّ كَلِمَةٍ تُؤَثِّرُ فِي تَغْيِيرِ حَرَكَاتِ أَوَاخِرِ الكَلِمِ، عَلَى وَجْهٍ مَخْصُوصٍ مِنَ الإِعْرَابِ: رَفْعًا، وَنَصْبًا، وَجَرًّا، وَجَزْمًا.

وَقَدْ دَخَلَتْ فِكْرَةُ العَامِلِ النَّحْوَ، وتسرَّبَتْ إِلَيْهِ، كَمَا يَرَى الدَّارِسُونَ المُحْدَثُونَ، عَنْ طَرِيقِ اتِّصَالِ النُّحَاةِ بِالعُلُومِ الوَافِدَةِ، وَلَا سِيَّمَا عِلْمُ الكَلَامِ، وَأَنَّ هَذِهِ الفِكْرَةَ تَرَكَتْ ظِلاَلَهَا عَلَى عُقُولِ النُّحَاةِ، الَّذِينَ نَقَلُوهَا بِدَوْرِهِمْ، وَطَبَّقُوهَا عَلَى البَحْثِ النَّحْوِيِّ، فِي وَقْتٍ مُبَكِّرٍ[1].

وَكَانَ النَّحْوِيُّونَ البَصْرِيُّونَ أَكْثَرَ حِرْصًا، مِنَ الكُوفِيِّينَ، عَلَى تَطْبِيقِ هَذِهِ الفِكْرَةِ، أَوِ النَّظَرِيَّةِ، وَعَلَى مُلاَزَمَةِ مَنْهَجِيَّتِهَا فِي دِرَاسَاتِهِمُ اللُّغَوِيَّةِ؛ لاِتِّصَالِهِمُ المُبَاشِرِ بِعِلْمِ الكَلَامِ، وَكَوْنِ نَحْوِهِمْ سَابِقًا نَحْوَ الكُوفَةِ، وَمُتَقَدِّمًا عَلَيْهِ.

وَقَدْ تَابَعَ النَّحْوِيُّونَ الكُوفِيُّونَ البَصْرِيِّينَ فِي إِقْتِفَاءِ أَثَرِ فِكْرَةِ العَامِلِ، وَتَطْبِيقِهَا عَلَى دِرَاسَاتِهِمُ اللُّغَوِيَّةِ، بَيْدَ أَنَّهُمْ كَانُوا أَقَلَّ إِمْعَانًا فِي فَلْسَفَةِ العَامِلِ، وَكَانَ مَنْهَجُهُمْ فِي الدِّرَاسَةِ اللُّغَوِيَّةِ أَقْرَبَ إِلَى رُوحِ المَنْهَجِ اللُّغَوِيِّ مِنْ مَنْهَجِ زُمَلاَئِهِمُ البَصْرِيِّينَ[2].

وهَذَا لاَ يَعْنِي أَنَّ الكُوفِيِّينَ كَانُوا دَائِمًا كَذَلِكَ، فَرُبَّمَا وَجَدْنَا عِنْدَهُمْ غُلُوًّا أَكْثَرَ مِنَ البَصْرِيِّينَ، فِي الأَخْذِ بِفَلْسَفَةِ العَامِلِ، كَأَنْ نَرَاهُمْ يُنْكِرُونَ العَطْفَ بِـ(حَتَّى)، وَيَعُدُّونَهَا ابْتِدَائِيَّةً، وَأَنَّ مَا بَعْدَهَا عَلَى إِضْمَارِ عَامِلٍ، يَعْمَلُ فِيهِ[3].

وَهَذِهِ النَّزْعَةُ الفِكْرِيَّةُ، أَعْنِي فِكْرَةَ العَامِلِ، قَدِيمَةٌ عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ، نَجِدُ صَدَاهَا عِنْدَ أَوَائِلِ النَّحْوِيِّينَ البَصْرِيِّينَ. فَهَذَا سِيبَوَيْهِ؛ إِمَامُهُمْ، يَعْتَرِفُ بِمَا يُسَمَّى بِالعَوَامِلِ، وَيَسْتَعْمِلُ كَلِمَةَ العَامِلِ كَثِيرًا فِي (الكِتَابِ)[4]، كَمَا يَسْتَعْمِلُ مَا اشْتُقَّ مِنْهَا كَثِيرًا، كَأَنْ يَقُولُ: تَعْمَلُ، إِعْمَالٌ، مُعْمَلٌ، إِلخ[5]، وَيَرَى أَنَّ إِعْرَابَ الرَّفْعِ، وَالنَّصْبِ، وَالجَرِّ نَتِيجَةٌ مِنْ نَتَائِجِ عَمَلِ العَامِلِ النَّحْوِيِّ[6].

وَنَجِدُ صَدَاهَا، أَيْضًا، عِنْدَ مُتَقَدِّمِي نُحَاةِ الكُوفَةِ. فَهَذَا الفَرَّاءُ يَسْتَعْمِلُ عِبَارَاتٍ تُؤَكِّدُ أَنَّهُ كَانَ عَلَى مَعْرِفَةٍ بِالعَامِلِ، وَمَا يُحْدِثُ مِنْ أَثَرٍ فِي الجُمْلَةِ، مِثْلُ قَوْلِهِ: "وَلَمْ نَجِدِ العَرَبَ تُعْمِلُ الظَّنَّ، وَالعِلْمَ

---

[1] أصول النحو (محمد عيد) ص241.

[2] مدرسة الكوفة ص263.

[3] ينظر: الصاجي ص151، ومغني اللبيب ص173، وأوضح المسالك 44/3، وهمع الهوامع 137/2.

[4] الكتاب 13/1، 94.

[5] الكتاب 80/1-85.

[6] الكتاب 13/1.

بِإِضْمَارِ مُضْمَرٍ فِي (أَنْ)"[1]، وَقَوْلِهِ: "... أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: أَظُنُّكَ قَائِمًا، فَيُعْمِلُونَ الظَّنَّ إِذَا بَدَأُوا بِهِ"[2].

ثُمَّ نَمْضِي قَلِيلاً إِلَى القَرْنِ الرَّابِعِ الهِجْرِيِّ، فَنَرَى نُحَاتَه يُفَلْسِفُونَ العَامِلَ، وَيَشْتَطُّونَ فِي هَذِهِ الفَلْسَفَةِ، فَتَكْثُرُ عِنْدَهُمُ التَّقْدِيرَاتُ، وَالتَّأْوِيلاَتُ، فِي سَبِيلِ إِسْنَادِ الحَرَكَةِ الإِعْرَابِيَّةِ إِلَى عَوَامِلَ، مُؤَثِّرَةٍ، حَقِيقِيَّةٍ، حَتَّى جَاءَ العَالِمُ الفَذُّ؛ ابْنُ جِنِّي، (ت392هـ)، فَسَفَّهَ أَقْوَالَهُمْ، وَثَارَ عَلَى مَنْهَجِهِمْ، وَوَقَفَ فِي وَجْهِ الإِغْرَاقِ، وَالإِيغَالِ فِي التَّأْوِيلِ، وَالتَّقْدِيرِ، وَرَأَى أَنَّ العَمَلَ "مِنَ الرَّفْعِ، وَالنَّصْبِ، وَالجَرِّ، وَالجَزْمِ، إِنَّمَا هُوَ لِلْمُتَكَلِّمِ نَفْسِه، لاَ لِشَيْءٍ غَيْرِه"[3]، مِمَّا يُسَمُّونَهُ عَوَامِلَ لَفْظِيَّةً، أَوْ مَعْنَوِيَّةً.

وَيَلْقَى رَأْيُ ابْنِ جِنِّي تَأْيِيدًا، وَقَبُولاً عِنْدَ عَلَمٍ مِنْ أَعْلاَمِ القَرْنِ السَّادِسِ الهِجْرِيِّ، هُوَ ابْنُ مَضَاءٍ القُرْطُبِيُّ، (ت592هـ)، الَّذِي تَابَعَ ابْنَ جِنِّي فِي ثَوْرَتِه عَلَى نَظَرِيَّةِ العَامِلِ، فَرَاحَ يَدْفَعُ ادِّعَاءَ النَّحْوِيِّينَ أَنَّ النَّصْبَ، وَالجَرَّ، وَالجَزْمَ لاَ يَكُونُ إِلاَّ بِعَامِلٍ لَفْظِيٍّ، وَأَنَّ الرَّفْعَ مِنْهَا يَكُونُ بِعَامِلٍ مَعْنَوِيٍّ، وَبِعَامِلٍ لَفْظِيٍّ[4]، لَفْظِيٍّ[4]، وَيَرُدُّ عَلَى سِيبَوَيْهِ قَوْلَهُ: إِنَّ لِلأَلْفَاظِ قُوَّةً فِي إِحْدَاثِ الإِعْرَابِ[5]، كَمَا رَاحَ يَرُدُّ، أَيْضًا، عَلَى ابْنِ جِنِّي، وَمَنْ تَابَعَهُ قَوْلَهُ: إِنَّ العَمَلَ مِنَ الرَّفْعِ، وَالنَّصْبِ، وَالجَرِّ، وَالجَزْمِ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ فِعْلِ المُتَكَلِّمِ، لاَ لِشَيْءٍ غَيْرِه[6].

وَيُنْكِرُ ابْنُ مَضَاءٍ، أَيْضًا، أَنْ يَكُونَ الإِعْرَابُ مَنْسُوبًا إِلَى أَلْفَاظٍ بِعَيْنِهَا؛ لأَنَّ ذَلِكَ، فِي رَأْيِه، بَاطِلٌ عَقْلاً، وَشَرْعًا[7]، ثُمَّ يَخْلُصُ إِلَى رَأْيٍ، يَرَى فِيهِ أَنَّ "هَذِهِ الأَصْوَاتَ إِنَّمَا هِيَ مِنْ فِعْلِ اللهِ، تَعَالَى، وَإِنَّمَا تُنْسَبُ إِلَى الإِنْسَانِ، كَمَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ سَائِرُ أَفْعَالِه الاخْتِيَارِيَّةِ"[8].

وَثَارَ ابْنُ مَضَاءٍ عَلَى أَعْمَالِ النُّحَاةِ فِي التَّعْلِيلِ؛ فَرَاحَ يُزَيِّفُهَا، وَيُنْكِرُ عَلَيهِمُ العِلَلَ الثَّوَانِيَ، وَالعِلَلَ الثَّوَالِثَ، وَيَدْعُو إِلَى إِلْغَائِهَا[9].

---

[1] معاني القرآن 312/2.

[2] معاني القرآن 338/2، وينظر:196/1.

[3] الخصائص 109/1.

[4] الرد على النحاة ص85.

[5] الرد على النحاة ص86.

[6] الرد على النحاة ص86-87.

[7] الرد على النحاة ص87.

[8] الرد على النحاة ص87.

[9] الرد على النحاة ص251.

ثُمَّ جَاءَ الرَّضِيُّ الإِسْتِرَابَاذِيُّ، (ت686هـ)، وَتَابَعَ ابْنَ جنِّي، وَابْنَ مَضَاء، فِي ثَوْرَتِهِمْ عَلَى نَظَرِيَّةِ العَامِلِ، فَأَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ الإِعْرَابُ نَتِيجَةً مِنْ نَتَائِجِ العَوَامِلِ النَّحْوِيَّةِ؛ اللَّفْظِيَّةِ، وَالمَعْنَوِيَّةِ، وَأَكَّدَ أَنَّ "الموجد لِعَلَامَاتِ المَعَانِي هُوَ المُتَكَلِّمُ"[1].

وَمِمَّنْ دَعَا إِلَى الانْصِرَافِ عَنْ نَظَرِيَّةِ العَامِلِ فِي تَصْنِيفِ النَّحْوِ، وَمَنْعِ التَّأْوِيلِ، وَالتَّقْدِيرِ فِي الصِّيَغِ، وَالعِبَارَاتِ صَاحِبُ كِتَابِ (إِحْيَاءِ النَّحْوِ)، الَّذِي تَابَعَ ابْنَ جنِّي، وَالرَّضِيَّ فِي جَعْلِ عَلَامَاتِ الإِعْرَابِ مِنْ عَمَلِ المُتَكَلِّمِ[2].

غَيْرَ أَنَّ بَعْضَ البَاحِثِينَ المُحْدَثِينَ وَقَفَ ضِدَّ المُحَاوَلَاتِ، الَّتِي اسْتَهْدَفَتْ نَظَرِيَّةَ العَامِلِ، وَمَنَعَتِ لَ، وَالتَّقْدِيرَ فِي الصِّيَغِ، وَالعِبَارَاتِ، مُحْتَجًّا بِأَنَّ هُنَاكَ عَوَامِلَ لَغَوِيَّةً؛ مِنْ تَطَوُّرٍ، وَدَوَرَانٍ فِي الاسْتِعْمَالِ، لاَ تَحْظَرُ مِثْلَ هَذِهِ التَّأْوِلَاتِ، وَالتَّقْدِيرَاتِ، الَّتِي تَنْبَنِي عَلَى أَسَاسٍ مِنْ فِقْهِ اللُّغَةِ، وَشُعُورٍ بِالحِسِّ اللَّغَوِيِّ، وَمُحْتَجًّا، أَيْضًا، بِأَنَّ كَثْرَةَ الاسْتِعْمَالِ تَنْحُو بِالجُمْلَةِ إِلَى الاخْتِصَارِ، الَّذِي يُخِلُّ بِالمَعْنَى، أَوْ إِلَى حَذْفِ بَعْضِ أَجْزَائِهَا، الَّتِي تَغْنِي عَنْهَا القَرَائِنُ اللَّفْظِيَّةُ، وَالحَالِيَّةُ؛ لِذَلِكَ، فَهُوَ لاَ يَمْنَعُ التَّأْوِيلَ، وَالتَّقْدِيرَ، عَلَى أَسَاسٍ مِنْ فَهْمِ الأَسَالِيبِ، أَوْ إِدْرَاكٍ لِلْقَرَائِنِ، الَّتِي يُخَلِّفُهَا الاسْتِعْمَالُ عَلَامَاتٍ، وَدَلَائِلَ عَلَى السَّاقِطِ، مِنَ الجُمْلَةِ. أَمَّا الَّذِي يَأْخُذُهُ عَلَى النُّحَاةِ، فَهُوَ الأَسَاسُ، الَّذِي بَنَوا عَلَيْهِ دِرَاسَاتِهِمْ، وَهُوَ أَسَاسٌ قَائِمٌ عَلَى أُسُسٍ نَظَرِيَّةٍ بَحْتَةٍ، لاَ تَتَّفِقُ مَعَ رُوحِ الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ[3].

وَمَهْمَا يَكُنِ الأَمْرُ، فَإِنَّ نَظَرِيَّةَ العَامِلِ بَاقِيَةٌ مَا بَقِيَ النَّحْوُ العَرَبِيُّ، وَإِنَّهُ مِنَ الصَّعْبِ تَغْيِيرُهَا، أَوِ التَّأْثِيرُ فِيهَا. وَقَدْ بَلَغَ شَغَفُ النَّحْوِيِّينَ بِالعَامِلِ، وَالعَوَامِلِ ذِرْوَتَه، فَافْتَتَنُوا فِي بَحْثِهَا، وَتَصْنِيفِهَا، وَغَالُوا فِي تَقْسِيمِهَا، وَتَفْرِيعِهَا، حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ وَضَعَ كِتَابًا فِي العَوَامِلِ، سَمَّاهُ (العَوَامِلُ المِائَةُ)؛ لأَنَّ أَقْسَامَهَا وَصَلَتْ عِنْدَهُ إِلَى مِائَةِ عَامِلٍ، يَضُمُّهَا قِسْمَانِ رَئِيسَانِ: القِسْمُ الأَوَّلُ عَوَامِلُ لَفْظِيَّةٌ، وَالآخَرُ عَوَامِلُ مَعْنَوِيَّةٌ، وَكُلُّ قِسْمٍ يَنْقَسِمُ إِلَى أَنْوَاعٍ، إِلخ[4].

وَعَلَى مَا يَبْدُو مِنْ كَلَامِ الجُرْجَانِيِّ، لاَ يَعْرِفُ النَّحْوُ البَصْرِيُّ، مِمَّا يُسَمَّى بِالعَوَامِلِ المَعْنَوِيَّةِ إِلاَّ عَامِلَيْنِ اثْنَيْنِ؛ أَحَدُهُمَا العَامِلُ فِي المُبْتَدَأِ وَالخَبَرِ، وَهُوَ الابْتِدَاءُ، وَالثَّانِي العَامِلُ فِي الفِعْلِ المُضَارِعِ الرَّفْعَ، وَهُوَ قِيَامُهُ مَقَامَ الاسْمِ[5]، بِخِلَافِ النَّحْوِ الكُوفِيِّ، الغَنِيِّ بِالعَوَامِلِ المَعْنَوِيَّةِ، مِثْلُ: الفَاعِلِيَّةِ، وَالمَفْعُولِيَّةِ، وَالإِسْنَادِ، وَالخِلَافِ، وَالصَّرْفِ، وَالتَّجَرُّدِ مِنَ النَّاصِبِ وَالجَازِمِ، وَالظَّرْفِيَّةِ، إِلخ.

---

[1] شرح الكافية 25/1.

[2] إحياء النحو ص50.

[3] مدرسة الكوفة ص268.

[4] العوامل المائة (للجرجاني)، نقلا عن أصول النحو (محمد عيد) ص245-248.

[5] العوامل المائة (للجرجاني)، نقلا عن أصول النحو (محمد عيد) ص248.

وَفِيمَا يَأْتِي سَنَعْرِضُ بَعْضًا مِنْ مُصْطَلَحَاتِ العَوَامِلِ اللَّفْظِيَّةِ، وَالمَعْنَوِيَّةِ فِي النَّحْوِ الكُوفِيِّ، وَسَيَقْتَصِرُ حَدِيثُنَا عَلَى تِلْكَ العَوَامِلِ، الَّتِي عَبَّرَ عَنْهَا الكُوفِيُّونَ بِأَلْفَاظٍ، مُحَدَّدَةٍ، مُمَيَّزَةٍ، وَاخْتَلَفُوا فِيهَا مَعَ البَصْرِيِّينَ.

العَوَامِلُ اللَّفْظِيَّةُ:

يَرَى النَّحْوِيُّونَ أَنَّهُ لاَ بُدَّ فِي أَيَّةِ ظَاهِرَةٍ، مِنْ ظَوَاهِرِ الإِعْرَابِ فِي الكَلِمَةِ: رَفْعًا، وَنَصْبًا، وَخَفْضًا، وَجَزْمًا، مِنْ وُجُودِ مُؤَثِّرٍ، أَوْ عَامِلٍ يَعْمَلُ فِيهَا. فَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ الفِعْلَ يَعْمَلُ الرَّفْعَ فِي الفَاعِلِ، وَالنَّصْبَ فِي المَفْعُولِ، وَيَرَوْنَ، كَذَلِكَ، أَنَّ حُرُوفَ الخَفْضِ تَعْمَلُ الخَفْضَ فِي الأَسْمَاءِ، الَّتِي بَعْدَهَا، وَأَنَّ حُرُوفَ الجَزْمِ تَعْمَلُ الجَزْمَ فِي الأَفْعَالِ، وَهَكَذَا، فَهَذِهِ العَوَامِلُ، وَمَا شَابَهَهَا، يُسَمِّيهَا النَّحْوِيُّونَ عَوَامِلَ لَفْظِيَّةً.

وَالنَّحْوُ الكُوفِيُّ، كَالنَّحْوِ البَصْرِيِّ، غَنِيٌّ بِالعَوَامِلِ اللَّفْظِيَّةِ، بَعْضُهَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مَعَ البَصْرِيِّينَ، وَبَعْضُهَا الآخَرُ مُخْتَلَفٌ عَلَيْهِ. وَمِنْ أَهَمِّ العَوَامِلِ اللَّفْظِيَّةِ فِي النَّحْوِ الكُوفِيِّ، الَّتِي يَخْتَلِفُونَ فِيهَا مَعَ البَصْرِيِّينَ؛ التَّرَافُعُ، وَالظَّرْفُ، وَالرَّفْعُ بِالحُرُوفِ، وَالرَّفْعُ بِجَوَابِ اليَمِينِ.

التَّرَافُعُ:

مَسْأَلَةُ العَامِلِ فِي بَابِ المُبْتَدَأِ وَالخَبَرِ مَسْأَلَةٌ خِلاَفِيَّةٌ، شَهِيرَةٌ بَيْنَ البَصْرِيِّينَ وَالكُوفِيِّينَ، بَلْ بَيْنَ نُحَاةِ المَدْرَسَةِ الوَاحِدَةِ، كَالبَصْرِيِّينَ الَّذِينَ يَتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ الابْتِدَاءَ هُوَ عَامِلٌ مَعْنَوِيٌّ، هُوَ عَامِلُ الرَّفْعِ فِي المُبْتَدَأِ، وَهُوَ الاهْتِمَامُ بِالاسْمِ، وَجَعْلُهُ مُقَدَّمًا؛ لِيُسْنَدَ إِلَيْهِ، ثُمَّ يَخْتَلِفُونَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي عَامِلِ الرَّفْعِ فِي الخَبَرِ.

فَمِنْهُمْ مَنْ يَرَى أَنَّهُ يَرْتَفِعُ بِالابْتِدَاءِ وَحْدَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَى أَنَّهُ يَرْتَفِعُ بِالابْتِدَاءِ وَالمُبْتَدَأِ مَعًا، وَفَرِيقٌ ثَالِثٌ يَرَى أَنَّ الخَبَرَ يَرْتَفِعُ بِالمُبْتَدَأِ، وَالمُبْتَدَأَ يَرْتَفِعُ بِالابْتِدَاءِ. وَفِي المُقَابِلِ يَرَى الكُوفِيُّونَ أَنَّ المُبْتَدَأَ يَرْفَعُ الخَبَرَ، وَالخَبَرَ يَرْفَعُ المُبْتَدَأَ، فَهُمَا إِذًا يَتَرَافَعَانِ. فَإِذَا قُلْتَ: عَلِيٌّ أَبُوكَ، كَانَ (عَلِيٌّ) عَامِلَ الرَّفْعِ فِي الخَبَرِ؛ (أَبُوكَ)، وَكَانَ (أَبُوكَ) عَامِلَ الرَّفْعِ فِي المُبْتَدَأِ (عَلِيٌّ). وَقَدْ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ الكُوفِيُّونَ أَنْفُسُهُمْ. يَقُولُ الفَرَّاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {الحَاقَّةُ مَا الحَاقَّةُ}[1]: "وَالحَاقَّةُ مَرْفُوعَةٌ بِمَا تَعَجَّبْتَ مِنْهُ، مِنْ ذِكْرِهَا، كَقَوْلِكَ: الحَاقَّةُ مَا هِيَ؟ وَالثَّانِيَةُ رَاجِعَةٌ عَلَى الأُولَى. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: {وَأَصْحَابُ اليَمِينِ مَا أَصْحَابُ اليَمِينِ}[2]، وَ{القَارِعَةُ

[1] الحاقة الآيتان 1، 2.

[2] الواقعة الآية 27.

مَا القَارِعَةُ}[1]، مَعْنَاه: أَيُّ شَيْءٍ القَارِعَةُ. فَ(مَا هِيَ) فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ بِالقَارِعَةِ الثَّانِيَةِ، وَالأُولَى مَرْفُوعَةٌ بِجُمْلَتِهَا"[2].

هَذَا إِذَا لَمْ يَكُنْ خَبَرُ المُبْتَدَأ فِعْلاً، أَمَّا إِذَا كَانَ فِعْلاً فِي مِثْلِ: عَلِيٌّ كَلَّمْتُهُ، فَإِنَّهُمْ يَذْهَبُونَ، فِي نَحْوِ هَذِهِ العِبَارَةِ، إِلَى أَنَّ رَافِعَ المُبْتَدَأ هُوَ الضَّمِيرُ المَنْصُوبُ العَائِدُ عَلَى المُبْتَدَأ، أَوِ المُتَّصِلُ بِالفِعْلِ، أَوْ كَمَا يَقُولُونَ: ارْتَفَعَ بِعَائِدِ ذِكْرِهِ. يَقُولُ الفَرَّاءُ مُفَسِّرًا قَوْلَهُ تَعَالَى: {مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ}[3]: "مَنْ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، إِذَا جَعَلْتَهَا اسْتِفْهَامًا، تَرْفَعُهَا بِعَائِدِ ذِكْرِهَا"[4].

وَقَدْ أَفْرَدَ الأَنْبَارِيُّ فِي كِتَابِ (الإِنْصَافِ فِي مَسَائِلِ الخِلَافِ) مَسْأَلَةً كَامِلَةً حَوْلَ خِلَافِ البَصْرِيِّينَ وَالكُوفِيِّينَ فِي رَافِعِ كُلٍّ مِنَ المُبْتَدَأ وَالخَبَرِ، وَأَوْرَدَ حِجَجَ كُلٍّ مِنَ الفَرِيقَيْنِ[5].

وَمِنَ المُنَاسِبِ أَنْ نُشِيرَ، هُنَا، إِلَى أَنَّ الفَرَّاءَ، فِي كِتَابِ (مَعَانِي القُرْآنِ)، قَدِ اسْتَعْمَلَ مُصْطَلَحَ البَصْرِيِّينَ؛ الابْتِدَاءَ، وَأَخَذَ بِهِ، وَرَأَى أَنَّهُ عَامِلُ الرَّفْعِ فِي المُبْتَدَأ، وَذَلِكَ عِنْدَ كَلَامِهِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا}[6]، قَالَ: "وَقَوْلُهُ: {جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا} مَنْصُوبَةٌ عَلَى تَفْسِيرِ {دَارَ البَوَارِ}، أَيْ عَلَى البَدَلِ، فَرُدَّ عَلَيْهَا، وَلَوْ رُفِعَتْ عَلَى الائْتِنَافِ إِذَا انْفَصَلَتْ مِنَ الآيَةِ، كَانَ صَوَابًا، فَيَكُونُ الرَّفْعُ عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا الابْتِدَاءُ، وَالآخَرُ أَنْ تَرْفَعَهَا بِعَائِدِ ذِكْرِهَا"[7].

وَقَدْ وَقَفَ العُلَمَاءُ إِزَاءَ هَذَا الخِلَافِ مَوْقِفَ المُؤَيِّدِ لِهَؤُلَاءِ، أَوْ لِهَؤُلَاءِ. فَالمُعَارِضُونَ مَذْهَبَ الكُوفِيِّينَ يَحْتَجُّونَ بِأَنَّ القَوْلَ بِالتَّرَافُعِ يَؤُولُ إِلَى الدَّوْرِ المُحَالِ، كَمَا يَؤُولُ إِلَى أَنْ يُرْفَعَ المُبْتَدَأُ بِشَيْءٍ يَجْرِي عَلَى اللِّسَانِ قَبْلَ النُّطْقِ بِهِ، كَمَا يَحْتَجُّونَ عَلَى أَنَّ ألْمُبْتَدَأَ لَا يَرْتَفِعُ بِمَا عَادَ عَلَيْهِ مِنْ ذِكْرِهِ بِقَوْلِهِمْ: قَدْ نَقُولُ: زَيْدٌ هَلْ ضَرَبْتَهُ؟ وَأَخُوكَ مَنْ كَلَّمَهُ؟ وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَا بَعْدَ حَرْفِ الاسْتِفْهَامِ لَا يَعْمَلُ فِيمَا قَبْلَهُ؛ لِأَنَّ لَهُ الصَّدَارَةَ.

---

[1] القارعة الآيتان 1، 2.

[2] معاني القرآن 180/3، وينظر أيضا: 6/3، 122/16، 185، 299، و59/2، 76، 78، 100، و12/1-13، 46، 51، ومجالس ثعلب ص20، 389، 558، والمذكر والمؤنث ص223، 284، وإيضاح الوقف والابتداء 122/1، 325، 326، والأشباه والنظائر 160/4.

[3] هود الآية 93.

[4] معاني القرآن 26/1، وينظر: 99/2، 243، 244، 255، وإيضاح الوقف والابتداء 326/1، 345، و566/2، 593، 597، 620.

[5] الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم5، وينظر في هذه المسألة أيضا: الخصائص 166/1، وشرح المفصل 84/1، وشرح الكافية 21/1، 87، وأوضح المسالك 137/1، وشرح الأشموني 90/1، والأشباه والنظائر 246/1-247، وهمع الهوامع 94/1.

[6] إبراهيم الآيتان 28، 29.

[7] معاني القرآن 77/2.

وَأَمَّا المُعَارِضُونُ مَذْهَبَ البَصْرِيِّينَ، فَإِنَّهُمْ يَحْتَجُّونَ بِأَنَّهُ إِذَا كَانَ الابْتِدَاءُ سَبَبًا فِي رَفْعِ المُبْتَدَأ، فَهَلاَّ رَفَعَ الابْتِدَاءُ، وَهُوَ عَامِلٌ مَعْنَوِيٌّ، الفِعْلَ المَاضِيَ؛ لأَنَّهُ وَاقِعٌ فِي الابْتِدَاءِ أَصَالَةً، مِثْلُ: قَامَ عَمْرٌو، وَجَلَسَ بَكْرٌ.

وَمَهْمَا يَكُنِ الأَمْرُ، فَإِنَّهُ يَبْدُو لَنَا مَدَى تَمَكُّنِ العَامِلِ، وَنَظَرِيَّتِه، مِنْ نَحْوِ البَصْرِيِّينَ وَالكُوفِيِّينَ. وَكَانَ عَلَى النَّحْوِيِّينَ البَصْرِيِّينَ والكُوفِيِّينَ أَنْ يَنظُرُوا إِلَى هَذِهِ المَسْأَلَة، مَسْأَلَة رَفْعِ المُبْتَدَأ والخَبَر، نَظْرَةً لُغَوِيَّةً، لَا نَظْرَةً فَلْسَفِيَّةً[1]، فَالمُبْتَدَأُ ارْتَفَعَ؛ لأَنَّهُ مُسْنَدٌ إِلَيْه، وَالضَّمَّةُ فيه هِيَ عَلَمُ الإِسْنَاد[2]، وَأَمَّا الخَبَرُ، فَإِنَّهُ يَرْتَفِعُ؛ لأَنَّهُ هُوَ عَيْنُ المُبْتَدَأ، فِي المَعْنَى، فِي نَحْوِ قَوْلِكَ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ عَيْنَ المُبْتَدَأ فِي نَحْوِ: عَمْرٌو خَلْفَكَ، وَزَيْدٌ وَرَاءَكَ، فَإِنَّهُ يَنْتَصِبُ عَلَى الخِلاَف[3]، كَمَا يَقُولُ الكُوفِيُّونَ.

الظَّرْفُ:

وَالظَّرْفُ وَاحِدٌ مِنَ العَوَامِلِ اللَّفْظِيَّة، فِي النَّحْوِ الكُوفِيِّ. فَالكُوفِيُّونَ، وَمَعَهُمْ أَبُو الحَسَنِ؛ الأَخْفَشُ، وَأَبُو العَبَّاسِ؛ المُبَرِّدُ، يَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّ الظَّرْفَ يَرْفَعُ الاسْمَ، إِذَا تَقَدَّمَ الظَّرْفُ عَلَى الاسْمِ. فَإِذَا قُلْتَ: خَلْفَكَ زَيْدٌ، وَفِي الدَّارِ بَكْرٌ، كَانَ (زَيْدٌ) مَرْفُوعًا بِالظَّرْفِ (خَلْفَكَ)، وَ(بَكْرٌ) مَرْفُوعًا بِالظَّرْفِ (فِي الدَّارِ)؛ لأَنَّ الأَصْلَ فِي هَذَا: حَلَّ خَلْفَكَ زَيْدٌ، وَحَلَّ فِي الدَّارِ بَكْرٌ، ثُمَّ حُذِفَ الفِعْلُ (حَلَّ)، وَاكْتُفِيَ بِالظَّرْفِ منْهُ، وَهُوَ غَيْرُ مَطْلُوبٌ؛ لِذَلِكَ ارْتَفَعَ الاسْمُ بَعْدَهُ، كَمَا يَرْتَفِعُ بِالفِعْلِ.

وَيَذْهَبُ البَصْرِيُّونَ إِلَى أَنَّ الظَّرْفَ لاَ يَرْفَعُ الاسْمَ، إِذَا تَقَدَّمَ عَلَيْهِ البَتَّةَ، وَإِنَّمَا يَرْتَفِعُ، كَمَا يَرَوْنَ، بِالابْتِدَاء؛ لأَنَّهُ قَدْ تَعَرَّى مِنَ العَوَامِلِ اللَّفْظِيَّة[4].

وَكَوْنُ الظَّرْفِ عَامِلَ الرَّفْعِ فِي الاسْمِ، إِذَا تَقَدَّمَ عَلَيْه، مِمَّا نَصَّ عَلَيْهِ الكُوفِيُّونَ أَنْفُسُهُمْ. مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الفَرَّاءِ، مُعَلِّقًا عَلَى قَوْلِه تَعَالَى: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ}[5]: "وَرَفَعْتَ (الغِشَاوَةُ) بِـ(عَلَى)"[6].

الرَّفْعُ بِالحُرُوفِ:

---

[1] النحو العربي نقد وبناء ص45.

[2] إحياء النحو ص53.

[3] ينظر فِي (الخِلاَف) ما يأتي بعدُ.

[4] الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم6، وينظر: شرح الكافية 99/1.

[5] البقرة الآية 7.

[6] معاني القرآن 13/1 وينظر: 6/2، 14، 96، 413، 414، 425، و10/3، 38، 61، 165، ومجالس ثعلب ص77، 389، وإيضاح الوقف والابتداء 495/1، 497، و571/2، 619.

وَمِنَ العَوَامِلِ اللَّفْظِيَّةِ، فِي النَّحْوِ الكُوفِيِّ، مَا يُسَمُّونَهُ بِالرَّفْعِ بِالحُرُوفِ؛ حُرُوفِ الهِجَاءِ. وَلَا أَظُنَّ أَحَدًا غَيْرَ الكُوفِيِّينَ، فِيمَا أَعْلَمُ، قَالَ بِهَذَا العَامِلِ. فَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ حُرُوفَ الهِجَاءِ، وَلَا سِيَّمَا تِلْكَ الَّتِي تَ ـ ـ حُ بِهَا بَعْضُ سُوَرِ القُرْآنِ الكَرِيمِ؛ هِيَ الَّتِي تَرْفَعُ الأَسْمَاءَ الوَاقِعَةَ بَعْدَهَا. جَاءَ فِي (مَعَانِي القُرْآنِ): "قُلْتُ: أَرَأَيْتَ مَا يَأْتِي بَعْدَ حُرُوفِ الهِجَاءِ مَرْفُوعًا، مِثْلَ قَوْلِهِ: {المص كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ}[1]، وَمِثْلُ قَوْلِهِ: {الم تَنْزِيلُ الكِتَابِ}[2]، وَمِثْلُ قَوْلِهِ: {الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ}[3]، وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ؛ بِمَ رَفَعْتَ الكِتَابَ فِي هَؤُلَاءِ الأَحْرُفِ؟ قُلْتُ: رَفَعْتُهُ بِحُرُوفِ الهِجَاءِ، الَّتِي قَبْلَهُ، كَأَنَّكَ قُلْتَ: الأَلِفُ وَاللَّامُ وَالمِيمُ وَالصَّادُ مِنْ حُرُوفِ المُقْطَعِ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ"[4].

وَمِثْلُ هَذَا العَامِلِ لَا يَعْهَدُهُ النَّحْوُ البَصْرِيُّ، وَلَا يَعْرِفُهُ، بَلْ يَرْفُضُهُ. يَقُولُ الزَّجَّاجُ نَاقِضًا قَوْلَ الكُوفِيِّينَ: "وَهَذَا لَوْ كَانَ كَمَا وَصَفَ، لَكَانَ بَعْدَ هَذِهِ الحُرُوفِ أَبَدًا ذِكْرُ الكِتَابِ. فَقَوْلُهُ: {الم اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ}[5]، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الأَمْرَ مُرَافِعٌ لَهَا، عَلَى قَوْلِهِ. وَكَذَلِكَ: {يس وَالقُرْآنِ[6] الحَكِيمِ}"[7]. لِذَلِكَ، فَإِنَّ البَصْرِيِّينَ يَرَوْنَ أَنَّ الأَسْمَاءَ بَعْدَ هَذِهِ الحُرُوفِ مَرْفُوعَةٌ عَلَى أَنَّهَا خَبَرٌ لِمُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ.

وَمِنْ هَذَا البَابِ، أَيْضًا، الرَّفْعُ بِبَعْضِ الأَدَوَاتِ، كَالأَدَاةِ لَوْلَا. فَلَوْلَا عِنْدَ الفَرَّاءِ، وَابْنِ كَيْسَانَ[8]، رَافِعَةٌ لِلاسْمِ الوَاقِعِ بَعْدَهَا أَصَالَةً؛ لِاسْتِغْنَائِهِ بِهَا، مِثْلَمَا يَرْتَفِعُ الفَاعِلُ بِالفِعْلِ. يَقُولُ الفَرَّاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ}[9]: "رفعهم، أَيِ الرِّجَالُ، بِلَوْلَا، ثُمَّ قَالَ: {أَنْ تَطَئُوهُمْ}، فَأَنْ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ بِلَوْلَا"[10].

---

[1] الأعراف الآية 1.

[2] أول سورة السجدة.

[3] أول سورة هود.

[4] معاني القرآن 368/1، وينظر أيضا: 3/2، 161، وإيضاح الوقف والابتداء 649/2، 710.

[5] آل عمران الآية 251.

[6] يس الآيتان 1و2.

[7] لسان العرب 12/9.

[8] الأشباه والنظائر 241/1.

[9] الفتح الآية 25.

[10] معاني القرآن 404/1، وينظر: 84/2-85، وشرح الكافية 104/1، والجني الداني ص455، وشرح التصريح 263/2، وهمع الهوامع 105/1.

وَأَمَّا الكِسَائِيُّ، فَيَرَى أَنَّهَا لَيْسَتْ بِرَافِعَةٍ لِمَا بَعْدَهَا، بَلْ هُوَ فَاعِلٌ لِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: وُجِدَ زَيْدٌ، أَوْ نَحْوُهُ، كَمَا فِي قَوْلِهِمْ: لَوْ ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمَتْنِي. وَقَدْ رَجَّحَ الرَّضِيُّ هَذَا الرَّأْيَ، فَقَالَ: "وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ وَجْهٍ"[1].

وَقَدْ عَزَا صَاحِبَا (الإِنْصَافِ)، وَ(شَرْحِ المُفَصَّلِ) رَأْيَ الفَرَّاءِ، وَابْنِ كَيْسَانَ، إِلَى الكُوفِيِّينَ كَافَّةً[2].

وَلاَ شَكَّ أَنَّ هَذَا وَهْمٌ مِنْهُمَا، فَقَدْ سَبَقَ، مُنْذُ قَلِيلٍ، أَنْ أَشَرْنَا إِلَى أَنَّهُ رَأْيُ الفَرَّاءِ، وَابْنِ كَيْسَانَ وَحْدَهُمَا، وَأَنَّ لِلْكِسَائِيِّ رَأْيًا مُخَالِفًا لِرَأْيِهِمَا.

وَمَذْهَبُ البَصْرِيِّينَ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ، أَنَّ لَوْلَا لَيْسَتْ رَافِعَةً لِمَا بَعْدَهَا، فَهِيَ لَا تَعْمَلُ شَيْئًا؛ لِأَنَّهَا حَرْفٌ غَيْرُ مُخْتَصٍّ، وَأَنَّ مَا بَعْدَهَا مَرْفُوعٌ بِالابْتِدَاءِ، وَالخَبَرَ مَحْذُوفٌ وُجُوبًا، تَقْدِيرُهُ مَوْجُودٌ[3].

الرَّفْعُ بِجَوَابِ اليَمِينِ:

وَلِلْكُوفِيِّينَ فِي رَفْعِ المُبْتَدَأِ مَذْهَبٌ جَدِيدٌ آخَرُ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ المُبْتَدَأُ اسْمَ مَعْنًى، كَأَلْفَاظِ القَسَمِ وَاليَمِينِ، كَقَوْلِكَ: لَعَمْرِي لَقَدْ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا، وَقَسَمٌ صَادِقٌ لَأَقْتُلَنَّكَ، وَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

لَعَمْرُ أَبِي الوَاشِي لَا عَمْرَ غَيْرِهُمْ لَقَدْ كَلَّفُونِي خُطَّةً لَا أُرِيدُهَا

فَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ (عَمْرِي، وَقَسَمٌ، وَلَعَمْرُ)، فِي هَذِهِ الأَمْثِلَةِ، وَنَحْوِهَا مُبْتَدَآتٌ مَرْفُوعَاتٌ بِجَوَابَاتِهَا: لَقَدْ فَعَلْتَ، وَلَأَقْتُلَنَّكَ، وَلَقَدْ كَلَّفُونِي. يَقُولُ الفَرَّاءُ: "وَكُلُّ يَمِينٍ فَهِيَ تُرْفَعُ بِجَوَابِهَا. العرب تقول: حلف صادقٌ لَأَقُومَنَّ، وَشَهَادَةُ عَبْدِ اللهِ لَتَقُومَنَّ. وَذَلِكَ أَنَّ الشَّهَادَةَ كَالقَوْلِ"[4].

وَالرَّفْعُ بِجَوَابِ اليَمِينِ لَا يَعْرِفُهُ البَصْرِيُّونَ، وَلَا يَقُولُونَ بِهِ، وَعِنْدَهُمْ أَنَّ الأَسْمَاءَ فِي هَذِهِ الأَمْثِلَةِ، وَنَحْوِهَا مُبْتَدَآتٌ، أَخْبَارُهَا مَحْذُوفَةٌ.

العَوَامِلُ المَعْنَوِيَّةُ:

قُلْنَا: إِنَّ النَّحْوَ البَصْرِيَّ لَا يَعْرِفُ مِنَ العَوَامِلِ المَعْنَوِيَّةِ سِوَى عَامِلَيْنِ اثْنَيْنِ، هُمَا: الابْتِدَاءُ؛ عَامِلُ الرَّفْعِ فِي المُبْتَدَأِ، وَقِيَامُ الفِعْلِ مَقَامَ الاسْمِ، عَامِلُ الرَّفْعِ فِي الفِعْلِ المُضَارِعِ. وَقُلْنَا: إِنَّ النَّحْوَ الكُوفِيَّ غَنِيٌّ بِمِثْلِ هَذِهِ العَوَامِلِ، الَّتِي مِنْ أَشْهَرِهَا التَّجَرُّدُ مِنَ النَّاصِبِ وَالجَازِمِ، وَالصَّرْفُ، وَالخِلَافُ، وَالجِوَارُ، وَالفَاعِلِيَّةُ، وَالمَفْعُولِيَّةُ، وَالإِسْنَادُ، وَغَيْرُهَا مِنَ العَوَامِلِ المَعْنَوِيَّةِ، الَّتِي سَوْفَ نَعْرِضُ لَهَا الآنَ.

---

[1] شرح الكافية 104/1.

[2] الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم10، وشرح المفصل 96/1.

[3] ينظر: المقتضب 76/3 وما بعدها.

[4] معاني القرآن 247/2، وينظر أيضا: 412/2-413، ومجالس ثعلب ص439، وشرح الكافية 336/2، ولسان العرب 601/4.

رَافِعُ الفِعْلِ المُضَارِعِ: التَّجَرُّدُ مِنَ النَّاصِبِ وَالجَازِمِ، حُرُوفُ المُضَارَعَةِ، المُضَارَعَةُ:

اخْتَلَفَ النَّحْوِيُّونَ البَصْرِيُّونَ والكُوفِيُّونَ فِي رَافِعِ الفِعْلِ المُضَارِعِ، وَتَعَدَّدَتْ مَذَاهِبُهُمْ، وَأَقْوَالُهُمْ فِي ذَلِكَ، حَتَّى أَوْصَلَهَا بَعْضُهُمْ إِلَى سَبْعَةِ مَذَاهِبَ[1]. وَمَا يَعْنِينَا، هُنَا، هُوَ أَقْوَالُ الكُوفِيِّينَ، وَجُمْهُورِ البَصْرِيِّينَ.

فَمَذْهَبُ سِيبَوَيْهِ، وَجُمْهُورِ البَصْرِيِّينَ أَنَّ العَامِلَ فِي الفِعْلِ المُضَارِعِ الرَّفْعَ قِيَامُهُ مَقَامَ الاسْمِ، وَوُقُوعُهُ مَوْقِعَهُ. فَإِذَا قُلْتَ: زَيْدٌ يَقُومُ، كَانَتْ كَلِمَةُ يَقُومُ مَرْفُوعَةً؛ لِوُقُوعِهَا مَوْقِعَ الاسْمِ المَرْفُوعِ قَائِمٍ. يَقُولُ سِيبَوَيْهِ: "وَكَيْنُونَتُهَا فِي مَوْضِعِ الأَسْمَاءِ تَرْفَعُهَا، كَمَا يَرْفَعُ الاسْمَ كَيْنُونَتُهُ مُبْتَدَأً"[2]. وَخَالَفَهُمْ فِي ذَلِكَ الأَخْفَشُ، فَذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ مَرْفُوعٌ لِتَعَرِّيهِ مِنَ العَوَامِلِ اللَّفْظِيَّةِ[3].

وَاخْتَلَفَ الكُوفِيُّونَ فِي عِلَّةِ إِعْرَابِ الفِعْلِ المُضَارِعِ، وَالعَامِلِ فِيهِ، وَتَعَدَّدَتْ مَذَاهِبُهُمْ، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى ثَلاَثَةٍ، أَشْهَرُهَا مَذْهَبُ الفَرَّاءِ، وَهُوَ أَنَّ الرَّافِعَ لِلْفِعْلِ المُضَارِعِ تَجَرُّدُهُ مِنَ النَّاصِبِ وَالجَازِمِ. يَقُولُ مُعَلِّقًا عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ}[4]: "رَفَعْتَ {تَعْبُدُونَ}؛ لِأَنَّ دُخُولَ (أَنْ) يَصْلُحُ فِيهَا، فَلَمَّا حُذِفَ النَّاصِبُ، رُفِعَتْ. كَمَا قَالَ اللهُ: {أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ}[5]. قَرَأَ الآيَةَ[6]، وَكَمَا قَالَ: {وَلاَ تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ}[7]، وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللهِ: {وَلاَ تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرَ}. فَهَذَا وَجْهٌ مِنَ الرَّفْعِ، الرَّفْعِ، فَلَمَّا لَمْ تَأْتِ بِالنَّاصِبِ، رَفَعْتَ"[8].

وَالمَذْهَبُ الثَّانِي مِنْ مَذَاهِبِ الكُوفِيِّينَ مَذْهَبُ الكِسَائِيِّ، الَّذِي يَرَى أَنَّ عَامِلَ الرَّفْعِ فِي الفِعْلِ المُضَارِعِ عَامِلٌ لَفْظِيٌّ، وَهُوَ حُرُوفُ المُضَارَعَةِ[9]. وَقَدْ تَابَعَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الكُوفِيِّينَ أَبُو بَكْرٍ الأَنْبَارِيُّ، الَّذِي

---

[1] الأشباه والنظائر 238/1.

[2] الكتاب 10/3، والمقتضب 5/2.

[3] الآشباه والنظائر 238/1.

[4] البقرة الآية 83.

[5] الزمر الآية 64.

[6] أي قرأ القرّاءُ الآية.

[7] المدثر الآية 6.

[8] معاني القرآن 53/1، و75/1. وينظر: 201/3، وإيضاح الوقف والابتداء 822/2، والإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم74، وأسرار العربية ص28، وشرح الكافية 231/2، وأوضح المسالك 126/3، والاقتراح 178-179، والأشباه والنظائر 238/1، وهمع الهوامع 164/1.

[9] شرح الكافية 224/2، 231، والإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم74، وأسرار العربية ص28-29، والأشباه والنظائر 238/1.

الَّذي يَقُولُ: "وَأَمَّا التَّاءُ الَّتِي تَكُونُ عَلاَمَةَ التَّأْنيث في الفعْلِ، فَهِيَ الَّتِي تَكُونُ فِي أَوَّلِ المُسْتَقْبَلِ، دَالَّةً عَلَى الاسْتِقْبَال، رَافِعَةً لَهُ، كَقَوْلِك: تَقُومُ هِنْدٌ، وَتَقْعُدُ جُمْلٌ"[1].

وَثَالِثُ مَذَاهِبِ الكُوفِيِّينَ مَذْهَبُ أَبِي العَبَّاسِ؛ ثَعْلَبٍ، الَّذي يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ الفِعْلَ المُضَارِعَ ارْتَفَعَ بِالمُضَارَعَةِ نَفْسِهَا[2].

وَقَدْ لاَ يَعْنِينَا هُنَا البَحْثُ فِي أَيِّ المَذَاهِبِ أَصَحُّ، بِقَدْرِ مَا يَعْنِينَا التَّعَرُّفُ عَلَى آرَاءِ الكُوفِيِّينَ، وَأَقْوَالِهِمْ فِي رَافِعِ الفِعْلِ المُضَارِعِ، بَيْدَ أَنَّهُ قَدْ يَسْتَأْنِسُ البَاحِثُ، فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ، بِرَأْيِ الفَرَّاءِ فِي أَنَّ الرَّافِعَ تَجَرُّدُهُ مِنَ النَّاصِبِ وَالجَازِمِ، وَهُوَ الرَّأْيُ الَّذي صَحَّحَهُ، وَأَخَذَ بِهِ نَحْوِيُّونَ مُتَأَخِّرُونَ، مِنْ نُحَاةِ القَرْنِ السَّابِعِ الهِجْرِيِّ، مِنْ أَشْهَرِهِمُ ابْنُ مَالِكٍ، وَابْنُ الحَاجِبِ، وَابْنُ النَّاظِمِ، وَشَاعَ فِي دِرَاسَاتِهِمُ النَّحْوِيَّةِ. يَقُولُ ابْنُ مَالِكٍ، نَاقِضًا قَوْلَ سِيبَوَيْهِ، وَجُمْهُورِ البَصْرِيِّينَ: "إِنَّهُ مُنْتَقِضٌ. أَيْ كَوْنَ الفِعْلِ المُضَارِعِ مَرْفُوعًا؛ لِقِيَامِهِ مَقَامَ الاسْمِ. بِنَحْوِ: هَلاَّ تَفْعَلُ، وَجَعَلْتُ أَفْعَلُ، وَمَا لَكَ لاَ تَفْعَلُ، وَرَأَيْتُ الَّذِي يَفْعَلُ؛ فَإِنَّ الفِعْلَ فِي هَذِهِ المَوَاضِعِ مَرْفُوعٌ، مَعَ أَنَّ الاسْمَ لاَ يَقَعُ مَوْقِعَهُ"[3].

وَلَمْ يَشِعْ رَأْيُ الفَرَّاءِ عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ المُتَأَخِّرِينَ فَحَسْبُ، بَلْ كُتِبَ لَهُ الشُّيُوعُ، أَيْضًا، فِي الدِّرَاسَاتِ النَّحْوِيَّةِ فِي العَصْرِ الحَدِيثِ. فَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ سِيَادَةِ مُعْظَمِ الآرَاءِ النَّحْوِيَّةِ البَصْرِيَّةِ فِي النَّحْوِ الحَدِيثِ، فَإِنَّنَا لاَ نَجِدُ لِرَأْيِ سِيبَوَيْهِ، وَمَنْ تَابَعَهُ مِنَ البَصْرِيِّينَ؛ صَدًى، بَلْ نَجِدُ رَأْيَ الفَرَّاءِ هُوَ السَّائِدَ، فِي الدِّرَاسَاتِ النَّحْوِيَّةِ الحَدِيثَةِ.

الصَّرْفُ:

مُصْطَلَحُ الصَّرْفِ، أَوْ عَامِلُ الصَّرْفِ، مِنَ العَوَامِلِ المَعْنَوِيَّةِ، فِي النَّحْوِ الكُوفِيِّ، غَيْرِ المَعْرُوفَةِ فِي النَّحْوِ البَصْرِيِّ.

وَيَعْنِي الصَّرْفُ فِي اللُّغَةِ: الدَّفْعَ، وَرَدَّ الشَّيْءِ عَنْ وَجْهِهِ. وَفِي الاصْطِلاَحِ: يُطْلَقُ عَلَى أَكْثَرَ مِنْ مَعْنًى.

فَهُوَ عِنْدَ عُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ: بَيْعُ الأَثْمَانِ بِالأَثْمَانِ، وَعِنْدَ عُلَمَاءِ التَّصْرِيفِ: عِلْمٌ تُعْرَفُ بِهِ أَبْنِيَةُ الكَلاَمِ، وَاشْتِقَاقُهُ، وَعِنْدَ عُلَمَاءِ النَّحْوِ يُرَادُ مِنَ الصَّرْفِ: تَنْوِينٌ يَلْحَقُ الاسْمَ، يُجْعَلُ دَلِيلاً عَلَى تَمَكُّنِهِ فِي بَابِ الاسْمِيَّةِ، كَمَا يُرَادُ مِنْهُ، وَلاَ سِيَّمَا عِنْدَ الكُوفِيِّينَ، صَرْفُ الفِعْلِ الثَّانِي عَنْ مَعْنَى الفِعْلِ الأَوَّلِ. وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَعْنِينَا فِي هَذَا المَقَامِ مِنَ عَامِلِ الصَّرْفِ.

---

[1] المذكر والمؤنث ص185، وينظر أيضا: إيضاح الوقف والابتداء 153/1، والأضداد ص123، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص50، 449.

[2] الأشباه والنظائر 238/1، وهمع الهوامع 164/1، وشرح الأشموني 547/1.

[3] همع الهوامع 164/1.

فَالفَرَّاءُ، وَمَعَهُ الكُوفِيُّونَ إِلَّا ثَعْلَبًا، يَرَوْنَ أَنَّ الصَّرْفَ عَامِلٌ مِنَ العَوَامِلِ المَعْنَوِيَّةِ، يَنْصِبُ فِي بَابَيْنِ مِنَ الأَبْوَابِ النَّحْوِيَّةِ.

البَابُ الأَوَّلُ الفِعْلُ المُضَارِعُ الوَاقِعُ بَعْدَ الوَاوِ، أَوِ الفَاءِ، أَوْ (ثُمَّ)، أَوْ (أَوْ)، وَالمَسْبُوقِ بِنَفْيٍ، أَوْ طَلَبٍ. وَيَكُونُ ذَلِكَ عِنْدَمَا يَجْتَمِعُ فِعْلاَنِ بِأَحَدِ هَذِهِ الأَحْرُفِ، وَيَكُونُ الفِعْلُ الأَوَّلُ مَسْبُوقًا بِنَفْيٍ، أَوْ طَلَبٍ، وَيَكُونُ النَّفْيُ، وَالطَّلَبُ خَاصًّا بِالأَوَّلِ، وَمَقْصُورًا عَلَيْهِ، مِنْ دُونِ الثَّانِي، كَمَا فِي قَوْلِهِمْ: مَا تَأْتِينَا فتحدِّثنا، وقولهم: لا تُأكل السَّمك وتشرب اللَّبن، وقول الشَّاعر:

لَأَسْتَسْهِلَنَّ الصَّعْبَ أَوْ أَدْرِكَ المُنَى فَمَا انْقَادَتِ الآمَالُ إِلَّا لِصَابِرِ

فَإِنَّ (مَا)، وَ(لاَ)، فِي هَذِهِ الأَمْثِلَةِ، لَا تَتَكَرَّرُ فِي الفِعْلِ الثَّانِي: (تُحَدِّثَنَا)، وَ(تَشْرَبَ)، وَ(أُدْرِكَ). وَيُوَضِّحُ الفَرَّاءُ مَعْنَى الصَّرْفِ، فِي هَذَا البَابِ، بِقَوْلِهِ: "فَإِنْ قُلْتَ: وَمَا الصَّرْفُ؟ قُلْتُ: أَنْ تَأْتِيَ بِالوَاوِ مَعْطُوفَةً عَلَى كَلاَمٍ، فِي أَوَّلِهِ حَادِثَةٌ، لاَ تَسْتَقِيمُ إِعَادَتُهَا عَلَى مَا عُطِفَ عَلَيْهَا، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَهُوَ الصَّرْفُ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

أَلاَ تَرَى أَنَّهُ لاَ يَجُوزُ إِعَادَةُ (لاَ) فِي (تَأْتِيَ مِثْلَهُ)؛ فَلِذَلِكَ سُمِّيَ صَرْفًا، إِذَا كَانَ مَعْطُوفًا، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَنْ يُعَادَ فِيهِ الحَادِثُ، الَّذِي قَبْلَهُ"[1].

أَمَّا أَبُو العَبَّاسِ؛ ثَعْلَبٌ، فَلَا يَرَى رَأْيَ الفَرَّاءِ، وَمَنْ تَابَعَهُ مِنَ الكُوفِيِّينَ، وَإِنَّمَا يَرَى أَنَّ تِلْكَ الحُرُوفَ تَدُلُّ عَلَى شَرْطٍ، فَمَثَلاً مَعْنَى: هَلاَّ تَزُورُنِي فَأُكْرِمَكَ، هُوَ: إِنْ تَزُرْنِي أُكْرِمْكَ، فَلَمَا نَابَتِ الفَاءُ عَنِ الشَّرْطِ، ضَارَعَتْ كَيْ، فَلَزِمَتِ المُسْتَقْبَلَ، وَعَمِلَتْ عَمَلَهَا[2].

وَأَمَّا جُمْهُورُ البَصْرِيِّينَ، فَيَذْهَبُ فِي هَذَا وَنَحْوِهِ، إِلَى أَنَّ الفِعْلَ المُضَارِعَ، بَعْدَ هَذِهِ الحُرُوفِ، مَنْصُوبٌ بِـ(أَنْ) مُضْمَرَةً بَعْدَهَا وُجُوبًا، لاَ بِالصَّرْفِ، كَمَا يَرَى الفَرَّاءُ، وَالكُوفِيُّونَ.

وَالبَابُ الثَّانِي الَّذِي يَكُونُ الصَّرْفُ فِيهِ عَامِلًا النَّصْبَ بَابُ المَفْعُولِ مَعَهُ. فَقَدْ جَعَلَ الفَرَّاءُ الصَّرْفَ عِلَّةً لِنَصْبِ المَفْعُولِ مَعَهُ فِي مِثْلِ: لَوْ تُرِكْتَ وَالأَسَدَ لَأَكَلَكَ، وَلَوْ خُلِّيتَ وَرَأْيَكَ لَضَلَلْتَ، وَيَرَى أَنَّهُ لَمَّا لَمْ يَحْسُنْ فِي الثَّانِي أَنْ تَقُولَ: لَوْ تُرِكْتَ وَتُرِكَ الأَسَدُ لَأَكَلَكَ، وَلَوْ تُرِكْتَ وَتُرِكَ رَأْيُكَ لَضَلَلْتَ؛

---

[1] معاني القرآن 33/1-34، وينظر أيضا: 115/1، 221، 235، 276، 292، 391، 408، و263/2، و24/3، 64، وإيضاح الوقف والابتداء 118/1، 138، 139، و663/2، 691-692، 881-882، وينظر: الأصول في النحو 197/1، وإعراب القرآن للنحاس 169/1، 367، وسر صناعة الإعراب 276/1-277، والإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم75، وشرح المفصل 27/7، والبحر المحيط 179/1، وتفسير الطبري 247/7.

[2] همع الهوامع 14/2.

تَهَيّبُوا أَنْ يَعْطِفُوا حَرْفًا، لاَ يَسْتَقِيمُ فِيهِ مَا حَدَثَ فِي الَّذِي قَبْلَهُ[1]؛ لِذَلِكَ نَصَبُوهُ عَلَى الصَّرْفِ؛ لأَنَّهُ صُرِفَ عَنْ مَعْنَى مَا قَبْلَهُ.

وَيَرَى جُمْهُورُ البَصْرِيِّينَ أَنَّ الاسْمَ بَعْدَ وَاوِ المَعِيَّةِ غَيْرُ مَنْصُوبٍ بِالصَّرْفِ، وَإِنَّمَا هُوَ مَنْصُوبٌ بِالفِعْلِ، الَّذِي قَبْلَهُ، بِتَوَسُّطِ الوَاوِ. فَإِذَا قُلْتَ: سِرْتُ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ، كَانَ (طُلُوعَ) مَنْصُوبًا بِالفِعْلِ (سِرْتُ)، بِتَوَسُّطِ الوَاوِ[2].

وَهُنَاكَ آرَاءٌ، أُخْرَى لِبَعْضِ النَّحْوِيِّينَ فِي عَامِلِ النَّصْبِ فِي المَفْعُولِ مَعَهَ، يَحْسُنُ بِنَا أَنْ نُشِيرَ إِلَيْهَا. مِنْهَا أَنَّ بَعْضَ الكُوفِيِّينَ، وَالأَخْفَشَ، ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ (الظَّرْفِيَّةَ) هِيَ عَامِلُ النَّصْبِ فِي المَفْعُولِ مَعَهَ. وَسَيَأْتِي كَلاَمُنَا بَعْدَ قَلِيلٍ عَلَى هَذَا العَامِلِ. وَمِنْهَا أَنَّ الزَّجَّاجَ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ المَفْعُولَ مَعَهَ مَنْصُوبٌ بِفِعْلٍ مُقَدَّرٍ، هُوَ لاَبَسَ، مُحْتَجًّا بِأَنَّ الفِعْلَ لاَ يَعْمَلُ فِي المَفْعُولِ، وَهُنَاكَ وَاوٌ تَفْصِلُ بَيْنَهُمَا[3]. وَمِنْهَا أَنَّ الجُرْجَانِيَّ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ المَفْعُولَ مَعَهَ مَنْصُوبٌ بِالوَاوِ وَحْدَهَا[4].

وَمِمَّنْ أَخَذَ بِمُصْطَلَحِ الصَّرْفِ، مِنَ النَّحْوِيِّينَ غَيْرِ الكُوفِيِّينَ، ابْنُ السَّرَّاجِ. فَقَدْ صَرَّحَ أَنَّ الفِعْلَ المُضَارِعَ، الوَاقِعَ بَعْدَ الوَاوِ، وَالمَسْبُوقَ بِنَفْيٍ، أَوْ طَلَبٍ فِي نَحْوِ:

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

مَنْصُوبٌ عَلَى الصَّرْفِ، لَا عَلَى إِضْمَارِ (أَنْ)، كَمَا يَذْهَبُ البَصْرِيُّونَ[5].

الخِلاَفُ:

الخِلاَفُ مِنْ مُصْطَلَحَاتِ النَّحْوِ الكُوفِيِّ، وَهُوَ أَحَدُ العَوَامِلِ المَعْنَوِيَّةِ، الَّتِي يَرْتَكِزُ عَلَيْهَا فِي تَفْسِيرِ عَدَدٍ مِنَ الظَّوَاهِرِ الإِعْرَابِيَّةِ.

وَمَعْنَى الخِلاَفِ فِي اللُّغَةِ: المُضَادَّةُ. وَفِي اصْطِلاَحِ الكُوفِيِّينَ: عَامِلٌ مِنَ العَوَامِلِ المَعْنَوِيَّةِ، الَّتِي تَكُونُ عِلَّةً لِنَصْبِ عَدَدٍ مِنَ الظَّوَاهِرِ الإِعْرَابِيَّةِ، فِي بَعْضِ الأَبْوَابِ النَّحْوِيَّةِ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا يَكُونُ فِي التَّرْكِيبِ مَا يَدُلُّ عَلَى الرَّبْطِ بَيْنَ شَيْئَيْنِ، أَوْ أَكْثَرَ، فِي الحُكْمِ المَعْنَوِيِّ، بَيْدَ أَنَّ المُتَحَدِّثَ يَرْغَبُ فِي إِخْرَاجِ الثَّانِي مِنْ حُكْمِ الأَوَّلِ، فَيَلْجَأُ إِلَى الحَرَكَةِ الإِعْرَابِيَّةِ، فَيُخَالِفُ فِيهَا؛ لِتَكُونَ هَذِهِ المُخَالَفَةُ وَسِيلَةً لَفْظِيَّةً، بَارِزَةً وَاضِحَةً، تَرْمُزُ لِلْمَعْنَى المُرَادِ.

---

[1] معاني القرآن 34/1، وينظر: 71/2.

[2] الكتاب 297/1.

[3] الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم30.

[4] الأشموني مع الصبان 135/2.

[5] الأصول في النحو 197/2.

وَيَبْدُو أَنَّ مَفْهُومَ الخلاَف، أَوِ المُخَالَفَة، اقْتَبَسَهُ الكُوفِيُّونَ، وَتَصَيَّدُوهُ مِنْ كَلاَمِ الخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ. فَلِلْخَلِيلِ فِي الاسْتِثْنَاءِ كَلاَمٌ يُشْبِهُ كَلاَمَ الكُوفِيِّينَ فِي الخلاَف. فَقَدْ جَاءَ فِي (الكِتَاب) مِنْ كَلاَمِ الخَلِيلِ: "هَذَا بَابٌ لَا يَكُونُ المُسْتَثْنَى فِيهِ إِلَّا نَصْبًا؛ لأَنَّهُ مُخْرَجٌ مِمَّا أَدْخَلْتَ فِيهِ غَيْرَهُ"[1].

وَقَدْ تَبِعَ الخَلِيلَ، فِي المُسْتَثْنَى وَفِي مَسَائِلَ نَحْوِيَّةٍ أُخْرَى، سِيبَوَيْهِ الَّذِي كَانَ يَرْتَكِزُ، فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ، عَلَى مَفْهُومِ المُخَالَفَة، فِي تَفْسِيرِ عِلَّةِ نَصْبِ بَعْضِ المَسَائِلِ النَّحْوِيَّة، مِثْلُ قَوْلِه: "هَذَا بَابُ مَا يَنْتَصِبُ؛ لأَنَّهُ قَبِيحٌ أَنْ يَكُونُ صِفَةً، وَذَلِكَ قَوْلُكَ: هَذَا رَاقُودٌ خَلاً". وَقَوْلُهُ: "هَذَا بَابُ مَا يَنْتَصِبُ؛ لأَنَّهُ لَيْسَ مِنِ اسْمِ مَا قَبْلَهُ، وَلاَ هُوَ هُوَ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ: هُوَ ابْنُ عَمِّي دِيْنًا، وَهُوَ جَارِي بَيْتَ بَيْتَ"[2].

وَمَجَالُ تَطْبِيقِ الخلاَف عِنْدَ الكُوفِيِّينَ فِيمَا يَأْتِي:

1. الفِعْلُ المُضَارِعُ الوَاقِعُ بَعْدَ الوَاوِ، وَالفَاءِ، وَأَوْ، المَسْبُوقُ بِنَفْيٍ، أَوْ طَلَبٍ.
2. المَفْعُولُ مَعَهُ.
3. الظَّرْفُ الوَاقِعُ خَبَرًا لِلْمُبْتَدَأ.
4. أَفْعَلَ فِي التَّعَجُّبِ.
5. المُسْتَثْنَى بِإِلَّا.
6. الحَالُ الوَاقِعَةُ خَبَرًا لِمَصْدَرٍ وَاقِعٍ مُبْتَدَأً.
7. عَامِلُ رَفْعٍ فِي الفِعْلِ المُضَارِعِ فِي بَعْضِ التَّرَاكِيبِ.
8. عَامِلُ نَصْبِ المَفْعُولِ بِهِ.

وَهَذَا بَيَانُ هَذِهِ المُفْرَدَات:

1 . الخِلاَفُ عَامِلُ النَّصْبِ فِي الفِعْلِ المُضَارِعِ الوَاقِعِ بَعْدَ الوَاوِ، وَالفَاءِ، وَأَوْ، المَسْبُوقِ بِنَفْيٍ، أَوْ طَلَبٍ:

عِنْدَ كَلاَمِنَا عَلَى مُصْطَلَحِ الصَّرْفِ قُلْنَا: إِنَّ الفَرَّاءَ، وَمَعَهُ الكُوفِيُّونَ إِلَّا ثَعْلَبًا، قَالَ: إِنَّ الفِعْلَ المُضَارِعَ الوَاقِعَ بَعْدَ الوَاوِ، وَالفَاءِ، وَأَوْ، المَسْبُوقَ بِنَفْيٍ، أَوْ طَلَبٍ، يَنْتَصِبُ عَلَى الصَّرْفِ، بَيْدَ أَنَّ عَدَدًا مِنْ كُتُبِ النَّحْوِ تَنْسِبُ إِلَى الفَرَّاءِ مُصْطَلَحًا آخَرَ هُوَ (الخِلاَفُ)، الَّذِي يَجْعَلُهُ عِلَّةً لِنَصْبِ الفِعْلِ المُضَارِعِ الوَاقِعِ بَعْدَ الوَاوِ، وَالفَاءِ، وَأَوْ، المَسْبُوقِ بِنَفْيٍ، أَوْ طَلَبٍ، كَمَا تَنْسِبُ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الكُوفِيِّينَ أَنَّ الفِعْلَ، هُنَا، لَيْسَ مَنْصُوبًا عَلَى الخِلاَف، كَمَا يَرَى الفَرَّاءُ، وَإِنَّمَا هُوَ مَنْصُوبٌ بِهَذِهِ الحُرُوفِ نَفْسِهَا، أَيْ أَنَّ الوَاوَ، وَالفَاءَ، وَأَوْ هِيَ أَدَوَاتُ النَّصْبِ، الَّتِي تَنْصِبُ هَذَا الفِعْلَ، عَلَى حِينِ يَذْهَبُ البَصْرِيُّونَ إِلَى أَنَّ هَذَا الفِعْلَ

---

[1] الكتاب 330/2.

[2] الكتاب 117/2، 118، وينظر: مدرسة الكوفة ص293، وتاريخ النحو وأصوله 315/1-317.

بَعْدَ هَذه الحُرُوف مَنْصُوبٌ، لَا عَلَى الخِلاَف، وَلَا بِهَذِهِ الحُرُوفِ نَفْسِهَا، وَإِنَّمَا هُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى إِضْمَارِ (أَنْ) بَعْدَهَا[1].

وَالخِلاَفُ هُنَا بِمَعْنَى الصَّرْفِ هُنَاكَ. "فَقَوْلُهُمْ: نَصْبٌ عَلَى الصَّرْفِ بِمَعْنَى قَوْلِهِمْ: نَصْبٌ عَلَى الخِلاَفِ سَوَاءً"[2].

وَمَعْنَى الخِلاَف، عَلَى رَأْيِ الفَرَّاءِ، أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: لاَ تَظْلِمْنِي فَتَنْدَمَ، وَلاَ تَأْكُلْ وَتَضْحَكَ، كَانَ الفِعْلُ (تَنْدَمَ) وَ(تَضْحَكَ) مَنْصُوبًا عَلَى الخِلاَف، لاَ مَجْزومًا عَلَى العَطْف عَلَى (تَظْلِمْنِي) وَ(تَأْكُلْ)؛ لأَنَّ الفَاءَ، وَالوَاوَ عَطَفَتَا مَا بَعْدَهُمَا (تَنْدَمَ)، وَ(تَضْحَكَ) عَلَى فِعْلٍ غَيْرِ مُشْتَرَكٍ مَعَ الفِعْلِ الأَوَّلِ فِي الحُكْمِ. فَعِنْدَمَا تَقُولُ: لاَ تَظْلِمْنِي فَتَنْدَمَ، وَلاَ تَأْكُلْ وَتَضْحَكَ، كَانَ النَّهْيُ دَاخِلاً عَلَى الظُّلْمِ وَالأَكْلِ، مُنْصَبًّا عَلَيْهِمَا، غَيْرَ دَاخِلٍ عَلَى النَّدَمِ، وَالضَّحِكِ، فَحِينَ عَطَفْتَ بِالفَاءِ، وَالوَاوِ فِعْلاً عَلَى فِعْلٍ، لَا يُشَارِكُهُ فِي مَعْنَاهُ، وَلاَ يَصِحُّ أَنْ تُدْخِلَ عَلَيْهِ حَرْفَ النَّهْيِ، كَمَا دَخَلَ عَلَى الفِعْلِ الَّذِي قَبْلَهُ؛ اسْتَحَقَّ الفِعْلُ الثَّانِي النَّصْبَ بِالخِلاَفِ؛ لأَنَّ فِي النَّصْبِ عَلَى الخِلاَفِ مُخَالَفَةً إِعْرَابِيَّةً، تُعَبِّرُ عَنِ المَعْنَى، وَتَصْرِفُ مِنْ ذِهْنِ السَّامِعِ مَعْنَى الاشْتِرَاكِ فِي حُكْمِ النَّهْيِ.

وَمِمَّنْ أَخَذَ بِالخِلاَف، وَقَالَ بِهِ مِنْ غَيْرِ الكُوفِيِّينَ، الزَّجَّاجِيُّ. فَقَدْ صَرَّحَ أَنَّ الفِعْلَ المُضَارِعَ الوَاقِعَ بَعْدَ الوَاوِ، وَالفَاءِ، وَأَوْ، المَسْبُوقَ بِنَفْيٍ، أَوْ طَلَبٍ، غَيْرُ مَنْصُوبٍ بِ(أَنْ) مُضْمَرَةً بَعْدَ هَذه الأَحْرُف، كَمَا يَرَى البَصْرِيُّونَ، وَإِنَّمَا الخِلاَفُ، أَوِ المُخَالَفَةُ، كَمَا يَقُولُ، هُوَ عَامِلُ النَّصْبِ فِي هَذَا الفِعْلِ[3].

2 . الخِلاَفُ عَامِلُ النَّصْبِ فِي المَفْعُولِ مَعَهُ.

سَبَقَ عِنْدَ كَلاَمِنَا عَلَى الصَّرْفِ أَنَّ الكُوفِيِّينَ يَرَوْنَ أَنَّ الاسْمَ الوَاقِعَ بَعْدَ وَاوِ المَعِيَّةِ مَنْصُوبٌ عَلَى الصَّرْفِ، بَيْدَ أَنَّ كُتُبَ النَّحْوِ تَنْسِبُ إِلَيْهِمْ، أَيْضًا، أَنَّهُمْ يَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّ المَفْعُولَ مَعَهُ يَنْتَصِبُ عَلَى الخِلاَف؛ لأَنَّكَ إِذَا قُلْتُ: اسْتَوَى المَاءُ وَالخَشَبَةَ، وَسِرْتُ وَالبَحْرَ، فَإِنَّكَ تَجِدُ نَفْسَكَ مُضْطَرًّا إِلَى نَصْبِ لَفْظِ (الخَشَبَةَ)، وَ(البَحْرَ)، لَا إِلَى رَفْعِهِمَا، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الوَاوَ حَرْفُ عَطْفٍ؛ ذَلِكَ لأَنَّكَ لَوْ رَفَعْتَ الخَشَبَةَ وَالبَحْرَ، عَطْفًا عَلَى (المَاءُ)، وَالضَّمِيرِ فِي سِرْتُ؛ لَفَسَدَ المَعْنَى، وَلَمَا صَحَّ التَّرْكِيبُ؛ لأَنَّهُ لَا يَحْسُنُ تَكْرِيرُ الفِعْلِ، فَتَقُولُ: اسْتَوَى المَاءُ وَاسْتَوَتِ الخَشَبَةُ، وَسِرْتُ وَسَارَ البَحْرُ؛ لأَنَّ الخَشَبَةَ لَمْ تَكُنْ مُعْوَجَّةً

---

[1] ينظر في الخلاف: الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم76، وشرح المفصل 21/7، والجنى الداني ص129، وشرح الكافية 241/2، وشرح الأشموني 559/3، 565، والأشباه والنظائر 238/1، وهمع الهوامع 10/2، والموفي في النحو الكوفي ص117.

[2] شرح الكافية 241/2.

[3] الجمل (مخطوط) ص149.

فَتُسَوَّى، وَالبَحْرَ لَا يَصِحُّ مِنْهُ السِّيْرُ، لِذَا يَلْجَأُ المُتَكَلِّمُ إِلَى مُخَالَفَةِ مَا بَعْدَ الوَاوِ لِمَا قَبْلَهَا فِي الحَرَكَةِ الإِعْرَابِيَّةِ؛ لِيَصِحَّ التَّرْكِيبُ، لِذَا يَكُونُ الخِلَافُ عَامِلَ النَّصْبِ فِي المَفْعُولِ مَعَهُ[1].

3- الخِلَافُ عَامِلُ النَّصْبِ فِي الظَّرْفِ الوَاقِعِ خَبَرًا لِلْمُبْتَدَأِ:

المَعْرُوفُ لَدَى النُّحَاةِ أَنَّ المُبْتَدَأَ يَكُونُ هُوَ الخَبَرَ نَفْسَهُ فِي المَعْنَى. تَقُولُ: زَيْدٌ كَرِيمٌ، وَعَمْرٌو شُجَاعٌ، فَكَرِيمٌ فِي المَعْنَى هُوَ زَيْدٌ، وَكَذَلِكَ شُجَاعٌ فِي المَعْنَى هُوَ عَمْرٌو، وَلِهَذَا تَكُونُ الحَرَكَةُ الإِعْرَابِيَّةُ وَاحِدَةً فِي المُبْتَدَأِ وَالخَبَرِ، وَهِيَ الرَّفْعُ. وَلَكِنْ قَدْ يَكُونُ الخَبَرُ لَيْسَ هُوَ المُبْتَدَأَ، وَلَا هُوَ فِي المَعْنَى، وَذَلِكَ عِنْدَمَا يَكُونُ لَفْظُ الخَبَرِ ظَرْفًا، كَأَمَامَكَ، وَخَلْفَكَ، فِي نَحْوِ: زَيْدٌ أَمَامَكَ، وَعَمْرٌو خَلْفَكَ، حَيْنَئِذٍ لَا يَصِحُّ أَنْ يُعْطَى اللَّفْظَانِ؛ المُبْتَدَأُ وَالخَبَرُ حَرَكَةً وَاحِدَةً؛ لِأَنَّ الخَبَرَ لَيْسَ هُوَ المُبْتَدَأَ فِي المَعْنَى؛ لِذَا يُنْصَبُ الظَّرْفُ عَلَى الخِلَافِ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى تَقْدِيرِ شَيْءٍ، يَتَعَلَّقُ بِهِ الخَبَرُ. هَذَا عَلَى مَذْهَبِ الكُوفِيِّينَ، إِلَّا أَبَا العَبَّاسِ؛ ثَعْلَبًا، الَّذِي ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ يُنْصَبُ؛ لِأَنَّ الأَصْلَ فِي قَوْلِكَ: أَمَامَكَ زَيْدٌ: حَلَّ أَمَامَكَ، فَحُذِفَ الفِعْلُ، وَهُوَ غَيْرُ مَطْلُوبٍ، وَاكْتُفِيَ بِالظَّرْفِ مِنْهُ، فَبَقِيَ مَنْصُوبًا عَلَى مَا كَانَ مَعَ الفِعْلِ.

وَأَمَّا البَصْرِيُّونَ، فَلَا يَرَوْنَ هَذَا الرَّأْيَ، وَعِنْدَهُمْ أَنَّ الخَبَرَ إِذَا وَقَعَ ظَرْفًا، فَلَا بُدَّ مِنْ تَقْدِيرِ مَحْذُوفٍ، يَتَعَلَّقُ بِهِ الخَبَرُ، تَقْدِيرُهُ: كَائِنٌ، أَوْ مُسْتَقِرٌّ[2].

4- الخِلَافُ عَامِلُ النَّصْبِ فِي أَفْعَلَ فِي عِبَارَةِ التَّعَجُّبِ:

فِي أَفْعَلَ مِنْ قَوْلِكَ: مَا أَحْسَنَ زَيْدًا؛ خِلَافٌ بَيْنَ البَصْرِيِّينَ وَالكُوفِيِّينَ، اسْمِيَّةٌ هِيَ، أَمْ فِعْلِيَّةٌ؟ وَيَبْتَنِي عَلَى هَذَا الخِلَافِ خِلَافٌ آخَرُ حَوْلَ إِعْرَابِهَا. فَالبَصْرِيُّونَ يَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّهَا فِعْلٌ مَاضٍ، جَامِدٌ، لِإِنْشَاءِ المَدْحِ، وَالكُوفِيُّونَ يَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّهَا اسْمٌ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ، خَبَرُ المُبْتَدَأِ (مَا)، وَيَرَوْنَ أَنَّ فَتْحَتَهُ فَتْحَةُ إِعْرَابٍ، كَالفَتْحَةِ فِي نَحْوِ: زَيْدٌ عِنْدَكَ، وَعَمْرٌو خَلْفَكَ، لَكِنَّهُ نُصِبَ عَلَى الخِلَافِ؛ لِأَنَّهُ مُخَالِفٌ لِلْمُبْتَدَأِ، وَلَيْسَ هُوَ فِي المَعْنَى، بِنَاءً عَلَى قَوْلِهِمْ: إِنَّ مُخَالَفَةَ الخَبَرِ لِلْمُبْتَدَأِ تَقْضِي نَصْبَ الخَبَرِ، كَمَا انْتَصَبَ: زَيْدٌ عِنْدَكَ، وَعَمْرٌو خَلْفَكَ؛ لِأَنَّهُمَا مُخَالِفَانِ لِلْمُبْتَدَأِ[3].

---

[1] ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم ص30، وأسرار العربية ص182، وشرح المفصل 49/2، والجنى الداني 176، 186، وشرح اللمحة البدرية 158/2، وشرح الأشموني 323/1، وهمع الهوامع 220/1، والأشباه والنظائر 239/1، وضياء المسالك 173/2، وشرح التصريح 344/1.

[2] ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم29، وشرح المفصل 91/1، وشرح الكافية 92/1، ومغني اللبيب ص566.

[3] ينظر: الأشموني مع الصبان 18/3، وشرح التصريح 88/2، وهمع الهوامع 90/2، والموفي في النحو الكوفي ص85-86.

ثُمّ إِنَّهُمْ يَخْتَلِفُونَ فِي إِعْرَابِ (مَا)، وَ(زَيْدًا). فَالكُسَائِيُّ عَلَى أَنَّ (مَا) لاَ مَحَلَّ لَهَا مِنَ الإِعْرَابِ، وَقَالَ الفَرَّاءُ، وَابْنُ دُرُسْتَوَيْهِ: (مَا) اسْتِفْهَامِيَّةٌ، مُبْتَدَأٌ، وَمَا بَعْدَهَا خَبَرُهَا[1]. وَعَزَّزَ الرَّضِيُّ هَذَا الوَجْهَ مِنْ حَيْثُ المَعْنَى؛ "لأَنَّهُ كَانَ جَهِلَ سَبَبَ حُسْنِه، فَاسْتَفْهَمَ عَنْهُ، وَقَدْ يُسْتَفَادُ مِنَ الاسْتِفْهَامِ مَعْنَى التَّعَجُّبِ"[2]. وَقَدْ نُسِبَ هَذَا الرَّأْيُ فِي (شَرْحِ التَّصْرِيحِ) إِلَى الكُوفِيِّينَ كَافَّةً[3]. وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لِلْكِسَائِيِّ وَحْدَهُ.

وَأَمَّا (زَيْدًا)، فَإِنَّ الكُوفِيِّينَ يُعْرِبُونَهُ مَنْصُوبًا عَلَى التَّشْبِيهِ بِالمَفْعُولِ، لَا مَفْعُولًا بِهِ، كَمَا يَرَى البَصْرِيُّونَ[4].

وَأَمَّا البَصْرِيُّونَ، فَبَيْنَهُمْ اخْتِلَافٌ فِي (مَا). فَسِيبَوَيْهِ، وَالجُمْهُورُ، وَالأَخْفَشُ، فِي أَحَدِ قَوْلَيْهِ، يُعْرِبُونَهَا نَكِرَةً تَامَّةً، بِمَعْنَى (شَيْءٌ)، مُبْتَدَأً، وَصَحَّ الابْتِدَاءُ بِهَا؛ لِتَضَمُّنِهَا مَعْنَى التَّعَجُّبِ. وَيَرَى الأَخْفَشُ فِي قَوْلِهِ الآخَرِ أَنَّهَا مَعْرِفَةٌ مَوْصُولَةٌ، وَالجُمْلَةُ بَعْدَهَا صِلَةٌ لَهَا، وَخَبَرُهَا مَحْذُوفٌ، وَالتَّقْدِيرُ: الَّذِي أَحْسَنَ زَيْدًا مَوْجُودٌ[5].

5- الخِلَافُ عَامِلُ النَّصْبِ فِي المُسْتَثْنَى:

وَيَذْهَبُ الكِسَائِيُّ مِنَ الكُوفِيِّينَ، فِي أَحَدِ قَوْلَيْهِ، إِلَى أَنَّ المُسْتَثْنَى، فِي نَحْوِ قَوْلِكَ: مَا قَامَ أَحَدٌ إِلَّا زَيْدًا، مَنْصُوبٌ عَلَى الخِلَافِ؛ لأَنَّ المُسْتَثْنَى (زَيْدًا) مُوجَبٌ لَهُ القِيَامُ، بَعْدَ نَفْيِهِ عَنِ الأَوَّلِ، أَيْ أَنَّهُ مُخَالِفٌ لَهُ، وَلِهَذَا كَانَ النَّصْبُ وَسِيلَةً لِهَذَا المَعْنَى؛ مَعْنَى مُخَالَفَةِ المُسْتَثْنَى المُسْتَثْنَى مِنْهُ فِي المَعْنَى، وَالحُكْمِ[6].

وَتَابَعَهُ فِي ذَلِكَ الفَرَّاءُ، وَرَأَى أَنَّ العَامِلَ فِي المُسْتَثْنَى مَعْنَوِيٌّ، لَا لَفْظِيٌّ، وَهُوَ الخِلَافُ. يَقُولُ مُفَسِّرًا قَوْلَهُ تَعَالَى: {قَالَ لَا عَاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ}[7]: "وَ(مَنْ) فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ؛ لأَنَّ المَعْصُومَ خِلَافٌ لِلْعَاصِمِ، وَالمَرْحُومَ مَعْصُومٌ"[8].

وَيَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ}[1]: "وَنَصْبُ الابْتِغَاءِ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَنْ تَجْعَلَ فِيهَا نِيَّةَ إِنْفَاقِهِ مَا يُنْفِقُ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ. وَالآخَرُ عَلَى اخْتِلَافِ مَا قَبْلَ إِلَّا وَمَا بَعْدَهَا، وَالعَرَبُ تَقُولُ: مَا فِي الدَّارِ أَحَدٌ إِلاَّ أَكْلُبًا، وَأَحْمِرَةً"[2].

---

[1] شرح التصريح 87/2.

[2] شرح الكافية 309/2-310.

[3] شرح التصريح 87/2.

[4] شرح اللمحة البدرية 265/2، والأشموني مع الصبان 18/3.

[5] شرح الكافية 390/2-310، وشرح التصريح 87/2.

[6] همع الهوامع 244/1.

[7] هود الآية 43.

[8] معاني القرآن 15/2، وينظر أيضا: 89/1.

وَفِي هَذِهِ الأَقْوَالِ رَدٌّ عَلَى بَعْضِ البَاحِثِينَ المُحْدَثِينَ، الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ القَوْلَ بِالخِلَافِ، فِي بَابِ المُسْتَثْنَى بِإِلَّا، فَاتَ الكُوفِيِّينَ، وَلَمْ يَقُولُوا بِهِ[3].

6-الخِلَافُ عَامِلُ النَّصْبِ فِي الحَالِ الوَاقِعَةِ خَبَرًا لِمَصْدَرٍ وَاقِعٍ مُبْتَدَأً:

وَذَلِكَ نَحْوُ قَوْلِهِمْ: ضَرْبِي زَيْدًا قَائِمًا. فَالنَّحْوِيُّونَ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ المصْدَرَ (ضَرْبِي) مُبْتَدَأٌ، مُضَافٌ إِلَيْهِ فَاعِلُهُ، وَ(زَيْدًا) مَفْعُولٌ بِهِ، وَ(قَائِمًا) حَالٌ. إِلاَّ إِنَّهُمْ يَخْتَلِفُونَ: هَلْ يَحْتَاجُ هَذَا المُبْتَدَأُ إِلَى خَبَرٍ، أَوْ لَا يَحْتَاجُ؟

فَبَعْضُهُمْ قَالَ: لَا خَبَرَ لَهُ، وَإِنَّ الفَاعِلَ أَغْنَى عَنِ الخَبَرِ؛ لِكَوْنِ المصْدَرَ، هَاهُنَا، وَاقِعًا مَوْقِعَ الفِعْلِ، كَمَا فِي قَوْلِهِمْ: أَقَائِمٌ الزَيْدَانِ، وَالتَّقْدِيرُ: ضَرَبْتُ زَيْدًا قَائِمًا.

وَبَعْضُهُمْ قَالَ، وَهُم الكِسَائِيُّ، وَهِشَامٌ، وَالفَرَّاءُ، وَابْنُ كَيْسَانَ: إِنَّ الحَالَ نَفْسَهَا هِيَ الخَبَرُ، وَإِنَّمَا جَازَ نَصْبُهَا؛ لِأَنَّهَا، لَمَّا خَالَفَتِ المُبْتَدَأَ؛ (ضَرْبِي)، وَلَمْ تَكُنْ فِي المَعْنَى عَيْنَهُ، نُصِبَتْ عَلَى الخِلَافِ[4]؛ لِأَنَّ المُخَالَفَةَ، عِنْدَهُمْ، تُوجِبُ النَّصْبَ، كَمَا مَرَّ.

7-الخِلَافُ عَامِلُ رَفْعٍ فِي الفِعْلِ المضَارِعِ:

وَقَالَ الكُوفِيُّونَ بِالخِلَافِ فِي رَفْعِ الفِعْلِ المُضَارِعِ. يَقُولُ السُّيُوطِيُّ: "وَقَدْ يَرْفَعُونَ، أَيِ الكُوفِيُّونَ، أَيْضًا عَلَى المُخَالَفَةِ، كَقَوْلِه:

عَلَى الحَكَمِ المَأْتِيِّ يَوْمًا إِذَا قَضَى قَضِيَّتَهُ أَنْ لَا يَجُورَ وَيَقْصِدُ

قَالَ الفَرَّاءُ: "هُوَ مَرْفُوعٌ، (يَقْصِدُ)، عَلَى المُخَالَفَةِ"[5]، أَيْ أَنَّ الفَرَّاءَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ سَبَبًا يُعَلِّلُ بِهِ رَفْعَ الفِعْلِ؛ (يَقْصِدُ)، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى فِعْلٍ مَنْصُوبٍ، قَالَ: إِنَّهُ مَرْفُوعٌ عَلَى المُخَالَفَةِ؛ مُخَالَفَةِ الفِعْلِ الأَوَّلِ فِي الحَرَكَةِ الإِعْرَابِيَّةِ.

8 . الخِلَافُ عَامِلُ نَصْبِ المَفْعُولِ بِهِ:

وَأَخِيرًا قَالَ الكُوفِيُّونَ بِالخِلَافِ فِي عَامِلِ نَصْبِ المَفْعُولِ بِهِ. فَقَدْ نَقَلَ أَبُو حَيَّانَ عَنْ كِتَابِ (العَوَامِلِ وَالهَوَامِلِ)، لِابْنِ فَضَالَةَ، أَنَّ خَلَفًا الأَحْمَرَ يَرَى أَنَّ نَاصِبَ المَفْعُولِ بِهِ المُخَالَفَةُ[6]، أَيْ المُخَالَفَةُ

---

[1] الليل الآية 19.

[2] معاني القرآن 173/3.

[3] مدرسة الكوفة ص297.

[4] همع الهوامع 105/1-106.

[5] الأشباه والنظائر 238/1-239.

[6] تذكرة النحاة ص431.

بَيْنَهُمَا فِي المَعْنَى. وَقَدْ يَكُونُ هَذَا الرَّأْيُ قَرِيبًا مِنْ رَأْيِ الكِسَائِيِّ، إِذْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الفَاعِلَ يَرْتَفِعُ؛ لِكَوْنِهِ دَاخِلًا فِي الوَصْفِ، وَأَنَّ المَفْعُولَ بِهِ يَنْتَصِبُ؛ لِكَوْنِهِ خَارِجًا عَنْ هَذَا الوَصْفِ[1].

وَبَعْدَ، فَلَا رَيْبَ فِي أَنَّ مُصْطَلَحَ الصَّرْفِ، وَالخِلَافِ، مِنْ أَهَمِّ العَوَامِلِ المَعْنَوِيَّةِ الصِّرْفَةِ فِي النَّحْوِ الكُوفِيِّ، وَهُوَ يَدُلُّ، فِي مُجْمَلِهِ، عَلَى نَظْرَةٍ لُغَوِيَّةٍ وَاعِيَةٍ؛ لِأَنَّهُ يَجْعَلُ الحَرَكَةَ الإِعْرَابِيَّةَ خَاضِعَةً لِلْمَعْنَى، وَتَابِعَةً لَهُ، لَا خَاضِعَةً لِلْإِعْرَابِ، وَتَابِعَةً لَهُ[2]؛ وَلِأَنَّهُ يَكْفِينَا عَنَاءَ التَّأْوِيلَاتِ وَالتَّقْدِيرَاتِ المُمِلَّةِ، وَالتَّمَحُّلِ فِي الْتِمَاسِهَا حَتَّى يَسْتَقِيمَ التَّرْكِيبُ، وَفْقَ القَوَاعِدِ النَّحْوِيَّةِ الصَّارِمَةِ، الَّتِي قَعَّدَهَا النَّحْوِيُّونَ، كَمَا أَنَّهُ يُجَنِّبُنَا، وَيُخَلِّصُنَا مِنْ كَثِيرٍ مِنْ مُجَادَلَاتِ القُدَمَاءِ، وَمُمَاحَكَاتِهِمْ الجَافَّةِ، الَّتِي أَدْخَلُوهَا فِي النَّحْوِ، فَجَعَلَتْهُ عَسِيرًا عَلَى المُتَعَلِّمِينَ، ثُمَّ إِنَّ مُصْطَلَحَ الصَّرْفِ، أَوِ الخِلَافِ، لَوْ أُخِذَ بِهِ بَعْدَ تَوْسِيعِ نِطَاقِهِ؛ لَكَانَ وَسِيلَةً مِنْ أَنْجَحِ الوَسَائِلِ، الَّتِي يَسْعَى إِلَيْهَا، وَيَنْشُدُهَا دُعَاةُ تَيْسِيرِ النَّحْوِ، فِي العَصْرِ الحَدِيثِ[3].

التَّقْرِيبُ:

وَمِنَ العَوَامِلِ المَعْنَوِيَّةِ فِي النَّحْوِ الكُوفِيِّ عَامِلُ التَّقْرِيبِ، وَهُوَ مِنَ العَوَامِلِ الَّتِي لَا يَعْرِفُهَا البَصْرِيُّونَ. وَقَدِ اخْتَصُّوا بِهِ اسْمَ الإِشَارَةِ هَذَا، وَأَخَوَاتِهِ، فِي مِثْلِ: هَذَا زَيْدٌ جَالِسًا. وَعِنْدَهُمْ أَنَّ جَالِسًا، وَنَحْوَهُ، مِمَّا جَاءَ مَنْصُوبًا بَعْدَ هَذَا، وَأَخَوَاتِهِ؛ مَنْصُوبٌ عَلَى التَّقْرِيبِ، لَا عَلَى الحَالِ، كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ البَصْرِيِّينَ. وَقَدْ سَبَقَ أَنْ أَشَرْنَا إِلَى هَذَا المُصْطَلَحِ.

الجِوَارُ:

وَمِنَ العَوَامِلِ المَعْنَوِيَّةِ فِي النَّحْوِ الكُوفِيِّ مَا يُسَمِّيهِ الكُوفِيُّونَ بِالجِوَارِ[4]. فَقَدِ اخْتَلَفَ النَّحْوِيُّونَ فِي العَامِلِ فِي جَوَابِ الشَّرْطِ فِي نَحْوِ قَوْلِكَ: إِنْ تَدْرُسْ تَنْجَحْ. فَمَذْهَبُ الأَكْثَرِينَ، مِنَ البَصْرِيِّينَ، أَنَّ العَامِلَ فِي جَوَابِ الشَّرْطِ أَدَاةُ الشَّرْطِ وَحْدَهَا. وَمَذْهَبُ آخَرِينَ مِنْهُمْ أَنَّ أَدَاةَ الشَّرْطِ، وَفِعْلَهُ، هُمَا العَامِلَانِ فِي الجَوَابِ. وَمَذْهَبُ الأَخْفَشِ أَنَّ فِعْلَ الشَّرْطِ وَحْدَهُ هُوَ العَامِلُ فِي الجَوَابِ؛ لِضَعْفِ الأَدَاةِ عَنْ عَمَلَيْنِ؛ وَلِأَنَّ الشَّرْطَ طَالِبٌ لِلْجَوَابِ. وَأَخِيرًا يَذْهَبُ المَازِنِيُّ إِلَى أَنَّ الجَزَاءَ غَيْرُ مَجْزُومٍ، وَإِنَّمَا هُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى الوَقْفِ.

---

[1] همع الهوامع 159/1.

[2] أصول النحو العربي (محمد خير الحلواني) ص177.

[3] مدرسة الكوفة ص297.

[4] ينظر: فِي مُصْطَلَحِ (الجِوَارِ): الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم84، وأسرار العربية ص337-338، وتسهيل الفوائد ص237، وشرح الكافية 254/2، 255، 262، وشرح الأشموني مع الصبان 16/4، وشرح التصريح 248/2/ وهمع الهوامع 61/2، والأشباه والنظائر 149/1، وحاشية الشنواني 72/1.

وَأَمَّا الكُوفِيُّونَ، فَقَدْ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ جَوَابَ الشَّرْطِ مَجْزُومٌ عَلَى الجِوَارِ، أَيْ: لِمُجَاوَرَتِهِ فِعْلَ الشَّرْطِ المَجْزُومَ، مُحْتَجِّينَ بِأَنَّ الجَزَاءَ مُجَاوِرٌ لِفِعْلِ الشَّرْطِ، وَمُلَازِمٌ لَهُ، وَلاَ يَكَادُ يَنْفَكُّ عَنْهُ؛ لِذَلِكَ حُمِلَ عَلَيْهِ فِي الجَزْمِ. وَالحَمْلُ عَلَى الجِوَارِ كَثِيرٌ فِي اللُّغَةِ. وَاسْتَشْهَدُوا لِذَلِكَ بِكَثِيرٍ مِنَ الأَمْثِلَةِ النَّثْرِيَّةِ، وَالشِّعْرِيَّةِ، نَحْوُ قَوْلِ العَرَبِ: هَذَا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ، وَقَوْلِ امْرِئِ القَيْسِ:

كَأَنَّ ثَبِيراً فِي عَرَانِينِ وَبْلِهِ كَبِيرُ أُنَاسٍ فِي بِجَادٍ مُزَمَّلِ

وَنَجِدُ هَذَا المُصْطَلَحَ عِنْدَ الكُوفِيِّينَ أَنْفُسِهِمْ. وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ الأَنْبَارِيِّ، مُعَقِّبًا عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ}[1]: "فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لِمَ صَارَ الجَزَاءُ مَجْزُومًا؟ فَقُلْ: لِمُجَاوَرَتِهِ الفِعْلَ الأَوَّلَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ: {وَإِنْ يَتَفَرَّقَا}، فَمَوْضِعُ (يَتَفَرَّقَا) جَزْمٌ بِـ(إِنْ)، عَلاَمَةُ الجَزْمِ فِيهِ سُقُوطُ النُّونِ، وَمَوْضِعُ (يُغْنِ) جَزْمٌ عَلَى المُجَاوَرَةِ لِـ(يَتَفَرَّقَا)"[2].

وَلاَ أَشُكُّ فِي أَنَّ تَضَارُبَ أَقْوَالِ البَصْرِيِّينَ، وَاخْتِلاَفَهَا، فِي تَعْلِيلِ حَرَكَةِ الجَزْمِ، فِي جَوَابِ الشَّرْطِ، إِنَّمَا مَرْجِعُهُ الاهْتِمَامُ بِالعَامِلِ، وَنَظَرِيَّتِهِ، الَّتِي أُقْحِمَتْ إِقْحَامًا فِي الدِّرَاسَةِ النَّحْوِيَّةِ، وَالاهْتِمَامُ بِالحَرَكَةِ الإِعْرَابِيَّةِ، وَتَفْسِيرِهَا، مِنْ دُونِ المَعْنَى، وَمُوسِيقَى التَّرْكِيبِ. فَلاَ أَشُكُّ لَحْظَةً فِي أَنَّ الدَّاعِيَ إِلَى جَزْمِ جَوَابِ الشَّرْطِ، إِذَا كَانَ فِعْلُهُ مَجْزُومًا، إِنَّمَا هُوَ دَاعٍ مُوسِيقِيٌّ، جَمَالِيٌّ، هُوَ المُنَاسَبَةُ بَيْنَ المُتَجَاوِرَيْنِ فِي الحَرَكَةِ الإِعْرَابِيَّةِ، وَهُوَ مَا يُسَمِّيهِ الكُوفِيُّونَ بِالجِوَارِ، أَوِ المُجَاوَرَةِ. وَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِعْلُهُ مَجْزُومًا، فَإِنَّمَا انْجَزَمَ الجَوَابُ طَرْدًا لِلْبَابِ عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ.

رَلِفِعُ الفَاعِلِ: الدُّخُولُ فِي الوَصْفِ، والإِسْنَادُ، وَالفَاعِلِيَّةُ، وَإِحْدَاثُ الفِعْلِ:

هَذِهِ عَوَامِلُ مَعْنَوِيَّةٌ، يَعْنَى بِهَا النَّحْوُ الكُوفِيُّ، وَيُفَسِّرُ بِهَا عِلَّةَ رَفْعِ الفَاعِلِ.

فَالعَامِلُ فِي الفَاعِلِ عِنْدَ الكِسَائِيِّ، لَيْسَ هُوَ لَفْظَ الفِعْلِ، وَإِنَّمَا هُوَ كَوْنُ الفَاعِلِ دَاخِلًا فِي الوَصْفِ، أَيْ كَوْنُهُ مُتَلَبِّسًا فِي الفِعْلِ[3].

وَالعَامِلُ فِيهِ عِنْدَ هِشَامِ بْنِ مُعَاوِيَةَ هُوَ الإِسْنَادُ، كَمَا يَقُولُ السُّيُوطِيُّ[4]، بَيْدَ أَنَّ الرَّضِيَّ يَنْسِبُ القَوْلَ بِالإِسْنَادِ إِلَى خَلَفٍ الأَحْمَرِ[5]. وَمَهْمَا يَكُنْ مِنْ أَمْرِ هَذَا الخِلاَفِ فِي العَزْوِ، فَإِنَّهُ لَا دَخْلَ لِلْفِعْلِ، هُنَا، فِي رَفْعِ الفَاعِلِ، بَلْ هُوَ مَرْفُوعٌ بِإِسْنَادِ الفِعْلِ إِلَيْهِ، وَأَنَّ كَوْنَ الفِعْلِ مُسْنَدًا إِلَى الفَاعِلِ أَدَّى إِلَى رَفْعِ الفَاعِلِ.

---

[1] النساء الآية 130.

[2] إيضاح الوقف والابتداء 239/1.

[3] شرح الأشموني 43/2، وهمع الهوامع 159/1.

[4] همع الهوامع 159/1، والأشباه والنظائر 239/1.

[5] شرح الكافية 71/1.

وَالعَامِلُ فيه عِنْدَ خَلَف الأَحْمَر، الفَاعِلِيَّةُ، أَوْ مَعْنَى الفَاعِلِيَّة[1]. فَلَا دَخْلَ لِلفِعْلِ فِي ذَلِكَ، وَإِنَّمَا العِلَّةُ فِي رَفْعِه هِيَ مَوْقِعُهُ مِنَ الجُمْلَة، وَمَنْزِلَتُهُ فِي التَّرْكِيب.

وَيَذْهَبُ آخَرُون كُوفِيُّونَ إِلَى أَنَّ العَامِلَ فِي الفَاعِلِ هُوَ إِحْدَاثُ الفَاعِلِ الفِعْلِ[2].

وَأَمَّا البَصْرِيُّونَ فيَتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ الفِعْلَ هُوَ العَامِلُ فِي الفَاعِلِ.

وَيُلَاحَظُ عَلَى أَقْوَالِ الكُوفِيِّينَ فِي العَامِلِ فِي الفَاعِلِ أَنَّهَا عَوَامِلُ كُلُّهَا تُفِيدُ مَعْنًى وَاحِدًا، وَتُعْطِي مَدْلُولًا وَاحِدًا، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الدُّخُولِ فِي الوَصْفِ، أَوِ التَّلَبُّسِ بِالفِعْلِ، وَالإِسْنَادِ، وَمَعْنَى الفَاعِلِيَّة، وَإِحْدَاثِ الفِعْلِ؛ لَا فَرْقَ بَيْنَ ذَلِكَ كُلِّه إِلَّا فِي العِبَارَة، وَأَمَّا مِنْ نَاحِيَةِ المَعْنَى، فَإِنَّهَا تُفِيدُ مَعْنًى وَاحِدًا، كَمَا أَنَّهَا عَوَامِلُ مَعْنَوِيَّةٌ، مُتَصَيَّدَةٌ مِنْ مَوْقِعِ الفَاعِلِ فِي الجُمْلَة، وَمَنْزِلَتِه فِي التَّرْكِيب، وَأَنَّهَا عَوَامِلُ تُفَسِّرُ الرَّفْعَ تَفْسِيراً لُغَوِيًّا، مَحْضًا، يَعْتَمِدُ أَسَاسًا عَلَى المَعْنَى، وَأَهَمِّيَّتِه فِي التَّرْكِيب. وَهُوَ مَا يَجِبُ الأَخْذُ بِه فِي تَفْسِيرِ الظَّوَاهِرِ النَّحْوِيَّة، وَمَعَانِي الإِعْرَاب؛ لِتَخْلِيصِ الدِّرَاسَةِ النَّحْوِيَّةِ مِنَ القُيُودِ المَقِيتَة، الَّتِي كَبَّلَتْهَا بِهَا الفَلْسَفَةُ الكَلَامِيَّةُ، بِاتِّصَالِ أَصْحَابِهَا بِعِلْمِ الكَلَام، وَمُحَاوَلَتِهِمْ إِخْضَاعَهَا لِلْمَنْهَجِ الكَلَامِيِّ[3].

المَفْعُولِيَّةُ:

وَلَمْ يُحْرِمِ الفِعْلُ مِنَ العَمَلِ فِي الفَاعِلِ، عِنْدَ خَلَف الأَحْمَر، مِنَ الكُوفِيِّينَ، فَحَسْبُ، بَلْ إِنَّهُ يُسْلَبُ هَذِه المُهِمَّةَ فِي العَمَلِ، فِي المَفْعُولِ بِه، وَيُجَرَّدُ مِنْهَا، أَيْضًا. فَقَدْ ذَهَبَ خَلَفٌ إِلَى أَنَّ نَاصِبَ المَفْعُولِ بِه، لَيْسَ الفِعْلَ مَعَ الفَاعِلِ، كَمَا يَرَى الفَرَّاءُ، وَلَا الفَاعِلَ فَقَطْ، عِنْدَ هِشَامِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، وَلَا الفِعْلَ وَحْدَهُ عِنْدَ البَصْرِيِّينَ؛ إِنَّمَا عَامِلُهُ المَفْعُولِيَّةُ، أَوْ مَعْنَى المَفْعُولِيَّة[4]، أَيْ: كَوْنُهُ قَدْ وَقَعَ مَفْعُولًا، وَوُقُوعُهُ مَفْعُولًا يَقْتَضِي نَصْبَهَ، بَعْدَ رَفْعِ الفَاعِلِ.

وَلَيْسَ بِبَعِيد أَنْ تَكُونَ المَفْعُولِيَّةُ عَامِلَةَ النَّصْبِ فِي المَفْعُولِ بِه؛ لِكَوْنِهَا صِفَةً قَائِمَةً بِالمَفْعُولِ، وَحَاصِلَةً بِه؛ لِذَا فَمِنْ بَابٍ أَوْلَى أَنْ يُسْنَدَ إِلَيْهَا عَمَلُ النَّصْبِ فِيه، لَا أَنْ يُسْنَدَ إِلَى غَيْرِهَا؛ لِأَنَّهَا مَحَطُّ الفَائِدَةِ فِي التَّرْكِيب، وَتَأْلِيفِ الجُمْلَة.

الظَّرْفِيَّةُ:

---

[1] الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم11 وهمع الهوامع 159/1، والأشباه والنظائر 239/1، والتفسير الكبير 54/1.

[2] همع الهوامع 159/1، والأشباه والنظائر 239/1.

[3] مدرسة الكوفة ص278.

[4] الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم11، والتفسير الكبير 54/1، والأشباه والنظائر 239/1.

وَمِنَ العَوَامِلِ المَعْنَوِيَّةِ فِي النَّحْوِ الكُوفِيِّ الظَّرْفِيَّةُ. فَقَدْ فَسَّرَ بَعْضُ الكُوفِيِّينَ، وَالأَخْفَشُ مِنَ البَصْرِيِّينَ، عَامِلَ النَّصْبِ فِي المَفْعُولِ مَعَهُ بِأَنَّهُ مَنْصُوبٌ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ، وَالوَاوُ فِيهِ هِيَ الَّتِي هَيَّأَتْ لَهُ الظَّرْفِيَّةُ[1]. وَمَعْنَى الظَّرْفِيَّةِ، هُنَا، أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: قُمْتُ وَزَيْدًا، وَمَشَيْتُ وَالنَّهْرَ، كَانَتْ الوَاوُ وَاقِعَةً مَوْقِعَ الظَّرْفِ؛ مَعَ، فَكَأَنَّكَ قُلْتَ: قُمْتُ مَعَ زَيْدٍ، وَمَشَيْتُ مَعَ النَّهْرِ، فَلَمَّا حَذَفْتَ مَعَ، وَكَانَتْ (مَعَ) قَبْلُ مُنْتَصِبَةً عَلَى الظَّرْفِ، وَأُقِيمَتِ الوَاوُ مَقَامَهَا، انْتَصَبَ زَيْدٌ بَعْدَهَا، عَلَى مَعْنَى انْتِصَابِ (مَعَ)، الوَاقِعَةِ الوَاوُ مَوْقِعَهَا.

كَمَا فَسَّرَ الكُوفِيُّونَ بِهَذَا العَامِلِ انْتِصَابَ الفِعْلِ المُضَارِعِ، فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الحُكَّامِ}[2]. فَقَدْ حَكَى ابْنُ عَطِيَّةَ، كَمَا فِي (البَحْرِ المُحِيطِ)، أَنَّ قَوْلَهُ: {تُدْلُوا} فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى الظَّرْفِ، وَأَنَّ كَوْنَ مَعْنَى الظَّرْفِ هُوَ النَّاصِبَ مَذْهَبٌ كُوفِيٌّ[3].

البَابُ الثَّانِي
الأَدَوَاتُ

. الفَصْلُ الأَوَّلُ: تَسْمِيَةُ الأَدَوَاتِ

---

[1] ينظر: سر صناعة الإعراب 144/1، وشرح التصريح 344/1.

[2] البقرة الآية 188.

[3] البحر المحيط 56/2.

. الفَصْلَ الثَّانِي: الاخْتِلَافُ فِي خَصَائِصِ بَعْضِ الأَدَوَاتِ
ـ الفَصْلُ الثَّالِثُ: مَعَانٍ جَدِيدَةٌ أَضَافَهَا الكُوفِيُّونَ لِبَعْضِ الأَدَوَاتِ
. الفَصْلُ الرَّابِعُ: أَدَوَاتٌ جَدِيدَةٌ أَضَافَهَا الكُوفِيُّونَ

. الفَصْلُ الأَوَّلُ: تَسْمِيَةُ الأَدَوَاتِ

تَسْمِيَةُ الأَدَوَاتِ

سَبَقَ أَنْ عَرَفْنَا، عِنْدَ الكَلَامِ عَلَى أَقْسَامِ الكَلِمَة، أَنَّ مُصْطَلَحَ الأَدَوَاتِ مُصْطَلَحٌ كُوفِيٌّ، يُقَابِلُهُ، عِنْدَ البَصْرِيِّينَ، مُصْطَلَحُ حُرُوفِ المَعَانِي. وَلَكِنَّ هُنَاكَ مَجْمُوعَةً مِنَ الأَدَوَاتِ النَّحْوِيَّةِ اخْتَلَفَ الكُوفِيُّونَ، وَالبَصْرِيُّونَ فِي العِبَارَةِ عَنْهَا، فَسَمَّاهَا الكُوفِيُّونَ بِتَسْمِيَاتٍ تَخْتَلِفُ عَنْ تَسْمِيَاتِ البَصْرِيِّينَ. فَمَا هِيَ هَذِهِ الأَدَوَاتُ، وَمَا التَّسْمِيَاتُ الكُوفِيَّةُ، الَّتِي أُطْلِقَتْ عَلَيْهَا؟

أَدَوَاتُ الصِّلَةِ وَالحَشْوِ:

مِنْ أَصْنَافِ الأَدَوَاتِ مَا يُسَمَّى بِأَدَوَاتِ الصِّلَةِ وَالحَشْوِ. وَالتَّعْبِيرُ بِالصِّلَةِ وَالحَشْوِ لِلْكُوفِيِّينَ، يُقَابِلُهُ التَّعْبِيرُ بِالزِّيَادَةِ وَالإِلْغَاءِ عِنْدَ البَصْرِيِّينَ[1]. وَقَدْ مَرَّ مَعَنَا فِي أَوَّلِ البَحْثِ؛ فِي أَقْسَامِ الكَلِمَةِ، أَنَّ مُصْطَلَحَ الصِّلَةِ أَطْلَقَهُ الكُوفِيُّونَ عَلَى الجُمْلَةِ، الَّتِي تُذْكَرُ بَعْدَ الاسْمِ المَوْصُولِ، وَأَنَّ الحَشْوَ مِنْ مُصْطَلَحَاتِ سِيبَوَيْهِ لِلتَّعْبِيرِ عَنْ هَذِهِ الجُمْلَةِ، أَيْضًا، وَعَرَفْنَا ثَمَّ مَعْنَاهَا اللُّغَوِيَّ.

وَأَمَّا هُنَا، فَيُرَادُ مِنْ مُصْطَلَحِ الصِّلَةِ وَالحَشْوِ، عِنْدَ أَهْلِ العَرَبِيَّةِ، الحَرْفُ الزَّائِدُ، الَّذِي لَا مَوْضِعَ لَهُ مِنَ الإِعْرَابِ، وَالَّذِي إِنْ حُذِفَ مِنَ الجُمْلَةِ، لَمْ يَخْتَلَّ الكَلَامُ، وَلَمْ يَفْسُدْ مَعْنَاهُ. وَبِعِبَارَةٍ أَخْصَرَ: مَا كَانَ دُخُولُهُ كَخُرُوجِهِ، لَا يُحْدِثُ مَعْنًى غَيْرَ تَأْكِيدِ الكَلَامِ، وَتَقْوِيَةِ مَعْنَاهُ.

وَالمَشْهُورُ مِنْ أَدَوَاتِ الحَشْوِ، عِنْدَ البَصْرِيِّينَ، ستُّ أَدَوَاتٍ[2]، هِيَ: إِنْ، وَأَنْ، وَمَا، وَمِنْ، وَالبَاءُ، وَلَا. فَ(مَا) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ}[3] صِلَةٌ وَحَشْوٌ، لَا مَوْضِعَ لَهَا مِنَ الإِعْرَابِ. وَ(البَاءُ) فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ}،[4] أَيْضًا، صِلَةٌ وَحَشْوٌ. وَكَذَلِكَ (مِنْ) فِي قَوْلِ النَّابِغَةِ الذُّبْيَانِيِّ:

وَقَفْتُ فِيهَا أُصَيْلَانًا أُسَائِلُهَا عَيَّتْ جَوَابًا وَمَا بِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ

وَلِهَذِهِ الأَدَوَاتِ فَوَائِدُ فِي الكَلَامِ. مِنْ أَهَمِّهَا تَوْكِيدُ المَعْنَى، وَتَقْوِيَتُهُ فِي ذِهْنِ السَّامِعِ، كَمَا أَنَّ الكَلَامَ بِهَا يَزِيدُ فَصَاحَةً، إِذْ رُبَّمَا يَتَعَذَّرُ تَأْلِيفُهُ مِنْ دُونِ زِيَادَةٍ. وَلَا يَجُوزُ بِأَيَّةِ حَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ اعْتِبَارُ هَذِهِ الزَّوَائِدِ خِلْوًا مِنَ الفَائِدَةِ؛ لِأَنَّهَا إِنْ عُدَّتْ زَوَائِدَ، لَا فَائِدَةَ مِنْهَا، كَانَ الكَلَامُ عَبَثًا، لَا طَائِلَ تَحْتَهُ، وَهَذَا لَا يَجُوزُ فِي كَلَامِ الفُصَحَاءِ، فَضْلًا عَنْ كَلَامِ اللهِ تَبَارَكَ، وَتَعَالَى[5].

وَقَدْ جَاءَ المُصْطَلَحُ الكُوفِيُّ الصِّلَةُ فِي كَلَامِ الكُوفِيِّينَ أَنْفُسِهِمْ كَثِيرًا. فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ ثَعْلَبٍ فِي الآيَةِ الكَرِيمَةِ: {إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا}[6]: "يُقَالُ دُونَهَا، وَهُوَ قَلِيلٌ، وَتَكُونُ (مَا) صِلَةً، وَمَا فَوْقَهَا، أَيْ: أَكْبَرَ مِنْهَا"[7].

---

[1] شرح المفصل 128/81، والكليات 408/3، والبرهان في علوم القرآن 72/3، والأشباه والنظائر 204/1.

[2] أَضَافَ الكُوفِيُّونَ إِلَى هَذِهِ الأَدَوَاتِ أَدَوَاتٍ أُخْرَى، سَنَعْرِضُ لَهَا عِنْدَ كَلَامِنَا عَلَى (أَدَوَاتٌ جَدِيدَةٌ أَضَافَهَا الكُوفِيُّونَ).

[3] النساء الآية 155.

[4] الإسراء الآية 96.

[5] شرح الكافية 384/2.

[6] البقرة الآية 26.

[7] مجالس ثعلب ص191، وينظر أيضا: ص102، 151، 551، ومعاني القرآن 8/1، 21، 45، 95، 120، 172، 350، 374 ... وإيضاح الوقف والابتداء 142/1، 143، 331.

وَمِن اسْتِعْمَالِ الحَشْوِ، عِنْدَ الكُوفِيِّينَ، قَوْلُ الفَرَّاءِ: "... وَلَوْ جَعَلْتَ (مَا) عَلَى جِهَةِ الحَشْوِ، كَمَا تَقُولُ: عَمَّا قَلِيلٍ آتِيكَ، جَازَ فِيهِ التَّأْنِيثُ وَالجَمْعُ، فَقُلْتَ: بِئْسَمَا رَجُلَيْنِ أَنْتُمَا، وَبِئْسَ مَا جَارِيَتكَ"[1].

وَقَدْ يَسْتَعْمِلُ الكُوفِيُّونَ لِلتَّعْبِيرِ عَنِ الحَرْفِ الزَّائِدِ أَلْفَاظًا أُخْرَى، غَيْرَ الصِّلَةِ وَالحَشْوِ، فَيَقُولُونَ أَحْيَانًا: المُعَلَّقُ[2]، أَوِ المُقْحَمُ[3]، أَوِ الدَّاخِلُ[4]، أَوِ التَّوْكِيدُ[5]، وَرُبَّمَا يَسْتَعْمِلُونَ، أَيْضًا، مُصْطَلَحَ البَصْرِيِّينَ، فَيَقُولُونَ: لَغْوٌ وَإِلْغَاءٌ[6]، وَزَائِدٌ[7].

وَمِمَّنِ اسْتَعْمَلَ مُصْطَلَحَ الكُوفِيِّينَ الحَشْوَ مِنَ البَصْرِيِّينَ ابْنُ السَّرَّاجِ[8]، وَمُصْطَلَحَ الصِّلَةِ يَحْيَى بْنُ سَلاَّمٍ[9].

وَمِنْ هَذَا البَابِ مَا يُسَمِّيهِ الكُوفِيُّونَ بِـ(إِنْ) الفَارِقَةِ، أَوِ العَازِلَةِ. فَـ(إِنْ) فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ:

بَنِي غُدَانَةَ مَا إِنْ أَنْتُمُ ذَهَبًا وَلَا صَرِيفًا وَلَكِنْ أَنْتُمُ الخَزَفُ

وَالَّتِي يَعُدُّهَا البَصْرِيُّونَ مِنْ حُرُوفِ الزِّيَادَةِ وَالإِلْغَاءِ، هِيَ عِنْدَ الكُوفِيِّينَ نَافِيَةٌ، لَا زَائِدَةٌ[10]، وَكَانُوا يُسَمُّونَهَا بِـ(إِنْ) الفَارِقَةِ[11]، أَوِ العَازِلَةِ[12].

أَدَوَاتُ الحَجْدِ وَالإِقْرَارِ:

---

[1] معاني القرآن 58/1، وينظر: طبقات النحويين واللغويين ص133، وشرح القصائد السبع والطوال الجاهليات ص353.

[2] معاني القرآن 120/1.

[3] مجالس ثعلب ص59، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص55، 568.

[4] معاني القرآن 300/2، ومجالس ثعلب ص59، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص296.

[5] إيضاح الوقف والابتداء 141/1، 142، 143، 323، 330، 333. وَمِنَ المُناسِبِ أَنْ نُشيرَ، هُنَا، إِلَى أَنَّ ابْنَ الأَنْبَارِيِّ رَفَضَ تَسْمِيَةَ الحَرْفِ الزَّائِدِ صِلَةً، وَفَضَّلَ عَلَيْهِ تَسْمِيَةَ التَّوْكِيدِ، ينظر: ص331، وَلَكِنَّهُ اسْتَعْمَلَهُ فِي كِتَابٍ آخَرَ هُوَ (شَرْحُ القَصَائِدِ السَّبْعِ الطِّوَالِ الجَاهِلِيَّاتِ). ينظر: ص353.

[6] معاني القرآن 176/1، وينظر: 95،97/1، وشرح ديوان زهير ص53، والمذكر والمؤنث ص596.

[7] الفصيح ص80، والأضداد ص195، 196، 215، 253، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص459.

[8] الأصول في النحو 481/1، و239/2، 240.

[9] التصاريف ص142، 229.

[10] معاني القرآن 84/3-85، وينظر: الجنى الداني ص231، وشرح أبيات مغني اللبيب 107/1، والأشباه والنظائر 148/2-149.

[11] معاني القرآن 85/3.

[12] شرح الكافية 267/1.

وَسَمَّى الكُوفِيُّونَ مَا يُسَمِّيه البَصْرِيُّونَ حُرُوفَ النَّفْيِ، أَوِ النَّفْيَ: أَدَوَات الجَحْد، أَوِ الجَحْدَ[1].

وَالجَحْدُ فِي اللُّغَة مَصْدَرُ جَحدْتُ. وَهُوَ إِنْكَارُ شَيْءٍ مَعَ العِلْمِ بِهِ. وَيُقَالُ مِنْ هَذَا المَعْنَى، أَيْضًا: أَجْحَدَ الرَّجُلُ فهُوَ مُجْحِدٌ، إِذَا كَانَ ضَيِّفًا، قَلِيلَ الخَيْرِ[2].

وَفِي الاصْطِلَاحِ يُطْلَقُ الجَحْدُ، عِنْدَ أَهْلِ العَرَبِيَّة، عَلَى إِنْكَارِ شَيْءٍ مَعَ العِلْمِ بِهِ، وَعَلَى الكَلَامِ المَسْبُوقِ بِإِحْدَى أَدَوَات الجَحْد: مَا، وَلاَ، وَلَمْ، وَلَمَّا، وَلَنْ، وَإِنْ، وَغَيْرِهَا.

وَقَدْ جَاءَتْ كَلِمَةُ الجَحْد فِي كَلَامِ الفَرَّاءِ، وَثَعْلَب، وَابْنِ السِّكِّيت، وَأَبِي بَكْرٍ الأَنْبَارِيِّ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الكُوفِيِّينَ، وَتَرَدَّدَتْ كَثِيرًا عِنْدَهُمْ. فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ ثَعْلَب: "أَصْلُ لَوْلَا أَنَّ (لَوْ) للتَّمَنِّي، وَ(لاَ) لِلْجَحْد"[3]. وَجَاءَ فِي (إِصْلَاحِ المَنْطِق): "وَتَقُولُ: مَا هَدَّهُ كَذَا وَكَذَا، أَيْ: مَا كَرِهَ، وَمَا هَادَهُ كَذَا وَكَذَا، أَيْ: مَا حَرَّكَهُ. وَمَا يَهِيدُهُ. وَلاَ يُنْطَقُ بِـ(هَيَدَ) إِلَّا بِحَرْفِ جَحْد"[4].

وَيَظْهَرُ أَنَّ الكُوفِيِّينَ المُتَقَدِّمِينَ لَمْ يَقِفُوا فِي اسْتِعْمَالِهِمْ عِنْدَ مُصْطَلَحِ الجَحْد. فَقَدْ وَجَدْنَا بَعْضًا مِنْهُمْ يَسْتَعْمِلُ مُصْطَلَحَ البَصْرِيِّينَ النَّفْيَ، كَمَا يَسْتَعْمِلُ مُصْطَلَحَ الجَحْد، كَالفَرَّاءِ الَّذِي تَرَدَّدَتْ كَلِمَةُ النَّفْيِ عِنْدَهُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ، إِلَى جَانِبِ كَلِمَةِ الجَحْد[5]. وَهَذَا يَنْفِي كَلَامًا لِبَعْضِ البَاحِثِينَ، الَّذِينَ وَهَمُوا أَنَّ الفَرَّاءَ، وَمَعَهُ ثَعْلَبٌ، لَمْ يَسْتَعْمِلْ كَلِمَةَ النَّفْيِ[6]. كَمَا يَبْدُو أَنَّ طَائِفَةً مِنْ نُحَاةِ المَذْهَبَيْنِ خَلَطَتْ كِلَا المُصْطَلَحَيْنِ؛ النَّفْيِ وَالجَحْد، بَعْضِهِمَا مَعَ بَعْضٍ، وَاسْتَعْمَلَتِ النَّفْيَ، كَمَا اسْتَعْمَلَتِ الجَحْدَ، كَالسِّيرَافِيِّ[7]، كَالسِّيرَافِيِّ[7]، وَالزَّجَّاجِيِّ[8]، وَابْنِ فَارِسٍ[9]، وَابْنِ قُتَيْبَةَ[10] وَغَيْرِهِمْ.

---

[1] ينظر: معاني القرآن 52/1، 140، 164، 166، 175، إلخ، وإصلاح المنطق ص267، 379، 383، 385، ومجالس ثعلب ص101، 132، 151، 422، 477، والمذكر والمؤنث ص618، وإيضاح الوقف والابتداء 117/1، 118، 138، 142، ومدرسة الكوفة ص309، والدرس النحوي في بغداد ص33، والمدارس النحوية ص167.

[2] إصلاح المنطق ص267-268.

[3] مجالس ثعلب ص559.

[4] إصلاح المنطق ص379.

[5] معاني القرآن 43/2، 84.

[6] مدرسة الكوفة ص309.

[7] حواشي كتاب سيبويه 315/2، 346.

[8] الجمل (مخطوط) ص15، 143، 144.

[9] الصاجي ص133، 144، 171.

[10] تأويل مشكل القرآن ص245.

وَقَدْ فَرَّقَ العُلَمَاءُ بَيْنَ المُصْطَلَحَيْنِ، وَاسْتَعْمَالِ كُلٍّ مِنْهُمَا. فَقَالُوا[1]: إِنَّ النَّافِيَ إِنْ كَانَ كَلَامُهُ صَادِقًا، يُسَمَّى نَفْيًا، وَلَا يُسَمَّى جَحْدًا، وَيُمَثِّلُونَ لِهَذَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ}[2]. وَقَالُوا: إِنْ كَانَ كَاذِبًا، صَحَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ: جَحْدٌ وَنَفْيٌ، وَيُمَثِّلُونَ لِهَذَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ}[3]. وَقَالُوا: إِنَّ النَّفْيَ يَكُونُ يَكُونُ مَعَ عِلْمِ النَّافِي، وَقَدْ لَا يَكُونُ، وَإِنَّ الجَحْدَ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ عِلْمِ الجَاحِدِ. لِذَا يَبْدُو لَنَا مِنْ هَذِهِ الفُرُوقِ، فِي اسْتِعْمَالِ النَّفْيِ وَالجَحْدِ، أَنَّ النَّفْيَ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ لِلْكَلَامِ، سَوَاءٌ أَكَانَ صَادِقًا، أَمْ كَاذِبًا. وَأَنَّ الجَحْدَ لَا يُقَالُ إِلَّا لِلْكَلَامِ الكَاذِبِ، وَمِنْ هُنَا تَكُونُ كَلِمَةُ النَّفْيِ أَشْمَلَ، وَأَعَمَّ لِلظَّاهِرَةِ مِنْ كَلِمَةِ الجَحْدِ.

وَمِنْ أَصْنَافِ الأَدَوَاتِ أَدَوَاتُ الإِقْرَارِ. وَيَعْنِي الكُوفِيُّونَ بِهَا مَا يَعْنِيهِ البَصْرِيُّونَ مِنْ حُرُوفِ التَّصْدِيقِ، وَالإِيجَابِ. وَقَدْ يَعْنِي الكُوفِيُّونَ بِالإِقْرَارِ مَا يُسَمِّيهِ البَصْرِيُّونَ إِثْبَاتًا. وَالإِقْرَارُ وَالإِثْبَاتُ بِمَعْنًى وَاحِدٍ؛ لِأَنَّ الإِقْرَارَ مَأْخُوذٌ مِنَ القَرَارِ، بِمَعْنَى الثَّبَاتِ.

وَقَدْ جَاءَتْ كَلِمَةُ الإِقْرَارِ بِمَعْنَى التَّصْدِيقِ، وَالإِيجَابِ فِي كَلَامِ الفَرَّاءِ، وَثَعْلَبٍ. فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الفَرَّاءِ: "وُضِعَتْ بَلَى لِكُلِّ إِقْرَارٍ، فِي أَوَّلِهِ جَحْدٌ"[4].

وَأَمَّا مَجِيئُهَا بِمَعْنَى الإِثْبَاتِ، فَذَلِكَ قَوْلُ أَبِي العَبَّاسِ؛ ثَعْلَبٍ: "اخْتَصَمَ عِنْدِي مَنْ يَقُومُ وَيَقْعُدُ. قَالَ: أَجَازَهُ الفَرَّاءُ فِي الاسْتِوَاءِ، وَهُوَ مِثْلُهُ فِي الحَذْفِ، وَالإِقْرَارِ"[5].

(أَل) التَّبْجِيلُ وَالتَّعْظِيمُ:

مِنَ الكَلِمَاتِ الَّتِي تَدْخُلُ عَلَيْهَا الأَلِفُ وَاللَّامُ صِفَاتٌ، شُهِرَ بِهَا قَوْمٌ، وَعُرِفُوا بِهَا، حَتَّى صَارَتْ تَنُوبُ عَنْ أَسْمَائِهِمْ، ثُمَّ غَلَبَتْ عَلَيْهِمْ، فَعُرِفُوا بِهَا مِنْ دُونِ أَسْمَائِهِمْ، كَقَوْلِهِمْ: الحَسَنَ وَالحَسَيْنُ، وَالفَضْلُ، وَالقَاسِمُ، وَالحَارِثُ، وَالعَبَّاسُ، وَالضَّحَّاكُ، وَالِيزِيدِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. فَعِنْدَ البَصْرِيِّينَ أَنَّ الأَلِفَ وَاللَّامَ دَخَلَتْ، هُنَا؛ لِتَجْعَلَهُ الشَّيْءَ بِعَيْنِهِ، أَيْ: أَنَّ هَذِهِ الأَسْمَاءَ الضَّحَّاكَ، وَالعَبَّاسَ، ... صَارَتْ بِمَنْزِلَةِ الصِّفَاتِ الغَالِبَةِ. يَقُولُ سِيبَوَيْهِ: "وَزَعَمَ الخَلِيلُ، رَحِمَهُ اللهُ، أَنَّ الَّذِينَ قَالُوا: الحَارِثُ، وَالحَسَنُ، وَالعَبَّاسُ، إِنَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَجْعَلُوا الرَّجُلَ هُوَ الشَّيْءَ بِعَيْنِهِ، وَلَمْ يَجْعَلُوهُ سُمِّيَ بِهِ، وَلَكِنَّهُمْ جَعَلُوهُ، كَأَنَّهُ وَصْفٌ غَلَبَ عَلَيْهِ"[6].

---

[1] ينظر: الكليات 334/4، وشرح المفصل 10/1.

[2] الأحزاب الآية 40.

[3] النمل الآية 13.

[4] معاني القرآن 52/1، وينظر: 53/1، ومجالس ثعلب ص475.

[5] مجالس ثعلب ص397، وينظر: الدرس النحوي في بغداد ص33.

[6] الكتاب 101/2، وينظر: معاني الحروف ص69.

وَأَمَّا الكُوفِيُّونَ، فَيُسَمُّونَ الأَلِفَ وَاللَّامَ، فِي هَذَا وَنَحْوِه، تَبْجِيلًا، وَتَعْظِيمًا؛ لِأَنَّهَا الأَلِفُ وَاللَّامُ، الَّتِي دَخَلَتْ لِلتَّعْرِيف، وَالتَّبْجِيلِ، وَالتَّعْظِيم. وَهَذَا الوَجْهُ يُنْكِرُهُ البَصْرِيُّونَ، وَلَا يَعْتَرِفُونَ بِهِ[1].

وَقَدْ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ الفَرَّاءُ، فَقَالَ: "أَنْشَدَ بَعْضُهُمْ:

وَجَدْنَا الوَلِيدَ بْنَ اليَزِيدِ مُبَارَكًا شَدِيدًا بِأَحْنَاءِ الخِلَافَةِ كَاهِلُهْ

وَإِنَّمَا أُدْخِلَ فِي يَزِيدَ الأَلِفُ وَاللَّامُ ...، وَالعَرَبُ إِذَا فَعَلَتْ ذَلِكَ، فَقَدْ أَمَسَّتِ الحَرْفَ مَدْحًا"[2].

أَنِ المَصْدَرِيَّةُ . التَّفْسِيرِيَّةُ:

وَمِنْ أَقْسَامِ أَنْ، عِنْدَ البَصْرِيِّينَ، مَا يُسَمُّونَهُ بِـ(أَنْ) العِبَارَةِ وَالتَّفْسِيرِ[3]، كَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: {وَانْطَلَقَ المَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا}[4]، وَقَوْلِه: {مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ}[5]. فَمَعْنَى أَنْ، فِي الآيَتَيْنِ الآيَتَيْنِ الكَرِيمَتَيْنِ، مَعْنَى أَيِ التَّفْسِيرِيَّة، وَالمَعْنَى: أَيِ امْشُوا، وَأَيِ اعْبُدُوا.

وَهَذَا القِسْمُ لِـ(أَنْ) يُنْكِرُهُ الكُوفِيُّونَ، وَلَا يَذْكُرُونَهُ، وَعِنْدَهُمْ أَنَّ (أَنْ) لَا تَأْتِي تَفْسِيرًا البَتَّةَ، وَإِنَّمَا هِيَ فِي هَذِه الأَمْثِلَة، وَنَحْوِهَا، مَصْدَرِيَّةٌ، لَا تَفْسِيرِيَّةٌ[6]. يَقُولُ الفَرَّاءُ مُفَسِّرًا قَوْلَهُ تَعَالَى: {وَانْطَلَقَ المَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا}[7]: "فَأَنْ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ؛ لِفَقْدِهَا الخَافِضَ، كَأَنَّكَ قُلْتَ: انْطَلَقُوا مَشْيًا، وَمُضِيًّا عَلَى دِينِكُمْ"[8].

فَأَنْ، هُنَا، لَيْسَتْ تَفْسِيرِيَّةً، كَمَا يَرَى البَصْرِيُّونَ، وَإِنَّمَا هِيَ مَصْدَرِيَّةٌ، يَدُلُّكَ عَلَى هَذَا أَنَّ الفَرَّاءَ أَوَّلَ مَا بَعْدَهَا بِالمَصْدَرِ؛ مَشْيًا وَمُضِيًّا. وَلَكِنَّهُ عَادَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، وَعَرَضَ لِـ(أَنْ) هَذِه، فَسَمَّاهَا مُفَسِّرَةً، وَأَجَازَ وُقُوعَهَا بَعْدَ فِعْلِ القَوْلِ، وَمَا فِي مَعْنَاه، وَلَكِنَّهُ جَعَلَ لَهُ مَوْضِعًا مِنَ الإِعْرَابِ، وَعَدَّهُ حَرْفًا مَصْدَرِيًّا[9]. وَهُوَ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ ابْنُ مَنْظُورٍ، بَيْدَ أَنَّ مَا جَاءَ (لِسَانِ العَرَبِ) يُخَالِفُ مَا قَالَ بِهِ الفَرَّاءُ هُنَا. فَقَدْ نَقَلَ ابْنُ مَنْظُورٍ عَنِ الفَرَّاءِ إِثْبَاتَ مَا يُسَمَّى بِـ(أَنْ) التَّفْسِيرِيَّةِ. قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ:" قَالَ الفَرَّاءُ: وَأَمَّا قَوْلُهُ

---

[1] اللامات ص25، الحجة في القراءات السبع ص119-120 وشرح الكافية 131/2، والجنى الداني ص221.

[2] معاني القرآن 342/1، وينظر: مجالس ثعلب ص310.

[3] الكتاب 162/3، والمقتضب 49/1، ورصف المباني ص166.

[4] ص الآية 6.

[5] المائدة الآية 117.

[6] ينظر: إعراب القرآن المنسوب (للزجاج) ص795، والجنى الداني ص239، ومغني اللبيب ص48، والبحر المحيط 118/1، وهمع الهوامع 18/2، وجواهر الأدب ص109.

[7] ص الآية 6.

[8] معاني القرآن 399/2.

[9] معاني القرآن 472/1.

تَعَالَى: {مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللهَ}[1]، فَإِنَّكَ فَتَحْتَ الأَلِفَ، أَيْ أَلِفَ (أَنْ)؛ لأَنَّهَا مُفَسِّرَةٌ لِ(مَا)، وَ(مَا) قَدْ وَقَعَ عَلَيْهَا القَوْلُ، فَنَصَبَهَا، وَمَوْضِعُهَا نَصْبٌ. وَمِثْلُه فِي الكَلَامِ: قَدْ قُلْتُ لَكَ كَلَامًا حَسَنًا أَنَّ أَبَاكَ شَرِيفٌ، وَأَنَّكَ عَاقِلٌ، فَتَحْتَ (أَنَّ)؛ لأَنَّهَا فَسَّرَتِ الكَلَامَ، وَالكَلَامُ مَنْصُوبٌ"[2].

وَقَدْ أَخَذَ ابْنُ هِشَامٍ، فِي (مُغْنِي اللبيب)، بِرَأْيِ الكُوفِيِّينَ، فَصَوَّبَهُ، مُحْتَجًّا بِأَنَّهُ إِذَا قِيلَ: كَتَبْتُ إِلَيْهِ أَنْ قُمْ، لَمْ يَكُنْ قَوْلُكَ: أَنْ قُمْ نَفْسَ كَتَبَ، كَمَا كَانَ الذَّهَبُ نَفْسَ العَسْجَدِ، فِي قَوْلِكَ: هَذَا عَسْجَدٌ أَيْ ذهبٌ، وَلِهَذَا لَوْ جِئْنَا بِـ(أَيْ) مَكَانَ (أَنْ)، وَقُلْنَا: هَذَا عَسْجَدٌ أَنْ ذَهَبٌ، لَمْ يَكُنْ هَذَا القَوْلُ مَقْبُولًا فِي الطَّبْعِ[3].

وَيُؤَيِّدَ هَذَا أَنَّنَا لَوَ وَضَعْنَا (أَيْ) مَكَانَ (أَنْ) فِي قَوْلِنَا: كَتَبْتُ إِلَيْهِ أَنْ قُمْ، لَمَا صَحَّ هَذَا الكَلَامُ، عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ؛ لأَنَّ (أَيْ) التَّفْسِيرِيَّةَ، كَمَا يَقُولُونَ، لاَ تَدْخُلُ عَلَى الجُمَلِ، فَلَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالُ: كَتَبْتُ إِلَيْهِ أَيْ قُمْ، عَلَى مَعْنَى التَّفْسِيرِ.

(أَيْ) العَاطِفَةُ:

وَيُنْكِرُ الكُوفِيُّونَ، أَيْضًا، مَا يُسَمِّيهِ البَصْرِيُّونَ بِـ(أَيْ) التَّفْسِيرِيَّة، فهِيَ عِنْدَهُمْ (أَيْ) العَاطِفَةُ[4]، وَلَا سِيَّمَا إِذَا فَسَّرَتْ مُفْرَدًا. فَإِذَا قُلْتَ: هَذَا عَسْجَدٌ أَيْ ذَهَبٌ، كَانَتْ (أَيْ) أَدَاةَ عَطْفٍ، لَا أَدَاةَ تَفْسِيرٍ، وَمَا بَعْدَهَا عَطْفُ نَسَقٍ؛ لِوُقُوعِهَا بَيْنَ مُشْتَرَكَيْنِ فِي الإِعْرَابِ، لاَ عَطْفُ بَيَانٍ، يَدُلُّ عَلَى مَا قَبْلَهَا، وَلاَ بَدَلٌ، كَمَا يَرَى البَصْرِيُّونَ.

وَقَدْ أَخَذَ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّحْوِيِّينَ بِرَأْيِ الكُوفِيِّينَ، مِنْهُمُ المبَرِّدُ[5]، وَابْنُ صَابِرٍ، وَالسَّكَّاكِيُّ[6]. وَذَهَبَ وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّهَا اسْمُ فِعْلٍ، بِمَعْنَى عُوا، أَوِ افْهَمُوا، أَوْ يَقُولُ[7]. وَقَدْ يَبْدُو هَذَا بَعِيدًا؛ لأَنَّ أَسْمَاءَ الأَفْعَالِ تَدُلُّ عَلَى مَعَانِيهَا مُفْرَدَةً، وَمُرَكَّبَةً، أَمَّا (أَيْ)، فَلَيْسَ لَهَا مَعْنًى مُسْتَقِلٌّ، وَإِنَّمَا يُفْهَمُ مَعْنَاهَا مِنْ سِيَاقِهَا فِي الكَلَامِ[8].

---

[1] المائدة الآية 117.

[2] لسان العرب 52/13.

[3] مغني اللبيب ص48.

[4] الجنى الداني ص251، ومغني اللبيب ص106، وهمع الهوامع 71/2، 138، وشرح أبيات مغني اللبيب 143/2، وجواهر الأدب ص125.

[5] شرح أبيات مغني اللبيب 143/2، وحاشية الدسوقي 81/1.

[6] مغني اللبيب ص106، وهمع الهوامع 71/2، 138.

[7] شرح المفصل 140/8، والجنى الداني ص251.

[8] إعراب الجمل وأشباه الجمل ص78.

(حَتَّى) الابْتِدَائِيَّةُ:

وَيُنْكِرُ الكُوفِيُّونَ، أَيْضًا، مَا يُسَمِّيهِ البَصْرِيُّونَ بِـ(حَتَّى) العَاطِفَة، وَالَّتِي يَجْعَلُونَ لِمَعْطُوفِهَا شُرُوطًا؛ حَتَّى يَصِحَّ العَطْفُ بِهَا، كَأَنْ يَكُونَ ظَاهِرًا، لَا مُضْمَرًا، أَوْ أَنْ يَكُونَ بَعْضًا مِنْ جَمْعٍ قَبْلَهَا، كَقَوْلِهِمْ: قَدِمَ الحَاجُّ حَتَّى المَشَاةَ، أَوْ أَنْ يَكُونَ جُزْءًا مِنْ كُلٍّ، كَقَوْلِهِمْ: أَكَلْتُ السَّمَكَةَ حَتَّى رَأْسَهَا، وَيَرَى الكُوفِيُّونَ أَنَّهَا ابْتِدَائِيَّةٌ، وَأَنَّ مَا بَعْدَهَا عَلَى إِضْمَارِ فِعْلٍ[1].

وَمِمَّا يُؤَيِّدُ مَذْهَبَ الكُوفِيِّينَ اعْتِرَافُ أَهْلِ العَرَبِيَّةِ، وَعُلَمَائِهَا، بِأَنَّ العَطْفَ بِـ(حَتَّى) قَلِيلٌ، وَأَنَّهَا لَمْ تَرِدْ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ عَاطِفَةً[2]، وَأَمَّا الأَمْثِلَةُ الَّتِي يَسُوقُهَا مِنْ يُثْبِتُ العَطْفَ بِهَا، فَلَا تَعْدُو أَنْ تَكُونَ أَمْثِلَةً مَصْنُوعَةً، لَا سَنَدَ لَهَا مِنْ فَصِيحِ الكَلَامِ.

بَاءُ الآلَةِ:

وَمِنْ أَنْوَاعِ البَاءَاتِ مَا يُسَمِّيهِ الكُوفِيُّونَ بَاءَ الآلَةِ، وَيُسَمِّيهِ البَصْرِيُّونَ بَاءَ الإِلْصَاقِ. وَمِثَالُهَا قَوْلُهُمْ: مَرَرْتُ بِزَيْدٍ، وَأَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَالبَاءُ فِي هَذَا، وَنَحْوِهِ، يُسَمِّيهَا الكُوفِيُّونَ بَاءَ الآلَةِ، وَيُسَمِّيهَا البَصْرِيُّونَ بَاءَ الإِلْصَاقِ. وَيُبَيِّنُ لَنَا الفَخْرُ الرَّازِيُّ عِلَّةَ هَاتَيْنِ التَّسْمِيَتَيْنِ بِقَوْلِهِ: "... البَصْرِيُّونَ يُسَمُّونَهُ بَاءَ الإِلْصَاقِ، وَالكُوفِيُّونَ يُسَمُّونَهُ بَاءَ الآلَةِ ... وَاعْلَمْ أَنَّ حَاصِلَ الكَلَامِ أَنَّ هَذِهِ البَاءَ مُتَعَلَّقَةٌ بِفِعْلٍ، لَا مَحَالَةَ، وَالفَائِدَةُ فِيهِ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ إِلْصَاقُ ذَلِكَ الفِعْلِ بِنَفْسِهِ، إِلَّا بِوَسَاطَةِ الشَّيْءِ، الَّذِي دَخَلَ عَلَيْهِ هَذَا البَاءُ، فَهُوَ بَاءُ الإِلْصَاقِ؛ لِكَوْنِهِ سَبَبًا لِلْإِلْصَاقِ، وَبَاءُ الآلَةِ؛ لِكَوْنِهِ دَاخِلًا عَلَى الشَّيْءِ، الَّذِي هُوَ آلَةٌ"[3].

وَقَدْ أَطْلَقَ المُبَرِّدُ مُصْطَلَحَ الآلَاتِ عَلَى حُرُوفِ الجَرِّ، وَالظُّرُوفِ، مِثْلُ: لَدُنْ، وَعِنْدَكَ، وَأَيَّانَ، وَمَا شَاكَلَهَا[4].

وَمِمَّا يَتَّصِلُ بِالآلَةِ مَا أطلق عَلَيْهِ ابْن فَارِسٍ اسْمَ بَاءِ الاعْتِمَالِ[5]، وَهِيَ الَّتِي يُسَمِّيهَا البَصْرِيُّونَ بَاءَ الاسْتِعَانَةِ[6]، وَالَّتِي تَدْخُلُ عَلَى آلَةِ الفِعْلِ، كَمَا فِي قَوْلِهِمْ: كَتَبْتُ بِالقَلَمِ، وَضَرَبْتُ بِالسَّيْفِ؛ لِيُعْمَلَ بِهَا، وَيُسْتَعَانَ عَلَى تَأْدِيَةِ العَمَلِ.

---

[1] الصاحبي في فقه اللغة ص151، والجنى الداني ص501، وأوضح المسالك 44/3، ومغني اللبيب ص143، وهمع الهوامع 137/2، والإتقان في علوم القرآن 211/1.

[2] الإتقان في علوم القرآن 211/1، ومعاني القرآن 137/1.

[3] التفسير الكبير 97/1.

[4] المقتضب 52/1-53.

[5] الصاحبي في فقه اللغة ص105.

[6] المقتضب 39/1، ومغني اللبيب ص139.

(بَاءُ) التَّمْييز:

وَمِنْ أَنْوَاعِ البَاءَاتِ ما يُسَمِّيه الكُوفِيُّونَ بَاءَ التَّمْييز، وَيُسَمِّيه البَصْرِيُّونَ البَاءَ الزَّائِدَةَ. وَهِيَ البَاءُ، الَّتِي تَقَعُ عَلَى خَبَرِ (مَا)، المُشَبَّهَةِ بِلَيْسَ، نَحْوُ: مَا زَيْدٌ بِقَائِمٍ. وَقِيلَ لَهَا: بَاءُ التَّمْييز؛ لِأَنَّهَا البَاءُ، الَّتِي دَخَلَتْ لِلتَّمْييز بَيْنَ مَذْهَبَيْنِ فِي اسْتِعْمَالِ (مَا)؛ مَذْهَبِ التَّمِيمِيِّينَ، الَّذِينَ لَا يُعْمِلُونَ (مَا) عَمَلَ لَيْسَ، فَيَقُولُونَ: مَا زَيْدٌ قَائِمٌ، وَمَذْهَبِ الحِجَازِيِّينَ، الَّذِينَ يُعْمِلُونَهَا عَمَلَ لَيْسَ، فَيَسْتَعْمِلُونَ بِذَلِكَ البَاءَ فِي خَبَرِهَا؛ لِأَنَّهُمْ يَنْصِبُونَ بِهَا الخَبَرَ[1].

وَلِهَذِهِ البَاءِ، فِي خَبَرِ لَيْسَ، قِيمَةٌ كَبِيرَةٌ فِي المَعْنَى، وَهُوَ تَأْكِيدُهُ، وَتَقْوِيَتُهُ فِي ذِهْنِ السَّامِعِ؛ لِأَنَّهُ مَا مِنْ حَرْفٍ، يُسْتَعْمَلُ فِي اللُّغَةِ إِلَّا وَهُوَ ذُو قِيمَةٍ كَبِيرَةٍ فِي تَوْكِيدِ المَعْنَى، وَإِبْرَازِهِ.

وَمِنَ الأَدَوَاتِ اللَّامُ:

وَيَعْنِينَا مِنْهَا أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ، هِيَ:

(لَامُ) الصَّيْرُورَةِ:

فَاللَّامُ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ}[2]، وَقَوْلِه: {نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ}، وَقَوْلِه: {فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا"[3]، يُسَمِّيهَا الكُوفِيُّونَ لَامَ الصَّيْرُورَةِ، وَيُسَمِّيهَا البَصْرِيُّونَ لَامَ العَاقِبَةِ[4]، وَتُسَمَّى، أَيْضًا، لَامَ المَآلِ[5]، غَيْرَ أَنَّ ابْنَ خَالَوَيْهِ، كَمَا يَرْوِي يَرْوِي صَاحِبُ (البُرْهَانِ فِي عُلُومِ القُرْآنِ)، ذَكَرَ أَنَّ اصْطِلَاحَ لَامِ الصَّيْرُورَةِ مِنْ تَسْمِيَاتِ البَصْرِيِّينَ، وَأَنَّ الكُوفِيِّينَ يُسَمُّونَهَا لَامَ كَيْ[6].

لَكِنَّ الشَّنْقِيطِيَّ جَعَلَ اصْطِلَاحَيْ لَامِ العَاقِبَةِ، وَلَامِ الصَّيْرُورَةِ، مِنْ تَسْمِيَاتِ الكُوفِيِّينَ وَحْدَهُمْ[7]. وَحْدَهُمْ[7]. وَيُعَزِّزُ هَذَا أَنَّ البَغْدَادِيَّ ذَكَرَ أَنَّ هَاتَيْنِ التَّسْمِيَتَيْنِ يَرُدُّهُمَا البَصْرِيُّونَ، وَأَنَّ هَذَا المَذْهَبَ مَنْسُوبٌ مَنْسُوبٌ لِلْأَخْفَشِ وَحْدَهُ[1].

---

[1] شرح المفصل 116/2.

[2] آل عمران الآية 156.

[3] القصص الآية 8.

[4] اللامات ص125، والبيان في غريب إعراب القرآن 227/1-228، 334، 229/2.

[5] مغني اللبيب ص282.

[6] البرهان في علوم القرآن 347/4.

[7] الدرر اللوامع على همع الهوامع 31/2.

وَمَهْمَا يَكُنْ مِنْ أَمْرٍ، فَإِنَّ هَذِه اللَّامَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَا بَعْدَهَا نَتِيجَةٌ غَيْرُ مَقْصُودَةٍ لِمَا قَبْلَهَا. فَاللَّامُ فِي قَوْلِه: {لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا}، تَدُلُّ عَلَى أَنَّ مُوسَى، عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ، صَارَتْ عَاقِبَتُهُ لِآلِ فِرْعَونَ عَدُوًّا وَحَزَنًا، وَإِنْ كَانُوا الْتَقَطُوهُ لِغَيْرِ العَدَاوَةِ، وَالحَزَنِ. وَمِنَ الأَهَمِّيَّةِ، هُنَا، أَنْ نَذْكُرَ أَنَّ البَصْرِيِّينَ، وَالكُوفِيِّينَ اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى اللَّامِ، فِي هَذِه الآيَةِ. فَقَدْ أَنْكَرَ البَصْرِيُّونَ، وَمَنْ تَابَعَهُمْ، أَنَّ هَذِه اللَّامَ لِلْعَاقِبَةِ. قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: "وَالتَّحْقِيقُ أَنَّهَا لَامُ العِلَّةِ، وَأَنَّ التَّعْلِيلَ وَارِدٌ فِيهَا عَنْ طَرِيقِ المَجَازِ مِنْ دُونِ الحَقِيقَةِ، وَبَيَانُهُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ دَاعِيهِمْ إِلَى الالْتِقَاطِ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا، بِلِ المَحَبَّةُ، وَالتَّبَنِّي، غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ لَمَّا كَانَ نَتِيجَةَ الْتِقَاطِهِمْ لَهُ، وَثَمَرَتَهُ، شُبِّهَ بِالدَّاعِي، الَّذِي يَفْعَلُ الفِعْلَ لِأَجْلِه، فَاللَّامُ مُسْتَعَارَةٌ لِمَا يُشْبِهُ التَّعْلِيلَ، كَمَا اسْتُعِيرَ الأَسَدُ لِمَا يُشْبِهُ الأَسَدَ"[2].

وَيُرْجِعُ أَبُو البَرَكَاتِ الأَنْبَارِيُّ خِلَافَ البَصْرِيِّينَ، وَالكُوفِيِّينَ حَوْلَ هَذِه اللَّامِ، إِلَى خِلَافِهِمْ فِي التَّسْمِيَةِ. يَقُولُ: اللَّامُ فِي {لِيَكُونَ} يُسَمِّيهَا البَصْرِيُّونَ لَامَ العَاقِبَةِ، أَيْ كَانَ عَاقِبَةُ الْتِقَاطِهِمْ العَدَاوَةَ وَالحَزَنَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْتِقَاطُهُمْ لَهُ لَهُمَا، وَيُسَمِّيهَا البَصْرِيُّونَ لَامَ الصَّيْرُورَةِ، أَيْ صَارَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا، وَإِنِ الْتَقَطُوهُ لِغَيْرِهِمَا"[3].

لَامُ القَسَمِ أَوْ لَامُ اليَمِينِ:

مَا يُسَمِّيه البَصْرِيُّونَ لَامَ الابْتِدَاءِ يُنْكِرُهُ الكُوفِيُّونَ، وَلَا يَعْتَرِفُونَ بِه؛ وَمَا يُسَمِّيه البَصْرِيُّونَ لَامَ الابْتِدَاءِ يُسَمِّيه الكُوفِيُّونَ لَامَ قَسَمٍ. وَعَلَى هَذَا، كَمَا يَقُولُ الرَضِيُّ: لَيْسَ فِي الوُجُودِ عِنْدَ الكُوفِيِّينَ لَامُ الابْتِدَاءِ[4]. وَيُصَدِّقُ هَذَا مَا جَاءَ فِي كُتُبِ الفَرَّاءِ، وَثَعْلَب. يَقُولُ الفَرَّاءُ: "لِأَنَّ اللَّامَ، الَّتِي دَخَلَتْ فِي قَوْلِه: {وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ}[5]، وَفِي قَوْلِه: "لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ}[6]، وَفِي قَوْلِه: {لَئِنْ أُخْرِجُوا}"[7]؛ إِنَّمَا هِيَ لَامُ اليَمِينِ، كَانَ مَوْضِعُهَا فِي آخِرِ الكَلَامِ، فَلَمَّا صَارَتْ فِي أَوَّلِه، صَارَتْ كَاليَمِينِ، فَلُقِيَتْ بِمَا يُلْقَى بِه اليَمِينُ"[8].

---

[1] شرح أبيات مغني اللبيب 286/4.

[2] مغني اللبيب ص282-283.

[3] البيان في غريب إعراب القرآن 229/2.

[4] شرح الكافية 338/2.

[5] البقرة الآية 102.

[6] آل عمران الآية 81.

[7] الحشر الآية 12.

[8] معاني القرآن 66/1، وينظر: 225/1، 28/2، 30، و83/3، 27، ومجالس ثعلب ص59، 592، وإيضاح الوقف والابتداء 781/1.

وَلَكِنْ يَبْدُو أَنَّ بَعْضًا مِنَ الكُوفِيِّينَ يَعْرِفُ لَامَ الابْتِدَاءِ، وَيُسَمِّيهَا كَذَلِكَ. فَقَدْ رَوَى الأُشْمُونِيُّ أَنَّ اللَّامَ فِي نَحْوِ قَوْلِكَ: إِنَّ زَيْدًا لَرَضِيَ، هِيَ لَامُ ابْتِدَاءٍ عِنْدَ الكِسَائِيِّ، وَهِشَامٍ مِنَ الكُوفِيِّينَ[1].

وَقَدْ أَفْرَدَ الأَنْبَارِيُّ فِي كِتَابِ (الإِنْصَافِ فِي مَسَائِلِ الخِلَافِ) مَسْأَلَةً حَوْلَ الخِلَافِ فِي هَذِهِ اللَّامِ، وَجَاءَ فِيهِ أَنَّ الكُوفِيِّينَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّامَ فِي: لَزَيْدٌ أَفْضَلُ مِنْ عَمْرٍو، جَوَابُ قَسَمٍ مُقَدَّرٍ، وَالتَّقْدِيرُ: وَاللهِ لَزَيْدٌ أَفْضَلُ مِنْ عَمْرٍو. وَذَهَبَ البَصْرِيُّونَ إِلَى أَنَّهَا لَامُ الابْتِدَاءِ، ثُمَّ أَوْرَدَ حِجَجَ كُلٍّ مِنَ الفَرِيقَيْنِ. فَالكُوفِيُّونَ يَحْتَجُّونَ لِرَأْيِهِمْ بِأَنَّ هَذِهِ اللَّامَ يَجُوزُ أَنْ تَدْخُلَ عَلَى غَيْرِ المُبْتَدَأِ، فَيَجُوزُ أَنْ يَلِيَهَا المَفْعُولُ، الَّذِي يَجِبُ لَهُ النَّصْبُ: لَطَعَامَكَ زَيْدٌ أَكَلَ. وَيَقُولُونَ: لَوْ كَانَتْ هَذِهِ اللَّامُ لَامَ الابْتِدَاءِ، لَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَا بَعْدَهَا مَرْفُوعًا، وَلَمَا كَانَ يَجُوزُ أَنْ يَلِيَهَا المَفْعُولُ، الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا. وَيَحْتَجُّ البَصْرِيُّونَ لِرَأْيِهِمْ بِأَنَّ هَذِهِ اللَّامَ إِذَا دَخَلَتْ عَلَى المَنْصُوبِ بِـ(ظَنَنْتُ) أَوْجَبَتْ لَهُ الرَّفْعَ، وَأَبْطَلَتْ عَنْهُ عَمَلَ ظَنَنْتُ، فَتَقُولُ فِي قَوْلِكَ: ظَنَنْتُ زَيْدًا قَائِمًا، ظَنَنْتُ لَزَيْدٌ قَائِمٌ، ثُمَّ يَنْتَصِرُ الأَنْبَارِيُّ لِلْبَصْرِيِّينَ عَلَى الكُوفِيِّينَ، وَيَشْرَعُ فِي دَحْضِ حِجَجِ الكُوفِيِّينَ[2]. وَلَيْسَ غَرِيبًا أَنْ تَكُونَ هذه اللَّامُ لَامَ قَسَمٍ، بِدَلِيلِ أَنَّهَا تُؤَكِّدُ مَضْمُونَ الجُمْلَةِ، وَتُحَقِّقُهُ، وَتُحَقِّقُهُ، كَمَا تُحَقِّقُ لَامُ القَسَمِ مَضْمُونَ الجُمْلَةِ، وَتُؤَكِّدُهُ؛ وَأَنَّهَا، أَيْ: لَامَ الابْتِدَاءِ، تَدْخُلُ عَلَى الجُمَلِ، كَمَا تَدْخُلُ لَامُ القَسَمِ، وَأَنَّهَا، وَهَذَا أَمْرٌ شَكْلِيٌّ، مَفْتُوحَةٌ، كَمَا أَنَّ لَامَ القَسَمِ مَفْتُوحَةٌ. وَعَلَى ذَلِكَ فَلَا مَانِعَ مِنِ اعْتِبَارِ لَامِ الابْتِدَاءِ لَامَ قَسَمٍ، مَا دَامَ ذَلِكَ لَا يُفْسِدُ المَعْنَى، أَوْ يُخِلُّ بِهِ.

لَامُ الحَالِ:

وَأَمَّا اللَّامُ الدَّاخِلَةُ عَلَى الفِعْلِ المُضَارِعِ فِي نَحْوِ: إِنَّ زَيْدًا لَيَخْرُجُ، فَلَيْسَتْ لَامَ ابْتِدَاءٍ، عِنْدَ الكُوفِيِّينَ، كَمَا هِيَ عِنْدَ البَصْرِيِّينَ، وَإِنَّمَا هِيَ لَامُ الحَالِ، دَخَلَتْ عَلَى الفِعْلِ المُضَارِعِ؛ لِتُخَصِّصَهُ بِالحَالِ، كَمَا أَنَّ السِّينَ تُخَصِّصُهُ بِالاسْتِقْبَالِ؛ وَلِذَلِكَ، فَالكُوفِيُّونَ لَا يُجَوِّزُونَ: إِنَّ زَيْدًا لَسَوْفَ يَخْرُجُ؛ لِلتَّنَاقُضِ، وَالبَصْرِيُّونَ يُجَوِّزُونَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللَّامَ، عِنْدَهُمْ، لَمْ تَدْخُلْ؛ لِتُخَصِّصَ الفِعْلَ المُضَارِعَ لِلْحَالِ، بَلْ هِيَ بَاقِيَةٌ عَلَى إِفَادَةِ التَّأْكِيدِ[3].

لَامُ إِلَّا أَوْ لَامُ الجَوَابِ:

---

[1] شرح الأشموني 42/1.

[2] الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم58.

[3] شرح الكافية 226/2-227، 231/2.

وَمِنْ أَصْنَافِ اللَّامِ، مَا يُسَمِّيهِ الكُوفِيُّونَ لَامَ إِلَّا، أَوْ لَامَ الجَوَابِ، وَهِيَ اللَّامُ، الَّتِي يُسَمِّيهَا البَصْرِيُّونَ لَامَ التَّأْكِيدِ، أَوِ اللَّامَ الفَارِقَةَ[1].

فَمَذْهَبُ البَصْرِيِّينَ أَنَّ (إِنَّ) المُشَدَّدَةَ إِذَا خُفِّفَتْ، أُلْغِيَتْ، وَبَطَلَ عَمَلُهَا، وَلَزِمَ خَبَرَهَا لَامٌ، يُسَمُّونَهُا لَامَ التَّأْكِيدِ، أَوْ اللَّامَ الفَارِقَةَ، اجْتُلِبَتْ لِلْفَرْقِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ (إِنْ) النَّافِيَةِ، وَقِيلَ: اجْتُلِبَتْ عِوَضًا عَنِ التَّشْدِيدِ فِي (إِنَّ).

وَمَذْهَبُ الكُوفِيِّينَ أَنَّ هَذِهِ اللَّامَ لَيْسَتْ لَامَ التَّأْكِيدِ، وَإِنَّمَا هِيَ لَامٌ أُخْرَى، يُسَمُّونَهُا لَامَ إِلَّا، أَوْ لَامَ الجَوَابِ، وَأَنَّ (إِنْ) قَبْلَهَا نَافِيَةٌ، بِمَعْنَى (مَا). وَيَرْجِعُ هَذَا الخِلَافُ، بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ، إِلَى الخِلَافِ عَلَى تَخْفِيفِ إِنَّ. فَالبَصْرِيُّونَ يَرَوْنَ جَوَازَ تَخْفِيفِهَا، وَأَنَّهَا إِذَا خُفِّفَتْ أُلْغِيَتْ، وَبَطَلَ عَمَلُهَا، وَصَارَتْ كَحَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ الابْتِدَاءِ، يَلِيهَا الاسْمُ، كَمَا يَلِيهَا الفِعْلُ، وَيَلْزَمُهَا اللَّامُ، فَصْلًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ (إِنْ) النَّافِيَةِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً}[2]، وَقَوْلِهِ: {إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ}[3]، وَقَوْلِهِ: {وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ}[4]؛ فِي حِينِ يَرَى الكُوفِيُّونَ أَنَّ (إِنَّ) المُشَدَّدَةَ لَا تُخَفَّفُ أَصْلًا، وَأَنَّ (إِنْ) المُخَفَّفَةَ إِنَّمَا هِيَ حَرْفٌ مُسْتَقِلٌّ، ثُنَائِيُّ الوَضْعِ، تَجِيءُ اللَّامُ بَعْدَهَا، فَتَكُونُ بِمَعْنَى مَا، وَتَكُونُ اللَّامُ بِمَعْنَى إِلَّا، وَقَدِ اسْتَدَلَّ الكُوفِيُّونَ عَلَى مَجِيءِ اللَّامِ، بَعْدَ مَا بِمَعْنَى إِلَّا، بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

أَمْسَى أَبَانُ ذَلِيلًا بَعْدَ عِزَّتِهِ وَمَا أَبَانُ لِمَنْ أَعْلَاجِ سُودَانِ

أَيْ: وَمَا أَبَانُ إِلَّا مِنْ أَعْلَاجِ سُودَانٍ.

وَقَدْ أَفْرَدَ الأَنْبَارِيُّ، فِي كِتَابِهِ (الإِنْصَافِ فِي مَسَائِلِ الخِلَافِ)، مَسْأَلَةً حَوْلَ خِلَافِ المَدْرَسَتَيْنِ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ، وَأَوْرَدَ رَأْيَ كُلِّ فَرِيقٍ مُدَعَّمًا بِالحُجَجِ، وَالبَرَاهِينِ[5].

وَقَدْ نَصَّ عَلَى أَنَّ (إِنْ) بِمَعْنَى مَا النَّافِيَةِ، وَاللَّامَ بِمَعْنَى إِلَّا، الفَرَّاءُ فِي قَوْلِهِ، مُعَلِّقًا عَلَى الآيَةِ الكَرِيمَةِ: {إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ}[6]: "قَرَأَهَا العَوَّامُ لَمَّا، وَخَفَّفَهَا بَعْضُهُمْ. الكِسَائِيُّ كَانَ يُخَفِّفُهَا،

---

[1] ينظر: اللامات ص119، ومعاني الحروف ص75، وإعراب القرآن للنحاس 220/1، 628، ومشكل إعراب القرآن 297/1، والأمالي الشجرية 347/2، وإملاء من به الرحمن 67/1، وإعراب الحديث ص83، الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم90، والبيان في غريب إعراب القرآن 126/1، وشرح المفصل 172/8، والجنى الداني ص168، 229، وشرح الكافية 359/2، والمعني ص306.

[2] البقرة الآية 143.

[3] الطارق الآية 4.

[4] البقرة الآية 198.

[5] الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم90.

[6] الطارق الآية 4.

وَلاَ تُعْرَفُ جهَةُ التَّثْقِيلِ، وَنَرَى أَنَّهَا لُغَةٌ فِي هُذَيْلَ، يَجْعَلُونَ إِلَّا مَعَ إِنْ المُخَفَّفَة لَمَا. وَلَا يُجَاوِزُونَ ذَلِكَ. كَأَنَّهُ قَالَ: مَا كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ. وَمَنْ خَفَّفَ قَالَ: إِنَّمَا هِيَ لَامُ الجَوَابِ[1].

وَقَدْ يَكُونُ اعْتِبَارُ (إِنْ) وَاللَّامِ، فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً}[2]، وَقَوْلِهِ: {إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ}[3]، وَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

شَلَّتْ يَمِينُكَ إِنْ قَتَلْتَ لَمُسْلِمًا حَلَّتْ عَلَيْكَ عُقُوبَةُ المُتَعَمِّدِ

بِمَعْنَى مَا كَانَتْ إِلَّا كَبِيرَةً، وَمَا كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ، وَمَا قَتَلْتَ إِلَّا مُسْلِمًا؛ أَوْلَى، وَأَوْضَحَ فِي المَعْنَى، مِنْ جَعْلِ (إِنْ) مُخَفَّفَةً مِنْ إِنَّ، وَاللَّامِ لِلتَّأْكِيدِ، لَزِمَتْ لِلْفَرْقِ بَيْنَ إِنْ النَّافِيَةِ، وَالمُخَفَّفَةِ؛ لِأَنَّ المَعْنَى يُسَاعِدُ عَلَى مِثْلِ هَذَا التَّأْوِيلِ.

لَا التَّبْرِئَةُ:

وَمِنَ الأَدَوَاتِ، الَّتِي اخْتُلِفَ فِي تَسْمِيَتِهَا، ما يُسَمِّيه الكُوفِيُّونَ لَا التَّبْرِئَةَ، الَّتِي يُسَمِّيهَا البَصْرِيُّونَ لَا النَّافِيَةَ لِلْجِنْسِ[4]. يَقُولُ أَبُو بَكْرٍ الأَنْبَارِيُّ: "وَالخَلِيلُ وَسِيبَوَيْهِ يُسَمِّيَانِ التَّبْرِئَةَ النَّفْيَ"[5].

وَمَعْنَى التَّبْرِئَةِ تَخْلُّصُ الشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ، وَتَنْزِيهُهُ عَنْهُ، وَمِنْ هُنَا قِيلَ لِهَذِهِ الأَدَاةِ: لَا التَّبْرِئَةُ؛ لِأَنَّهَا تُبَرِّئُ الجِنْسَ، الدَّاخِلَةَ عَلَيْهِ، وَتُنَزِّهُهُ عَنِ الخَبَرِ، الوَاقِعِ بَعْدَهُ. فَإِذَا قُلْتَ: لَا غُلَامَ فِي المَنْزِلِ، فَقَدْ دَلَّتْ (لَا) عَلَى تَبْرِئَةِ جِنْسِ الغِلْمَانِ عَمَّا وَقَعَ بَعْدَهَا، أَيْ دَلَّتْ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي المَنْزِلِ أَحَدٌ، يَتَّصِفُ بِأَنَّهُ غُلَامٌ، وَكَذَلِكَ قِيلَ لَهَا: النَّافِيَةُ لِلْجِنْسِ مِنْ هَذَا المَعْنَى؛ لِأَنَّهَا تَنْفِي جِنْسَ الغِلْمَانِ عَنِ الخَبَرِ، الوَاقِعِ بَعْدَهَا.

وَقَدِ اسْتَعْمَلَ هَذِهِ التَّسْمِيَةَ كُلٌّ مِنَ الفَرَّاءِ، وَثَعْلَبٍ. فَمِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي (المَجَالِسِ): "وَأَنْشَدَ:

فَكَيْفَ بِلَيْلَةٍ لَا نَوْمَ فِيهَا وَلَا قَمَرٍ لِسَارِيهَا مُنِيرِ

وَلَا قَمَرٍ، قَالَ: جَعَلَ (لَا) التَّبْرِئَةَ بِمَعْنَى غَيْرٍ ... وَقَالَ أَبُو العَبَّاسِ: حَكَى ابْنُ الأَعْرَابِيِّ: قَدْ جَعَلَ النَّاسُ مَا لَيْسَ بِئْسَ بِهِ، جَعَلَ لَيْسَ بِمَعْنَى التَّبْرِئَةِ"[6].

---

[1] معاني القرآن 3/254-255، وينظر: 30/1، 376-377، و28/2.

[2] البقرة الآية 143.

[3] الطارق الآية 4.

[4] شرح التصريح 235/1، شرح الأشموني مع الصبان 2/2.

[5] الزاهر في معاني كلمات الناس 106/1.

[6] مجالس ثعلب 131-132، وينظر أيضا: ص354، ومعاني القرآن 120/1، 440، 84/2، 59/3، 195، وإيضاح الوقف والابتداء 118/1، 141.

وَاوُ الصَّرْف[1]:

وَمِنْهَا مَا يُسَمِّيهِ الكُوفِيُّونَ وَاوَ الصَّرْفِ. وَهِيَ الوَاوُ الدَّاخِلَةُ عَلَى الفِعْلِ المُسْتَقْبَلِ، المَسْبُوقِ بِنَفْيٍ، أَوْ طَلَبٍ، كَقَوْلِه تَعَالَى: {وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ}[2]، وَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

فَالوَاوُ فِي هَذَا، وَنَحْوِه، يُسَمِّيهَا الكُوفِيُّونَ وَاوَ الصَّرْفِ[3]. وَسَمَّوْهَا، كَذَلِكَ؛ لِسَبَبَيْنِ: لَفْظِيٍّ، وَمَعْنَوِيٍّ؛ فَأَمَّا اللَّفْظِيُّ، فَلأَنَّهَا تَصْرِفُ إِعْرَابَ الفِعْلِ الدَّاخِلَةِ عَلَيْهِ عَنْ إِعْرَابِ الفِعْلِ الأَوَّلِ. فَإِذَا قُلْتَ: لَا تَأْكُلِ السَّمَكَ وَتَشْرَبَ اللَّبَنَ، فَالوَاوُ، هُنَا، صَرَفَتْ إِعْرَابَ الفِعْلِ تَشْرَبَ إِلَى النَّصْبِ، عَنْ إِعْرَابِ الفِعْلِ تَأْكُلْ المَجْزُومِ. وَعَلَى هَذَا فَهِيَ النَّاصِبَةُ لِلْفِعْلِ بِنَفْسِهَا عِنْدَ الكُوفِيِّينَ، لَا بِـ(أَنْ) مُضْمَرَةً بَعْدَهَا، كَمَا يَرَى البَصْرِيُّونَ.

وَأَمَّا المَعْنَوِيُّ، فَلأَنَّهَا تَصْرِفُ فِي المَعْنَى الفِعْلَ الثَّانِيَ؛ تَشْرَبَ عَنْ حُكْمِ الفِعْلِ الأَوَّلِ؛ تَأْكُلْ، إِذَا كَانَ لَمْ يُجَامِعْهُ فِي النَّهْيِ مُطْلَقًا، بَلْ جَامَعَهُ فِي النَّهْيِ عَنِ الجَمْعِ بَيْنَ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ فَقَطْ.

وَهَذِه الوَاوُ، عِنْدَ البَصْرِيِّينَ، هِيَ واوُ عَطْفٍ، تَعْطِفُ مَا بَعْدَهَا عَلَى مَا قَبْلَهَا. فَإِذَا كَانَ الفِعْلُ الثَّانِي مَجْزُومًا كَالأَوَّلِ، فَهِيَ حَرْفُ عَطْفٍ، وَإِذَا كَانَ مَنْصُوبًا، فَنَصْبُهُ بِـ(أَنْ) مُضْمَرَةً بَعْدَهَا، وَ(أَنْ) وَمَا بَعْدَهَا مَعْطُوفٌ بِهَا عَلَى مَا قَبْلَهَا، بِتَأْوِيلِ مَصْدَرٍ.

وَاوُ الظَّرْفِ:

وَمِنْهَا ما يُسَمِّيهِ الفَرَّاءُ وَاوَ الظَّرْفِ. وَهَذِه الوَاوُ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي البَابِ، الَّذِي يُسَمَّى بَابَ الاشْتِغَالِ، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ الاسْمُ المُشْتَغَلُ عَنْهُ وَاقِعًا بَعْدَ واوٍ، يَجُوزُ فِيهِ النَّصْبُ، وَالرَّفْعُ. فَالنَّصْبُ بِالفِعْلِ الوَاقِعِ بَعْدَ الوَاوِ، تَكُونُ الوَاوُ فِيهِ كَالظَّرْفِ لِهَذَا الفِعْلِ، أَيْ كَالوِعَاءِ يَكُونُ الفِعْلُ فِيهِ؛ لِيَعْمَلَ النَّصْبَ فِيمَا بَعْدَهُ؛ وَالرَّفْعُ عَلَى أَنْ تَكُونَ الوَاوُ ظَرْفًا لِلاسْمِ، الَّذِي هِيَ مَعَهُ.

قَالَ الفَرَّاءُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِه تَعَالَى: {وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ}[4]: "نَصَبْتَ (الأَنْعَامَ) بِـ(خَلَقَهَا)، لَمَّا كَانَتْ فِي الأَنْعَامِ وَاوٌ. كَذَلِكَ كُلُّ فِعْلٍ عَادَ عَلَى اسْمٍ بِذِكْرِه، قَبْلَ الاسْمِ وَاوٌ، أَوْ فَاءٌ، أَوْ كَلَامٌ يَحْتَمِلُ نُقْلَةَ الفِعْلِ إِلَى ذَلِكَ الحَرْفِ، الَّذِي قَبْلَ الاسْمِ؛ فَفِيهِ وَجْهَانِ: الرَّفْعُ، وَالنَّصْبُ؛ أَمَّا النَّصْبُ، فَأَنْ تَجْعَلَ

---

[1] ينظر: كَلاَمَنَا على الصَّرْف فِي العَوَامِلِ مِنْ هَذَا البَحْثِ.

[2] آل عمران الآية 142.

[3] ينظر: المرتجل ص207، ومفتاح العلوم ص52، وشرح الكافية 227/2، ومغني اللبيب ص472، والإعراب فِي قواعد الإعراب ص93، والبحر المحيط 142/1، 521/7، والإتقان في علوم القرآن 233/1.

[4] النحل الآية 5.

الوَاوَ ظَرْفًا لِلْفعْلِ، وَالرَّفْعُ أَنْ تَجْعَلَ الوَاوَ ظَرْفًا لِلاسْمِ، الَّذِي هِيَ مَعَهُ. وَمِثْلُهُ: {وَالقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ}[1]، {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ}[2]. وَهُوَ كَثِيرٌ"[3].

[1] يس الآية 39.

[2] الذاريات الآية 47.

[3] معاني القرآن 95/2، وينظر أيضا: 256/2، و220/3، وإعراب القرآن للنحاس 109/5.

. الفَصْلُ الثَّانِي
الاخْتِلَافُ فِي خَصَائِصِ بَعْضِ الأَدَوَاتِ

الاخْتِلَافُ فِي خَصَائِصِ بَعْضِ الأَدَوَاتِ

هُنَاكَ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الأَدَوَاتِ النَّحْوِيَّةِ، يَخْتَلِفُ فِي خَصَائِصِهَا الكُوفِيُّونَ وَالبَصْرِيُّونَ، أَسْمَاءٌ هِيَ، أَمْ أَفْعَالٌ، أَمْ حُرُوفٌ؟ وَأَهَمُّ هَذِهِ الأَدَوَاتِ:

نِعْمَ وَبِئْسَ اسْمَانِ:

يَكَادُ يَبْدُو الخِلَافُ بَيْنَ البَصْرِيِّينَ وَالكُوفِيِّينَ فِي حَقِيقَةِ نِعْمَ وَبِئْسَ: اسْمَانِ هُمَا، أَمْ فِعْلَانِ، كَمَا تُصَوِّرُهُ بَعْضُ كُتُبِ النَّحْوِ[1]، خِلَافًا حَقِيقِيًّا، لَا مِرَاءَ فِيهِ. فَقَدْ أَجْمَعَتْ هَذِهِ الكُتُبُ عَلَى أَنَّ البَصْرِيِّينَ وَالكُوفِيِّينَ اخْتَلَفُوا فِي نِعْمَ وَبِئْسَ. فَنُسِبَتْ إِلَى البَصْرِيِّينَ القَوْلُ: إِنَّهُمَا فِعْلَانِ مَاضِيَانِ، لَا يَتَصَرَّفَانِ، بِدَلِيلِ اتِّصَالِ الضَّمَائِرِ، وَتَاءِ التَّأْنِيثِ السَّاكِنَةِ بِهِمَا، عَلَى حَدِّ اتِّصَالِهِمَا بِالأَفْعَالِ، فِي نَحْوِ: نِعْمَا رَجُلَيْنِ، وَنِعْمُوا رِجَالًا، وَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ تَوَضَّأَ فَبِهَا وَنِعْمَتْ"؛ وَبِدَلِيلِ بِنَائِهِمَا عَلَى الفَتْحِ،

---

[1] الأصول في النحو 68/1، مجالس العلماء ص59، والإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم14، وأسرار العربية ص96، وشرح المفصل 127/7، وشرح جمل الزجاجي 598/1، وشرح الأشموني مع الصبان 26/3، وأوضح المسالك 283/2، وشرح التصريح 93/2، وهمع الهوامع 84/2، والدرر اللوامع على همع الهوامع 108/2.

كَالأَفْعَالِ المَاضِيَةِ. وَنَسَبَتْ إِلَى الكُوفِيِّينَ القَوْلَ: إِنَّهُمَا اسْمَانِ بِدَلِيلِ دُخُولِ حَرْفِ الجَرِّ عَلَيْهِمَا، كَقَوْلِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ:

أَلَسْتُ بِنِعْمَ الجَارِ يُؤْلَفُ بَيْتُهُ أَخَا قِلَّةٍ أَوْ مُعْدَمَ المَالِ مُصْرَمَا

وَقَوْلِ بَعْضِ العَرَبِ: نِعْمَ السَّيْرُ عَلَى بِئْسَ العِيرُ. وَبِدَلِيلِ نِدَائِهِمَا كَالأَسْمَاءِ، كَقَوْلِهِمْ: يَا نِعْمَ المَوْلَى، وَنِعْمَ النَّصِيرِ، وَبِدَلِيلِ عَدَمِ تَصَرُّفِهِمَا، وَتَجَرُّدِهِمَا مِنَ الزَّمَانِ، كَسَائِرِ الأَفْعَالِ، فَلَا يُقَالُ: نِعْمَ الرَّجُلُ أَمْسِ، وَلَا بِئْسَ الرَّجُلُ غَدًا، كَمَا يُقَالُ: ضَرَبْتُهُ أَمْسِ، وَسَأَضْرِبُهُ غَدًا.

غَيْرَ أَنَّ مَا جَاءَ فِي بَعْضِ المَصَادِرِ النَّحْوِيَّةِ يَنْفِي أَنْ يَكُونَ ثَمَّ خِلَافٌ بَيْنَ البَصْرِيِّينَ وَالكُوفِيِّينَ، فِي طَبِيعَةِ نِعْمَ وَبِئْسَ. فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ عُصْفُورٍ أَنَّهُ لَمْ يَخْتَلِفْ أَحَدٌ مِنَ البَصْرِيِّينَ وَالكُوفِيِّينَ فِي أَنَّ نِعْمَ وَبِئْسَ فِعْلَانِ، غَيْرُ مُتَصَرِّفَيْنِ، وَيَذْكُرُ أَنَّ الخِلَافَ بَيْنَهُمَا إِنَّمَا يَقَعُ فِي نِعْمَ وَبِئْسَ، بَعْدَ إِسْنَادِهِمَا إِلَى الفَاعِلِ، فِي نَحْوِ: نِعْمَ الخَلِيفَةُ عُمَرُ، وَبِئْسَ الرَّجُلُ زَيْدٌ. فَمَذْهَبُ البَصْرِيِّينَ فِي هَذَا وَنَحْوِهِ: أَنَّ نِعْمَ الخَلِيفَةُ، وَبِئْسَ الرَّجُلُ، جُمْلَتَانِ فِعْلِيَّتَانِ. وَمَذْهَبُ الكُوفِيِّينَ أَنَّهُمَا جُمْلَتَانِ اسْمِيَّتَانِ، مَحْكِيَّتَانِ، نُقِلَتَا عَنْ أَصْلِهِمَا، وَسُمِّيَ بِهِمَا المَدْحُ وَالذَّمُّ، كَتَأَبَّطَ شَرًّا، وَنَحْوِهِ[1].

وَمِمَّا يُؤَيِّدُ قَوْلَ ابْنِ عُصْفُورٍ: أَنَّ نِعْمَ وَبِئْسَ فِعْلَانِ عِنْدَ الكُوفِيِّينَ، كَمَا هُمَا عِنْدَ البَصْرِيِّينَ؛ قَوْلُ الفَرَّاءِ، مُفَسِّرًا قَوْلَهُ تَعَالَى: {فَسَاءَ قَرِينًا}[2]: "وَيَجُوزُ أَنْ تَذْكَرَ الرَّجُلَيْنِ، فَتَقُولَ: بِئْسَا رَجُلَيْنِ، وَبِئْسَ رَجُلَيْنِ، وَلِلْقَوْمِ: نِعْمَ قَوْمًا، وَنِعْمُوا قَوْمًا، وَكَذَلِكَ الجَمْعُ مِنَ المُؤَنَّثِ، وَإِنَّمَا وَحَّدُوا الفِعْلَ، وَقَدْ جَاءَ بَعْدَ الأَسْمَاءِ؛ لِأَنَّ بِئْسَ وَنِعْمَ دِلَالَةٌ عَلَى مَدْحٍ، أَوْ ذَمٍّ، وَلَمْ يُرِدْ فِيهِمَا مَذْهَبُ الفِعْلِ، مِثْلُ: قَامَا، وَقَعَدَا"[3].

فَفِي هَذَا النَّصِّ دِلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الفَرَّاءَ لَمْ يَقُلْ: إِنَّ نِعْمَ وَبِئْسَ اسْمَانِ، وَلَمْ يُشِرْ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا الَّذِي يُفْهَمُ مِنْ هَذَا النَّصِّ أَنَّ الفَرَّاءَ كَانَ يَرَى أَنَّ نِعْمَ وَبِئْسَ فِعْلَانِ، جَامِدَانِ، لَمْ يُرِدْ مِنْهُمَا مَذْهَبَ الفِعْلِ؛ لِأَنَّهُمَا وُضِعَا لِلْمَدْحِ، وَالذَّمِّ.

غَيْرَ أَنَّ الفَرَّاءَ كَانَ يَرَى، أَيْضًا، أَنَّ نِعْمَ وَبِئْسَ، وَلَا سِيَّمَا بَعْدَ إِسْنَادِهِمَا إِلَى الفَاعِلِ؛ اسْمَانِ يَنْصِبَانِ، وَيَرْفَعَانِ مَا بَعْدَهُمَا، وَفِي هَذَا تَأْكِيدٌ لِمَا قَالَهُ ابْنُ عُصْفُورٍ، إِذْ قَالَ: إِنَّ الكُوفِيِّينَ يَرَوْنَ أَنَّ جُمْلَةَ نِعْمَ الخَلِيفَةُ، وَبِئْسَ الرَّجُلُ، بَعْدَ أَنْ يُسْنَدَا إِلَى الفَاعِلِ، جُمْلَتَانِ اسْمِيَّتَانِ، مَحْكِيَّتَانِ، تَرْفَعَانِ مَا بَعْدَهُمَا، لَا جُمْلَتَانِ فِعْلِيَّتَانِ، كَمَا يَرَى البَصْرِيُّونَ. يَقُولُ الفَرَّاءُ: "وَلَا يَصْلُحُ أَنْ تُولِيَ نِعْمَ وَبِئْسَ (الَّذِي)، وَلَا (مَنْ)، وَلَا(مَا)، إِلَّا أَنْ تَنْوِيَ بِهِمَا الاكْتِفَاءَ دُونَ أَنْ يَأْتِيَ بَعْدَ ذَلِكَ اسْمٌ مَرْفُوعٌ. مِنْ ذَلِكَ قَوْلُكَ: بِئْسَمَا صَنَعْتَ، فَهَذِهِ مُكْتَفِيَةٌ، وَسَاءَ مَا صَنَعْتَ. وَلَا يَجُوزُ سَاءَ مَا صَنِيعُكَ. وَقَدْ أَجَازَهُ الكِسَائِيُّ فِي كِتَابِهِ،

---

[1] ينظر: المقرب 65/1، وشرح التصريح 93/2-94، وهمع الهوامع 84/2.

[2] النساء الآية 38.

[3] معاني القرآن 268/1، وينظر: 141/2، ومجالس ثعلب ص273.

عَلَى هَذَا المَذْهَبِ. قَالَ الفَرَّاءُ: وَلَا نَعْرِفُ مَا جِهَتُهُ، وَقَالَ – الكِسَائِيُّ-: أَرَادَتِ العَرَبُ أَنْ تَجْعَلَ (مَا) بِمَنْزِلَةِ الرَّجُلِ حَرْفًا تَامًّا، ثُمَّ أَضْمَرُوا لِصَنَعْتَ (مَا)، كَأَنَّهُ قَالَ: بِئْسَمَا صَنَعْتَ، فَهَذَا قَوْلُهُ، وَأَنَا لَا أُجِيزُهُ. فَإِذَا جَعَلْتَ نِعْمَ صِلَةً لِـ(مَا)، بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكَ: (كُلَّمَا)، وَ(إِنَّمَا)، كَانَتْ بِمَنْزِلَةِ (حَبَّذَا)، فَرَفَعْتَ بِهَا الأَسْمَاءَ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ، عَزَّ وَجَلَّ: {إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ}[1]، رَفَعْتَ (هِيَ) بِـ(نِعِمَّا) ... وَسَمِعْتُ العَرَبَ تَقُولُ فِي (نِعْمَ)، المُكْتَفِيَةِ بِمَا: بِئْسَمَا تَزْوِيجٌ، وَلَا مَهْرٌ، فَيَرْفَعُونَ التَّزْوِيجَ بِـ(بِئْسَمَا)"[2].

وَالَّذِي يَبْدُو مِنِ اسْتِعْمَالِ نِعْمَ وَبِئْسَ، فِيمَا وَرَدَ مِنْ نُصُوصٍ فَصِيحَةٍ، أَنَّ فِيهِمَا مِنَ الخَصَائِصِ الاسْمِيَّةِ وَالفِعْلِيَّةِ، مَا يَكْفِي لِلنَّظَرِ إِلَيْهِمَا عَلَى أَنَّهُمَا مِنْ قَبِيلِ الكَلِمَاتِ اللُّغَوِيَّةِ القَدِيمَةِ، الَّتِي تَحَنَّطَتْ، وَجَمَدَتْ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ، وَلَمْ تَلْحَقْ بِالأَسْمَاءِ، أَوِ الأَفْعَالِ؛ لِذَلِكَ تَجِدُهُمَا يَتَمَيَّزَانِ فِي الاسْتِعْمَالِ بِخَصَائِصَ مُعَيَّنَةٍ، أَشْهَرُهَا الدِّلَالَةُ عَلَى المَدْحِ، وَالذَّمِّ، فِي أُسْلُوبٍ ثَابِتٍ، لَا يَتَغَيَّرُ.

أَفْعَلَ فِي التَّعَجُّبِ اسْمٌ:

حَارَ النَّحْوِيُّونَ فِي أَفْعَلَ فِي التَّعَجُّبِ، فِي نَحْوِ: مَا أَجْمَلَ السَّمَاءَ! وَاخْتَلَفُوا فِي اسْمِيَّةِ هَذِهِ المَادَّةِ، أَوْ فِعْلِيَّتِهَا، وَانْقَسَمُوا فِي ذَلِكَ فَرِيقَيْنِ[3]: الفَرِيقُ الأَوَّلُ، وَهُمُ البَصْرِيُّونَ، يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ أَفْعَلَ فِي التَّعَجُّبِ فِعْلٌ، وَاسْتَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ بِأُمُورٍ، مِنْهَا:

1. بِنَاؤُهَا عَلَى الفَتْحِ، كَمَا يُبْنَى الفِعْلُ المَاضِي، نَحْوُ: ضَرَبَ، وَأَكَلَ.

2. دُخُولُ نُونِ الوِقَايَةِ عَلَيْهَا، إِذَا وُصِلَتْ بِيَاءِ الضَّمِيرِ، نَحْوُ: مَا أَحْسَنَنِي عِنْدَكَ، وَمَا أَفْقَرَنِي إِلَى عَطْفِكَ، كَمَا تَدْخُلُ هَذِهِ النُّونُ عَلَى الفِعْلِ، نَحْوُ: ضَرَبَنِي، وَشَتَمَنِي.

3. أَنَّهَا تَنْصِبُ المَعَارِفَ، وَالنَّكِرَاتِ كَالفِعْلِ، عَلَى حِينَ لَوْ كَانَتْ اسْمًا، لَا فِعْلًا، لَمَا نَصَبَتْ إِلَّا النَّكِرَاتِ.

وَالفَرِيقُ الثَّانِي، وَهُمُ الكُوفِيُّونَ، قَالَ: إِنَّ أَفْعَلَ فِي التَّعَجُّبِ اسْمٌ، لَا فِعْلٌ، وَاسْتَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ بِأُمُورٍ، مِنْهَا:

1 . جُمُودُ هَذِهِ المَادَّةِ، وَعَدَمُ تَصَرُّفِهَا، كَمَا تَتَصَرَّفُ الأَفْعَالُ.

2. تَصْغِيرُهَا عَلَى حَدِّ تَصْغِيرِ الأَسْمَاءِ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

يَا مَا أُمَيْلِحَ غِزْلَانًا شَدَنَّ لَنَا مِنْ هَؤُلَيَّائِكُنَّ الضَّالِ وَالسَّمُرِ

---

[1] البقرة الآية 271.

[2] معاني القرآن 57/1-58.

[3] ينظر: هَذَا الخِلَافَ: الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم15، وأسرار العربية ص113، والأمالي الشجرية 131/2، وشرح المفصل 143/7، وشرح الكافية 23/2، و308/2، وشرح الشافية 279/1، وشرح الأشموني مع الصبان 18/3، وشرح جمل الزجاجي 583/1، وشرح التصريح 87/2، وهمع الهوامع 90/2.

2. تَصْحيحُ عَيْنِهَا، فِي نَحْوِ: هَذَا أَقْوَمُ مِنْكَ.
3. تَجَرُّدُها مِنَ الحَدَثِ وَالزَّمَانِ، اللَّذَيْنِ هُمَا مِنْ خَوَاصِّ الأَفْعَالِ.

وَتَنْسبُ بَعْضُ كُتُبِ النَّحْوِ إِلَى الكِسَائِيِّ[1]، وَهِشَامٍ[2] مِنَ الكُوفِيِّينَ، القَوْلَ بِفِعْلِيَّةِ هَذِهِ المَادَّةِ، كَالبَصْرِيِّينَ. وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الفَرَّاءَ مِنَ الكُوفِيِّينَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ قَالَ بِاسْمِيَّةِ هَذِهِ المَادَّةِ، وَهَذَا مَا يُؤَكِّدُهُ السُّيُوطِيُّ فِي (هَمْعِ الهَوَامِعِ)[3]، ثُمَّ تَابَعَ الفَرَّاءَ فِي ذَلِكَ بَقِيَّةُ الكُوفِيِّينَ، مِمَّنْ جَاءَ بَعْدَهُ، كَثَعْلَبٍ، وَابْنِ الأَنْبَارِيِّ، وَغَيْرِهِمَا.

لَكِنَّ مَا جَاءَ عَنْهُمَا يَدْفَعُ عَنْهُمَا القَوْلَ بِاسْمِيَّةِ هَذِهِ المَادَّةِ، كَالفَرَّاءِ. فَذَا ثَعْلَبٌ يُصَرِّحُ بِأَنَّ أَفْعَلَ فِي التَّعَجُّبِ فِعْلٌ جَامِدٌ، لَا يَتَصَرَّفُ، وَلَيْسَتْ اسْمًا. يَقُولُ فِي مَعْرِضِ حَدِيثِهِ عَنْ دُخُولِ البَاءِ عَلَى الفَاعِلِ، مَا نَصُّهُ: "... وَالمَعْنَى أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: أَحْسِنْ بِزَيْدٍ، فَيُدْخِلُونَ البَاءَ فِي المَمْدُوحِ، كَمَا يَقُولُونَ: مَا أَحْسَنَ زَيْدًا؛ لِيَعْلَمُوا أَنَّ الفِعْلَ لَا يَتَصَرَّفُ عَلَيْهِ"[4]. فَالَّذِي يُفْهَمُ مِنْ هَذَا النَّصِّ أَنَّ أَحْسَنَ، وَهِيَ مَادَّةُ التَّعَجُّبِ، فِعْلٌ جَامِدٌ، لَا يَتَصَرَّفُ، وَلَيْسَ فِيهِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ثَعْلَبًا كَانَ يَرَى أَنَّهَا اسْمٌ، وَهُوَ القَائِلُ: "لِيَعْلَمُوا أَنَّ الفِعْلَ لَا يَتَصَرَّفُ عَلَيْهِ"؛ لِذَلِكَ، فَإِنَّ ثَعْلَبًا يَنْضَمُّ إِلَى مَنْ قَالَ بِفِعْلِيَّةِ هَذِهِ المَادَّةِ، مِنَ النُّحَاةِ.

وَكَذَلِكَ، فَفِي مَا وَرَدَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الأَنْبَارِيِّ مَا يَدْفَعُ عَنْهُ القَوْلَ بِاسْمِيَّةِ هَذِهِ المَادَّةِ. فَهَا هُوَ ذَا يُصَرِّحُ بِأَنَّ أَفْعَلَ فِي التَّعَجُّبِ فِعْلٌ، جَامِدٌ، غَيْرُ مُتَصَرِّفٍ، لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَقَدَّمَ مَنْصُوبُ التَّعَجُّبِ عَلَى التَّعَجُّبِ. يَقُولُ فِي مَسْأَلَةٍ مِنَ التَّعَجُّبِ: "فَإِنَّ قُلْتَ: أَبَاكَ مَا أَحْسَنَ! أَوْ مَا أَبَاكَ أَحْسَنَ! كَانَ مُحَالًا؛ لِأَنَّ مَا نُصِبَ عَلَى التَّعَجُّبِ لَا يَتَقَدَّمُ عَلَى التَّعَجُّبِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ فِيهِ فِعْلٌ مُتَصَرِّفٌ، فَيَتَصَرَّفُ بِتَصَرُّفِهِ"[5].

لَكِنَّنِي وَجَدْتُهُ يَنُصُّ صَرَاحَةً عَلَى اسْمِيَّةِ أَفْعِلْ بِهِ. يَقُولُ: "وَإِذَا قُلْتَ مَا أَحْسَنَ عَبْدَ اللهِ! فَأَرَدْتَ أَنْ تُسْقِطَ مَا، وَتَتَعَجَّبَ، قُلْتَ: أَحْسِنْ بِعَبْدِ اللهِ، وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَأْمُرَ مِنْ هَذَا قُلْتَ: يَا زَيْدُ، أَحْسِنْ بِعَبْدِ اللهِ رَجُلًا، وَإِذَا ثَنَّيْتَ، قُلْتَ: يَا زَيْدَانِ أَحْسِنْ بِعَبْدَيِ اللهِ رَجُلَيْنِ، وَيَا زَيْدُونَ أَحْسِنْ بِعَبِيدِ اللهِ رِجَالًا، وَتَنْصِبُ رِجَالًا عَلَى التَّفْسِيرِ، وَأَحْسِنْ لَا يُثَنَّى، وَلَا يُجْمَعُ، وَلَا يُؤَنَّثُ؛ لِأَنَّهُ اسْمٌ، وَأَحْسِنْ لَيْسَ

---

[1] الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم15، وشرح الكافية 308/2، وشرح الأشموني مع الصبان 18/3.
[2] شرح التصريح 87/2.
[3] همع الهوامع 90/2، وينظر: الدرر اللوامع على همع الهوامع 49/1، و119/2.
[4] مجالس ثعلب ص273.
[5] الأشباه والنظائر 162/4.

بِأَمْرٍ لِلْمُخَاطَبِ، إِنَّمَا مَعْنَى أَحْسِنْ بِهِ: مَا أَحْسَنَهُ، قَالَ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ: {اسْمَعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ}[1]، مَعْنَاهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ: مَا اسْمَعَهُمْ، وَمَا أَبْصَرَهُمْ"[2].

غَيْرَ أَنَّ البَاحِثَ إِزَاءَ حَيْرَةِ النُّحَاةِ فِي حَقِيقَةِ هَذِهِ المَادَّةِ، لَا يَكَادُ يَطْمَئِنُّ، لَا إِلَى مَنْ رَأَى أَنَّ أَفْعَلَ فِي التَّعَجُّبِ فِعْلٌ، وَلَا إِلَى مَنْ رَأَى أَنَّهَا اسْمٌ؛ لِأَنَّ الَّذِي يَبْدُو مِنْ حَقِيقَةِ هَذِهِ المَادَّةِ عَكْسُ هَذَيْنِ الرَّأْيَيْنِ. فَلَوْ طَبَّقْنَا عَلَيْهَا جَمِيعَ عَلَامَاتِ الاسْمِيَّةِ، وَجَمِيعَ عَلَامَاتِ الفِعْلِيَّةِ، وَهِيَ ظَوَاهِرُ شَكْلِيَّةٌ، تَصْدُقُ، إِلَى حَدٍّ بَعِيدٍ، فِي تَمْيِيزِ الاسْمِ عَنِ الفِعْلِ؛ لَمَا وَجَدْنَاهَا تَتَقَبَّلُهَا كُلَّهَا. فَهِيَ، مَثَلًا، لَا تَقْبَلُ تَاءَ التَّأْنِيثِ، وَلَا تَدْخُلُ عَلَيْهَا النَّوَاصِبُ، وَالجَوَازِمُ، وَلَا تَتَّصِلُ بِهَا الضَّمَائِرُ ...إِلخ، وَهَذِهِ مِنْ عَلَامَاتِ الفِعْلِيَّةِ، كَمَا أَنَّهَا لَا تَقْبَلُ التَّنْوِينَ، وَلَا تَدْخُلُ عَلَيْهَا (أَلْ) التَّعْرِيفِ، وَلَا حُرُوفُ الخَفْضِ، وَلَا تُنَادَى ...إِلخ، وَهَذِهِ مِنْ عَلَامَاتِ الاسْمِيَّةِ؛ لِذَلِكَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نُقَرِّرَ، وَنَحْنُ مُطْمَئِنُّونَ، أَنَّ أَفْعَلَ فِي التَّعَجُّبِ لَيْسَتْ بِاسْمٍ خَالِصٍ، وَلَيْسَتْ بِفِعْلٍ خَالِصٍ، وَإِنَّمَا هِيَ مِنَ المَوَادِّ اللُّغَوِيَّةِ، الَّتِي جَمَدَتْ، وَابْتَعَدَتْ عَنْ قُبُولِ جَمِيعِ عَلَامَاتِ الأَسْمَاءِ، وَقُبُولِ جَمِيعِ عَلَامَاتِ الأَفْعَالِ، وَبُنِيَتْ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ، المَخْصُوصَةِ، الَّتِي نَرَاهَا مُسْتَعْمَلَةً فِي النُّصُوصِ الفَصِيحَةِ؛ لِتُؤَدِّيَ مَعْنَى التَّعَجُّبِ، وَالاسْتِعْظَامِ، فِي أُسْلُوبٍ، تَعَجُّبِيٍّ، ثَابِتٍ، لَا يَتَحَوَّلُ، وَلَا يَتَغَيَّرُ.

رُبَّ اسْمٌ:

وَرُبَّ مِنَ الكَلِمَاتِ اللُّغَوِيَّةِ، الَّتِي اخْتَلَفَ النَّحْوِيُّونَ فِي حَرْفِيَّتِهَا، أَوِ اسْمِيَّتِهَا[3]. فَالكُسَائِيُّ، وَمَنْ تَابَعَهُ مِنَ الكُوفِيِّينَ، يَقُولُ: رُبَّ اسْمٌ مَبْنِيٌّ، يُحْكَمُ عَلَى مَوْضِعِهِ بِالإِعْرَابِ.

وَاسْتَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ بِأُمُورٍ مِنْهَا:

1. أَنَّهُ يَصِحُّ الإِخْبَارُ عَنْهَا، كَمَا يُخْبَرُ عَنْ كَمْ، فَقَدْ حَكَى أَنَّ بَعْضَ العَرَبِ يَقُولُ: رُبَّ رَجُلٍ ظَرِيفٌ، بِجَعْلِ (ظَرِيفٌ) خَبَرًا لِـ(رُبَّ)، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَإِنَّ قَتْلَكَ لَمْ يَكُنْ عَارًا عَلَيْكَ، وَرُبَّ قَتْلٍ عَارُ

فَرُبَّ، هُنَا، مُبْتَدَأٌ، خَبَرُهُ عَارٌ".

---

[1] مريم الآية 38.

[2] الأشباه والنظائر 161/4.

[3] ينظر: الأصول في النحو 905/1-510، والإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم121، والتسهيل ص147، وشرح المفصل 17/8، وشرح الكافية 230/2ن والجنى الداني ص407، ومغني اللبيب ص179، وشرح جمل الزجاجي 477/1، والبحر المحيط 442/5، وجواهر الأدب ص217، وهمع الهوامع (بتحقيق عبد العال مكرم) 174/4، ومنهج السالك ص232، والدرر اللوامع على همع الهوامع 27/2.

2. وَأَنَّهَا لَا تَقَعُ إِلَّا فِي صَدْرِ الجُمْلَةِ، عَلَى عَكْسِ حُرُوفِ الخَفْضِ، الَّتِي لَا تَقَعُ إِلَّا مُتَوَسِّطَةً؛ لِكَوْنِهَا تُوصِلُ مَعَانِيَ الأَفْعَالِ إِلَى الأَسْمَاءِ.

3. وَأَنَّهَا فِي التَّقْلِيلِ مِثْلُ كَمْ فِي التَّكْثِيرِ.

لِهَذَا كُلِّه حَكَمَ الكِسَائِيُّ، وَمَنْ وَافَقَهُ مِنَ الكُوفِيِّينَ، عَلَى اسْمِيَّةِ رُبَّ[1]. وَأَمَّا مَوْقِفُ البَصْرِيِّينَ مِنْ رُبَّ، فَيَتَمَثَّلُ فِي أَنَّهَا حَرْفٌ مِنْ حُرُوفِ الخَفْضِ، مَعْنَاهُ تَقْلِيلُ الشَّيْءِ، الَّذِي يَدْخُل عَلَيْه، بِعَكْسِ كَمْ الخَبَرِيَّة، الَّتِي وُضِعَتْ لِلتَّكْثِيرِ. وَقَدِ اسْتَدَلُّوا عَلَى حَرْفِيَّتِهَا، بِأَنَّهُ لَا يَصِحُّ الإِخْبَارُ عَنْهَا، وَلَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا حَرْفُ الجَرِّ، كَمَا يَدْخُلُ عَلَى أَيِّ اسْمٍ، وَأَنَّهَا تُوصِلُ مَعْنَى الفِعْلِ إِلَى مَا بَعْدَهَا، شَأْنُ غَيْرِهَا مِنْ حُرُوفِ الخَفْضِ.

وَمِمَّنْ وَافَقَ الكُوفِيِّينَ مِنَ النَّحْوِيِّينَ فِي اعْتِبَارِ رُبَّ اسْمًا، لَا حرفًا؛ الأَخْفَشُ فِي أَحَدِ قَوْلَيْه[2]، وَابْنُ الطَّرَاوَةِ[3]، وَالرَّضِيُّ، الَّذِي عَزَّزَ مَذْهَبَ الكُوفِيِّينَ، وَقَوَّاهُ؛ لِأَنَّ "مَعْنَى رُبَّ رَجلٍ، فِي أَصْلِ الوَضْعِ، قَلِيلٌ مِنْ هَذَا الجِنْسِ، كَمَا أَنَّ مَعْنَى كَمْ رَجُلٍ: كَثِيرٌ مِنْ هَذَا الجِنْسِ"[4]، إِلَّا أَنَّهُ يَرَى أَنَّ إِعْرَابَهَا يَكُونُ دَائِمًا الرَّفْعَ، عَلَى أَنَّهَا مُبْتَدَأٌ، لَا خَبَرَ لَهُ.

وَإِزَاءَ تَنَاقُضِ أَقْوَالِ النُّحَاةِ فِي رُبَّ، وَحَيْرَتِهِمْ فِي حَقِيقَتِهَا، فَإِنَّنِي أَمِيلُ إِلَى الاعْتِقَادِ بِأَنَّ رُبَّ مِنَ الكَلِمَاتِ اللُّغَوِيَّة، الَّتِي جَاءَتْ مُسْتَعْمَلَةً فِي أُسْلُوبٍ خَاصٍّ، وَبِخَصَائِصَ مُتَمَيِّزَة، تُمَيِّزُهَا مِنْ غَيْرِهَا، أَمَّا القَوْلُ بِاسْمِيَّتِهَا، أَوْ حَرْفِيَّتِهَا، فَإِنَّهُ رَاجِعٌ إِلَى وَظِيفَتِهَا فِي التَّأْلِيف. فَإِذَا كَانَتْ تَقُومُ مَقَامَ اسْمٍ، فَهِيَ اسْمٌ، وَإِذَا كَانَتْ تَقُومُ مَقَامَ حَرْفٍ، فَهِيَ حَرْفٌ، أَمَّا النَّظَرُ إِلَيْهَا، هَكَذَا، مُجَرَّدَةً مِنَ التَّرْكِيبِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَنْ يُسْعِفَنَا فِي التَّعَرُّفِ عَلَى حَقِيقَتِهَا.

وَإِذَنْ اسْمٌ:

مِنَ المَوَادِّ اللُّغَوِيَّة، الَّتِي اخْتَلَفَ النَّحْوِيُّونَ فِي حَقِيقَتِهَا، الكَلِمَةُ إِذَنْ. فَهِيَ حَرْفٌ، أَبَدًا، عِنْدَ سِيبَوَيْه، وَجُمْهُورُ البَصْرِيِّينَ، لَهُ ثَلَاثَةُ أَوْجُه:

الأَوَّلُ: أَنَّهُ حَرْفٌ يَنْصِبُ بِنَفْسِه، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ جَوَابًا، مُسْتَأْنَفًا، دَاخِلًا عَلَى فِعْلٌ، مُسْتَقْبَلٍ، غَيْرِ مُعْتَمِدٍ عَلَى مَا قَبْلَهُ.

الثَّانِي: أَنَّهُ حَرْفٌ، لَا يَنْصِبُ أَبَدًا، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ دَاخِلًا عَلَى فِعْلٍ لِلْحَالِ، مُعْتَمِدًا عَلَى مَا قَبْلَهُ.

---

[1] أَمَّا الفَرَّاءُ فَلَا يَرَى رَأْيَ الكِسَائِيِّ، بَلْ هِيَ عِنْدَهُ حَرْفٌ؛ لِذَلِكَ، فَإِنَّهُ يُسَمِّيهَا أَدَاةً. معاني القرآن 236/2.

[2] التسهيل ص147، وشرح الكافية 330/2، والجنى الداني ص417.

[3] همع الهوامع (المحقق) 174/4، والدرر اللوامع على همع الهوامع 17/2.

[4] شرح الكافية 231/2.

الثَّالثُ: يَجُوزُ فيه الأَمْرَان، وَذَلكَ إِذَا أَدخَلْتَ عَلَيْه حَرْفَ عَطْف كَالوَاو، وَالفَاء.

وَأَمَّا عِنْدَ بَعْضِ الكُوفِيِّينَ، فَ(إِذًا) اسْمٌ مُنَوَّنٌ، الأَصْلُ فيه إِذَا الظَّرْفِيَّةُ، الَّتِي تُلَازِمُ الإِضَافَةَ إِلَى الجُمَلِ، في قَوْلِكَ: إِذَا جئْتَنِي أَكْرَمْتُكَ، إِلَّا أَنَّ الجُمْلَةَ المُضَافَ إِلَيْهَا حُذِفَتْ بَعْدَهَا، وَعُوِّضَ عَنْهَا بِتَنْوِينِ العِوَضِ، وَحُذِفَت الأَلِفُ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ، سُكُونِ الأَلِف، وَسُكُونِ التَّنْوِينِ، فَصَارَتِ الكَلِمَةُ إِذَنْ[1].

وَاصْطِلَاحُ بَعْضِ الكُوفِيِّينَ عَلَى عَدِّ إِذَنْ اسْمًا مُنَوَّنًا، يَبْدُو غَرِيبًا؛ لِإِيغَالِ هَذِهِ الأَدَاةِ فِي الحَرْفِيَّةِ، وَاسْتِعْمَالِهَا كَثِيرًا أَدَاةً، مُوَضِّحَةً لِأَجْزَاءِ الجُمْلَةِ.

لَا اسْمٌ:

وَمِنْ هَذِهِ المَوَادِّ، المُخْتَلَفِ فِي حَقِيقَتِهَا (لَا). فَهِيَ عِنْدَ الكُوفِيِّينَ اسْمٌ، وَعِنْدَ البَصْرِيِّينَ حَرْفٌ، لَا مَوْضِعَ لَهُ مِنَ الإِعْرَابِ[2].

وَمَجِيءُ هَذِهِ الكَلِمَةِ فِي تَرَاكِيبَ خَاصَّةٍ، مُسْتَعْمَلَةً اسْتِعْمَالًا مُتَمَيِّزًا، هُوَ الَّذِي دَفَعَ الكُوفِيِّينَ إِلَى ادِّعَاءِ اسْمِيَّتِهَا، والاصْطِلَاحِ عَلَى ذَلِكَ. فَهُمْ رَأَوْهَا تَأْتِي بِمَعْنَى غَيْرٍ، وَتَقُومُ مَقَامَهَا، وَيَدْخُلُ عَلَيْهَا حَرْفُ الخَفْضِ، كَمَا يَدْخُلُ عَلَى الأَسْمَاءِ، فِي نَحْوِ قَوْلِهِمْ: غَضِبْتُ مِنْ لَا شَيْءٍ، وَجِئْتُ بِلَا مَالٍ؛ لِذَلِكَ عَدُّوهَا اسْمًا لِدُخُولِ الخَافِضِ عَلَيْهَا، وَمَجِيئِهَا بِمَعْنَى غَيْرٍ، وَرَأَوْهَا، أَيْضًا، تُسْتَعْمَلُ اسْمًا يُوصَفُ بِهِ النَّكِرَةُ، فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ}[3]، وَقَوْلِهِ: {وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ}[4].

وَقَدْ نَصَّ الكُوفِيُّونَ أَنْفُسُهُمْ، عَلَى اسْمِيَّةِ (لَا). يَقُولُ الفَرَّاءُ فِيمَا يَنْقُلُهُ عَنْهُ أَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ: "سَبِيلُ (لَا) أَنْ تَأْتِيَ بِمَعْنَى غَيْرٍ، تَقُولُ: مَرَرْتُ بِلَا وَاحِدٍ، وَلَا اثْنَيْنِ"[5]. وَيَقُولُ ثَعْلَبٌ بَعْدَ أَنْ أَنْشَدَ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

فَكَيْفَ بِلَيْلَةٍ لَا نَوْمَ فِيهَا ... وَلَا قَمَرٍ لِسَارِيهَا مُنِيرِ

"وَلَا قَمَرٍ، قَالَ: جَعَلَ لَا التَّبْرِئَةَ تَقُومُ مَقَامَ غَيْرٍ"[6].

---

[1] ينظر: فِي هَذَا الخِلَافِ: شرح الكافية 238/2، ومفتاح العلوم ص52، والجنى الداني ص356، وشرح الأشموني 555/3.

[2] ينظر: الأصول في النحو 464/1، وإعراب القرآن للنحاس 125/1-126، وإعراب مشكل القرآن 72/1، والأمالي الشجرية 230/2، والبحر المحيط 28/1، والجنى الداني ص306، والبرهان في علوم القرآن 361/4.

[3] البقرة الآيَة 68.

[4] الواقعة الآيتان 43، 44.

[5] إعراب القرآن 128/1-129.

[6] مجالس ثعلب ص131، وينظر: إيضاح الوقف والابتداء 140/1.

وَيَتَأَوَّلُ البَصْرِيُّونَ قَوْلَهُمْ: غَضِبْتُ مِنْ لَا شَيْءٍ، وَنَحْوِهِ، عَلَى أَنَّ حَرْفَ الجَرِّ، إِنَّمَا يَعْمَلُ فِيمَا بَعْدَ (لَا)، وَأَنَّ (لَا) حَرْفٌ، وَإِنْ أَدَّتْ مَعْنَى غَيْرٍ. وَيَرَى سِيبَوَيْهِ أَنَّ (لَا) إِنْ كَانَتْ اسْمًا، فَإِنَّهَا لَا تَكُونُ وَحْدَهَا اسْمًا، بَلْ تَكُون هِيَ وَالمُضَافُ إِلَيْهِ مَعًا. فَإِذَا قُلْتَ: أَخَذْتُهُ بِلَا ذَنْبٍ، كَانَتْ (لَا)، وَالمُضَافُ إِلَيْهِ (ذَنْبٍ) اسْمًا وَاحِدًا، وَالتَّقْدِيرُ: أَخَذْتُهُ بِغَيْرِ ذَنْبٍ[1].

مَا المَصْدَرِيَّةُ اسْمٌ:

وَاخْتَلَفَ الكُوفِيُّونَ وَالبَصْرِيُّونَ، أَيْضًا، فِي (مَا) المَصْدَرِيَّةِ، فِي نَحْوِ: قَوْلِكَ: يُعْجِبُنِي مَا صَنَعْتَ؛ اسْمٌ هِيَ أَوْ حَرْفٌ؟

فَزَعَمَ بَعْضُ الكُوفِيِّينَ، وَالأَخْفَشُ، وَابْنُ السَّرَّاجِ مِنَ البَصْرِيِّينَ، أَنَّ (مَا) هَذِهِ اسْمٌ مَوْصُولٌ، مُفْتَقِرٌ إِلَى ضَمِيرِ المَصْدَرِ، سَوَاءٌ أَكَانَ الفِعْلُ مُتَعَدِّيًا، أَمْ غَيْرَ مُتَعَدٍّ. فَإِذَا قُلْتَ: يُعْجِبُنِي مَا صَنَعْتَ، كَانَ التَّقْدِيرُ: يُعْجِبُنِي الصُّنْعُ الَّذِي صَنَعْتَهُ.

وَمَذْهَبُ سِيبَوَيْهِ، وَجُمْهُورِ البَصْرِيِّينَ، أَنَّ (مَا) حَرْفٌ، فَلَا يَعُودُ عَلَيْهَا ضَمِيرٌ مِنْ صِلَتِهَا، وَأَنَّهَا مَعَ مَا بَعْدَهَا بِتَأْوِيلِ مَصْدَرٍ، وَالتَّقْدِيرُ: يُعْجِبُنِي صُنْعُكَ.

وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ، أَيِ عَدُّ مَا اسْمًا مَوْصُولًا، عِنْدَ الفَرَّاءِ. فَقَدْ قَالَ مُفَسِّرًا قَوْلَهُ تَعَالَى: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ}[2]: "وَلَمْ يَقُلْ: بِمَا تُؤْمَرُ بِه، وَاللهُ أَعْلَمُ، أَرَادَ: فَاصْدَعْ بِالأَمْرِ. وَلَوْ كَانَ مَكَانَ (مَا) (مِنْ)، أَوْ (مَا)، مِمَّا يُرَادُ بِه البَهَائِمُ، لَأَدْخَلْتَ بَعْدَهَا البَاءَ، كَمَا تَقُولُ: اذْهَبْ إِلَى مَنْ تُؤْمَرُ بِه، وَارْكَبْ مَا تُؤْمَرُ بِه، وَلَكِنَّهُ فِي المَعْنَى بِمَنْزِلَةِ المَصْدَرِ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ: مَا أَحْسَنَ مَا تَنْطَلِقُ؛ لِأَنَّكَ تُرِيدُ: مَا أَحْسَنَ انْطِلَاقَكَ ... وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ: {يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهِ}[3]، كَأَنَّهُ قِيلَ لَهُ: افْعَلْ الأَمْرَ الَّذِي تُؤْمَرُ"[4].

لَامُ المُسْتَغَاثِ بِه اسْمٌ:

وَيَخْتَلِفُ النَّحْوِيُّونَ، كَذَلِكَ، فِي حَقِيقَةِ لَامِ المُسْتَغَاثِ بِه، اسْمٌ هِيَ، أَمْ حَرْفٌ، فِي نَحْوِ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

فَيَا لَرِازِمٍ رَشِّحُوا بِي مُقَدَّمًا إِلَى المَوْتِ خَوَّاضًا إِلَيْهِ الكَتَائِبَا؟

---

[1] الكتاب 302/2.

[2] الحجر الآية 94.

[3] الصافات الآية 102.

[4] معاني القرآن 93/2-94، وينظر: الجنى الداني ص332، ورصف المباني ص315.

فَجُمْهُورُ البَصْرِيِّينَ قَالُوا: هِيَ لَامُ الجَرِّ، وَزَعَمَ المُبَرِّدُ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ خَرُوف، أَنَّهَا زَائِدَةٌ، وَمَا بَعْدَهَا مُنَادًى[1]. وَذَهَبَ الكُوفِيُّونَ إِلَى أَبْعَدَ مِنْ هَذَا، فَزَعَمُوا أَنَّهَا اسْمٌ مُضَافٌ، وَهِيَ بَقِيَّةُ اسْمٍ، كَمَا أَنَّ المِيمَ مِنَ اللُّهُمَّ بَقِيَّةٌ مِنْ (أُمَّنَا)، وَالأَصْلُ فِيهِ: يَا آلَ رِزَامٍ، ثُمَّ حُذِفَتْ هَمْزَةُ (آلَ)؛ لِلتَّخْفِيفِ، وَإِحْدَى الأَلِفَيْنِ؛ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ، وَاسْتَدَلُّوا عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِ زُهَيْرِ بْنِ مَسْعُودٍ:

فَخَيْرٌ نَحْنُ عِنْدَ النَّاسِ مِنْكُمْ إِذَا الدَّاعِي المُثُوبِ قَالَ: يَالَا

فَلَوْ كَانَتِ اللَّامُ فِي قَوْلِهِ: (يَالَا) جَارَّةً، كَمَا يَزْعُمُ البَصْرِيُّونَ، لَمَا جَازَ الاقْتِصَارُ عَلَيْهَا[2].

وَقَدْ ضَعَّفَ الرَّضِيُّ ادِّعَاءَ الكُوفِيِّينَ؛ "لِأَنَّهُ يُقَالُ ذَلِكَ فِيمَا لَا آلَ لَهُ، نَحْوُ: يَا لَلدَّوَاهِي، وَيَا لَلَّهِ، وَنَحْوُهَا"[3].

وَالَّذِي عِنْدِي أَنَّ ابْنَ مَالِكٍ هُوَ الَّذِي نَسَبَ هَذَا الرَّأْيَ إِلَى الكُوفِيِّينَ، ثُمَّ تَابَعَهُ فِي ذَلِكَ النَّحْوِيُّونَ، وَأَخَذُوا يُرَدِّدُونَ مَا قَالَ. وَالصَّحِيحُ أَنَّ الكُوفِيِّينَ لَمْ يَدَّعُوا أَنَّ لَامَ الاسْتِغَاثَةِ اسْمٌ، بِدَلِيلِ أَنَّنِي لَمْ أَعْثُرْ عَلَى ذَلِكَ فِي مَصَادِرِهِمْ، وَأَنَّ أَبَا حَيَّانَ نَازَعَ فِي ذَلِكَ ابْنَ مَالِكٍ، وَنَقَلَ، أَيْ أَبُو حَيَّانَ، عَنِ الفَرَّاءِ قَوْلَهُ: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ زَعَمَ كَذَا. فَظَاهِرُ عِبَارَةِ: زَعَمَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ لَامَ الاسْتِغَاثَةِ بَقِيَّةُ اسْمٍ؛ أَنَّ ادِّعَاءَ اسْمِيَّةِ لَامِ الاسْتِغَاثَةِ، لَيْسَ مَذْهَبَ الكُوفِيِّينَ، ثُمَّ إِنَّ الفَرَّاءَ لَمْ يَقُلْ بِهِ، وَهُوَ مِنْ رُؤُوسِ الكُوفِيِّينَ[4].

يَاءُ النَّسَبِ اسْمٌ:

وَيَخْتَلِفُ البَصْرِيُّونَ وَالكُوفِيُّونَ فِي يَاءِ النَّسَبِ، المُشَدَّدَةِ، الَّتِي تَلْحَقُ الكَلِمَاتِ؛ لِتَدُلَّ عَلَى مَعْنَى النَّسَبِ، فِي نَحْوِ: كُوفِيٍّ، عَلَوِيٍّ، نَحْوِيٍّ، ثَعْلَبِيٍّ.

فَعِنْدَ الكُوفِيِّينَ أَنَّ يَاءَ النَّسَبِ اسْمٌ، يُحْكَمُ عَلَى مَوْضِعِهِ بِالإِعْرَابِ، وَيَحْتَجُّونَ بِقَوْلِ العَرَبِ: رَأَيْتُ التَّمِيمِيَّ عَدِيٍّ، بِجَرِّ عَدِيٍّ عَلَى البَدَلِ مِنْ يَاءِ النَّسَبِ، فِي التَّمِيمِيِّ. فَالبَدَلِيَّةُ دَلَّتْ عَلَى كَوْنِ اليَاءِ اسْمًا؛ لِأَنَّهُ لَا يُبْدَلُ الاسْمُ إِلَّا مِنِ اسْمٍ مِثْلِهِ.

وَعِنْدَ البَصْرِيِّينَ أَنَّهَا حَرْفٌ، دَالٌّ عَلَى مَعْنَى النَّسَبِ، لَا مَوْضِعَ لَهُ مِنَ الإِعْرَابِ، وَيَتَأَوَّلُونَ قَوْلَ العَرَبِ: رَأَيْتُ التَّمِيمِيَّ عَدِيٍّ، بِجَرِّ عَدِيٍّ؛ عَلَى حَذْفِ المُضَافِ، وَالتَّقْدِيرُ: رَأَيْتُ التَّمِيمِيَّ تَيْمَ عَدِيٍّ[5].

---

[1] مغني اللبيب ص289.

[2] تسهيل الفوائد ص184، وشرح الكافية 134/1، والجنى الداني ص149، ومغني اللبيب ص289-290، وشرح الأشموني مع الصبان 64/3، وهمع الهوامع 181/1، وخزانة الأدب 7/2، والموفي في النحو الكوفي ص68.

[3] شرح الكافية 134/1، وخزانة الأدب 7/2.

[4] همع الهوامع 181/1.

[5] ينظر: شرح المقدمة المحتسبة 273/1-274، وشرح المفصل 142/5، وحاشية الصبان مع الأشموني 176/4.

وَالَّذي يَبْدُو لِي أَنَّ العَرَبَ فِي اسْتِعْمَالِهَا يَاءَ النَّسَبِ المُشَدَّدَة، مَعَ الاسْمِ المَنْسُوب، لَمْ يَكُنْ يَدُورُ فِي خَلَدِهَا أَنْ تَكُونَ اليَاءُ مَعَ الاسْمِ كَلِمَتَيْنِ، مُنْفَصِلَةً إِحْدَاهُمَا عَنِ الأُخْرَى، وَإِنَّمَا الَّذي أَرَادَتْهُ مِنْ هَذَا التَّرْكِيبِ كَلِمَةً وَاحِدَةً، تَتَكَوَّنُ مِنْ كُتْلَةٍ وَاحِدَةٍ، لَا مِنْ كُتْلَتَيْنِ؛ لِتُؤَدِّيَ المَعْنَى، الَّذي صِيغَتْ مِنْ أَجْلِه، عَلَى هَذِه الصُّورَةِ؛ لِذَلِكَ، فَإِنَّنِي أَمِيلُ إِلَى الاعْتِقَادِ بِأَنَّ يَاءَ النَّسَبِ جُزْءٌ، لَا يَتَجَزَّأُ مِنَ الاسْمِ، وَوَحْدَةٌ مُكَمِّلَةٌ لَهُ، صِيغَتَا عَلَى هَيْئَةٍ مَخْصُوصَةٍ؛ لِذَا مِنَ الصَّعْبِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَحِيلًا، أَنْ تُسْتَعْمَلَ هَذِهِ اليَاءُ مُنْفَصِلَةً عَنِ الاسْمِ المَنْسُوبِ.

إِمَّا اسْمٌ:

وَيَخْتَلِفُ الكُوفِيُّونَ مَعَ البَصْرِيِّينَ، أَيْضًا، فِي حَقِيقَةِ التَّرْكِيبِ؛ إِمَّا، وَأَخَوَاتِه: كَأَمَّا، وَلَيْتَمَا، وَلَعَلَّمَا، وَنَحْوِهَا.

فَالبَصْرِيُّونَ يَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّ (إِمَّا)، وَأَخَوَاتِهَا، مُرَكَّبَةٌ مِنْ كَلِمَتَيْنِ: (إِنَّ)، وَ(مَا) الكَافَّة (إِنَّ)، وَأَخَوَاتِهَا عَنْ عَمَلِ الرَّفْعِ، وَالنَّصْبِ فِيمَا بَعْدَهَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ}[1]، وَقَوْلِهِ: "كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى المَوْتِ}[2].

وَأَمَا الكُوفِيُّونَ، وَابْنُ دُرُسْتَوَيْه، كَمَا فِي (مُغْنِي اللَّبِيب)، فَيَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّ (إِمَّا) كُتْلَةٌ وَاحِدَةٌ، تَكُونُ اسْمًا مُبْهَمًا، بِمَنْزِلَةِ ضَمِيرِ الشَّأْنِ فِي التَّفْخِيمِ، وَالإِبْهَامِ، تَكُونُ الجُمْلَةُ بَعْدَهُ مُفَسِّرَةً لَهُ، وَمُخْبَرًا بِهَا عَنْهُ[3].

وَأَوَّلُ مَنْ ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ، مِنَ الكُوفِيِّينَ، الكِسَائِيُّ. فَقَدْ رَوَى خَلَفُ بْنُ هِشَامٍ عَنِ الكِسَائِيِّ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِه تَعَالَى: {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِه مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ}[4]: "أَنَّمَا كُتْلَةٌ وَاحِدَةٌ"[5]. ثُمَّ يَشِيعُ هَذَا المَذْهَبُ بَيْنَ الكُوفِيِّينَ، وَيَأْخُذُ بِه الفَرَّاءُ، فِي كِتَابِ (مَعَانِي القُرْآنِ)، وَابْنُ الأَنْبَارِيِّ فِي كِتَابِ (إِيضَاحِ الوَقْفِ وَالابْتِدَاءِ).

فَالفَرَّاءُ، فِي أَكْثَرَ مِنْ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِه، شَدَّدَ عَلَى أَنَّ (إِنَّمَا) كُتْلَةٌ وَاحِدَةٌ، لَا انْفِصَامَ بَيْنَ أَجْزَائِهَا. يَقُولُ فِي قَوْلِه تَعَالَى: {إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا"[6]: "إِنَّمَا فِي هَذَا المَوْضِعِ حَرْفٌ وَاحِدٌ"[1]. وَاحِدٌ"[1]. وَيَقُولُ: "جَعَلْتَ إِنَّمَا حَرْفًا وَاحِدًا، كَقَوْلِه: {إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا"[2].

---

[1] النساء الآية 171.

[2] الأنفال الآية 6.

[3] مغني اللبيب ص404.

[4] المؤمنون الآية 55.

[5] إيضاح الوقف والابتداء 322/1.

[6] العنكبوت الآية 17.

وَيُبَيِّنُ ابْنُ الأَنْبَارِيِّ حَقِيقَةَ (إِنَّمَا)، عِنْدَمَا تَكُونُ كُتْلَةً وَاحِدَةً، وَيَرَى أَنَّهَا تَكُونُ كَذَلِكَ عِنْدَمَا لَا يَحْسُنُ الاسْمُ المَوْصُولُ الَّذِي فِي مَوْضِعِ (مَا)، فَإِذَا لَمْ يَحْسُنْ كَانَتْ (إِنَّ) مَعَ (مَا) حَرْفًا وَاحِدًا، لَا حَرْفَيْنِ. يَقُولُ: "اعْلَمْ أَنَّ (إِنَّمَا) تَنْقَسِمُ عَلَى قِسْمَيْنِ. إِذَا لَمْ يَحْسُنْ فِي مَوْضِعِ (مَا) الَّذِي، فَهِيَ مَعَ (إِنَّ) حَرْفٌ وَاحِدٌ، لَا يَحْسُنُ السُّكُوتُ عَلَى (إِنَّ) دُونَهَا، كَقَوْلِه: {قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ}[3]. لَا يَحْسُنُ السُّكُوتُ عَلَى (إِنَّ)، فَهِيَ، حِينَئِذٍ، مَعَ (مَا) حَرْفَانِ مُنْفَصِلَانِ، كَقَوْلِكَ: إِنَّمَا ضَرَبْتُهُ زَيْدٌ، وَالتَّقْدِيرُ: إِنَّ الَّذِي ضَرَبْتُهُ زَيْدٌ.

وَالحَقِيقَةُ أَنْ نَظْرَةَ الكُوفِيِّينَ هَذه، فِي جَعْلِ (إِنَّمَا) حَرْفًا وَاحِدًا، تَكُونُ اسْمًا مُبْهَمًا، بِمَنْزِلَةِ ضَمِيرِ الشَّأْنِ فِي التَّفْخِيمِ، وَالإِبْهَامِ؛ تَبْدُو مَقْبُولَةً. فَمَا يُدْرِينَا أَنَّ العَرَبَ قَصَدَتْ مِنْ هَذَا التَّرْكِيبِ (إِنَّ) وَحْدَهَا، وَ(مَا) وَحْدَهَا؟ فَلَا أَظُنَّ العَرَبَ كَانَتْ تَرْمِي إِلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا. فَالعَرَبُ إِنَّمَا نَطَقَتْ عَلَى الفِطْرَةِ، وَبِتَرْكِيبٍ وَاحِدٍ، لَا بِتَرْكِيبَيْنِ؛ لِتُفْصِحَ عَنْ مَعْنَى التَّأْكِيدِ، الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيَكُونَ، لَوْ جَعَلْتَ (إِنَّ) وَحْدَهَا، وَ(مَا) وَحْدَهَا، وَمَا قَوْلُ البَصْرِيِّينَ: إِنَّ (إِنَّمَا) جُزْآنِ، يَنْفَصِلُ أَحَدُهُمَا عَنِ الآخَرِ إِلَّا نَتِيجَةً مِنْ نَتَائِجِ نَظَرِيَّةِ العَامِلِ، الَّتِي أَمْلَتْ عَلَيْهِمُ القَوْلَ: إِنَّهَا مُكَوَّنَةٌ مِنْ (إِنَّ) وَ(مَا)، وَأَنَّ (إِنَّ) حَرْفٌ لَاغٍ، لَا يَعْمَلُ؛ لِأَنَّ (مَا) الكَافَّةَ دَخَلَتْ عَلَيْهِ، وَكَفَّتْهُ عَنِ عَمَلِ الرَّفْعِ، وَالنَّصْبِ.

حَاشَا فِعْلٌ:

حَاشَا كَلِمَةٌ مَأْخُوذَةٌ مِنَ الحَشَا، وَهُوَ النَّاحِيَةُ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ الهُذَلِيِّ:

بِأَيِّ الحَشَا صَارَ الخَلِيطُ المُبَاينُ

أَيْ، بِأَيَّةِ نَاحِيَةٍ صَارَ الخَلِيطُ. وَحَاشَا مِنَ المَوَادِّ اللُّغَوِيَّةِ، الَّتِي اخْتَلَفَ فِي حَقِيقَتِهَا النَّحْوِيُّونَ، وَتَبَايَنَتْ أَقْوَالُهُمْ فِي ذَلِكَ.

فَهِيَ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ، وَأَكْثَرِ البَصْرِيِّينَ، حَرْفُ جَرٍّ[4]، يَعْمَلُ فِيمَا بَعْدَهُ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

حَاشَا أَبِي ثَوْبَانَ إِنَّ بِه ضِنًّا عَلَى المَلْحَاةِ وَالشَّتْمِ

وَعِنْدَ الجَرْمِيِّ، وَالمَازِنِيِّ، وَالزَّجَّاجِيِّ، وَالأَخْفَشِ، وَأَبِي زَيْدٍ[5]، وَالمُبَرِّدِ[1]، تَكُونُ حَرْفًا، وَتَكُونُ فِعْلًا، وَعِنْدَ ابْنِ جِنِّي[2] لَا تَكُونُ إِلَّا فِعْلًا.

---

[1] معاني القرآن 315/2.

[2] معاني القرآن 186/2، وينظر أيضا: 187/2، 213، 283، 410، و100/1-101.

[3] البقرة الآية 11.

[4] ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم37، وأسرار ص207، والبيان في غريب إعراب القرآن 38/2، ومغني اللبيب ص164.

[5] مغني اللبيب ص164.

وَأَمَّا حَقِيقَةُ حَاشَا عِنْدَ نُحَاةِ الكُوفَةِ، فَفِيهَا أَقْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ، كَمَا فِي مَصَادِرِ النَّحْوِ. فَقَدْ نَسَبَ بَعْضُ هَذِهِ المَصَادِرِ إِلَى الكُوفِيِّينَ كَافَّةً القَوْلَ: إِنَّهَا فِعْلٌ مَاضٍ أَصَالَةً[3]، وَإِلَى بَعْضِهِمْ القَوْلَ: إِنَّهَا فِعْلٌ، اسْتُعْمِلَ اسْتِعْمَالَ الأَدَوَاتِ، فَحُذِفَ فَاعِلُهَا[4]. وَقَدْ عَزَا المَرَادِيُّ هَذَا المَذْهَبَ إِلَى الفَرَّاءِ. قَالَ: "وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا هُوَ مَذْهَبُ الفَرَّاءِ". وَنَسَبَ بَعْضُ هَذِهِ المَصَادِرِ، أَيْضًا، إِلَى الفَرَّاءِ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّهَا فِعْلٌ، لَا فَاعِلَ لَهُ[5]. وَلَكِنَّ ابْنَ هِشَامٍ، فِي (مُغْنِي اللَّبِيبِ)، نَسَبَ إِلَى الفَرَّاءِ، وَأَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ مِنَ الكُوفِيِّينَ، أَنَّهُمَا قَالَا: إِنَّ حَاشَا تُسْتَعْمَلُ كَثِيرًا حَرْفًا جَارًّا، وَقَلِيلًا فِعْلًا، مُتَعَدِّيًا، جَامِدًا؛ لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى إِلَّا الاسْتِثْنَائِيَّةِ[6].

وَيَعْتَمِدُ الذَّاهِبُونَ إِلَى أَنَّ حَاشَا حَرْفُ جَرٍّ، يَعْمَلُ فِيمَا بَعْدَهُ الجَرَّ، عَلَى حِجَجٍ تُقَوِّي مَا يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ. مِنْهَا:

1. أَنَّ حَاشَا لَوْ كَانَتْ فِعْلًا، لَا حَرْفًا، لَجَازَ أَنْ تَدْخُلَ عَلَيْهَا نُونُ الوِقَايَةِ، كَمَا تَدْخُلُ عَلَى الأَفْعَالِ، فَلَمَّا لَمْ يَجُزْ ذَلِكَ، فَلَا يُقَالُ: حَاشَانِي، كَمَا يُقَالُ: قَتَلَنِي، كَانَتْ حَرْفًا، لَا فِعْلًا.

2. وَأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ فِعْلًا، لَصَحَّ دُخُولُ (مَا) عَلَيْهَا، كَمَا تَدْخُلُ عَلَى الفِعْلَيْنِ؛ عَدَا، وَخَلَا، لَكِنْ لَمَّا امْتَنَعَ ذَلِكَ، فَلَا يُقَالُ: مَا حَاشَا زَيْدًا، كَمَا يُقَالُ: مَا خَلَا عَمْرًا، وَمَا عَدَا زَيْدًا، كَانَتْ حَرْفًا، لَا فِعْلًا.

2. وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى حَرْفِيَّتِهَا، أَيْضًا، كَوْنُ مَا بَعْدَهَا مَجْرُورًا، فِي نَحْوِ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

حَاشَا أَبِي ثَوْبَانَ إِنَّ بِهِ ... ضِنًّا عَلَى المَلْحَاةِ وَالشَّتْمِ

لِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ فِعْلًا، لَمَا صَحَّ أَنْ يَكُونَ مَا بَعْدَهَا مَجْرُورًا.

وَيَعْتَمِدُ الذَّاهِبُونَ إِلَى أَنَّهَا فِعْلٌ عَلَى الحِجَجِ الآتِيَةِ:

1. تَصَرُّفُهَا، كَمَا تَتَصَرَّفُ الأَفْعَالُ الحَقِيقِيَّةُ، فَيُقَالُ مِنْهَا: حَاشَيْتُ أُحَاشِي، كَمَا يُقَالُ: قَاتَلْتُ أُقَاتِلُ، وَضَارَبْتُ أُضَارِبُ، قَالَ النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيُّ:

---

[1] مشكل إعراب القرآن 385/1، والإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم37، وأسرار العربية ص207، والبيان في غريب إعراب القرآن 38/2، ومعاني الحروف ص118، وشرح المفصل 84/2-85.

[2] مغني اللبيب ص164، وشرح الأشموني مع الصبان 166/2، وهمع الهوامع 232/1-233، والجنى الداني ص511.

[3] الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم37، وأسرار العربية ص207، والبيان في غريب إعراب القرآن 38/2، ورصف المباني ص179، ومغني اللبيب 164/2، والأشموني مع الصبان 166/2، وهمع الهوامع 232/1-233، وخزانة الأدب 404/3، والدرر اللوامع على همع الهوامع 198/1.

[4] الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم37، والجنى الداني ص514، وخزانة الأدب 404/3، والدرر اللوامع على همع الهوامع 198/1.

[5] رصف المباني 179، وشرح المفصل 84/2-85، والجنى الداني 514، وهمع الهوامع 232/1-233.

[6] مغني اللبيب ص164.

وَلَا أَرَى فَاعِلًا فِي النَّاسِ يُشْبِهُهُ
وَلَا أُحَاشِي مِنَ الأَقْوَامِ مِنَ أَحَدِ

2. دُخُولِهَا عَلَى لَامِ الجَرِّ، فِي نَحْوِ: حَاشَا لِبَكْرٍ، وَتَعَلُّقُ هَذِهِ اللَّامُ بِهَا نَفْسِهَا، كَمَا تَعَلَّقُ بِالفِعْلِ، فِي نَحْوِ: قُلْتُ لَكَ، وَأَنَّهُ لَو كَانَتْ حَرْفًا جَارًّا، لَمَا صَحَّ دُخُولُ حَرْفِ جَرٍّ عَلَى حَرْفٍ مِنْ جِنْسِهِ.

3. دُخُولُ الحَذْفِ عَلَيْهَا، فِي نَحْوِ: حَاشَ، حَشَا، حَشْ، عَلَى حَدِّ دُخُولِهِ فِي غَيْرِهَا مِنَ الأَفْعَالِ، فِي نَحْوِ: لَمْ يكُ، وَلَا أَدْرِ، وَارْمِ، وَاغْزُ، وَأَنَّهُ لَوْ كَانَتْ حَرْفًا، لَمَا جَازَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الحَذْفَ لَا يَدْخُلُ الحُرُوفَ، وَإِنَّمَا يَدْخُلُ الأَفْعَالَ، وَالأَسْمَاءَ.

وَيَبْدُو لِي مِنْ هَذِهِ الآرَاءِ، وَالأَقْوَالِ المُخْتَلَفَةِ، المُتَنَاقِضَةِ أَنَّ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُعْتَمَدَ عَلَيْهِ، فِي تَحْقِيقِ هُوِيَّةِ حَاشَا، هُوَ الاسْتِعْمَالُ، وَمَنْزِلَتُهَا فِي التَّأْلِيفِ، وَالتَّرْكِيبِ؛ لِأَنَّهَا قَدْ تَرِدُ فِي تَرْكِيبٍ، وَتَكُونُ فِعْلاً، وَتَرِدُ فِي تَرْكِيبٍ آخَرَ، وَتَكُونُ حَرْفًا؛ لِذَا، فَمَتَى وَقَعَتْ فِي تَرْكِيبٍ، وَاسْتُعْمِلَتْ فِيهِ اسْتِعْمَالَ الأَفْعَالِ، حَكَمْنَا عَلَيْهَا بِأَنَّهَا فِعْلٌ، فِي هَذَا المَوْضِعِ، وَمَتَى وَقَعَتْ فِي تَرْكِيبٍ آخَرَ، وَاسْتُعْمِلَتْ فِيهِ اسْتِعْمَالَ الحُرُوفِ، حَكَمْنَا عَلَيْهَا بِأَنَّهَا حَرْفٌ، فِي هَذَا المَوْضِعِ؛ لِأَنَّهَا مِنَ المَوَادِّ اللُّغَوِيَّةِ، الَّتِي لَا تَخْلُصُ لِلْحَرْفِيَّةِ، فَتَقْبَلُ جَمِيعَ خَوَاصِّ الحُرُوفِ، وَلَا تَخْلُصُ لِلفِعْلِيَّةِ، فَتَقْبَلُ جَمِيعَ خَوَاصِّ الأَفْعَالِ.

لَيْسَ حَرْفٌ:

وَمِنَ المَوَادِّ اللُّغَوِيَّةِ، الَّتِي اخْتَلَفَ النَّحْوِيُّونَ فِي حَقِيقَتِهَا: اسْمٌ هِيَ، أَوْ فِعْلٌ؛ كَلِمَةُ النَّفْيِ لَيْسَ؟

فَمِنَ النُّحَاةِ الَّذِينَ كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ لَيْسَ حَرْفٌ، لَا فِعْلٌ؛ الكِسَائِيُّ، الَّذِي كَانَ يَقُولُ: "أُجْرِيَتْ لَيْسَ فِي النَّسَقِ مُجْرَى لَا"[1]. وَيَقُولُ: "لَيْسَ يَكُونُ حَجْدًا، وَيَكُونُ اسْتِثْنَاءً يَنْصِبُ ... وَرُبَّمَا جَاءَتْ لَيْسَ بِمَعْنَى (لَا)، الَّتِي يُنْسَقُ بِهَا، كَقَوْلِ لَبِيد:

إِنَّمَا يَجْزِي الفتى لَيْسَ الجَمَلْ"[2]

وَمِنْهُمُ الفَرَّاءُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَذْهَبُ، أَيْضًا، إِلَى أَنَّهَا فِعْلٌ، لَا يَتَصَرَّفُ. يَقُولُ الزَّجَّاجِيُّ: "فَأَمَّا لَيْسَ، فَفِيهَا خِلَافٌ. فَالفَرَّاءُ، وَجَمِيعُ الكُوفِيِّينَ يَقُولُونَ: هِيَ حَرْفٌ، وَالبَصْرِيُّونَ يَقُولُونَ: هِيَ فِعْلٌ"[3]. وَقَدْ نَصَّ الفَرَّاءُ عَلَى ذَلِكَ، أَيْضًا، فِي (مَعَانِي القُرْآنِ). فَقَدْ قَالَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا}[4]: "يَجِدُوا فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بِأَنْ، وَلَوْ كَانَتْ رَفْعًا عَلَى أَنْ يُجْعَلَ (لَا)فِي مَذْهَبِ لَيْسَ ... وَكُلَّ مَوْضِعٍ صَلَحَتْ لَيْسَ فِيهِ

---

[1] الصاحبي في فقه اللغة ص170.

[2] لسان العرب 211/6.

[3] اللامات ص7-8.

[4] براءة الآية 92.

فِي مَوْضِعِ (لَا)، فَلَكَ أَنْ تَرْفَعَ الَّذِي بَعْدَ (لَا)، وَتَنْصِبَهُ"[1]. وَكَانَ يَقُولُ: "إِذَا حَسُنَتْ لَيْسَ فِي مَوْضِعِ (لَا) جَازَ، وَأَنْشَدَ:

إِنَّمَا يَجْزِي الفَتَى لَيْسَ الجَمَلْ"[2].

فَالَّذِي يُفْهَمُ مِنْ هَذِهِ الأَقْوَالِ أَنَّ الفَرَّاءَ كَانَ يَرَى أَنَّ لَيْسَ حَرْفُ نَسَقٍ، مِثْلُ لَا، إِلَّا أَنَّهُ، كَمَا قُلْنَا، كَانَ يَذْهَبُ، أَيْضًا، إِلَى أَنَّهَا فِعْلٌ، جَامِدٌ، لَا يَتَصَرَّفُ. يَقُولُ: "وَحَسُنَ ذَلِكَ، أَيْ: دُخُولُ البَاءِ فِي خَبَرِهَا، فِي لَيْسَ أَنْ تَقُولَ: لَيْسَ بِقَائِمٍ أَخُوكَ؛ لِأَنَّ لَيْسَ فِعْلٌ، يَقْبَلُ المُضْمَرَ، كَقَوْلِكَ: لَسْتُ، وَلَسْنَا"[3]. وَيَقُولُ: "قَالُوا: لُسْتُمْ، يُرِيدُونَ لَسْتُمْ، ثُمَّ يَقُولُونَ: لَيْسَ، وَلَيْسُوا سَوَاءً؛ لِأَنَّهُ فِعْلٌ، لَا يَتَصَرَّفُ، لَيْسَ لَهُ يَفْعَلُ"[4].

وَتَابَعَهُم ثَعْلَبٌ فِي حَرْفِيَّةِ لَيْسَ، فَقَدْ كَانَ يَقُولُ: "حَكَى ابْنُ الأَعْرَابِيِّ: قَدْ جَعَلَ النَّاسُ مَا لَيْسَ بَأْسَ بِهِ. جَعَلَ لَيْسَ بِمَعْنَى التَّبْرِئَةِ"[5].

ثُمَّ يُعَمِّمُ بَعْضُ المَصَادِرِ، فَيَنْسِبُ القَوْلَ بِحَرْفِيَّةِ لَيْسَ إِلَى الكُوفِيِّينَ كَافَّةً. فَقَدْ حَكَى المُرَادِيُّ أَنَّ لَيْسَ تَكُونُ حَرْفًا عَاطِفًا عَلَى مَذْهَبِ الكُوفِيِّينَ، بِدَلِيلِ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

أَيْنَ المَفَرُّ وَالإِلَهُ الطَّالِبُ وَالأَشْرَمُ المَغْلُوبُ لَيْسَ الغَالِبُ[6].

لَكِنَّهُ يُفْهَمُ مِمَّا جَاءَ فِي بَعْضِ كُتُبِ النَّحْوِ أَنَّ الكُوفِيِّينَ مِنَ النُّحَاةِ الَّذِينَ قَالُوا بِفِعْلِيَّتِهَا، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا بِحَرْفِيَّتِهَا، وَأَنَّ القَوْلَ بِحَرْفِيَّتِهَا يُنْسَبُ إِلَى غَيْرِهِمْ. فَقَدْ نَسَبَ الرَّضِيُّ[7]، وَالمَالِقِيُّ[8] القَوْلَ بِحَرْفِيَّةِ لَيْسَ لَيْسَ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ الفَارِسِيِّ، وَنَسَبَ ابْنُ هِشَامٍ[9]، وَتَابَعَهُ السُّيُوطِيُّ[10] القَوْلَ بِحَرْفِيَّتِهَا إِلَى ابْنِ السَّرَّاجِ، ثُمَّ زَادَا أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ الفَارِسِيَّ، وَابْنَ شُقَيْرٍ، تَابَعَا ابْنَ السَّرَّاجِ فِي ذَلِكَ.

---

[1] معاني القرآن 448/1.

[2] مجالس ثعلب ص447.

[3] معاني القرآن 43/2.

[4] معاني القرآن 62/3، وينظر: 84/2.

[5] مجالس ثعلب ص123، وينظر أيضا: ص447.

[6] الجنى الداني ص462، وينظر: التسهيل ص174، ومغني اللبيب ص286، والدرر اللوامع على همع الهوامع 190/2.

[7] شرح الكافية 296/2.

[8] رصف المباني ص300-301.

[9] مغني اللبيب ص386.

[10] همع الهوامع 10/1، وشرح ابن عقيل 137/1.

وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ وَهْمًا مِنْهُمْ؛ لِأَنَّ الكِسَائِيَّ وَالكُوفِيِّينَ، كَمَا عَرَفْنَا مِنْ سِيَاقِ الحَدِيثِ، هُمْ أَوَّلُ مِنْ قَالَ بِحَرْفِيَّةِ لَيْسَ، لَا ابْنُ السَّرَّاجِ، وَلَا أَبُو عَلِيٍّ الفَارِسِيُّ، بَلْ هُمَا مُتَابِعَانِ لِلْكُوفِيِّينَ فِي ذَلِكَ.

أَمَّا مَذْهَبُ جُمْهُورِ البَصْرِيِّينَ، فَيَتَمَثَّلُ فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّ لَيْسَ فِعْلٌ، جَامِدٌ، لَا يَتَصَرَّفُ، لَا حَرْفٌ، كَمَا يَذْهَبُ الكُوفِيُّونَ[1].

وَيَسْتَدِلُّ مَنْ قَالَ بِحَرْفِيَّتِهَا بِأَنَّ لَيْسَ كَلِمَةٌ لَا تَتَصَرَّفُ تَصَرُّفَ الأَفْعَالِ، فَلَا يَجِيءُ مِنْهَا اسْمٌ، وَلَا فَاعِلٌ، وَلَا مَفْعُولٌ، وَلَا لَفْظُ المُسْتَقْبَلِ، وَبِأَنَّهَا لَيْسَتْ عَلَى وَزْنِ شَيْءٍ مِنَ الأَفْعَالِ المَعْرُوفَةِ؛ لِسُكُونِ ثَانِيهَا، وَأَنَّهَا لَا تَعْدُوا أَنْ تَكُونَ حَرْفًا، يَدُلُّ عَلَى مَعْنًى فِي غَيْرِهِ، كَ: مِنْ، وَمَا، وَلَا، كَقَوْلِكَ: مَرَرْتُ بِزَيْدٍ لَيْسَ عَمْرٍو.

وَيَسْتَدِلُّ مَنْ قَالَ بِفِعْلِيَّتِهَا بِاتِّصَالِ الضَّمَائِرِ بِهَا، وَانْسِتَارِهَا، وَاتِّصَالِ تَاءِ التَّأْنِيثِ السَّاكِنَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ عَلَامَاتِ الفِعْلِيَّةِ.

وَالَّذِي عِنْدِي أَنَّ لَيْسَ لَيْسَتْ بِفِعْلٍ، كَمَا أَنَّهَا لَيْسَتْ بِحَرْفٍ، لِاتِّصَافِهَا، أَحْيَانًا، بِصِفَاتِ الفِعْلِ، وَأَحْيَانًا أُخْرَى بِصِفَاتِ الحَرْفِ، بَلْ هِيَ مِنَ الكَلِمَاتِ اللُّغَوِيَّةِ، الَّتِي تُسْتَعْمَلُ لِلنَّفْيِ، لَيْسَ غَيْرُ، وَالَّتِي تَطَوَّرَتْ فِي أَصْلِ اسْتِعْمَالِهَا؛ لِتَجْمُدَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ؛ لِتُؤَدِّيَ مَعْنَى النَّفْيِ. فَقَدْ حَكَى العُلَمَاءُ أَنَّ لَيْسَ كَلِمَةٌ مُرَكَّبَةٌ، لَا بَسِيطَةٌ، أَصْلُهَا لَا أَيْسَ، ثُمَّ طُرِحَتِ الهَمْزَةُ، وَأُلْزِقَتِ اللَّامُ بِالْيَاءِ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: إِئْتِنِي مِنْ حَيْثُ أَيْسَ وَلَيْسَ، أَيْ: مِنْ حَيْثُ هُوَ وَلَا هُوَ[2]، وَيَحْكُونَ، أَيْضًا، أَنَّ (الأَيْسَ) أُمِيتَتْ، وَلَمْ تَعُدْ مُسْتَعْمَلَةً[3]، وَخَلَّفَتْ وَرَاءَهَا لَيْسَ المَنْحُوتَةَ مِنَ الحَرْفِ (لَا)، وَالفِعْلِ المُمَاتِ أَيْسَ؛ لِذَلِكَ، فَإِنَّنِي أُرَجِّحُ أَنَّ لَيْسَ كَلِمَةُ نَفْيٍ، لَا هِيَ فِعْلٌ، وَلَا هِيَ حَرْفٌ، وَأَنَّهَا تُسْتَعْمَلُ اسْتِعْمَالًا خَاصًّا، وَمُتَمَيِّزًا.

عَسَى حَرْفٌ:

وَيُشْبِهُ الخِلَافَ فِي لَيْسَ الخِلَافُ فِي عَسَى. فَقَدْ كَانَ ثَعْلَبٌ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ عَسَى حَرْفٌ، فِي نَحْوِ قَوْلِكَ: عَسَى زَيْدٌ قَائِمٌ، وَقَدْ تَابَعَهُ عَلَى ذَلِكَ ابْنُ السَّرَّاجِ[4]، غَيْرَ أَنَّ السِّيرَافِيَّ نَقَلَ القَوْلَ بِحَرْفِيَّتِهَا عَنْ سِيبَوَيْهِ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَتْ بِمَعْنَى لَعَلَّ[5]. وَيَسْتَنِدُ مَنْ ذَهَبَ إِلَى حَرْفِيَّتِهَا إِلَى جُمُودِهَا، وَعَدَمِ تَصَرُّفِهَا.

وَمَذْهَبُ الجُمْهُورِ أَنَّ عَسَى فِعْلٌ مُطْلَقًا، لَا حَرْفٌ؛ لِاتِّصَالِ ضَمِيرِ الرَّفْعِ، وَالتَّاءِ السَّاكِنَةِ بِهَا[6].

---

[1] اللامات ص7-8، وهمع الهوامع 10/1.

[2] القاموس المحيط 259/2-260، وتاج العروس مادة (ليس).

[3] لسان العرب مادة (أيس).

[4] مغني اللبيب ص201، والجنى الداني ص434، وهمع الهوامع 10/1.

[5] شرح التصريح 214/1.

[6] مغني اللبيب ص201، وهمع الهوامع 10/1.

وَلَوْ أَخَذْنَا قَوْلَ ثَعْلَبٍ فِي (الفَصِيحِ): "وَعَسَيْتُ أَنْ أَفْعَلَ ذَاكَ، أَيْ: رَجُوْتُ، وَطَمِعْتُ فِي فِعْلِه. وَلَا يُقَالُ مِنْهُ يَفْعَلُ، وَلَا فَاعِلٌ، وَلَا يُقَالُ مِنْهُ: يَعْسَى، وَلَا عَاسٍ"[1]؛ لأَمْكَنَنَا الاسْتِنْبَاطَ مِنْهُ أَنَّ ثَعْلَبًا كَانَ يَرَى أَنَّهَا فِعْلٌ، لَكِنَّهُ فِعْلٌ جَامِدٌ، لَا يَتَصَرَّفُ، وَلَا يُقَالُ مِنْهُ: يَفْعَلُ، وَلَا فَاعِلٌ، وَلَا يَعْسَى، وَلَا عَاسٍ، كَمَا نَصَّ ثَعْلَبٌ عَلَى ذَلِكَ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ غُمُوضِ هَذَا النَّصِّ، وَإِبْهَامِه، وَبِذَلِكَ يَبْقَى القَوْلُ بِحَرْفِيَّتِهَا مَنْسُوبًا إِلَى ابْنِ السَّرَّاجِ وَحْدَهُ.

وَيُؤَيِّدُ هَذَا الرَّأْيَ مَا جَاءَ فِي (مَجَالِسِ ثَعْلَبٍ). يَقُولُ ثَعْلَبٌ مُعَلِّقًا عَلَى قَوْلِه تَعَالَى: {عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ}[2]: "أَيْ مَا أَقْرَبَه. قَالَ هَذِهِ تُسَمَّى المُقَارَبَةَ. عَسَى عَبْدُ اللهِ يَقُومُ، مِثْلُ: كَادَ عَبْدُ اللهِ يَقُومُ"[3].

فَفِي هَذَا النَّصِّ نَجِدُ ثَعْلَبًا يُسَمِّي عَسَى المُقَارَبَةَ، ثُمَّ يَقِيسُهَا عَلَى الفِعْلِ المُقَارِبِ؛ كَادَ، وَهَذَا يُؤَكِّدُ أَنَّ ثَعْلَبًا كَانَ يَقُولُ بِفِعْلِيَّةِ هَذِهِ المَادَّةِ، لَا بِحَرْفِيَّتِهَا، كَمَا ذَكَرَ ابْنُ هِشَامٍ، وَالسُّيُوطِيُّ.

إِذَا الفُجَائِيَّةُ حَرْفٌ:

وَفِي إِذَا الفُجَائِيَّةِ مِنْ قَوْلِكَ: خَرَجْتُ فَإِذَا الأَسَدُ رَابِضٌ، خِلَافٌ بَيْنَ النَّحْوِيِّينَ.

فَمِنْهُمْ مِنْ زَعَمَ أَنَّهَا ظَرْفُ زَمَانٍ، كَالزَّجَّاجِ[4]، وَالرِّيَاشِيِّ، وَابْنِ طَاهِرٍ، وَابْنِ خَرُوفٍ، وَنُسِبَ هَذَا هَذَا الرَّأْيُ إِلَى المبَرِّدِ، وَقِيلَ هُوَ ظَاهِرُ كَلَامِ سِيبَوَيْهِ[5].

وَمِنْهُمْ مِنْ زَعَمَ أَنَّهَا ظَرْفُ مَكَانٍ؛ لِأَنَّهَا تَكُونُ خَبَرًا عَنِ الجُثَّةِ، فِي نَحْوِ: خَرَجْتُ فَإِذَا زَيْدٌ. وَهُوَ مَذْهَبُ المبَرِّدِ[6]، وَالفَارِسِيِّ، وَابْنِ جِنِّي[7]، وَنُسِبَ إِلَى سِيبَوَيْهِ[8].

وَمِنْهُمْ، وَهُمُ الكُوفِيُّونَ[9]، زَعَمُوا أَنَّهَا حَرْفٌ، وَحُكِيَ هَذَا المَذْهَبُ عَنِ الأَخْفَشِ، وَاخْتَارَهُ أَبُو عَلِيٍّ الشَّلَوْبِينُ، فِي أَحَدِ قَوْلَيْه، وَإِلَيْه ذَهَبَ ابْنُ مَالِكٍ، وَصَحَّحَهُ[10].

---

[1] الفصيح ص4.

[2] الإسراء الآية 8.

[3] مجالس ثعلب ص307.

[4] شرح الكافية 103/1.

[5] الجنى الداني ص365.

[6] شرح الكافية 103/1.

[7] سر صناعة الإعراب 256/1.

[8] الجنى الداني ص365.

[9] الجنى الداني ص366، والبحر المحيط 6/1، و259/6.

[10] الجنى الداني ص366.

وَلَكِنَّ مَا جَاءَ فِي (الإِنْصَافِ فِي مَسَائِلِ الخِلَافِ) عَنِ الكُوفِيِّينَ، يُخَالِفُ مَا نَسَبَهُ إِلَيْهِمْ أَبُو حَيَّانَ، وَالمُرَادِيُّ. فَفِي احْتِجَاجِهِمْ فِي المَسْأَلَةِ الزُّنْبُورِيَّةِ عَلَى صِحَّةِ قَوْلِهِمْ: كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ العَقْرَبَ أَشَدُّ لَسْعَةً مِنَ الزُّنْبُورِ، فَإِذَا هُوَ إِيَّاهَا، ذَهَبُوا إِلَى أَنَّهَا ظَرْفُ مَكَانٍ، لَا حَرْفٌ. جَاءَ فِي نَصِّهِ: "وَأَمَا مِنْ جِهَةِ القِيَاسِ، فَقَالُوا، أَيِ الكُوفِيُّونَ: إِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ؛ لِأَنَّ (إِذَا) إِذَا كَانَتْ لِلْمُفَاجَأَةِ، كَانَتْ ظَرْفَ مَكَانٍ، وَالظَّرْفُ يَرْفَعُ مَا بَعْدَهُ، وَتَعْمَلُ فِي الخَبَرِ عَمَلَ وَجَدْتُ؛ لِأَنَّهَا بِمَعْنَى وَجَدْتُ"[1].

[1] الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم99.

الفَصْلُ الثَّالِثُ
مَعَانٍ جَدِيدَةٌ أَضَافَهَا الكُوفِيُّونَ لِبَعْضِ الأَدَوَاتِ

مَعَانٍ جَدِيدَةٌ أَضَافَهَا الكُوفِيُّونَ لِبَعْضِ الأَدَوَاتِ

تُسْتَعْمَلُ الأَدَوَاتُ فِي الكَلَامِ عَنَاصِرَ، أَوْ وَسَائِلَ نَحْوِيَّةً مُجَرَّدَةً، وَظِيفَتُهَا التَّعْبِيرُ عَنِ العَلَاقَاتِ الدَّاخِلِيَّةِ بَيْنَ أَجْزَاءِ الجُمْلَةِ، وَتوْضِيحُهَا. وَتَكْتَسِبُ الأَدَوَاتُ مَعَانِيَهَا مِنْ خِلَالِ مَنْزِلَتِهَا فِي التَّأْلِيفِ، وَتَتَعَدَّدُ، تَبَعًا لِهَذِهِ المَنْزِلَةِ؛ لِذَلِكَ تَجِدُ البَصْرِيِّينَ وَالكُوفِيِّينَ يَخْتَلِفُونَ فِي بَعْضِ مَعَانِي هَذِهِ الأَدَوَاتِ، فَيُضِيفُ إِلَيْهَا فَرِيقٌ مَعَانِيَ جَدِيدَةً، يُنْكِرُهَا الفَرِيقُ الآخَرُ. وَفِيمَا يَأْتِي بَيَانٌ لِمَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ المَعَانِي.

إِنْ:

أَضَافَ الكُوفِيُّونَ إِلَى مَعَانِي إِنْ، مَعْنَيَيْنِ جَدِيدَيْنِ، أَنْكَرَهُمَا البَصْرِيُّونَ.

1. أَنْ تَكُونَ لِلتَّعْلِيلِ، بِمَعْنَى إِذْ، وَخَرَّجُوا عَلَيْهِ عَدَدًا مِنَ الشَّوَاهِدِ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[1]، وَقَوْلُهُ: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا}[2]، وَقَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَسَمِعْتُ حَلْفَتَهَا الَّتِي حَلَفَتْ ... إِنْ كَانَ سَمْعُكَ غَيْرَ ذِي وَقَرِ

فَ(إِنْ)، فِي هَذِهِ الأَمْثِلَةِ، وَنَحْوِهَا، لَيْسَتْ شَرْطِيَّةً، مُفِيدَةً الشَّكَّ، كَمَا يَرَى البَصْرِيُّونَ، وَإِنَّمَا هِيَ تَعْلِيلِيَّةٌ، بِمَعْنَى إِذْ[3].

وَمِمَّنْ قَالَ بِهَذَا المَعْنَى، مِنْ غَيْرِ الكُوفِيِّينَ، يَحْيَى بْنُ سَلَّامٍ، وَخَرَّجَ عَلَيْهِ عَدَدًا مِنَ الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ الكَرِيمَةِ[4].

---

[1] آل عمران الآية 139.

[2] البقرة الآية 23.

[3] ينظر: معاني القرآن 27/3، والإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم88، والتسهيل ص240، وشرح الكافية 253/2، ومغني اللبيب ص40-41، والبرهان في علوم القرآن 219/4، وهمع الهوامع 59/2، والإتقان في علوم القرآن 202/1، وشرح أبيات مغني اللبيب 120/1.

[4] التصاريف ص195.

2. وَأَنْ تَكُونَ للتَّحْقيق، بمَعْنَى قَدْ، وَحَمَلُوا عَلَى ذَلكَ قَوْلَهُ تَعَالَى: {فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى}[1]، أَيْ: قَدْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى. وَحَكَى ثَعْلَبٌ أَنَّ العَرَبَ تَقُولُ: إِنْ قَامَ زَيْدٌ، بمَعْنَى: قَدْ قَامَ زَيْدٌ، وَأَنَّ الكِسَائِيَّ قَالَ: "سَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَهُ، فَظَنَنْتُهُ شَرْطًا، فَسَأَلْتُهُمْ، فَقَالُوا: قَدْ قَامَ زَيْدٌ، وَلَا تُرِيدُ: مَا قَامَ زَيْدٌ"[2].

لَكِنَّ الفَرَّاءَ قَيَّدَ مَجِيءَ إِنْ بمَعْنَى قَدْ، بِدُخُول اللَّام مَعَهَا، كَقَوْل الشَّاعِر:

شَلَّتْ يَمِينُكَ إِنْ قَتَلْتَ لَمُسْلِمًا ... حَلَّتْ عَلَيْكَ عُقُوبَةُ المُتَعَمِّدِ

أَوْ بِدُخُول أَلَا، كَمَا فِي قَوْل الشَّاعِر:

أَلَا إِنْ سَرَى لَيْلِي فَبِتُّ كَئِيبًا ... أُحَاذِرُ أَنْ تَنْأَى النَّوَى بِغَضُوبَا

وَالمَعْنَى فِي البَيْتِ الأَوَّل: قَدْ قَتَلْتُ مُسْلِمًا، وَفِي الثَّانِي: قَدْ سَرَى لَيْلِي[3].

وَوَافَقَ يَحْيَى بْنُ سَلَّامٍ الكُوفِيِّينَ عَلَى هَذَا المَعْنَى، وَحَمَلَ عَلَيْهِ عَدَدًا مِنَ الآيَاتِ الكَرِيمَةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ}[4]، وَقَوْلِهِ: {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ}[5]، أَيْ قَدْ كَادُوا[6].

لَوْ:

وَأَضَافُوا إِلَى مَعَانِي لَوْ مَعْنًى آخَرَ، وَهُوَ أَنْ تَكُونَ بمَعْنَى أَنْ المَصْدَرِيَّة، غَيْرَ أَنَّهَا لَا تَعْمَلُ النَّصْبَ، كَمَا تَعْمَلُ أَنْ. وَلَوْ المَصْدَرِيَّةُ أَكْثَرُ مَا تَكُونُ بَعْدَ الفِعْلِ وَدَّ، وَيَوَدُّ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {ودَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُون عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ}[7]، وَقَوْلِهِ: {وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ}[8]، وَقَوْلِهِ: {وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا}[9]. قَالَ الفَرَّاءُ:"... نَعَمْ، ذَلِكَ جَائِزٌ فِي وَدِدْتُ؛ لِأَنَّ العَرَبَ تَلْقَاهُا مَرَّةً بِـ(أَنْ)، وَمَرَّةً بِـ(لَوْ)، فَيَقُولُونَ: لَوَدِدْتُ لَوْ ذَهَبَ عَنَّا، وَوَدِدْتُ أَنْ تَذْهَبَ عَنَّا، فَلَمَّا صَلُحَتْ بِـ(لَوْ)، وَبِـ(أَنْ)، وَمَعْنَاهُمَا جَمِيعًا الاسْتِقْبَالُ، وَاسْتَجَازُوا أَنْ يَرُدُّوا فَعَلَ بِتَأْوِيلِ لَوْ، عَلَى يَفْعَلُ مَعَ أَنْ ..."[10].

---

[1] الأعلى الآية 9.

[2] تهذيب اللغة 568/15، وينظر: إيضاح الوقف والابتداء 324/1، والجنى الداني ص234، ولسان العرب 35/13.

[3] الأضداد ص189-190، وينظر: شرح أبيات مغني اللبيب 156/1.

[4] الإسراء الآية 76.

[5] الإسراء الآية 73.

[6] التصاريف ص196.

[7] النساء الآية 102.

[8] القلم الآية 9.

[9] آل عمران الآية 30.

[10] معاني القرآن 175/1، وينظر: الجنى الداني ص297.

وَوَافَقَ الكُوفِيِّينَ عَلَى هَذَا المَعْنَى لِـ(لَوْ) عَدَدٌ مِنَ البَصْرِيِّينَ، مِنْهُمْ أَبُو عَلِيٍّ الفَارِسِيُّ، وَالتِّبْرِيزِيُّ، وَالعُكْبُرِيُّ، وَابْنُ مَالِكٍ[1]، عَلَى حِينَ أَنْكَرَهُ جُمْهُورُهُمْ، وَلَمْ يُثْبِتْهُ.

كَأَنَّ:

وَأَضَافَ الكُوفِيُّونَ إِلَى مَا عَرَفَهُ البَصْرِيُّونَ فِي كَأَنَّ، وَهُوَ التَّشْبِيهُ، ثَلَاثَةَ مَعَانٍ:

1. الظَّنُّ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ خَبَرُهَا جُمْلَةً فِعْلِيَّةً، أَوْ ظَرْفًا، أَوْ صِفَةً مِنْ صِفَةِ أَسْمَائِهَا، نَحْوُ قَوْلِكَ: كَأَنَّ زَيْدًا قَامَ، أَوْ يَقُومُ، أَوْ فِي الدَّارِ، أَوْ عِنْدَكَ، أَوْ قَائِمٌ[2]. وَإِلَى هَذَا المَعْنَى ذَهَبَ، أَيْضًا، ابْنُ الطَّرَاوَةِ، وَابْنُ السِّيد.

2. التَّحْقِيقُ وَالوُجُوبُ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

فَأَصْبَحَ بَطْنُ مَكَّةَ مُقْشَعِرًّا كَأَنَّ الأَرْضَ لَيْسَ بِهَا هِشَامُ

وَوَافَقَهُمْ، عَلَى هَذَا المَعْنَى مِنَ البَصْرِيِّينَ، الزَّجَّاجِيُّ[3].

3. التَّقْرِيبُ، أَيْ تَقْرِيبُ حُدُوثِ الفِعْلِ، كَقَوْلِهِمْ: كَأَنَّكَ بِالشِّتَاءِ مُقْبِلٌ، وَكَأَنَّكَ بِالفَرَجِ آتٍ. وَالمَعْنَى تَقْرِيبُ إِقْبَالِ الشِّتَاءِ، وَإِتْيَانِ الفَرَجِ[4].

لَعَلَّ:

وَأَضَافُوا إِلَى مَا عَرَفَهُ البَصْرِيُّونَ فِي لَعَلَّ، وَهُوَ التَّرَجِّي وَالإِشْفَاقُ، أَرْبَعَةَ مَعَانٍ:

1. الاسْتِفْهَامُ. وَحَمَلُوا عَلَى هَذَا المَعْنَى قَوْلَهُ تَعَالَى: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى}[5]، وَقَوْلَ الرَّسُولِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَعَلَّنَا أَعْجَلْنَاكَ"، مُسْتَدِلِّينَ بِتَعْلِيقِ الفِعْلِ قَبْلَهَا بِهَا؛ لِأَنَّهَا أَدَاةُ اسْتِفْهَامٍ، وَأَدَوَاتُ الاسْتِفْهَامِ، كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ، لَهَا الصَّدَارَةُ، فَلَا يَعْمَلُ مَا قَبْلَهَا فِيمَا بَعْدَهَا[6].

---

[1] الجنى الداني ص297.

[2] الجنى الداني ص520، وشرح التصريح 212/1.

[3] مغني اللبيب ص353، والجنى الداني ص519، وشرح التصريح 212/1، وهمع الهوامع 133/1، والدرر اللوامع على همع الهوامع 111/1.

[4] مغني اللبيب ص254، والجنى الداني ص521، وهمع الهوامع 133/1.

[5] عبس الآية 3.

[6] الأصول في النحو 193/2، والصاحبي في فقه اللغة ص170، ومغني اللبيب ص379، وشرح التصريح 213/1، وهمع الهوامع 134/1.

2. التَّعْليلُ. وَقَدْ أَثْبَتَ هَذَا المَعْنَى الكِسَائِيُّ وَالأَخْفَشُ[1]، أَوِ الكُوفِيُّونَ عَامَّةً[2]. وَخُرِّجَ عَلَى هَذَا المَعْنَى قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}[3]، وَمَا حَكَاهُ الأَخْفَشُ مِنْ قَوْلِ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: أَفْرِغْ عَمَلَكَ؛ لَعَلَّنَا نَتَغَدَّى، أَيْ: لِنَتَغَدَّى.

وَهَذَا المَعْنَى، أَعْنِي مَجِيءَ لَعَلَّ لِلتَّعْلِيلِ، أَكَّدَتْهُ مَصَادِرُ الكُوفِيِّينَ أَنْفُسِهِمْ[4].

3. الشَّكُّ. وَمِثَالُهُ قَوْلُكَ: لَعَلَّكَ تَشْتِمُنَا، فَأَقُومَ إِلَيْكَ، أَيْ: ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَشْتِمُنَا، فَسَأَقُومُ إِلَيْكَ[5].

4. أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى خَلِيقٍ. ذَكَرَ هَذَا المَعْنَى عِنْدَ الكُوفِيِّينَ ابْنُ السَّرَّاجِ فِي (الأُصُولِ فِي النَّحْوِ)[6].

وَالبَصْرِيُّونَ لَا يُثْبِتُونَ هَذِهِ المَعَانِيَ لِـ(لَعَلَّ)، وَيُرْجِعُونَهَا إِلَى مَعْنَى التَّرَجِّي، وَالإِشْفَاقِ.

أَنْ:

وَأَثْبَتَ الكُوفِيُّونَ لِـ(أَنْ) مَعْنًى جَدِيدًا آخَرَ هُوَ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى لَعَلَّ. فَقَدْ حَكَى الفَرَّاءُ عَنِ العَرَبِ: مَا أَدْرِي أَنَّكَ صَاحِبُهَا، المَعْنَى: لَعَلَّكَ صَاحِبُهَا. قَالَ: "وَهُوَ وَجْهٌ جَيِّدٌ أَنْ تَجْعَلَ أَنْ فِي مَوْضِعِ لَعَلَّ"[7].

أَوْ:

وَلِـ(أَوْ)، عِنْدَ البَصْرِيِّينَ، مَعَانٍ خَمْسَةٌ، هِيَ: الشَّكُّ، وَالإِبْهَامُ، وَالتَّخْيِيرُ، وَالإِبَاحَةُ، وَالتَّفْصِيلُ، وَزَادَ الكُوفِيُّونَ إِلَى هَذِهِ المَعَانِي مَعْنَيَيْنِ جَدِيدَيْنِ:

1. أَنْ تَكُونَ لِلْجَمْعِ، بِمَنْزِلَةِ الوَاوِ. أَثْبَتَ هَذَا المَعْنَى الكُوفِيُّونَ إِلَّا الفَرَّاءَ، وَحَمَلُوا عَلَيْهِ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

فَلَوْ كَانَ البُكَاءُ يَرُدُّ شَيْئًا بَكَيْتُ عَلَى بُجَيْرٍ أَوْ عَفَاقِ

عَلَى المَرْأَيْنِ إِذْ هَلَكَا جَمِيعًا لِشَأْنِهِمَا بِشَجْوٍ وَاشْتِيَاقِ

المَعْنَى: بَكَيْتُ عَلَى بُجَيْرٍ وَعَفَاقٍ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ بَعْدَ ذَلِكَ: عَلَى المَرْأَيْنِ، اللَّذَيْنِ هُمَا بَدَلٌ مِنْ بُجَيْرٍ وَعَفَاقٍ. وَمِنْهُ قَوْلُ تَوْبَةَ:

---

[1] مغني اللبيب ص379، والجنى الداني ص527، وشرح التصريح 213/1، وهمع الهوامع 134/1.

[2] الأصول في النحو 314/1، ولسان العرب 473/11.

[3] طه الآية 44.

[4] إيضاح الوقف والابتداء 612/2.

[5] الأصول في النحو 314/1، و139/2، والصاحبي في فقه اللغة ص170، والجنى الداني ص528، وهمع الهوامع 134/1.

[6] الأصول في النحو 314/1.

[7] معاني القرآن 350/1، وإيضاح الوقف والابتداء 642/2.

وَقَدْ زَعَمَتْ لَيْلَى بِأَنِّي فَاجِرٌ لِنَفْسِي تُقَاهَا أَوْ عَلَيْهَا فُجُورُهَا

أَيْ: وَعَلَيْهَا فُجُورُهَا[1].

وَمِمَّنْ قَالَ بِهَذَا المَعْنَى، مِنْ غَيْرِ الكُوفِيِّينَ، الأَخْفَشُ، وَالجَرْمِيُّ[2]، وَيَحْيَى بْنُ سَلَّامٍ[3]. أَمَّا الفَرَّاءُ، فَيُنْكِرُ، كَالبَصْرِيِّينَ، هذا المعنى لـ(أَوْ)، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ فِي كَلَامٍ لَهُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى}[4]، قَالَ: "قَالَ المُفَسِّرُونَ مَعْنَاهُ: وَإِنَّا لَعَلَى هُدًى، وَأَنْتُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، مَعْنَى أَوْ مَعْنَى الوَاوِ عِنْدَهُمْ، وَهُوَ كَذَلِكَ فِي المَعْنَى، غَيْرَ أَنَّ العَرَبِيَّةَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، لَا تَكُونُ أَوْ بِمَنْزِلَةِ الوَاوِ، وَلَكِنَّهَا تَكُونُ فِي الأَمْرِ المُفَوَّضِ، كَمَا تَقُولُ: إِنْ شِئْتَ فَخُذْ دِرْهَمًا، أَوِ اثْنَيْنِ، فَلَهُ أَنْ يَأْخُذَ وَاحِدًا، أَوِ اثْنَيْنِ، وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ ثَلَاثَةً. وَفِي قَوْلِ مَنْ لَا يُبْصِرُ العَرَبِيَّةَ يَجْعَلُ أَوْ بِمَنْزِلَةِ الوَاوِ، وَيُجَوِّزُ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ ثَلَاثَةً؛ لِأَنَّهُ فِي قَوْلِهِمْ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكَ: خُذْ دِرْهَمًا وَاثْنَيْنِ. وَالمَعْنَى فِي قَوْلِهِ: {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ}: إِنَّا لَضَالُّونَ، أَوْ مُهْتَدُونَ، وَإِنَّكُمْ، أَيْضًا، لَضَالُّونَ، أَوْ مُهْتَدُونَ"[5].

2. الإِضْرَابُ، بِمَعْنَى بَلْ. يَرَى سِيبَوَيْهِ، وَالبَصْرِيُّونَ أَنَّ أَوْ لَا تَكُونُ لِلإِضْرَابِ إِلَّا إِذَا تَقَدَّمَهَا نَفْيٌ، أَوْ نَهْيٌ، وَأُعِيدَ العَامِلُ، كَقَوْلِكَ: مَا قَامَ زَيْدٌ، أَوْ مَا قَامَ عَمْرٌو، وَلَا يُقِيمُ زَيْدٌ، أَوْ لَا يُقِيمُ عَمْرٌو[6].

وَأَمَا الكُوفِيُّونَ، فَإِنَّهُمْ يَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّهَا تَأْتِي لِلإِضْرَابِ مُطْلَقًا، مِنْ دُونِ أَنْ يَتَقَدَّمَهَا نَفْيٌ، أَوْ نَهْيٌ، وَأَنْ يُعَادَ العَامِلُ. وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ عَنِ الكُوفِيِّينَ. قَالَ الفَرَّاءُ: "أَوْ فِي مَعْنَى بَلْ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ: {وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ}[7]، وَأَنْشَدَنِي بَعْضُ العَرَبِ:

بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى وَصُورَتُهَا أَوْ أَنْتِ فِي العَيْنِ أَمْلَحُ

يُرِيدُ: بَلْ أَنْتِ"[8]. وَمِمَّنْ قَالَ بِهَذَا المَعْنَى، مِنْ غَيْرِ الكُوفِيِّينَ، يَحْيَى بْنُ سَلَّامٍ[9].

---

[1] إيضاح الوقف والابتداء 441/1، والأضداد ص279، 280، ومعاني الحروف ص78-79، والأمالي الشجرية 319/2، والإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم67، والبيان 308/2، وشرح جمل الزجاجي 334/1، وتهذيب اللغة 135/10، وأوضح المسالك 53/3، ومغني اللبيب ص88، والجنى الداني ص247، والبحر المحيط 83/1، ولسان العرب 473/11، وشرح التصريح 145/2-146، وشرح أبيات مغني اللبيب 21/2، 22، 33، 54.

[2] مغني اللبيب ص88، وشرح التصريح 145/2-146.

[3] التصاريف ص258.

[4] سبأ الآية 24.

[5] معاني القرآن 362/2، وينظر: مجالس ثعلب ص112.

[6] مغني اللبيب ص91، وشرح التصريح 2-145-146.

[7] الصافات الآية 147.

[8] معاني القرآن 72/1، وينظر: 393/2، ومجالس ثعلب ص112، وإيضاح الوقف والابتداء 440/1، والأضداد ص281، والجنى الداني ص246.

[9] التصاريف ص258.

وَزَادَ الفَرَّاءُ عَلَى هَذَيْنِ المَعْنَيَيْنِ أَنْ تَكُونَ بِمَنْزِلَةِ (لَا) فِي الجَحْدِ، وَالاسْتِفْهَامِ، وَالجَزَاءِ، يَقُولُ، مُعَلِّقًا عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: "وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا}[1]: "أَوْ هَهُنَا بِمَنْزِلَةِ (لَا)، وَ(أَوْ) فِي الجَحْدِ، وَالاسْتِفْهَامِ، وَالجَزَاءِ، تَكُونُ بِمَعْنَى (لَا)، فهَذَا مِنْ ذَلِكَ[2].

الفَاءُ:

وَأَضَافَ هِشَامٌ، مِنَ الكُوفِيِّينَ، إِلَى مَعَانِي الفَاءِ العَاطِفَةِ مَعْنًى جَدِيدًا، هُوَ أَنْ تَسْتَعْمَلَ بِمَعْنَى إِلَى، وَحَمَلَ عَلَيْهِ قَوْلَ امْرِئِ القَيْسِ:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسَقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

وَالمَعْنَى: مَا بَيْنَ الدَّخُولِ إِلَى حَوْمَلٍ[3].

هَلْ:

وَزَادَ الكُوفِيُّونَ فِي مَعَانِي هَلْ ثَلَاثَةَ مَعَانٍ أُخْرَى، هِيَ:

1. أَنْ تَكُونَ للتَّحْقِيقِ، بِمَعْنَى قَدْ، وَحَمَلُوا عَلَيْهِ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: {هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ}[4]، مَعْنَاهُ: قَدْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ"، مَعْنَاهُ: اللَّهُمَّ قَدْ بَلَّغْتَ[5].

وَوَافَقَ الكُوفِيِّينَ، مِنَ البَصْرِيِّينَ عَلَى هَذَا المَعْنَى، المبَرِّدُ، وَالزَّمَخْشَرِيُّ، الَّذِي زَعَمَ أَنَّ هَلْ لَا تَأْتِي إِلَّا بِمَعْنَى قَدْ، وَأَنَّ الاسْتِفْهَامَ فِيهَا إِنَّمَا هُوَ مُسْتَفَادٌ مِنْ هَمْزَةٍ، مُقَدَّرَةٍ فِيهَا[6].

2. أَنْ تَكُونَ للنَّفْيِ. وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

فَهَلْ أَنْتُمُ إِلَّا أَخُونَا فَتَحْدَبُوا عَلَيْنَا إِذَا نَابَتْ عَلَيْنَا النَّوَائِبُ

وَقَوْلُ الآخَرِ:

تَقُولُ إِذَا اقْلَوْلَى عَلَيْهَا وَأَقْرَدَتْ أَلَا هَلْ أَخُو عَيْشٍ لَذِيذٍ بِدَائِمِ

وَقَوْلُ دُرَيْدِ بْنِ الصِّمَّةِ:

وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غُزَيَّةَ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وَإِنْ تَرْشُدْ غُزَيَّةُ أَرْشُدِ

---

[1] الإنسان الآية 24.

[2] معاني القرآن 219/3، وينظر: إعراب القرآن للنحاس 107/5.

[3] شرح الكافية 240/2، والجنى الداني ص131.

[4] الإنسان الآية 1.

[5] معاني القرآن 213/3، وإيضاح الوقف والابتداء 885/2، والأضداد ص191، 192، 193.

[6] مغني اللبيب ص455.

فَ(هَلْ)، فِي هَذِهِ الأَبْيَاتِ، أَدَاةُ نَفْيٍ، لَا أَدَاةُ اسْتِفْهَامٌ، وَالمَعْنَى: مَا أَنْتُمْ، وَمَا أَخُو عَيْشٍ، وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ غُزَيَّةَ[1].

3. أَنْ تَكُونَ لِلْأَمْرِ، كَقَوْلِكَ لِلرَّجُلِ: هَلْ أَنْتَ سَاكِتٌ؟ مَعْنَاهُ: اسْكُتْ[2].

إِلَّا:

نَسَبَ المُتَأَخِّرُون إِلَى النَّحْوِيِّينَ الكُوفِيِّينَ عَامَّةً، وَالفَرَّاءِ خَاصَّةً، أَنَّهُمْ يُقَدِّرُونَ (إِلَّا) فِي الاسْتِثْنَاءِ المُنْقَطِعِ، فِي نَحْوِ: جَاءَ التَّلَامِيذُ إِلَّا حَقَائِبَهُمْ، بِمَعْنَى سِوَى، وإِلَى البَصْرِيِّينَ أَنَّهُمْ يُقَدِّرُونَهَا بِمَعْنَى لَكِنْ[3].

وَلَكِنَّ مَا جَاءَ فِي أَقْوَالِ الفَرَّاءِ يَدْفَعُ هَذِهِ النِّسْبَةَ. فَهُوَ يَرَى أَنَّ إِلَّا فِي الاسْتِثْنَاءِ المُنْقَطِعِ لَا تَكُونُ بِمَعْنَى سِوَى، إِلَّا إِذَا كَانَ المُسْتَثْنَى وَاقِعًا فِي زَمَنٍ بَعِيدٍ عَنْ زَمَنِ وُقُوعِ المُسْتَثْنَى مِنْهُ. قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ}[4]: "فَ(إِلَّا)، فِي هَذَا المَوْضِعِ، بِمَنْزِلَةِ سِوَى، كَأَنَّهُ قَالَ: لَا تَنْكِحُوا، لَا تَفْعَلُوا سِوَى مَا قَدْ فَعَلَ آبَاؤُكُمْ"[5].

وَأَمَا إِذَا لَمْ يَكُنْ المُسْتَثْنَى وَاقِعًا فِي زَمَنٍ بَعِيدٍ عَنْ زَمَنِ وُقُوعِ المُسْتَثْنَى مِنْهُ، فَإِنَّهُ لَا يُقَدِّرُ إِلَّا بِمَعْنَى سِوَى، وَإِنَّمَا يُقَدِّرُهَا حِينًا بِمَعْنَى لَكِنْ[6]، كَالبَصْرِيِّينَ، وَحِينًا آخَرَ بِمَعْنَى إِلَّا أَنْ[7].

كَلَّا:

المَشْهُورُ مِنْ مَذْهَبِ البَصْرِيِّينَ أَنَّ كَلَّا حَرْفُ رَدْعٍ وَزَجْرٍ، كَقَوْلِكَ لِشَخْصٍ: فُلَانٌ يُبْغِضُكَ، فَيَقُولُ: كَلَّا، رَدْعًا لَكَ، وَزَجْرًا[8].

وَذَهَبَ الكِسَائِيُّ، وَتِلْمِيذُهُ نُصَيرُ بْنُ يُوسُفَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ وَاصِلٍ، إِلَى أَنَّهَا تَكُونُ بِمَعْنَى حَقًّا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {كَلَّا وَالقَمَرِ}[1]، وَ{كَلَّا إِنَّ الإِنْسَانَ[2] لَيَطْغَى}[3]. وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنَ المُتَأَخِّرِينَ، مِنْهُمُ ابْنُ الحَاجِبِ النَّحْوِيُّ، الَّذِي كَانَ يَقُولُ: "حَرْفُ الرَّدْعِ كَلَّا، وَقَدْ جَاءَ بِمَعْنَى حَقًّا"[4].

---

[1] معاني القرآن 213/3، ومجالس ثعلب ص588، والأضداد ص193.

[2] معاني القرآن 154/3، ومجالس ثعلب ص588.

[3] الأصول في النحو 353/1، والبيان في غريب إعراب القرآن 365/2، وشرح الكافية 277/1، وهمع الهوامع 223/1.

[4] النساء الآية 22.

[5] معاني القرآن 44/3.

[6] معاني القرآن 272/3-273.

[7] معاني القرآن 259/3.

[8] الكتاب 235/4.

قَدْ:

وَأَثْبَتَ الكُوفِيُّونَ لِـ(قَدْ) قِسْمًا جَدِيدًا، وَهُوَ أَنْ تَكُونَ اسْمًا بِمَعْنَى كَفَى، عِنْدَئِذٍ يَلْزَمُهَا مَا يُسَمِّيهِ النَّحْوِيُّونَ نُونَ الوِقَايَةِ، مَعَ يَاءِ المُتَكَلِّمِ، كَمَا تَلْزَمُ أَسْمَاءَ الأَفْعَالِ[5].

لَا:

وَأَضَافَ ابْنُ الأَنْبَارِيِّ إِلَى مَعَانِي لَا مَعْنًى آخَرَ، وَهُوَ أَنْ تَكُونَ لِلْإِثْبَاتِ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ تَعَالَى: {وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونُ}[6]، مَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ يَرْجِعُونَ، وَقَوْلَهُ: {مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ"[7]، مَعْنَاهُ: أَنْ تَسْجُدَ. قَالَ: "وَلَا حَرْفٌ مِنَ الأَضْدَادِ، تَكُونُ بِمَعْنَى الجَحْدِ، وَهُوَ الأَشْهَرُ فِيهَا، وَتَكُونُ بِمَعْنَى الإِثْبَاتِ، وَهُوَ المُسْتَغْرَبُ عِنْدَ عَوَامِّ النَّاسِ مِنْهَا"[8].

أَدَوَاتُ الخَفْضِ:

وَلِلْكُوفِيِّينَ فِي أَدَوَاتِ الخَفْضِ مَذْهَبٌ خَاصٌّ مُتَمَيِّزٌ. فَهُمْ يُجَوِّزُونَ نِيَابَةَ بَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ، وَأَنْ يَكُونَ لِلأَدَاةِ الوَاحِدَةِ، مِنْ أَدَوَاتِ الخَفْضِ أَكْثَرُ مِنْ مَعْنًى، بِخِلَافِ مَذْهَبِ البَصْرِيِّينَ، الَّذِينَ يَمْنَعُونَ أَنْ يَكُونَ لِلْأَدَاةِ أَكْثَرُ مِنْ مَعْنًى وَاحِدٍ، وَمَا أَوْهَمَ فَمَحْمُولٌ، عِنْدَهُمْ، عَلَى تَضْمِينِ الفِعْلِ مَعْنَى فِعْلٍ آخَرَ، يَتَعَدَّى بِتِلْكَ الأَدَاةِ[9].

وَأَهَمُّ أَدَوَاتِ الخَفْضِ، الَّتِي جَعَلَ لَهَا الكُوفِيُّونَ أَكْثَرَ مِنْ مَعْنًى، هِيَ:

مِنْ:

---

[1] المدثر الآية 32.

[2] العلق الآية 6.

[3] الجنى الداني ص525 وينظر: شرح كلا وبلى ونعم ص24، وتهذيب اللغة 364/10، وجواهر الأدب ص242، والبرهان في علوم القرآن 315/4.

[4] شرح الكافية 400/2.

[5] الجنى الداني ص269.

[6] الأنبياء الآية 95.

[7] الأعراف الآية 12.

[8] الأضداد ص211.

[9] ينظر: الجنى الداني ص108، وشرح التصريح 4/2-7، والصبان مع الأشموني 210/2.

أَضَافَ الكُوفِيُّونَ إِلَى مَا عَرَفَهُ البَصْرِيُّونَ فِي مِنْ، وَهُوَ الابْتِدَاءُ فِي غَيْرِ الزَّمَانِ، سَوَاءٌ أَكَانَ المَجْرُورُ بِهَا مَكَانًا، نَحْوُ: سِرْتُ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى المَوْصِلِ، أَمْ غَيْرَهُ، نَحْوُ: هَذَا مِنْ عَمْرٍو إِلَى زَيْدٍ؛ أَضَافُوا مَعَانِيَ أَرْبَعَةً، هِيَ:

1. المُجَاوَزَةُ، وَذَلِكَ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى (عَنْ). وَقَدْ أَثْبَتَ هَذَا المَعْنَى الفَرَّاءُ، مُسْتَدِلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أَخِيهِ}[1]، المَعْنَى: يَفِرُّ عَنْ أَخِيهِ. قَالَ: "يَفِرُّ مِنْ أَخِيهِ: مِنْ وعَنْ فِيهِ سواء"[2].

2. الظَّرْفِيَّةُ، وَذَلِكَ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى فِي، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ}[3]، مَعْنَاهُ: فِي الأَرْضِ[4]. وَوَافَقَ الكُوفِيِّينَ عَلَى هَذَا المَعْنَى يَحْيَى بْنُ سَلَّامٍ[5].

3. ابْتِدَاءُ الغَايَةِ فِي الزَّمَانِ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا جَاءَ بَعْدَهَا ظَرْفُ زَمَانٍ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ}[6]، وَقَوْلِهِ: {لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ}[7]، وَقَوْلِ الرَّسُولِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَمُطِرْنَا مِنَ الجُمُعَةِ إِلَى الجُمُعَةِ"[8].

وَقَدْ أَخَذَ بِهَذَا المَذْهَبِ، مِنَ البَصْرِيِّينَ، الأَخْفَشُ، وَالمُبَرِّدُ، وَابْنُ دُرُسْتَوَيْهِ[9]، وَالعُكْبُرِيُّ الَّذِي عَزَّزَ المَذْهَبَ الكُوفِيَّ بِقَوْلِهِ: "وَالأَقْوَى، عِنْدِي، مَذْهَبُ الكُوفِيِّينَ"[10]؛ وَابْنُ مَالِكٍ الَّذِي صَحَّحَهُ؛ لِكَثْرَةِ شَوَاهِدِهِ[11].

وَلِأَبِي حَيَّانَ فِي هَذَا المَعْنَى رَأْيٌ يُؤَيِّدُ فِيهِ الكُوفِيِّينَ، يَحْسُنُ بِنَا أَنْ نَذْكُرَهُ، قَالَ: " وَمِنْ عَلَى الزَّمَانِ فِي القُرْآنِ، وَأَشْعَارِ العَرَبِ، وَكَثُرَ كَثْرَةً تُوجِبُ القِيَاسَ، وَتَأْوِيلُ البَصْرِيِّينَ مَعَ كَثْرَتِهِ لَيْسَ بِشَيْءٍ"[12].

---

[1] عبس الآية 34.

[2] معاني القرآن 238/3، وينظر: 187/3.

[3] فاطر الآية 40.

[4] معاني القرآن 370/2، وينظر: 291/2، وشرح التصريح 10/2، وهمع الهوامع (المحقق) 214/4.

[5] التصاريف ص230.

[6] براءة الآية 108.

[7] الروم الآية 4.

[8] ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم54، والبيان في غريب إعراب القرآن 405/1، وإعراب الحديث ص35، وشرح جمل الزجاجي 488/1، وشرح المفصل 11/8، وشرح الكافية 320/2-321، ومغني اللبيب ص419-420، والجنى الداني ص314، ورصف المباني ص321، والبرهان في علوم القرآن 415/4، وشرح التصريح 10/2، وخزانة الأدب 332/3، وشرح أبيات مغني اللبيب 304/5.

[9] مغني اللبيب ص419-420، وخزانة الأدب 332/3.

[10] إعراب الحديث ص35.

[11] الجنى الداني ص314.

[12] منهج السالك ص238.

3. وَمِنَ المَعَانِي الَّتِي أَضَافَهَا الكُوفِيُّونَ لِـ(مِنْ) أَنْ تَكُونَ لِانْتِهَاءِ الغَايَةِ المَكَانِيَّةِ، كَقَوْلِكَ: قَرُبْتُ مِنْهُ، أَيْ: تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ[1].

إِلَى:

وَأَضَافَ الكُوفِيُّونَ إِلَى مَا عَرَفَهُ البَصْرِيُّونَ فِي إِلَى، وَهُوَ انْتِهَاءُ الغَايَةِ زَمَانًا وَمَكَانًا، أَرْبَعَةَ مَعَانٍ، هِيَ:

1. المَعِيَّةُ. وَيَكُونُ هَذَا المَعْنَى فِي (إِلَى) إِذَا ضَمَمْتَ شَيْئًا إِلَى شَيْءٍ آخَرَ. وَيُوَضِّحُ الفَرَّاءُ هَذَا المَعْنَى فِي (إِلَى)، فِي كَلَامٍ لَهُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ}[2]؛ بِقَوْلِهِ: "المُفَسِّرُونَ يَقُولُونَ: مَنْ أَنْصَارِي مَعَ اللهِ، وَهُوَ وَجْهٌ حَسَنٌ. وَإِنَّمَا يَجُوزُ أَنْ تَجْعَلَ (إِلَى) مَوْضِعَ (مَعَ)، إِذَا ضَمَمْتَ الشَّيْءَ إِلَى الشَّيْءِ، مِمَّا لَمْ يَكُنْ مَعَهُ، كَقَوْلِ العَرَبِ: إِنَّ الذَّوْدَ إِلَى الذَّوْدِ إِبِلٌ، أَيْ: إِذَا ضَمَمْتَ الذَّوْدَ إِلَى الذَّوْدِ، صَارَتْ إِبِلًا. فَإِذَا كَانَ الشَّيْءُ مَعَ الشَّيْءِ، لَمْ تَصْلُحْ مَكَانَ (مَعَ) (إِلَى)، أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ: قَدِمَ فُلَانٌ وَمَعَهُ مَالٌ كَثِيرٌ، وَلَا تَقُولُ فِي هَذَا المَوْضِعِ: قدم فُلَانٌ وَإِلَيْهِ مَالٌ كَثِيرٌ"[3].

وَأَخَذَ بِهَذَا المَعْنَى جَمَاعَةٌ مِنَ البَصْرِيِّينَ، مِنْهُمُ ابْنُ قُتَيْبَةَ[4]، وَابْنُ مُعْطٍ[5]، وَغَيْرُهُمْ.

2. أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى اللَّامِ. أَثْبَتَ هَذَا المَعْنَى الفَرَّاءُ، مُسْتَمْسِكًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ}[6]، قَالَ: "مَعْنَاهُ تَخَشَّعُوا إِلَى رَبِّهِمْ. وَرُبَّمَا جَعَلَتِ العَرَبُ إِلَى فِي مَوْضِعِ اللَّامِ"[7].

3. مُوَافَقَةٌ مِنْ، كَمَا فِي قَوْلِ ابْنِ أَحْمَرَ البَاهِلِيِّ:

تَقُولُ وَقَدْ عَالَيْتُ بِالكُورِ فَوْقَهَا أَيُسْقَى فَلَا يُرْوَى إِلَيَّ ابْنُ أَحْمَرَا

وَالمَعْنَى: فَلَا يُرْوَى مِنِّي. وَوَافَقَ الكُوفِيِّينَ عَلَى هَذَا المَعْنَى ابْنُ قُتَيْبَةَ، وَابْنُ مَالِكٍ. وَخَرَّجَهُ البَصْرِيُّونَ عَلَى التَّضْمِينِ، أَيْ: فَلَا يَأْتِي إِلَيَّ الرِّوَاءُ[8].

---

[1] منهج السالك ص239، والجنى الداني ص318.

[2] آل عمران الآية 52.

[3] معاني القرآن 218/1، وينظر: الأمالي الشجرية 268/2، ومغني اللبيب ص104، والجنى الداني ص373، والصبان مع الأشموني 231/2، وهمع الهوامع (المحقق) 154/4، والإتقان في علوم القرآن 199/1، والدرر اللوامع على همع الهوامع 170/2، وشرح أبيات مغني اللبيب 29/4.

[4] تأويل مشكل القرآن ص571.

[5] الفصول ص213.

[6] هود الآية 23.

[7] معاني القرآن 9/2، 10، وينظر: 22/3، 293، ولسان العرب 27/2.

[8] الجنى الداني ص376.

4. أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى حَتَّى. أَثْبَتَ هَذَا المَعْنَى ثَعْلَبٌ، مُسْتَدِلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى المَرَافِقِ}[1]. قَالَ: "هِيَ مِثْلُ حَتَّى لِلْغَايَةِ، وَالغَايَةُ تَدْخُلُ وَتَخْرُجُ، يُقَالُ: ضَرَبْتُ القَوْمَ حَتَّى زَيْدًا، يَكُونُ زَيْدٌ مَضْرُوبًا، وَغَيْرَ مَضْرُوبٍ"[2].

عَنْ:

وَأَضَافَ الكُوفِيُّونَ إِلَى مَا عَرَفَهُ البَصْرِيُّونَ فِي عَنْ، وَهُوَ المُجَاوَزَةُ، سَبْعَةَ مَعَانٍ أُخْرَى، هِيَ:

1 . أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى مِنْ. أَثْبَتَ ذَلِكَ الفَرَّاءُ، وَخَرَّجَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ تَعَالَى: {يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أَخِيهِ}[3]. قَالَ: "يَفِرُّ عَنْ أَخِيهِ: مِنْ وَعَنْ فِيهِ سَوَاءٌ"[4].

2. التَّعْلِيلُ. وَحَمَلُوا عَلَيْهِ قَوْلَهُ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ}[5]، وَالمَعْنَى: إِلَّا لِمَوْعِدَةٍ[6].

3. الاسْتِعَانَةُ، كَالبَاءِ. وَحَمَلُوا عَلَى هَذَا المَعْنَى قَوْلَهُ تَعَالَى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى}[7]، وَمَا حَكَاهُ الفَرَّاءُ عَنِ عَنِ العَرَبِ: رَمَيْتُ عَنِ القَوْسِ، وَبِالقَوْسِ، وَعَلَى القَوْسِ، وَالمَعْنَى وَاحِدٌ[8].

4. الاسْتِعْلَاءِ، كَ(عَلَى)، مُسْتَدِلِّينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ}[9]، وَبِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

لَاهِ ابْنِ عَمِّكَ لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبٍ عَنِّي وَلَا أَنْتَ دَيَّانِي فَتَخْزُونِي

وَبِمَا حَكَاهُ الفَرَّاءُ عَنِ العَرَبِ: رَمَيْتُ عَنِ القَوْسِ، وَبِالقَوْسِ، وَعَلَى القَوْسِ[10].

5 . أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى بَعْدَ، كَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: {لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ}[11]، وَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

وَمَنْهَلٍ وَرَدْتُهُ عَنْ مَنْهَلِ[12]

---

[1] البقرة الآية 187.

[2] مجالس ثعلب ص226.

[3] عبس الآية 34.

[4] معاني القرآن 238/3.

[5] التوبة الآية 114.

[6] الجنى الداني ص263، وهمع الهوامع 129/2.

[7] النجم الآية 3.

[8] معاني القرآن 267/2، وينظر: الجنى الداني ص263، وهمع الهوامع 129/2.

[9] محمد الآية 38.

[10] معاني القرآن 267/2، والجنى الداني 262، وهمع الهوامع 129/2.

[11] الانشقاق الآية 19.

[12] الجنى الداني ص263، وهمع الهوامع 129/2، وشرح أبيات مغني اللبيب 286/3.

6. البَدَلُ، نَحْوُ قَوْلِه تَعَالَى: {وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا}[1]، وَكَقَوْلِهِمْ: حَجَّ فُلَانٌ عَنْ أَبِيهِ، أَبِيهِ، أَيْ، بَدَلَ أَبِيهِ[2].

7. الظَّرْفِيَّةُ، مِثْلُ (فِي)، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

وَآسٍ سَرَاةَ القَوْمِ حَيْثُ لَقِيتَهُمُ فَلَا تَكُ عَنْ حَمْلِ الرِّبَاعَةِ وَانِيَا

وَالمَعْنَى: فِي حَمْلِ الرِّبَاعَةِ[3].

قَالَ المُرَادِيُّ، مُعَلِّقًا عَلَى هَذِهِ المَعَانِي: "وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ المَعَانِيَ السَّابِقَةَ إِنَّمَا يُثْبِتُهَا الكُوفِيُّونَ، وَمَنْ وَافَقَهُمْ، كَالقُتَبِيِّ، وَابْنِ مَالِك. قَالَ بَعْضُ النَّحْوِيِّينَ: وَهَذَا الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الكُوفِيُّونَ بَاطِلٌ، إِذْ لَوْ كَانَتْ لَهَا مَعَانِي هَذِهِ الحُرُوفِ، لَجَازَ أَنْ تَقَعَ حَيْثُ تَقَعُ هَذِهِ الحُرُوفُ، فَوَجَبَ أَنْ يُتَأَوَّلَ جَمِيعُ مَا ذَكَرُوهُ، مِمَّا خَالَفَ مَعْنَى المُجَاوَزَةِ"[4].

عَلَى:

وَأَضَافَ الكُوفِيُّونَ إِلَى مَا عَرَفَهُ البَصْرِيُّونَ فِي عَلَى، وَهُوَ الاسْتِعْلَاءُ، ستَّةَ مَعَانٍ أُخْرَى، هِيَ:

1. المُصَاحَبَةُ، كَ(مَعَ)، مُسْتَدِلِّينَ بِقَوْلِه تَعَالَى: {وَآتَى المَالَ عَلَى حُبِّه}[5]، وَالمَعْنَى: وَآتَى المَالَ مَعَ حُبِّه[6].

2. الظَّرْفِيَّةُ، مِثْلُ (فِي)، مُسْتَدِلِّينَ بِقَوْلِه تَعَالَى: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ}[7]، وَالمَعْنَى: وَالمَعْنَى: فِي مُلْكِ سُلَيْمَانَ[8].

3. المُجَاوَزَةُ. وَحَمَلُوا عَلَى هَذَا المَعْنَى قَوْلَ الشَّاعِرِ:

إِذَا رَضِيَتْ عَلَيَّ بَنُو قُشَيرٍ لَعَمْرُ أَبِيكَ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا

مَعْنَاهُ: إِذَا رَضِيَتْ عَنِّي بَنُو قُشَيْرٍ[9].

4. التَّعْلِيلُ، مُسْتَدِلِّينَ بِقَوْلِه تَعَالَى: {وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ}[1]، وَبِقَوْلِ الرَّاعِي النُّمَيْرِيِّ:

---

[1] البقرة الآيتان 48، 123.

[2] الجنى الداني ص262.

[3] الجنى الداني ص263.

[4] الجنى الداني ص264.

[5] البقرة الآية 177.

[6] الجنى الداني ص444، وهمع الهوامع 28/2.

[7] البقرة الآية 102.

[8] معاني القرآن 63/1، و187/2، 261، والأمالي الشجرية 268/2، والجنى الداني ص445، وهمع الهوامع 28/2.

[9] معاني القرآن 267/2، و242/3، والجنى الداني ص445، وشرح أبيات مغني اللبيب 231/3.

رَعَتْهُ أَشْهُرًا وَخَلَا عَلَيْهَا فَطَارَ النِّيُّ فِيهَا وَاسْتَعَارَا

وَالمَعْنَى: خَلَا لَهَا[2].

5. مُوَافَقَةُ مِنْ، كَقَوْلِه تَعَالَى: {وَإِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ}[3]. قَالَ الفَرَّاءُ، مُعَقِّبًا عَلَى هَذِه الآيَة الكَرِيمَة: "يُرِيدُ اكْتَالُوا مِنَ النَّاسِ، وَهُمَا تَعْتَقِبَانِ؛ عَلَى وَمِنْ فِي هَذَا المَوْضِعِ؛ لِأَنَّهُ حَقٌّ عَلَيْه، فَإِذَا قَالَ: اكْتَلْتُ عَلَيْكَ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: أَخَذْتُ مَا عَلَيْكَ، وَإِذَا قَالَ: اكْتَلْتُ مِنْكَ، فَهُوَ كَقَوْلِكَ: اسْتَوْفَيْتُ مِنْكَ"[4].

6. مُوَافَقَةُ البَاءِ، كَقَوْلِه تَعَالَى: {حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ}[5]، وَالمَعْنَى: بِأَنْ لَا أَقُولَ[6].

وَهَذِه المَعَانِي لِـ(عَلَى) يُثْبِتُهَا، إِلَى جَانِبِ الكُوفِيِّينَ، ابْنُ قُتَيْبَةَ، وَالبَصْرِيُّونَ يَتَأَوَّلُون ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَا مَعْنَى لِـ(عَلَى) عِنْدَهُمْ سِوَى الاسْتِعْلَاءِ، وَمَا أَوْهَمَ، فَمَحْمُولٌ عَلَى تَضْمِينِ الفِعْلِ مَعْنَى فِعْلٍ آخَرَ، يَتَعَدَّى بِهَا.

فِي:

وَأَضَافَ الكُوفِيُّونَ إِلَى مَا عَرَفَهُ البَصْرِيُّونَ فِي (فِي)، وَهُوَ الظَّرْفِيَّةُ، أَرْبَعَةَ مَعَانٍ، هِيَ:

1. الاسْتِعْلَاءُ، كَـ(عَلَى)، وَخَرَّجُوا عَلَى ذَلِكَ قَوْلَهُ تَعَالَى: {وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ}[7]. قَالَ الفَرَّاءُ: "يَصْلُحُ عَلَى فِي مَوْضِعِ فِي، وَإِنَّمَا صَلُحَتْ فِي؛ لِأَنَّهُ يُرْفَعُ فِي الخَشَبَةِ فِي طُولِهَا، وَصَلُحَتْ فِي، وَصَلُحَتْ عَلَى؛ لِأَنَّهُ يُرْفَعُ فِيهَا، فَيَصِيرُ عَلَيْهَا"[8].

وَذَهَبَ إِلَى هَذَا المَعْنَى عَدَدٌ مِنَ البَصْرِيِّينَ، مِنْهُمْ يَحْيَى بْن سَلَّامٍ[9]، وَابْنُ قُتَيْبَةَ، وَالمُبَرِّدُ[10]، وَابْنُ مُعْطٍ[11].

2. المُصَاحَبَةُ، كَـ(مَعَ)، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

وَهَلْ يَنْعَمَنْ مِنْ كَانَ أَحْدَثُ أَمْرِهِ ثَلَاثِينَ شَهْرًا فِي ثَلَاثَةِ أَحْوَالِ

---

[1] البقرة الآية 185.

[2] الجنى الداني ص445، وشرح أبيات مغني اللبيب 236/3.

[3] المطففين الآية 2.

[4] معاني القرآن 246/3، وينظر: مجالس ثعلب ص8، والجنى الداني ص445.

[5] الأعراف الآية 105.

[6] ينظر: معاني القرآن 267/2، و242/3، والجنى الداني ص445.

[7] طه الآية 71.

[8] معاني القرآن 186/2-187، وينظر: معاني الحروف ص96، والأمالي الشجرية 267/2، وشرح التصريح 14/2.

[9] التصاريف ص226.

[10] شرح أبيات مغني اللبيب 62/4.

[11] الفصول ص213.

أَيْ: مَعَ ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ[1].

3. مُوَافَقَةُ البَاءِ، وَاسْتَدَلُّوا عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ}[2]. قَالَ الفَرَّاءُ: "مَعْنَى فِيهِ: أَيْ بِهِ. وَاللهُ أَعْلَمُ"[3].

4. أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى إِلَى، وَاسْتَدَلُّوا عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ}[4]، وَالمَعْنَى: إِلَى السَّمَاءِ[5]. السَّمَاءِ[5]. وَمِمَّنْ قَالَ بِهَذَا المَعْنَى، مِنْ غَيْرِ الكُوفِيِّينَ، يَحْيَى بْنُ سَلَّامٍ[6].

البَاءُ:

وَأَضَافَ الكُوفِيُّونَ إِلَى مَا عَرَفَهُ البَصْرِيُّونَ فِي البَاءِ، وَهُوَ الإِلْصَاقُ، خَمْسَةَ مَعَانٍ أُخْرَى، هِيَ:

1. التَّبْعِيضُ، كَـ(مِنْ). أَثْبَتَ ذَلِكَ الكُوفِيُّونَ إِلَّا الفَرَّاءَ، وَاسْتَدَلُّوا عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ}[7]، وَالمَعْنَى: يَشْرَبُ مِنْهَا، وَبِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

شَرِبْنَ بِمَاءِ البَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ مَتَى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ

مَعْنَاهُ: شَرِبْنَ مِنْ مَاءِ البَحْرِ[8].

أَمَّا الفَرَّاءُ، فَيَرَى أَنَّ البَاءَ، فِي هَذَيْنِ المَوْضِعَيْنِ، لَيْسَتْ لِلتَّبْعِيضِ، وَإِنَّمَا هِيَ زَائِدَةٌ لِلتَّأْكِيدِ، أَوْ بَاقِيَةٌ عَلَى أَصْلِهَا، وَالمَعْنَى عِنْدَهُ فِي الآيَةِ الكَرِيمَةِ: يَشْرَبُهَا، وَفِي قَوْلِ الشَّاعِرِ: شَرِبْنَ مِنْ مَاءِ البَحْرِ[9].

وَأَثْبَتَ هَذَا المَعْنَى جَمَاعَةٌ مِنَ البَصْرِيِّينَ، مِنْهُمُ الأَصْمَعِيُّ، وَالفَارِسِيُّ، وَابْنُ مَالِكٍ[10]، وَابْنُ قُتَيْبَةَ[11].

1. الاسْتِعْلَاءُ، كَـ(عَلَى)[1]، وَاسْتَدَلُّوا عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ}[2]، أَيْ: أَيْ: عَلَى قِنْطَارٍ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ فِي سُورَةِ يُوسُفَ: {إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ}[3].

---

[1] ينظر: معاني الحروف ص96، وشرح التصريح 14/2.

[2] الشورى الآية 11.

[3] معاني القرآن 22/3، وينظر: 70/2، 223، وشرح أبيات مغني اللبيب 71/4.

[4] الإسراء الآية 93.

[5] معاني القرآن 131/2.

[6] التصارف ص227.

[7] الإنسان الآية 6.

[8] مغني اللبيب ص142، والجنى الداني ص106، وشرح التصريح 13/2، وهمع الهوامع 21/2، والدرر اللوامع على همع الهوامع 34/2.

[9] معاني القرآن 215/3، وينظر: شرح أبيات مغني اللبيب 309/2.

[10] مغني اللبيب ص142، وهمع الهوامع 21/2.

[11] تأويل مشكل القرآن ص575-576.

3. المُجَاوَزَةُ، كَ(عَنْ)، وَاسْتَدَلُّوا عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا}[4]، مَعْنَاهُ: فَاسْأَلْ عَنْهُ، وَبِقَوْلِهِ: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ}[5]، مَعْنَاهُ: عَنْ عَذَابٍ، وَبِقَوْلِ عَلْقَمَةَ بْنِ عَبْدَةَ:

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنَّنِي بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ

أَيْ: فَإِنْ تَسْأَلُونِي عَنِ النِّسَاءِ، وَبِقَوْلِ الأَخْطَلِ:

دَعِ المُعَمَّرَ لَا تَسْأَلْ بِمَصْرَعِهِ وَاسْأَلْ بِمَصْلَقَةِ البَكْرِيِّ مَا فَعَلَا

أَيْ: عَنْ مَصْرَعِهِ، وَعَنْ مَصْلَقَةَ[6].

وَوَافَقَ الكُوفِيِّينَ، عَلَى هَذَا المَعْنَى، ابْنُ قُتَيْبَةَ[7]، وَرَجَّحَهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي (مُغْنِي اللَّبِيبِ)[8].

2. الظَّرْفِيَّةُ، كَ(فِي). وَقَدْ أَثْبَتَ هَذَا المَعْنَى الفَرَّاءُ، مُسْتَدِلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ}[9]، مَعْنَاهُ: فِي أَيْمَانِهِمْ. قَالَ: {وَقَدْ وَجَدْنَا مِنَ العَرَبِ مَنْ يَجْعَلُ (فِي) فِي مَوْضِعِ البَاءِ، فَيَقُولُ. أَدْخَلَكَ اللهُ بِالجَنَّةِ، يُرِيدُ فِي الجَنَّةِ"[10].

3. المُبَالَغَةُ فِي المَدْحِ. أَثْبَتَ ذَلِكَ الفَرَّاءُ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ تَعَالَى: {وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا}[11]، قَالَ: "دَخَلَتِ البَاءُ فِي قَوْلِهِ: {وَكَفَى بِاللهِ}، لِلْمُبَالَغَةِ فِي المَدْحِ، وَالدِّلَالَةِ عَلَى قَصْدِ سَبِيلِهِ، كَمَا قَالُوا: أَظْرِفْ بِعَبْدِ اللهِ، وَأَنْبِلْ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَأَدْخَلُوا البَاءَ عَلَى صَاحِبِ الظَّرَفِ، وَالنُّبْلِ؛ لِلْمُبَالَغَةِ فِي المَدْحِ"[12].

الكَافُ:

وَأَضَافَ الكُوفِيُّونَ إِلَى مَا عَرَفَهُ البَصْرِيُّونَ فِي الكَافِ، وَهُوَ التَّشْبِيهُ، مَعْنًى آخَرَ، وَهُوَ أَنْ تَكُونَ لِلاسْتِعْلَاءِ، بِمَعْنَى عَلَى. فَقَدْ حَكَوْا عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ فَقَالَ: كَخَيْرٍ: أَيْ: عَلَى

---

[1] معاني القرآن 267/2، وهمع الهوامع 21/2.

[2] آل عمران الآية 75.

[3] يوسف الآية 64.

[4] الفرقان الآية 59.

[5] المعارج الآية 1.

[6] ينظر: معاني القرآن 267/2، و132/3، وإيضاح الوقف والابتداء 809/2-810، والجنى الداني ص105، ولسان العرب 242/15، وهمع الهوامع 22/2، والدرر اللوامع على همع الهوامع 14/2.

[7] تأويل مشكل القرآن ص568.

[8] مغني اللبيب ص142.

[9] الحديد الآية 12.

[10] معاني القرآن 70/2، وينظر: 132/3، 173.

[11] البقرة الآية 92، وص الآية 41.

[12] لسان العرب 242/15، وينظر: معاني القرآن 119/2.

خَيْرٍ. وَحَكُوا، أَيْضًا: كَنْ كَمَا أَنْتَ، أَيْ: عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ[1]. وَوَافَقَ الكُوفِيُّونَ عَلَى هَذَا المَعْنَى، مِنَ البَصْرِيِّينَ، الأَخْفَشُ[2]، إِلَّا أَنَّ ابْنَ جِنِّي نَسَبَ القَوْلَ بِهَذَا المَعْنَى إِلَى الأَخْفَشِ وَحْدَهُ، مِنْ دُونِ الكُوفِيِّينَ[3].
الكُوفِيِّينَ[3].

اللَّامُ:

وَأَضَافَ الكُوفِيُّونَ إِلَى مَا عَرَفَهُ البَصْرِيُّونَ فِي اللَّامِ، وَهُوَ المِلْكُ، وَالاسْتِحْقَاقُ؛ سَبْعَةَ مَعَانٍ أُخْرَى، هِيَ:

1. أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى أَنْ. أَثْبَتَ ذَلِكَ الفَرَّاءُ. وَظَاهِرُ كَلَامِهِ أَنَّ اللَّامَ لَا تَكُونُ بِمَعْنَى أَنْ، إِلَّا فِي الأَمْرِ، وَالإِرَادَةِ، قَالَ: "وَالعَرَبُ تَجْعَلُ اللَّامَ الَّتِي عَلَى مَعْنَى كَيْ فِي مَوْضِعِ أَنْ فِي أَرَدْتُ، وَأَمَرْتُ. فَتَقُولُ: أَرَدْتُ أَنْ تَذْهَبَ، وَأَرَدْتُ لِتَذْهَبَ، وَأَمَرْتُكَ أَنْ تَقُومَ، وَأَمَرْتُكَ لِتَقُومَ"[4].

2. وَأَنْ تَكُونَ لِلاسْتِعْلَاءِ بِمَعْنَى عَلَى، وَاسْتَدَلُّوا بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

فَخَرَّ صَرِيعًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ

مَعْنَاهُ: عَلَى اليَدَيْنِ، وَالفَمِ. وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى: {لِجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ}[5]، وَالمَعْنَى: عَلَى بُيُوتِهِمْ. قَالَ الفَرَّاءُ الفَرَّاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ}[6]: "أَرَادَ عَلَى فُرُوجِهِمْ يُحَافِظُونَ}، فَجَعَلَ اللَّامَ بِمَعْنَى عَلَى[7].

3. الظَّرْفِيَّةُ، كَ(فِي)، وَاسْتَدَلُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا}[8]، وَالمَعْنَى: فِيمَا قَالُوا[9].

4. وَأَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى إِلَى. قَالَ الفَرَّاءُ: "... فَتَكُونُ اللَّامُ بِمَنْزِلَةِ إِلَى، كَمَا قَالَ: {الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا}[10]، وَإِلَى هَذَا، وَأَنْتَ قَائِلٌ فِي الكَلَامِ: دَعَوْتُ إِلَى فُلَانٍ، وَدَعَوْتُ لِفُلَانٍ، بِمَعْنَى وَاحِدٍ"[11].

---

[1] الجنى الداني ص136، وشرح التصريح 16/2، وهمع الهوامع (المحقق) 195/4.

[2] الجنى الداني ص136، وشرح التصريح 16/2، وهمع الهوامع (المحقق) 195/4.

[3] سر صناعة الإعراب 318/1.

[4] معاني القرآن 241/1، وينظر: 282/3، والجنى الداني ص161.

[5] الزخرف الآية 33.

[6] المؤمنون الآية 5.

[7] لسان العرب 342/2، وينظر: معاني القرآن 31/3، وشرح أبيات مغني اللبيب 287/4.

[8] المجادلة الآية 3.

[9] معاني القرآن 139/3، وشرح أبيات مغني اللبيب 287/4.

[10] الأعراف الآية 43.

[11] معاني القرآن 217/2، وينظر: 139/3.

وَوافَقَهُ عَلَى هَذَا المَعْنَى ابْنُ قُتَيْبَةَ[1].

5. وَأَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى بَعْدَ، مُسْتَدِلِّينَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّيَ وَمَالِكًا لِطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبِتْ لَيْلَةً مَعًا

أَيْ: بَعْدَ طُولِ اجْتِمَاعٍ[2].

6. وَأَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى مِنْ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

لَنَا الفَضْلُ فِي الدُّنْيَا وَأَنْفُكَ رَاغِمٌ وَنَحْنُ لَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ أَفْضَلُ

وَالمَعْنَى: وَنَحْنُ مِنْكُمْ أَفْضَلُ، بِدَلِيلِ أَنَّ أَفْعَلَ فِي التَّفْضِيلِ لَا يَتَعَدَّى إِلَّا بِمِنْ[3].

7. وَأَنْ تَكُونَ لِلْمُجَاوَزَةِ، بِمَعْنَى عَنْ، مُسْتَدِلِّينَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

كَضَرَائِرِ الحَسْنَاءِ قُلْنَ لِوَجْهِهَا حَسَدًا وَبَغْيًا إِنَّهُ لَذَمِيمُ

وَالمَعْنَى: قُلْنَ عَنْ وَجْهِهَا[4].

وَمِمَّا تَقَدَّمَ نَرَى أَنَّ الكُوفِيِّينَ يَتَوَسَّعُونَ فِي مَعَانِي الأَدَوَاتِ، وَلَا سِيَّمَا أَدَوَاتِ الخَفْضِ، وَيُثْبِتُونَ لَهَا أَكْثَرَ مِنْ مَعْنًى وَاحِدٍ، تَبَعًا لِسِيَاقِ مَا نَطَقَتْ بِهِ العَرَبُ، وَيُجَوِّزُونَ نِيَابَةَ بَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ، بِخِلَافِ مَذْهَبِ البَصْرِيِّينَ، الَّذِينَ يَمْنَعُونَ أَنْ يَكُونَ لِلْأَدَاةِ أَكْثَرُ مِنْ مَعْنًى، وَأَنْ يَنُوبَ حَرْفٌ مِنْهَا عَنْ حَرْفٍ، وَمَا أَوْهَمَ فَمَحْمُولٌ عِنْدَهُمْ عَلَى تَضْمِينِ الفِعْلِ مَعْنَى فِعْلٍ آخَرَ، يَتَعَدَّى بِهَذِهِ الأَدَاةِ.

وَقَدْ يَبْدُو مَذْهَبُ الكُوفِيِّينَ فِي هَذَا أَوْسَعَ مَجَالًا، وَأَكْثَرَ شُمُولًا، وَإِحَاطَةً بِمَا نَطَقَتْ بِهِ العَرَبُ. فَالمَعَانِي الَّتِي أَثْبَتُوهَا لِبَعْضِ الأَدَوَاتِ لَا شَكَّ أَنَّهُمْ تَصَيَّدُوهَا مِنْ مَنْزِلَةِ الأَدَاةِ، وَوَظِيفَتِهَا فِي التَّأْلِيفِ، وَالتَّرْكِيبِ، فَهُمْ فِي هَذَا المَجَالِ يَعْتَمِدُونَ فِي تَحْدِيدِ المَعْنَى لِلْأَدَاةِ عَلَى السِّيَاقِ[5]، فِي حِينِ لَا نَرَى مُبَرِّرًا لِمَنْعِ البَصْرِيِّينَ أَنْ يَكُونَ لِلأَدَاةِ أَكْثَرُ مِنْ مَعْنًى.

---

[1] تأويل مشكل القرآن ص572.

[2] شرح أبيات مغني اللبيب 287/4.

[3] شرح أبيات مغني اللبيب 287/4.

[4] شرح أبيات مغني اللبيب 287/4.

[5] ينظر: تاريخ النحو وأصوله ص297.

الفَصْلُ الرَّابِعُ

أَدَوَاتٌ جَدِيدَةٌ أَضَافَهَا الكُوفِيُّونَ

أَدَوَاتٌ جَدِيدَةٌ أَضَافَهَا الكُوفِيُّونَ

وَمِنْ أَوْجُهِ الخِلَافِ بَيْنَ النَّحْوِ الكُوفِيِّ، وَالنَّحْوِ البَصْرِيِّ، أَنَّ النَّحْوَ الكُوفِيَّ أَضَافَ أَدَوَاتٍ جَدِيدَةً، لَمْ يُثْبِتْهَا البَصْرِيُّونَ، وَلَمْ يَعْتَدُّوا بِهَا، رُبَّمَا؛ لِأَنَّهَا شَدَّتْ عَمَّا وَضَعُوهُ مِنْ أُصُولٍ، وَأَحْكَامٍ؛ لِذَلِكَ رَفَضُوهَا، عَلَى حِينِ اهْتَمَّ بِهَا الكُوفِيُّونَ، وَاعْتَدُّوا بِهَا، فَأَغْنَتْ بِذَلِكَ نَحْوَهُمْ، وَجَعَلَتْهُ أَكْثَرَ خِصْبًا. وَمِنْ أَهَمِّ هَذِهِ الإِضَافَاتِ:

أَسْمَاءُ الإِشَارَةِ تَكُونُ أَسْمَاءً مَوْصُولَةً:

المَشْهُورُ مِنْ مَذْهَبِ البَصْرِيِّينَ أَنَّ أَسْمَاءَ الإِشَارَةِ غَيْرُ الأَسْمَاءِ المَوْصُولَةِ، وَأَنَّ أَسْمَاءَ الإِشَارَةِ لَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ أَسْمَاءً مَوْصُولَةً، فَتَسْتَعْمَلَ اسْتِعْمَالَ الاسْمِ المَوْصُولِ، فَتَحْتَاجَ إِلَى جُمْلَةٍ، تُوَضِّحُهَا، وَتُزِيلُ إِبْهَامَهَا، سِوَى اسْمٍ وَاحِدٍ، هُوَ (ذَا)، إِذَا وُصِلَ بِـ(مَا)، وَ(مَنْ) فِي الاسْتِفْهَامِ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

أَلَا تَسْأَلَانِ المَرْءَ مَاذَا يُحَاوِلُ أَنَحْبٌ فَيُقْضَى، أَمْ ضَلَالٌ وَبَاطِلُ

يَقُولُ سِيبَوَيْهِ: "هَذَا بَابُ إِجْرَائِهِمْ (ذَا) وَحْدَهُ بِمَنْزِلَةِ الَّذِي، وَلَيْسَ يَكُونُ كَالَّذِي إِلَّا مَعَ (مَا)، وَ(مَنْ) فِي الاسْتِفْهَامِ"[1].

وَيُوَسِّعُ الكُوفِيُّونَ هَذِهِ القَاعِدَةَ، فَيُجَوِّزُونَ إِجْرَاءَ أَسْمَاءِ الإِشَارَةِ كَافَّةً[2] بِمَنْزِلَةِ الَّذِي، سَوَاءٌ اتَّصَلَتْ بِـ(مَا)، أَوْ (مَنْ)، أَمْ لَمْ تَتَّصِلْ، مُحْتَجِّينَ بِكَثْرَةِ وُرُودِ ذَلِكَ فِي فَصِيحِ الكَلَامِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ}[3]، وَالتَّقْدِيرُ: ثُمَّ أَنْتُمُ الَّذِينَ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ، وَكَقَوْلِهِ: {هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا"[4]، وَالتَّقْدِيرُ: هَا أَنْتُمُ الَّذِينَ جَادَلْتُمْ، وَكَقَوْلِهِ: {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى}[5]، وَالتَّقْدِيرُ: وَمَا الَّتِي بِيَمِينِكَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الشَّوَاهِدِ الفَصِيحَةِ، الَّتِي اسْتُعْمِلَتْ فِيهَا أَسْمَاءُ الإِشَارَةِ اسْتِعْمَالَ الأَسْمَاءِ المَوْصُولَةِ.

وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ عَنِ الكُوفِيِّينَ أَنْفُسِهِمْ. فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الفَرَّاءِ: "وَالعَرَبُ قَدْ تَذْهَبُ بِـ(هَذَا)، وَ(ذا) إِلَى مَعْنَى الَّذِي، فَيَقُولُونَ: وَمَنْ ذَا يَقُولُ ذَاكَ؟ فِي مَعْنَى: مَنِ الَّذِي يَقُولُ ذَاكَ؟ وَأَنْشَدُوا:

عَدَسْ مَا لِعَبَّادٍ عَلَيْكِ إِمَارَةٌ أَمِنْتِ، وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ

كَأَنَّهُ قَالَ: وَالَّذِي تَحْمِلِينَ طَلِيقُ[6].

وَقَدْ أَخَذَ نُحَوِيُّونَ بَصْرِيُّونَ بِهَذِهِ النَّزْعَةِ الكُوفِيَّةِ، وَأَجَازُوا أَنْ تَقَعَ أَسْمَاءُ الإِشَارَةِ مَوْقِعَ الأَسْمَاءِ المَوْصُولَةِ، مِنْهُمُ الزَّجَّاجُ، وَالزَّمَخْشَرِيُّ، الَّذِي جَوَّزَ أَنْ تَكُونَ (ذلك) مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: {ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ}[7]، بِمَعْنَى الَّذِي، وَجُمْلَةُ نَتْلُوهُ صِلَتَهَا، وَالخَبَرُ مِنَ الآيَاتِ[8].

وَمَذْهَبُ الكُوفِيِّينَ هَذَا يَبْدُو مَقْبُولًا، وَلَهُ مَا يُؤَيِّدُهُ مِنَ الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ الحَدِيثِ. فَقَدْ ذَكَرَ المُسْتَشْرِقُ الأَلْمَانِيُّ (بَرُوكِلْمَانُ) أَنَّ الأَسْمَاءَ المَوْصُولَةَ، فِي كُلِّ اللُّغَاتِ السَّامِيَّةِ، أَصْلُهَا أَسْمَاءُ إِشَارَةٍ، "وَفِي

---

[1] الكتاب 417/2.

[2] الأمالي الشجرية 171/2، والإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم103، والمفصل ص149-150، وشرح المفصل 24/4، 76، وشرح الكافية 42/2، والبحر المحيط 476/2، وشرح الأشموني مع الصبان 160/1، وهمع الهوامع 84/1، والدرر اللوامع على همع الهوامع 59/1.

[3] البقرة الآية 85.

[4] النساء الآية 9.

[5] طه الآية 17.

[6] معاني القرآن 138/1، وينظر: 177/2، وإيضاح الوقف والابتداء 328/1.

[7] آل عمران الآية 55.

[8] البحر المحيط 476/2.

العَرَبِيَّة فِي لَهْجَة طَيِّء، وَفِي النَّقْش الَّذي يَرْجعُ إِلَى عَام 328 مِيلَادِيَّة كَلِمَةُ ذُو بِمَعْنَى الَّذِي، وَكَذَلِكَ فِي السَّبَئِيَّة (d) ذ، وَالمُؤَنَّثُ (dt) ذت"[1].

وَهَذَا مَا أَيَّدَهُ، أَيْضًا، المُسْتَشْرِقُ (بَرْجِشْتَرَاسَرُ) عِنْدَ كَلَامِه عَلَى أَسْمَاءِ الإِشَارَةِ، يَقُولُ: "وَنُضِيفُ إِلَيْهَا الاسْمَ المَوْصُولَ، فَإِنَّهُ فِي الأَصْلِ مِنْ أَسْمَاءِ الإِشَارَةِ أَيْضًا"[2].

وَيَحْسُنُ بِنَا أَنْ نُشِيرَ، أَيْضًا، إِلَى أَنَّ الكُوفِيِّينَ أَجَازُوا أَنْ يُوصَلَ الاسْمُ الظَّاهِرُ المُحَلَّى بِـ(أَلْ)، كَمَا يُوصَلُ الاسْمُ المَوْصُولُ (الَّذي)، وَأَخَوَاتُهُ، مُسْتَدِلِّينَ عَلَى ذَلِكَ بِمَا أَنْشَدُوهُ مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

لَعَمْرِي لَأَنْتَ البَيْتُ أَكْرَمُ أَهْلِه وَأَقْعُدُ فِي أَفْنَائِه بِالأَصَائِلِ

فَالضَّمِيرُ أَنْتَ مُبْتَدَأٌ، وَالبَيْتُ خَبَرُهُ، وَجُمْلَةُ أَكْرَمُ صِلَةُ الخَبَرِ (البَيْتُ)، وَبِقَوْلِه تَعَالَى: {كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا}[3]. يَقُولُ الفَرَّاءُ، مُعَقِّبًا عَلَى هَذِهِ الآيَةِ: "وَإِنْ شِئْتَ جَعَلْتَ (يَحْمِلُ) صِلَةً لِلْحِمَارِ، كَأَنَّكَ قُلْتَ: كَمَثَلِ حِمَارٍ يَحْمِلُ أَسْفَارًا؛ لِأَنَّ مَا فِيهِ الأَلِفُ وَاللَّامُ قَدْ يُوصَلُ، فَيُقَالُ: لَا أَمُرُّ إِلَّا بِالرَّجُلُ يَقُولُ ذَلِكَ، كَقَوْلِكَ: بِالَّذِي يَقُولُ ذَلِكَ. وَلَا يَجُوزُ فِي زَيْدٍ وَعَمْرٍو أَنْ يُوصَلَ، كَمَا يُوصَلُ الحَرْفُ الَّذِي فِيهِ الأَلِفُ وَاللَّامُ"[4].

وَأَمَا البَصْرِيُّونَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُوصَلُ؛ لِأَنَّ الاسْمَ الظَّاهِرَ، المُحَلَّى بِـ(أَلْ)، يَدُلُّ عَلَى مَخْصُوصٍ فِي نَفْسِه، بِخِلَافِ (الَّذي)، الَّذِي لَا يَدُلُّ عَلَى مَخْصُوصٍ إِلَّا بِوُجُودِ صِلَةٍ تُوَضِّحُهُ، وَتُزِيلُ إِبْهَامَهُ[5]. فَالجُمْلَةُ بَعْدَ الاسْمِ الظَّاهِرِ، المُحَلَّى بِـ(أَلْ)، لَيْسَتْ صِلَةً، كَمَا يَرَى الكُوفِيُّونَ، وَإِنَّمَا هِيَ صِفَةٌ لَهُ.

أَدَوَاتٌ لِلْجَزْمِ:

مَا يَجْزِمُ الفِعْلَ المُضَارِعَ مِنَ الأَدَوَاتِ نَوْعَانِ: النَّوْعُ الأَوَّلُ لَا يَحْمِلُ مَعْنَى الشَّرْطِ، وَلَا يَجْزِمُ إِلَّا فِعْلًا مُضَارِعًا وَاحِدًا، وَهِيَ: لَمْ، لَمَّا، لَامُ الأَمْرِ، لَا النَّاهِيَةُ؛ وَالنَّوْعُ الثَّانِي فِيهِ مَعْنَى الشَّرْطِ، وَيَجْزِمُ فِعْلَيْنِ مُضَارِعَيْنِ، وَهِيَ: إِنْ، وَمَنْ، وَمَا، وَأَيّ، وَمَتَى، وَأَيَّانَ، وَأَنَّى، وَحَيْثُمَا، وَأَيْنَمَا، وَغَيْرُهَا، غَيْرَ أَنَّ الكُوفِيِّينَ أَضَافُوا إِلَى هَذِهِ الأَدَوَاتِ أَدَوَاتٍ جَدِيدَةً، رَأَوْهَا تَرِدُ جَازِمَةً، عَلَى حِينَ أَنْكَرَهَا البَصْرِيُّونَ، وَرَفَضُوهَا. وَأَهَمُّ هَذِهِ الأَدَوَاتِ: كَيْفَ، وَكَيْفَمَا، وَحَيْثُ، وَإِذْ، وَهَلْ، وَمَهْمَنْ، وَأَنْ، وَكَمَا، وَإِذَا. وَهَذَا بَيَانُهَا:

كَيْفَ وَكَيْفَمَا:

---

[1] فقه اللغات السامية ص91.

[2] التطور النحوي للغة العربية ص52.

[3] الجمعة الآية 5.

[4] معاني القرآن 219/1، وينظر: 155/3، وإيضاح الوقف والابتداء 427/2-828، وهمع الهوامع 84/1-85.

[5] الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم104، وشرح الكافية 35/2-36.

هَاتَان الأَدَاتَان مِنَ الأَدَوَات الجَازِمَة، الَّتِي أَضَافَهُمَا الكُوفِيُّونَ[1]، وَقُطْرُبٌ[2]. فَهُمْ يُجَوِّزُونَ جَزْمَ الشَّرْط، وَالجَزَاء بِهِمَا، قِيَاسًا عَلَى أَيْنَ وَأَيْنَمَا، وَلَا يُجَوِّزُهُ البَصْرِيُّونَ إِلَّا شُذُوذًا. يَقُولُ سِيبَوَيْه: "وَسَأَلْتُ الخَلِيلَ عَنْ قَوْلِه: كَيْفَ تَصْنَعْ أَصْنَعْ. فَقَالَ: هِيَ مُسْتَكْرَهَةٌ، وَلَيْسَتْ مِنْ حُرُوف الجَزَاء"[3]. وَيَقُولُ الخَلِيلُ، أَيْضًا: "مَخْرَجُهَا مَخْرَجَ المُجَازَاة، يَعْنِي فِي قَوْلِهِمْ: كَيْفَ تَكُونُ أَكُونُ؛ لِأَنَّ فِيهَا المَعْنَى الَّذِي يُعْتَبَرُ فِي كَلِمَات الشَّرْط، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُسْمَعِ الجَزْمُ بِهَا، فِي السَّعَة"[4].

وَقَدْ نَصَّ الفَرَّاءُ عَلَى أَنَّ كَيْفَ وَكَيْفَمَا مِنْ أَدَوَات الجَزَاء، عِنْدَ كَلَامه عَلَى قَوْلِه تَعَالَى: {أَيْنَمَا تَكُونُوا ...}[5]، يَقُولُ: "إِذَا رَأَيْتَ حُرُوفَ الاسْتِفْهَام قَدْ وُصِلَتْ بِ(مَا)، مِثْلُ قَوْلِه: أَيْنَمَا، وَمَتَى مَا، وَأَيّ مَا، وَحَيْثَمَا، وَكَيْفَمَا، وَ{أَيّامَّا تَدْعُوا}[6]، كَانَتْ جَزَاءً، وَلَمْ تَكُنِ اسْتِفْهَامًا، فَإِذَا لَمْ تُوصَلْ بِ(مَا)، كَانَ الأَغْلَبَ عَلَيْهَا الاسْتِفْهَامُ، وَجَازَ فِيهَا الجَزَاءُ"[7].

وَالَّذِي يَجْعَلُ المُجَازَاةَ بِكَيْفَ وَكَيْفَمَا مُسْتَكْرَهَةً، وَلَا يَجُوزُ إِلَّا فِي الشُّذُوذ عِنْدَ البَصْرِيِّينَ، هُوَ كَوْنُهُمَا لِلْحَال، بِخِلَاف أَدَوَات الشَّرْط، الَّتِي تُمَحِّضُ الفِعْلَ لِلاسْتِقْبَال. يَقُولُ الفَارِقِيُّ فِي كَيْفَ: "وَهُوَ ضَعِيفٌ أَنْ يُجَازَى بِهَا، وَقَدْ حَكَى ذَلِكَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا، وَهُوَ بَعِيدٌ فِي القِيَاس؛ لِأَنَّهَا لِلْحَال"[8].

وَقَدْ صَحَّحَ سَعِيدٌ الأَفْغَانِيُّ مَذْهَبَ الكُوفِيِّينَ، وَرَجَّحَهُ، مُسْتَدِلًا عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّهُ "لَا يَمْنَعُ أَنْ تُفِيدَ كَيْفَمَا بَيَانَ الحَالَة فِي الاسْتِقْبَال، وَعَلَى هَذَا أَهْمَلَهَا بَعْضُهُمْ"[9].

حَيْثُ وَإِذْ:

---

[1] الأصول في النحو 207/2، والمقدمة المحتسبة 248/1، والإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم91، وتسهيل الفوائد ص236، 242، وشرح الكافية 117/2، ومغني اللبيب ص270-271، وشرح الأشموني 583/3، ولسان العرب 313/9، والبرهان في علوم القرآن 33/4، وهمع الهوامع 58/2.

[2] مغني اللبيب ص270، وشرح الأشموني 583/3، وهمع الهوامع 58/2.

[3] الكتاب 60/3.

[4] شرح الكافية 117/2.

[5] البقرة الآية 148.

[6] الإسراء الآية 110.

[7] معاني القرآن 85/1.

[8] الإفصاح شرح أبيات مشكلة الإعراب ص120.

[9] الإفصاح شرح أبيات مشكلة الإعراب حاشية رقم2 ص120.

وَأَمَا حَيْثُ[1] وَإِذْ، فَقَدْ أَثْبَتَهُمَا الفَرَّاءُ فِي الأَدَوَاتِ الجَازِمَةِ، وَإِنْ كَانَتَا مُجَرَّدَيْنِ مِنْ (مَا)، قِيَاسًا عَلَى (أَيْنَ)، وَأَخَوَاتِهَا[2]، وَهَذَا مَا لَا يُجَوِّزُهُ البَصْرِيُّونَ إِلَّا بِاقْتِرَانِهِمَا بِـ(مَا)، إِذْ لَمْ يُسْمَعِ الجَزْمُ بِهِمَا إِلَّا مَقْرُونَتَيْنِ بِهَا.

هَلْ:

وَأَضَافُوا، أَيْضًا، الأَدَاةَ هَلْ. فَقَدْ كَانَ الفَرَّاءُ يَقُولُ فِي عَامِلِ الجَزْمِ فِي الفِعْلِ (يَغْفِرْ)، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ... يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ}[3]: "جُزِمَتْ فِي قِرَاءَتِنَا فِي (هَلْ)، وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللهِ لِلأَمْرِ الظَّاهِرِ"[4].

وَيَقُولُ ثَعْلَبٌ فِي هَلْ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ}[5]: "بِمَوْضِعِ مَا، مَا، وَتَكُونُ اسْتِفْهَامًا، وَتَكُونُ خَبَرًا، وَتَكُون جَزَاءً"[6]، يَعْنِي: هَلْ.

مَهْمَنْ:

وَأَضَافُوا إِلَى أَدَوَاتِ الجَزْمِ، أَيْضًا، مَهْمَنْ، مُسْتَنِدِينَ إِلَى مَا أَنْشَدُوهُ مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

أَمَاوِيَّ مَهْمَنْ يَسْتَمِعْ فِي صَدِيقِهِ أَقَاوِيلَ هَذَا النَّاسِ مَاوِيَّ يَنْدَمِ[7]

وَهَذِهِ الأَدَاةُ لَمْ يَعْرِفْهَا البَصْرِيُّونَ. وَالَّذِي يَبْدُو مِنِ اسْتِعْمَالِهَا، فِي هَذَا البَيْتِ، أَنَّهَا مَهْمَا، إِلَّا أَنَّ مَهْمَا لِغَيْرِ العَاقِلِ، وَهِيَ لِلْعَاقِلِ؛ لِوُجُودِ (مَنْ) فِيهَا.

أَنْ:

وَهَذِهِ أَدَاةٌ أُخْرَى أَضَافَهَا الكُوفِيُّونَ إِلَى الأَدَاوَاتِ الجَازِمَةِ، مُحْتَجِّينَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

إِذَا مَا غَدَوْنَا قَالَ وِلْدَانُ أَهْلِنَا تَعَالَوا إِلَى أَنْ يَأْتِنَا الصَّيْدُ نَخْطِبِ

وَقَوْلِ الآخَرِ:

أُحَاذِرُ أَنْ تَعْلَمْ بِهَا فَتَرُدُّهَا فَتَتْرُكَهَا ثِقْلًا عَلَيَّ كَمَا هِيَا

---

[1] معاني القرآن 85/1.

[2] معاني القرآن 85/1، وينظر: همع الهوامع 58/2، وشرح الأشموني مع الصبان 12/4-13.

[3] الصف الآية 10-12.

[4] معاني القرآن 154/3.

[5] الإنسان الآية 1.

[6] مجالس ثعلب ص588.

[7] شرح المفصل 43/7، وشرح الكافية 253/2.

وَأَبُو جَعْفَرٍ الرُّؤَاسِيُّ هُوَ أَوَّلُ مَنْ أَثْبَتَهَا فِي أَدَوَاتِ الجَزْمِ مِنَ الكُوفِيِّينَ، ثُمَّ تَابَعَهُ الكُوفِيُّونَ فِي ذَلِكَ، وَجَوَّزُوا الجَزْمَ بِهَا. فَهَا هُوَ ذَا الفَرَّاءُ يُؤَكِّدُ ذَلِكَ، عِنْدَ كَلَامِهِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ}[1]، يَقُولُ: "فُتِحَتْ أَنْ بَعْدَ إِلَّا، وَهِيَ فِي مَذْهَبِ الجَزَاءِ، وَإِنَّمَا فَتَحْتَهَا؛ لِأَنَّ إِلَّا قَدْ وَقَعَتْ عَلَيْهَا، بِمَعْنَى خَفْضٍ يَصْلُحُ، فَإِذَا رَأَيْتَ أَنْ فِي الجَزَاءِ، قَدْ أَصَابَهَا مَعْنَى خَفْضٍ، أَوْ نَصْبٍ، أَوْ رَفْعٍ، انْفَتَحَتْ"[2].

وَمِمَّنْ حَكَى الجَزْمَ بِـ(أَنْ)، مِنَ النَّحْوِيِّينَ، أَبُو عُبَيْدَةَ، وَاللِّحْيَانِيُّ، الَّذِي قَالَ: إِنَّ الجَزْمَ بِـ(أَنْ) لُغَةٌ، فِي بَنِي صَبَاحٍ مِنْ ضَبَّةَ[3].

وَقَدْ صَحَّحَ ابْنُ هِشَامٍ مَذْهَبَ الكُوفِيِّينَ، وَرَجَّحَهُ، مُسْتَدِلًا عَلَى ذَلِكَ بِأُمُورٍ مِنْهَا:

1. مَجِيءُ الفَاءِ بَعْدَهَا كَثِيرًا، مِثْلَمَا تَجِيءُ بَعْدَ أَدَوَاتِ الشَّرْطِ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

أَبَا خُرَاشَةَ أَمَّا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمُ الضَّبُعُ

2. تَوَارُدُ أَنْ المَفْتُوحَةِ وَإِنْ المَكْسُورَةِ عَلَى المَحَلِّ الوَاحِدِ، وَالأَصْلُ التَّوَافُقُ، فَقَدْ قَرَأَ القُرَّاءُ قَوْلَهُ تَعَالَى: {أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا}[4]، وَقَوْلَهُ: {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ}[5]، بِكَسْرِ أَنْ وَفَتْحِهَا، فِي هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ الآيَتَيْنِ الكَرِيمَتَيْنِ.

3. أَنَّهَا وَرَدَتْ مَعْطُوفَةً عَلَى (إِنْ) المَكْسُورَةِ، كَمَا فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ:

إِمَّا أَقَمْتَ وَأَمَّا أَنْتَ مُرْتَحِلًا فَاللهُ يَكْلَأُ مَا تَأْتِي وَمَا تَذَرُ[6]

وَيَرْفُضُ بَعْضُ المُحْدَثِينَ مَذْهَبَ الكُوفِيِّينَ هَذَا، وَيَرَى أَنَّ الأَفْعَالَ المُضَارِعَةَ، فِي الشَّوَاهِدِ الشِّعْرِيَّةِ، السَّابِقَةِ، الَّتِي سَمِعَهَا الكُوفِيُّونَ، وَاحْتَجُّوا بِهَا لَمْ تَكُنْ مَجْزُومَةً بِـ(أَنْ) أَصْلًا، وَإِنَّمَا هِيَ أَفْعَالٌ مُضَارِعَةٌ، غَيْرُ مُحَرَّكَةِ الآخِرِ؛ لِعَدَمِ الحَاجَةِ إِلَى تَحْرِيكِهَا، أَوْ لِأَنَّ مُوسِيقَى الشِّعْرِ، وَنِظَامَ المَقَاطِعِ لَمْ يَتَطَلَّبَا

---

[1] البقرة الآية 267.

[2] معاني القرآن 178/1، وينظر: 58/1، 184، وإعراب القرآن للنحاس 298/1، والإفصاح ص107، وتسهيل الفوائد ص229، وشرح المفصل 992، وشرح الكافية 253/1، و235/2، ومغني اللبيب ص53-54، وشرح الأشموني مع الصبان 244/1، والبحر المحيط 118/1، و227/4، والإتقان في علوم القرآن 203/1، والدرر اللوامع على همع الهوامع 3/2.

[3] همع الهوامع (المحقق 91/4)، وشرح الأشموني 55/3.

[4] البقرة الآية 282.

[5] المائدة الآية 2.

[6] مغني اللبيب ص53-54، وينظر: خزانة الأدب 19/4 وما بعدها.

مِثْلَ هَذه الحَرَكَة، وَيَرَى، أَيْضًا، أَنَّ مَا كَانَ مِثْلَ ذَلِكَ يَدْخُلُ تَحْتَ مَا أَسْمَاهُ النُّحَاةُ: بِإِجْرَاءِ الوَصْلِ مُجْرَى الوَقْفِ"[1].

إِذَا:

وَأَضَافُوا إِلَى أَدَوَاتِ الجَزْمِ، أَيْضًا، الأَدَاةَ إِذَا، مُحْتَجِّينَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

وَإِذَا نُطَاوِعْ أَمْرَ سَادَتِنَا لَا يُثْنِنَا جُبْنٌ وَلَا بُخْلُ

وَقَوْلِ الآخَرِ:

وَاسْتَغْنِ مَا أَغْنَاكَ رَبُّكَ بِالغِنَى وَإِذَا تُصِبْكَ خَصَاصَةٌ فَتَجَمَّلِ

يَقُولُ الفَرَّاءُ: "وَمِنَ العَرَبِ مَنْ يَجْزِمُ بِإِذَا"[2]. وَيَقُولُ ابْنُ الأَنْبَارِيِّ: "وَتَكُونُ إِذَا بِمَعْنَى إِنْ، فَتَجْزِمُ المُسْتَقْبَلَ، فَيُقَالُ: إِذَا تَزُرْنِي تُكْرَمْنِي"[3].

وَالجَزْمُ بِـ(إِذَا) عِنْدَ البَصْرِيِّينَ شَاذٌّ، نَادِرٌ، لَا يَجُوزُ إِلَّا فِي ضَرُورَةِ الشِّعْرِ؛ لِأَنَّهَا عِنْدَهُمْ لَيْسَتْ مِنْ حُرُوفِ الجَزَاءِ. يَقُولُ سِيبَوَيْهِ: "وَسَأَلْتُهُ عَنْ إِذَا مَا مَنَعَهُمْ أَنْ يُجَازُوا بِهَا؟ فَقَالَ: الفِعْلُ فِي إِذَا بِمَنْزِلَتِهِ فِي إِذْ، إِذَا قُلْتَ: أَتَذْكُرُ إِذْ تَقُولُ، فَإِذَا فِيمَا تُسْتَقْبَلُ بِمَنْزِلَةِ إِذْ فِيمَا مَضَى"[4]. وَيَقُولُ: "وَقَدْ جَازُوا بِهَا فِي الشِّعْرِ مُضْطَرِّينَ"[5].

كَمَا:

وَأَضَافَ ثَعْلَبٌ إِلَى أَدَوَاتِ الجَزْمِ كَمَا. فَقَدْ كَانَ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ كَمَا مِنَ الأَدَوَاتِ الَّتِي يُجْزَمُ بِهَا، وَيُجَازَى، يَقُولُ: "كَمَا تَكُونُ بِمَعْنَى كَيْ، وَتَكُونُ بِمَعْنَى الجَزَاءِ، نَحْوُ: كَمَا قُمْتَ قُمْتُ، وَقَالَ: كَمَا تَكُونُ تَشْبِيهًا تَكُونُ جَزَاءً، كَمَا قُمْتُ قَعَدْتُ، وَالتَّشْبِيهُ قُمْتُ كَمَا قُمْتَ"[6].

أَدَوَاتُ الاسْتِثْنَاءِ:

أَدَوَاتُ الاسْتِثْنَاءِ المَشْهُورَةُ تِسْعٌ، هِيَ: إِلَّا، وَغَيْرٌ، وَسِوَى، وَلَا يَكُونُ، وَلَيْسَ، وَعَدَا، وَخَلَا، وَحَاشَا، وَبَيْدَ.

---

[1] من أسرار اللغة ص263.

[2] معاني القرآن 158/3.

[3] الأضداد ص120.

[4] الكتاب 60/3.

[5] نفسه 61/3.

[6] مجالس ثعلب ص128، وينظر: شرح أبيات مغني اللبيب 119/4.

وَقَدْ أَضَافَ الكُوفِيُّونَ إِلَى هَذِهِ الأَدَوَاتِ أَدَوَاتٍ اسْتِثْنَائِيَّةً جَدِيدَةً، أَنْكَرَ البَصْرِيُّونَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الأَدَوَاتِ الَّتِي يُسْتَثْنَى بِهَا، وَهِيَ: مَا، وَلَا سِيَّمَا، وَبَلْهَ.

مَا:

فَمَا عِنْدَ الفَرَّاءِ والأَحْمَرِ، مِنَ الكُوفِيِّينَ، أَدَاةُ اسْتِثْنَاءٍ، يُسْتَثْنَى بِهَا، كَمَا يُسْتَثْنَى بِإِلَّا، وَغَيْرِهَا مِنْ أَدَوَاتِ الاسْتِثْنَاءِ، وَاحْتَجَّا لِذَلِكَ بِمَا يُحْكَى عَنِ العَرَبِ مِنْ قَوْلِهِمْ: كُلُّ شَيْءٍ مَهَهٌ مَا النِّسَاءَ وَذِكْرَهُنَّ، فَ(مَا) أَدَاةُ اسْتِثْنَاءٍ؛ لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى إِلَّا، وَالتَّقْدِيرُ: كُلُّ شَيْءٍ مَهَهٌ إِلَّا النِّسَاءَ وَذِكْرَهُنَّ.

وَأَبَى البَصْرِيُّونَ، وَأَنْكَرُوا أَنْ تَكُونَ مَا مِنْ أَدَوَاتِ الاسْتِثْنَاءِ؛ لِأَنَّ الاسْتِثْنَاءَ بِهَا غَيْرُ مَحْفُوظٍ، أَوْ مَسْمُوعٍ عَنِ العَرَبِ، وَخَرَّجُوا حِكَايَةَ العَرَبِ عَلَى مَعْنَى: كُلُّ شَيْءٍ يَسِيرٌ مَا عَدَا النِّسَاءَ وَذِكْرَهُنَّ[1].

لَا سِيَّمَا:

وَأَضَافَ الكُوفِيُّونَ، وَبَعْضُ البَصْرِيِّينَ، كَالأَخْفَشِ، وَأَبِي حَاتِمٍ، وَالفَارِسِيِّ، وَالنَّحَّاسِ، وَابْنِ مَضَاءٍ، إِلَى أَدَوَاتِ الاسْتِثْنَاءِ؛ أَدَاةً أُخْرَى هِيَ: لَا سِيَّمَا. فَقَدْ رَأَوا أَنَّهَا فِي نَحْوِ قَوْلِكَ: جَاءَ الطُّلَّابُ لَا سِيَّمَا زَيْدٌ، أَدَاةُ اسْتِثْنَاءٍ، خَالَفَ مَا بَعْدَهَا مَا قَبْلَهَا مُخَالَفَةً، تَكْمُنُ فِي أَنَّ (زَيْدٌ) خَالَفَ جَمَاعَةً مِنَ الطُّلَّابِ فِي أَنَّهُ أَوْلَى بِالمَجِيءِ مِنْهُمْ، أَيْ خَالَفَهُمْ فِي الحُكْمِ، الَّذِي ثَبَتَ لَهُمْ، لَا بِطَرِيقِ إِخْرَاجِهِ مِنْ حُكْمِ مَا قَبْلَهُ، وَإِنَّمَا بِطَرِيقِ الأَوْلَوِيَّةِ؛ أَوْلَوِيَّتِهِ بِالمَجِيءِ، المَنْسُوبِ إِلَى مَا قَبْلَهُ.

وَقَدْ قَوَّى الخَضْرَاوِيُّ مَذْهَبَ الكُوفِيِّينَ، وَمَنْ تَابَعَهُم، بِقَوْلِهِ: "لَمَّا كَانَ مَا بَعْدَهَا بَعْضًا مِمَّا قَبْلَهَا، وَخَارِجًا عَنْهُ بِمَعْنَى الزِّيَادَةِ، كَانَ اسْتِثْنَاءً مِنَ الأَوَّلِ؛ لِأَنَّهُ خَرَجَ عَنْهُ بِوَجْهٍ، لَمْ يَكُنْ لَهُ"[2].

بَلْهَ:

وَمِنْ أَدَوَاتِ الاسْتِثْنَاءِ الَّتِي أَثْبَتَهَا الكُوفِيُّونَ بَلْهَ، وَهِيَ تُشْبِهُ لَا سِيَّمَا مِنْ نَاحِيَةِ المَعْنَى؛ لِذَا عَدُّوهَا مِثْلَ لَا سِيَّمَا فِي أَدَوَاتِ الاسْتِثْنَاءِ، فَأَجَازُوا النَّصْبَ بَعْدَهَا عَلَى الاسْتِثْنَاءِ. وَوَجْهُ ذَلِكَ أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: أَكْرَمْتُ العَبِيدَ بَلْهَ الأَحْرَارَ، كَانَ مَا بَعْدَهَا خَارِجًا مِمَّا قَبْلَهَا فِي الوَصْفِ، عَلَى مَعْنَى أَنَّ إِكْرَامَ الأَحْرَارِ يَزِيدُ عَلَى إِكْرَامِ العَبِيدِ. فَهِيَ، إِذًا، مِثْلُ لَا سِيَّمَا، يُخَالِفُ مَا بَعْدَهَا فِي الحُكْمِ مَا قَبْلَهَا، بِطَرِيقِ الزِّيَادَةِ فِي الحُكْمِ، الثَّابِتِ لِمَا قَبْلَهَا. وَاحْتَجُّوا لِمَذْهَبِهِمْ بِقَوْلِ جَرِيرٍ:

وَهَلْ كُنْتَ يَابْنَ القَيْنِ فِي الدَّهْرِ مَالِكًا ... بِغَيْرِ بَعِيرٍ بَلْهَ مُهْرِيَّةً نُجُبَا

---

[1] همع الهوامع 233/1.

[2] همع الهوامع 234/1.

فَ(بَلْهَ)، أَدَاةُ اسْتِثْنَاء، وَ(مُهْرِيَّةً) مُسْتَثْنًى مَنْصُوبٌ.

وَأَنْكَرَ البَصْرِيُّونَ أَنْ تَكُونَ لَا سِيَّمَا، وَبَلْهَ، مِنْ أَدَوَاتِ الاسْتِثْنَاءِ؛ لِدُخُولِ حَرْفِ العَطْفِ عَلَيْهِمَا، وَلِعَدَمِ صِحَّةِ قِيَامِ إِلَّا مَقَامَهَا، وَلِأَنَّ مَا بَعْدَهُمَا لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ جِنْسِ مَا قَبْلَهُمَا، عَلَى خِلَافِ أَدَوَاتِ الاسْتِثْنَاءِ الأُخْرَى، الَّتِي يَكُونُ مَا بَعْدَهَا مِنْ جِنْسِ مَا قَبْلَهَا، وَمِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ[1].

أَدَوَاتُ العَطْفِ:

يُثْبِتُ البَصْرِيُّونَ مِنْ أَدَوَاتِ العَطْفِ تِسْعَ أَدَوَاتٍ، هِيَ: الوَاوُ، وَالفَاءُ، وَثُمَّ، وَحَتَّى[2]، وَأَمْ، وَأَوْ، وَلَكِنْ، وَبَلْ، وَلَا. وَيُضِيفُ الكُوفِيُّونَ إِلَى هَذِهِ الأَدَوَاتِ أَدَوَاتٍ جَدِيدَةً عَاطِفَةً، هِيَ: هَلَّا، وَأَلَّا، وَلَوْلَا، وَمَتَى، وَأَيْنَ، وَكَيْفَ، وَإِلَّا، وَأَيْ[3]، وَلَيْسَ[4].

هَلَّا، وَأَلَّا:

فَأَمَّا هَلَّا وَأَلَّا، فَقَدْ أَثْبَتَهُمَا الكُوفِيُّونَ فِي أَدَوَاتِ العَطْفِ؛ لِأَنَّهُمْ وَجَدُوا مَا بَعْدَهُمَا يَتْبَعُ مَا قَبْلَهُمَا فِي الإِعْرَابِ. فَإِذَا قُلْتَ: جَاءَنِي زَيْدٌ، فَهَلَّا عَمْرٌو، وَضَرَبْتُ بَكْرًا، فَأَلَّا عَلِيًّا، كَانَتْ هَلَّا، وَأَلَّا أَدَاتَيْ عَطْفٍ، وَمَا بَعْدَهُمَا مَعْطُوفًا عَلَى مَا قَبْلَهُمَا، وَمُشْتَرِكًا مَعَهُ فِي الإِعْرَابِ. وَقَدْ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ ثَعْلَبٌ. فَمِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي (مَجَالِسِهِ): "وَأَنْشَدَ:

أَتَيْتُ بِعَبْدِ اللهِ فِي القَدِّ مُوثَقًا ... فَأَلَّا سَعِيدًا ذَا الخِيَانَةِ وَالغَدْرِ

قَالَ: كَانَ الكِسَائِيُّ يَخْفِضُ، وَيَنْصِبُ، وَكَانَ الفَرَّاءُ يَكْرَهُ الخَفْضَ. وَقَالَ: مَنْ نَصَبَ (سَعِيدًا)، أَضْمَرَ فِعْلًا مِثْلَ (أَتَيْتُ) ... قَالَ: وَمَنْ خَفَضَ شَبَّهَ (أَلَّا) بِالنَّسَقِ. وَالفَرَّاءُ يَسْتَقْبِحُهُ، وَيُجِيزُهُ.

وَأَنْشَدَ:

الآنَ بَعْدَ لَجَاجَتِي تُلْحُونَنِي ... هَلَّا التَقَدُّمُ وَالقُلُوبُ صِحَاحُ

فَالنَّصْبُ، مَعْنَاهُ: هَلَّا تَقَدَّمْتُمْ. وَهَذَا مِثْلُ الأَوَّلِ. وَمَنْ رَفَعَ (التَقَدُّمَ)، رَفَعَهُ بِمَوْضِعِ الوَاوِ"[5].

لَوْلَا وَمَتَى:

---

[1] همع الهوامع 233/1، وينظر: الجنى الداني ص404، والدرر اللوامع على همع الهوامع 200/1.

[2] الكُوفِيُّونَ يُخْرِجُونَ (حَتَّى) مِنْ أَدَوَاتِ العَطْفِ، وَيَجْعَلُونَهَا ابْتِدَائِيَّةً. ينظر: الباب الثاني، الفصل الأول: "في تسمية الأدوات".

[3] تَكَلَّمْنَا عَلَيْهَا فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ. ينظر الباب الثاني، الفصل الأول: "في تسمية الأدوات".

[4] تَكَلَّمْنَا عَلَيْهَا فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ. ينظر الباب الثاني، الفصل الأول: "في تسمية الأدوات".

[5] مجالس ثعلب ص60، وينظر: شرح جمل الزجاجي 225/1، وهمع الهوامع 138/2.

وَيُثْبِتُ الكِسَائِيُّ فِي أَدَوَاتِ العَطْفِ الأَدَاتَيْنِ؛ لَوْلَا وَمَتَى، فِي نَحْوِ قَوْلِكَ: مَرَرْتُ بِزَيْدٍ، فَلَوْلَا عَمْرٌو، أو: فَمَتَى عَمْرٌو، بِالجَرِّ، فِي المَوْضِعَيْنِ، عَطْفًا بِلَوْلَا وَمَتَى عَلَى بِزَيْدٍ[1].

أَيْنَ:

وَيُثْبِتُ الكُوفِيُّونَ، أَيْضًا، فِي أَدَوَاتِ العَطْفِ الأَدَاةَ أَيْنَ. فَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ أَيْنَ فِي نَحْوِ قَوْلِكَ: هَذَا زَيْدٌ، فَأَيْنَ عَمْرٌو، وَلَقِيتُ زَيْدًا، فَأَيْنَ عَمْرًا؛ أَدَاةُ عَطْفٍ، عَطَفَتْ مَا بَعْدَهَا عَلَى مَا قَبْلَهَا، فِي المَوْضِعَيْنِ، كَمَا تَعْطِفُ الوَاوُ مَا بَعْدَهَا عَلَى مَا قَبْلَهَا، فِي نَحْوِ قَوْلِكَ: جَاءَ زَيْدٌ، وَعَمْرٌو، وَرَأَيْتُ زَيْدًا، وَعَمْرًا[2].

كَيْفَ:

وَيُثْبِتُونَ فِي أَدَوَاتِ العَطْفِ، أَيْضًا، الأَدَاةَ كَيْفَ. فَقَدْ نَسَبَ ابْنُ عُصْفُورٍ، فِي (شَرْحِ جُمَلِ الزَّجَّاجِيِّ) القَوْلَ: إِنَّ كَيْفَ، فِي نَحْوِ: لَقِيتُ زَيْدًا، فَكَيْفَ عَمْرًا، وَهَذَا زَيْدٌ، فَكَيْفَ عَمْرٌو؛ أَدَاةُ عَطْفٍ إِلَى الكُوفِيِّينَ كَافَّةً[3]، وَلَكِنَّ ابْنَ بَابشَاذ يَقُولُ: "وَلَمْ يَقُلْ بِهِ مِنْهُمْ إِلَّا هِشَامٌ وَحْدَهُ"[4]، إِلَّا أَنَّ ظَاهِرَ كَلَامِ ابْنِ هِشَامٍ، فِي (مُغْنِي اللَّبِيبِ)، يَنْفِي هَذَيْنِ القَوْلَيْنِ، وَيَنْسِبُ القَوْلَ: إِنَّ كَيْفَ أَدَاةُ عَطْفٍ إِلَى النَّحْوِيِّ؛ عِيسَى بْنِ مَوْهَبٍ، مُسْتَدِلًّا بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

إِذَا قَلَّ مَالُ المَرْءِ لَانَتْ قَنَاتُهُ ... وَهَانَ عَلَى الأَدْنَى فَكَيْفَ الأَبَاعِدِ

بِجَرِّ الأَبَاعِدِ، عَطْفًا بِـ(كَيْفَ)، عَلَى الأَدْنَى المَجْرُورَةِ[5].

إِلَّا أَنَّ البَغْدَادِيَّ، فِي (شَرْحِ أَبْيَاتِ مُغْنِي اللَّبِيبِ)، نَسَبَ كَوْنَ كَيْفَ عَاطِفَةً إِلَى هِشَامٍ مِنَ الكُوفِيِّينَ، وَأَنَّهَا لَا تَكُونُ عِنْدَهُ عَاطِفَةً إِلَّا بَعْدَ نَفْيٍ، كَقَوْلِكَ: مَا مَرَرْتُ بِزَيْدٍ، فَكَيْفَ عَمْرٍو[6].

وَالمُنْكِرُونَ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الأَدَوَاتُ: هَلَّا، وَأَلَّا، وَلَوْلَا، وَمَتَى، وَأَيْنَ، وَكَيْفَ، أَدَوَاتِ عَاطِفَةً؛ يَسْتَنِدُونَ عَلَى دَلِيلَيْنِ اثْنَيْنِ: الأَوَّلُ دُخُولُ أَدَاةِ العَطْفِ؛ الفَاءِ عَلَيْهَا فِي نَحْوِ: هَذَا زَيْدٌ، فَهَلَّا عَمْرٌو، أَوْ فَأَلَّا عَمْرٌو، أَوْ فَلَوْلَا عَمْرٌو ... إِلخ.

وَالدَّلِيلُ الثَّانِي: امْتِنَاعُ عَطْفِ المَخْفُوضِ عَلَى المَخْفُوضِ بِبَعْضِ هَذِهِ الأَدَاوَتِ، فَلَا يُقَالُ: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ، فَكَيْفَ امْرَأَةٍ، عَلَى العَطْفِ، وَإِنَّمَا يُقَالُ: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ، فَكَيْفَ بِامْرَأَةٍ، عَلَى غَيْرِ العَطْفِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ

---

[1] همع الهوامع 138/2.

[2] شرح جمل الزجاجي 125/1، وهمع الهوامع 138/2.

[3] شرح جمل الزجاجي 125/1، وهمع الهوامع 138/2.

[4] همع الهوامع 138/2.

[5] همع الهوامع 138/2.

[6] شرح أبيات مغني اللبيب 271/4.

يُوجَدْ مِنْ أَدَوَاتِ العَطْفِ مَا يَعْطِفُ المَرْفُوعَ عَلَى المَرْفُوعِ، وَالمَنْصُوبَ عَلَى المَنْصُوبِ، وَلَا يَعْطِفُ المَخْفُوضَ عَلَى المَخْفُوضِ.

إِلَّا:

وَتَنْسبُ بَعْضُ المَصَادِرِ إِلَى الكُوفِيِّينَ عَامَّةً أَنَّهُمْ يُثْبِتُون لِـ(إِلَّا) قِسْمًا جَدِيدًا، وَهُوَ أَنْ تَكُونَ عَاطِفَةً، لَا بِمَعْنَى الوَاوِ، بَلْ تُشْرِكُ فِي الإِعْرَابِ، لَا فِي الحُكْمِ، فَتَعْطِفُ المُسْتَثْنَى عَلَى المُسْتَثْنَى مِنْهُ عَطْفَ نَسَقٍ، عَلَى غِرَارِ مَا تَعْطِفُ (لَا)، فِي نَحْوِ قَوْلِكَ: جَاءَ زَيْدٌ، لَا عَمْرٌو. قَالَ المُرَادِيُّ: "... هَذَا القِسْمُ لَمْ يَقُلْ بِهِ إِلَّا الكُوفِيُّونَ، فَإِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ (إِلَّا) عَاطِفَةً فِي نَحْوِ: مَا قَامَ أحدٌ إِلَّا زَيْدٌ، مِمَّا وَقَعَ بَعْدَ النَّفْيِ، وَشِبْهِهِ"[1]. أَمَّا البَصْرِيُّونَ، فَلَا يَرَوْنَ هَذَا الرَّأْيَ، وَعِنْدَهُمْ أَنَّ (إِلَّا) بَاقِيَةٌ عَلَى الاسْتِثْنَاءِ، وَأَنَّ مَا بَعْدَهَا بَدَلُ بَعْضٍ مِنْ كُلٍّ.

وَلَكِنَّ بَعْضَ هَذِهِ المَصَادِرِ يُخَصِّصُ هَذِهِ النِّسْبَةَ. فَمِنْهَا مَا يَنسَبُهُ إِلَى الفَرَّاءِ وَحْدَهُ مِنَ الكُوفِيِّينَ[2]، وَمِنْهَا مَا يَضُمُّ إِلَى الفَرَّاءِ الأَخْفَشَ، وَأَبَا عُبَيْدَةَ مِنَ البَصْرِيِّينَ، الَّذِينَ يَقُولُونَ بِمَذْهَبِ الفَرَّاءِ[3].

وَلَكِنَّ مَا جَاءَ فِي كُتُبِ الفَرَّاءِ يَدْفَعُ مَا نَسَبَهُ المُتَأَخِّرُونَ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ. فَهُوَ يَنْعَى عَلَى قَوْلِ مَنْ جَعَلَ (إِلَّا)، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ المُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ}[4]، وَقَوْلِهِ: {لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا}[5]، وَيَرْفُضُ أَنْ تَكُونَ (إِلَّا)، فِي هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ الكَرِيمَتَيْنِ، عَاطِفَةً كَالوَاوِ. قَالَ: "وَقَدْ قَالَ بَعْضُ النَّحْوِيِّينَ: إِلَّا فِي هَذَا المَوْضِعِ بِمَنْزِلَةِ الوَاوِ، كَأَنَّهُ قَالَ: لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ، وَلَا لِلَّذِينَ ظَلَمُوا. فَهَذَا صَوَابٌ فِي العَرَبِيَّةِ، خَطَأٌ فِي التَّفْسِيرِ"[6].

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: "... وَلَمْ أَجِدِ العَرَبِيَّةَ تَحْتَمِلُ مَا قَالُوا، لِأَنِّي لَا أُجِيزُ: قَامَ النَّاسُ إِلَّا عَبْدَ اللهِ، وَهُوَ قَائِمٌ. إِنَّمَا الاسْتِثْنَاءُ أَنْ يَخْرُجَ الاسْمُ، الَّذِي بَعْدَ إِلَّا مِنْ مَعْنَى الأَسْمَاءِ قَبْلَ إِلَّا"[7].

---

[1] الجنى الداني ص480، وينظر: الأصول في النحو 370/1، والإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم35، وأوضح المسالك 62/2، ومغني اللبيب ص98، والتسهيل ص102، وشرح المفصل 82/2، وهمع الهوامع 224/1، 138/2، وخزانة الأدب 423/3.

[2] إعراب القرآن للنحاس 479/1.

[3] التسهيل ص174، ومغني اللبيب ص101، وهمع الهوامع 230/1، والإتقان في علوم القرآن 198/1.

[4] النمل الآية 10.

[5] البقرة الآية 155.

[6] معاني القرآن 89/1.

[7] معاني القرآن 287/2.

كَمَا أَنَّ الفَرَّاءَ لَا يُنْكِرُ أَنْ تَجِيءَ (إِلَّا) عَاطِفَةً، بِمَعْنَى الوَاوِ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ، لَكِنَّهُ يَشْتَرِطُ أَنْ تُكَرَّرَ حَتَّى يَصِحَّ أَنْ تَكُونَ بِمَنْزِلَةِ الوَاوِ. قَالَ: "... إِنَّمَا تَكُونُ إِلَّا بِمَنْزِلَةِ الوَاوِ إِذَا عَطَفْتَهَا عَلَى اسْتِثْنَاءٍ قَبْلَهَا، فَهُنَاكَ تَصِيرُ بِمَنْزِلَةِ الوَاوِ، كَقَوْلِكَ: لِي عَلَى فُلَانٍ أَلْفٌ إِلَّا عَشَرَةٌ إِلَّا مِائَةٌ، تُرِيدُ بِ(إِلَّا) الثَّانِيَةِ أَنْ تُرْجِعَ عَلَى الأَلْفِ، كَأَنَّكَ قُلْتَ: أَغْفَلْتُ المِائَةَ، فَاسْتَدْرَكْتُهَا، فَقُلْتُ: اللهُمَّ إِلَّا مِائَةٌ. فَالمَعْنَى: لَهُ عَلَيَّ أَلْفٌ وَمِائَةٌ، وَأَنْ تَقُولَ: ذَهَبَ النَّاسُ إِلَّا أَخَاكَ اللُّهُمَّ إِلَّا أَبَاكَ، فَتَسْتَثْنِي، تُرِيدُ: إِلَّا أَبَاكَ، وَإِلَّا أَخَاكَ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

مَا بِالمَدِينَةِ دَارٌ غَيْرُ وَاحِدَةٍ دَارُ الخَلِيفَةِ إِلَّا دَارُ مَرْوَانَا

كَأَنَّهُ قَالَ: مَا بِالمَدِينَةِ دَارٌ إِلَّا دَارُ الخَلِيفَةِ، وَدَارُ مَرْوَانَ"[1].

أَدَوَاتُ الصِّلَةِ وَالحَشْوِ:

المَشْهُورُ مِنْ أَدَوَاتِ الصِّلَةِ وَالحَشْوِ سِتُّ أَدَوَاتٍ، هِيَ: أَنْ، وَأَنْ، وَمَا، وَمِنْ، وَلَا، وَالبَاءُ. وَقَدْ أَضَافَ الكُوفِيُّونَ إِلَى هَذِهِ الأَدَوَاتِ أَدَوَاتٍ جَدِيدَةً، رَأَوْهَا تَأْتِي صِلَةً وَحَشْوًا فِي التَّأْلِيفِ، وَتَرْكِيبِ الكَلَامِ، أَهَمُّهَا: الوَاوُ، وَإِلَى، وَمَنْ، وَثُمَّ، وَاللَّامُ، وَالكَافُ، فِي حِينِ يُنْكِرُ البَصْرِيُّونَ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الأَدَوَاتُ مِنَ الأَدَوَاتِ الَّتِي تُزَادُ فِي الكَلَامِ، وَلَا يَعْتَرِفُونَ إِلَّا بِالأَدَوَاتِ السِّتِّ الأُوَلِ. وَهَذَا بَيَانٌ بِمَا أَضَافَهُ الكُوفِيُّونَ.

الوَاوُ:

فَالوَاوُ عِنْدَ الكُوفِيِّينَ فِي نَحْوِ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: {إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ}[2]، وَقَوْلِهِ: {فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ}[3]، وَقَوْلِهِ: {حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا}[4]؛ صِلَةٌ وَحَشْوٌ، مُخْرَجَةٌ عَنِ العَطْفِ، وَالتَّقْدِيرُ فِيهَا: إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ، أَذِنَتْ لِرَبِّهَا، وَحُقَّتْ، وَ: فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ، نَادَيْنَاهُ، وَ: حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا، فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا، وَذَلِكَ بِنَاءً عَلَى مَذْهَبِهِمُ القَائِلِ: إِنَّ الوَاوَ أَدَاةٌ مِنْ أَدَوَاتِ الصِّلَةِ وَالحَشْوِ، كَمَا هِيَ مَا، وَالبَاءُ، وَغَيْرُهَا مِنْ أَدَوَاتِ الصِّلَةِ.

---

[1] معاني القرآن 1/89-90.

[2] الاشقاق الآيتان 1، 2.

[3] الصافات الآيتان 103، 104.

[4] الزمر الآية 71.

وَيَرْفُضُ البَصْرِيُّونَ هَذَا المَذْهَبَ، وَيُنْكِرُونَ زِيَادَةَ الوَاوِ، وَيُخَرِّجُونَ الوَاوَ، فِي هَذِهِ الآيَاتِ الكَرِيمَةِ، وَنَحْوِهَا، عَلَى مَعْنَى العَطْفِ، وَالجَوَابُ مُقَدَّرٌ مَحْذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ أَبْلَغُ مِنْ ذِكْرِهِ؛ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ، مُرَادٌ فِي التَّرْكِيبِ[1].

وَإِثْبَاتُ الوَاوِ، فِي جُمْلَةِ أَدَوَاتِ الصِّلَةِ وَالحَشْوِ، مِمَّا جَاءَ عَنِ الكُوفِيِّينَ أَنْفُسِهِمْ. فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الفَرَّاءِ، مُفَسِّرًا قَوْلَهُ تَعَالَى: {حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ}[2]: "يُقَالُ: إِنَّهُ مُقَدَّمٌ، وَمُؤَخَّرٌ. مَعْنَاهُ: حَتَّى إِذَا تَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ، فَشِلْتُمْ. فَهَذِهِ الوَاوُ مَعْنَاهَا السُّقُوطُ، كَمَا يُقَالُ: {فَلَمَا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ}[3]، مَعْنَاهُ: نَادَيْنَاهُ. وَهُوَ فِي (حَتَّى إِذَا)، وَ(فَلَمَا أَنْ) مَقُولٌ، لَمْ يَأْتِ فِي غَيْرِ هَذَيْنِ المَوْضِعَيْنِ ... وَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا}[4]، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ {فُتِحَتْ}[5]، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

حَتَّى إِذَا قَمِلَتْ بُطُونُكُمُ وَرَأَيْتُمْ أَبْنَاءَكُمْ شَبُّوا
وَقَلَبْتُمْ ظَهْرَ المِجَنِّ لَنَا إِنَّ اللَّئِيمَ العَاجِزُ الخَبُّ"[6].

فَالَّذِي يُفْهَمُ، مِنْ هَذَا النَّصِّ، أَنَّ الفَرَّاءَ يَقُولُ بِزِيَادَةِ الوَاوِ، بَيْدَ أَنَّا نُفِيدُ مِنْ كَلَامِهِ تَقْيِيدَ زِيَادَةِ الوَاوِ فِي أُسْلُوبَيْنِ اثْنَيْنِ، لَيْسَ غَيْرُ، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ فِي التَّرْكِيبِ (حَتَّى إِذَا)، وَ(فَلَمَّا أَنْ)، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ العِبَارَةَ إِذَا لَمْ تُتَصَدَّرْ بِأَحَدِ هَذَيْنِ الأُسْلُوبَيْنِ، فَإِنَّ الوَاوَ فِيهَا لَا تُعَدُّ زَائِدَةً، وَإِنَّمَا هِيَ مُبَقَّاةٌ عَلَى مَعْنَى العَطْفِ، وَالجَوَابُ فِيمَا بَعْدَهُ. وَهَذَا مَا يُؤَكِّدُهُ فِي قَوْلِهِ: "وَأَمَا قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ، وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ}[7]، وَقَوْلُهُ: {وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ}[8]؛ فَإِنَّهُ كَلَامٌ وَاحِدٌ، جَوَابُهُ فِيمَا بَعْدَهُ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: فَيَوْمَئِذٍ يُلَاقِي حِسَابَهُ"[9].

---

[1] ينظر في هذا الخلاف: الخصائص 462/2، والمحتسب 216/2، والحجة في القراءات السبع ص224، والبيان في غريب إعراب القرآن 328/1، وشرح المفصل 93/8، الجنى الداني ص193، ورصف المباني ص425، ومغني اللبيب ص473، وشرح الأشموني مع الصبان 32/1.

[2] آل عمران الآية 152.

[3] الصافات الآيتان 103، 104.

[4] الزمر الآية 71.

[5] الزمر الآية 71.

[6] معاني القرآن 238/1، وينظر أيضا: 50/2-51، 211، 390، 52/3، ومجالس ثعلب ص95.

[7] الانشقاق الآيتان 1، 2.

[8] الانشقاق الآيتان 3، 4.

[9] معاني القرآن 238/1.

وَمِمَّنْ حَكَى زِيَادَةَ الوَاوِ، مِنَ النَّحْوِيِّينَ غَيْرِ الكُوفِيِّينَ، الأَخْفَشُ[1]، إِلَّا أَنَّ ابْنَ جِنِّي فِي (الخَصَائِص)، قَيَّدَ تَجْوِيزَ الأَخْفَشِ بِزِيَادَةِ الوَاوِ فِي أُسْلُوبٍ وَاحِدٍ، وَذَلِكَ إِذَا وَقَعَتْ فِي خَبَرِ كَانَ، فِي نَحْوِ قَوْلِكَ: كَانَ وَلَا مَالَ لَهُ، وَعَزَّزَ هَذَا المَذْهَبَ بِقَوْلِهِ: "وَوَجْهُ جَوَازِهِ، عِنْدِي، شَبَهُ خَبَرِ كَانَ بِالحَالِ، فَيَجْرِي مَجْرَى قَوْلِهِمْ: جَاءَنِي وَلَا ثَوْبَ عَلَيْهِ، أَيْ: جَاءَنِي عَارِيًا"[2].

إِلَى:

وَمِنْ أَدَوَاتِ الصِّلَةِ وَالحَشْوِ، الَّتِي أَثْبَتَهَا الفَرَّاءُ الأَدَاةُ إِلَى. فَقَدْ حَكَمَ عَلَى زِيَادَتِهَا، مُحْتَجًّا بِقِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى: {أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ}[3]. يَقُولُ مُعَلِّقًا عَلَى هَذِهِ الآيَةِ: "يَقُولُ: اجْعَلْ أَفْئِدَةً أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تُرِيدُهُمْ، كَقَوْلِكَ: رَأَيْتُ فُلَانًا يَهْوِي نَحْوَكَ، أَيْ: يُرِيدُكَ. وَقَرَأَ بَعْضُ القُرَّاءِ: {تَهْوَى إِلَيْهِمِ}، بِنَصْبِ الوَاوِ، بِمَعْنَى تَهْوَاهُمْ، كَمَا قَالَ: {رَدِفَ لَكُمْ}[4]، وَكَمَا قَالُوا: نَقَدْتُ لَهَا مِائَةً، أَيْ: نَقَدْتُهَا"[5].

وَوَجْهُ كَوْنِ (إِلَى) زَائِدَةً فِي قِرَاءَةِ نَصْبِ الوَاوِ مِنْ تَهْوَى، أَنَّ تَهْوَى فِعْلٌ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ، لَا بِوَسَاطَةِ حَرْفِ الخَفْضِ إِلَى. وَالمُنْكِرُونَ زِيَادَةَ إِلَى يُخَرِّجُونَ هَذِهِ الآيَةَ عَلَى تَضْمِينِ تَهْوَى مَعْنَى تَمِيلُ؛ لِأَنَّ تَمِيلُ مِنَ الأَفْعَالِ، الَّتِي تَتَعَدَّى بِالحَرْفِ إِلَى، تَقُولُ: مَالَ إِلَيْهِ، وَلَا تَقُولُ: مَالَهُ، أَوْ يُخَرِّجُونَهَا عَلَى أَنَّ الأَصْلَ تَهْوِي، بِالكَسْرِ، فَقُلِبَتِ الكَسْرَةُ فَتْحَةً، وَاليَاءُ أَلِفًا، قِيَاسًا عَلَى قَلْبِهَا فِي قَوْلِهِمْ فِي رَضِيَ: رَضَا.

اللَّامُ:

وَيُضِيفُ الفَرَّاءُ إِلَى أَدَوَاتِ الصِّلَةِ وَالحَشْوِ؛ اللَّامَ. فَقَدْ كَانَ يَقُولُ فِي قَوْلِ اللهِ تَبَارَكَ، وَتَعَالَى: {عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ}[6]: "جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ: دَنَا لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ، فَكَأَنَّ اللَّامَ دَخَلَتْ، إِذْ كَانَ المَعْنَى دَنَا، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

فَقُلْتُ لَهَا: الحَاجَاتُ يَطْرَحْنَ بِالفَتَى وَهَمٌّ تَعَنَّانِي مُعَنًّى رَكَائِبُه

---

[1] الجنى الداني ص193، ومغني اللبيب ص473، والأشموني مع الصبان 32/1.

[2] الخصائص 462/2.

[3] إبراهيم الآية 37.

[4] النمل الآية 72.

[5] معاني القرآن 78/2، وينظر أيضا: مغني اللبيب ص105، وشرح الأشموني مع الصبان 14/2، وهمع الهوامع (المحقق) 156/4، والإتقان في علوم القرآن 199/1.

[6] النمل الآية 72.

فَأَدْخَلَ البَاءَ فِي الفَتَى؛ لِأَنَّ مَعْنَى يَطْرَحْنَ: يَرْمِينَ، وَأَنْتَ تَقُولُ: رَمَيْتُ بِالشَّيْءِ، وَطَرَحْتُهُ. وَتَكُونُ اللَّامُ دَاخِلَةً، أَيْ: زَائِدَةً، وَالمَعْنَى رَدِفَكُمْ، كَمَا قَالَ بَعْضُ العَرَبِ: نَقَدْتُ لَهَا مِائَةً، وَهُوَ يُرِيدُ: نَقَدْتُهَا مِائَةً"[1].

وَمِمَّنْ قَالَ بِزِيَادَةِ اللَّامِ مِنَ البَصْرِيِّينَ المُبَرِّدُ[2].

ثُمَّ:

وَيُضِيفُ الكُوفِيُّونَ إِلَى أَدَوَاتِ الصِّلَةِ أَدَاةً أُخْرَى جَدِيدَةً، هِيَ ثُمَّ. فَقَدْ ذَهَبَ الكُوفِيُّونَ، وَالأَخْفَشُ، مِنَ البَصْرِيِّينَ، إِلَى أَنَّ مَعْنَى التَّشْرِيكِ فِي ثُمَّ قَدْ يَتَخَلَّفُ، وَذَلِكَ بِأَنْ تَقَعَ ثُمَّ صِلَةً وَحَشْوًا؛ لِتَأْكِيدِ الكَلَامِ، فَلَا تَكُونُ عَاطِفَةً البَتَّةَ. وَقَدِ احْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ ... ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا}[3]. فَعِنْدَهُمْ أَنَّ ثُمَّ، فِي هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ، لَيْسَتْ حَرْفَ عَطْفٍ، كَمَا يَرَى البَصْرِيُّونَ، وَإِنَّمَا هِيَ صِلَةٌ وَحَشْوٌ[4].

مَنْ:

وَفِي النَّحْوِ الكُوفِيِّ قَاعِدَةٌ شَهِيرَةٌ، تَقُولُ: إِنَّ الأَسْمَاءَ تُزَادُ، كَمَا تُزَادُ حُرُوفُ الصِّلَةِ وَالحَشْوِ، مِثْلُ: مَا، وَمِنْ، وَالبَاءِ، وَغَيْرِهَا. وَهَذِهِ القَاعِدَةُ سَهَّلَتْ لِلْكِسَائِيِّ؛ شَيْخِ الكُوفِيِّينَ، إِثْبَاتَ قِسْمٍ آخَرَ لِلِاسْمِ المَوْصُولِ؛ مَنْ، غَيْرِ مَعْرُوفٍ فِي النَّحْوِ البَصْرِيِّ. فَهُوَ يَرَى أَنَّ مَنْ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ:

فَكَفَى بِنَا فَضْلًا عَلَى مَنْ غَيْرِنَا .....

وَقَوْلِهِ:

يَا شَاةُ مَنْ قَنْصٍ لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ .....

وَقَوْلِهِ:

آلُ الزُّبَيْرِ سَنَامُ المَجْدِ قَدْ عَلِمَتْ ذَاكَ القَبَائِلُ وَالأَثْرَونَ مَنْ عَدَدَا

اسْمٌ زَائِدٌ، زِيدَ لِتَأْكِيدِ الكَلَامِ، وَلَا مَوْضِعَ لَهُ مِنَ الإِعْرَابِ.

---

[1] معاني القرآن 299/2-300، وينظر: 178/2، 223، وشرح أبيات مغني اللبيب 369/4.

[2] شرح أبيات مغني اللبيب 306/4.

[3] التوبة الآية 118.

[4] مغني اللبيب ص158، وهمع الهوامع 132/2.

أَمَّا البَصْرِيُّونَ، فَيُنْكِرُونَ زِيَادَةَ مَنْ، وَأَنَّ مَنِ الزَّائِدَةَ قِسْمٌ آخَرُ مِنْ أَقْسَامِ مَنْ، وَيَتَأَوَّلُونَ هَذِهِ الأَمْثِلَةَ عَلَى أَنَّ مَنْ فِيهَا نَكِرَةٌ مَوْصُوفَةٌ، وَالتَّقْدِيرُ: عَلَى قَوْمٍ غَيْرِنَا، وَيَا شَاةَ إِنْسَانٍ قَنَصَ، وَمَنْ يَعُدُّ عَدَدًا[1].

الكَافُ:

وَأَثْبَتَ الفَرَّاءُ[2]، وَتابَعَهُ ثَعْلَبٌ وَالمُبَرِّدُ[3]، فِي أَدَوَاتِ الصِّلَةِ وَالحَشْوِ الكَافَ. فَقَدْ حَكَى الفَرَّاءُ أَنَّهُ قِيلَ لِبَعْضِهِمْ: كَيْفَ تَصْنَعُونَ الأَقِطَ؟ فَقَالَ: كَهَيِّنٍ. يُرِيدُ: هَيِّنًا، فَزَادَ الكَافَ، وَفِي الحَدِيثِ: يَكْفِي كَالوَجْهِ وَالكَفَّيْنِ، أَيْ: يَكْفِي الوَجْهُ وَالكَفَّانِ. يَقُولُ المُرَادِيُّ: "وَزِيَادَتُهَا فِي كَلَامِ العَرَبِ غَيْرُ قَلِيلَةٍ"[4].

أَدَوَاتُ النَّصْبِ:

يُثْبِتُ النَّحْوُ البَصْرِيُّ أَدَوَاتٍ أَرْبَعًا تَنْصِبُ الفِعْلَ المُضَارِعَ، هِيَ: أَنْ، وَلَنْ، وَكَيْ، وَإِذَنْ. أَمَّا النَّحْوُ الكُوفِيُّ، فَيُضِيفُ إِلَى هَذِهِ الأَدَوَاتِ أَدَوَاتٍ نَاصِبَةً جَدِيدَةً، تَنْصِبُ الفِعْلَ المُضَارِعَ، كَمَا تَنْصِبُهُ أَنْ، وَلَنْ، وَكَيْ، وَإِذَنْ. وَهَذِهِ الأَدَوَاتُ هِيَ: كَمَا، وَاللَّامُ، وَحَتَّى، وَالوَاوُ، وَالفَاءُ، وَأَوْ. وَهَذَا بَيَانُهَا.

كَمَا:

كَمَا مِنْ أَدَوَاتِ النَّصْبِ، الَّتِي يُثْبِتُهَا الكُوفِيُّونَ[5]، وَيَرَوْنَ أَنَّهَا تَنْصِبُ الفِعْلَ المُضَارِعَ، كَغَيْرِهَا مِنْ أَدَوَاتِ النَّصْبِ الأُخْرَى، وَيَسْتَدِلُّونَ عَلَى ذَلِكَ بِكَثْرَةِ الشَّوَاهِدِ الشِّعْرِيَّةِ، الَّتِي جَاءَتْ فِيهَا كَمَا نَاصِبَةً الفِعْلَ المُضَارِعَ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

وَطَرْفَكَ إِمَّا جِئْتَنَا فَاحْفَظَنَّهُ ... كَمَا يَحْسَبُوا أَنَّ الهَوَى حَيْثُ تَصْرِفُ

وَقَوْلِ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ:

اسْمَعْ حَدِيثًا كَمَا يَوْمًا تُحَدِّثُهُ ... عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ إِذَا مَا سَائِلٌ سَأَلَا

---

[1] ينظر: الأمالي الشجرية 312/2، والتسهيل ص36، وشرح الكافية 55/2، ومغني اللبيب ص434-435، وهمع الهوامع (المحقق) 318/1، والدرر اللوامع على همع الهوامع 70/1، وشرح أبيات مغني اللبيب 341/5.

[2] الجنى الداني ص137.

[3] ينظر: مجالس العلماء ص911.

[4] الجنى الداني ص137.

[5] ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم81، وشرح الكافية 240/2، ومعاني الحروف ص99، والجنى الداني ص451، ورصف المباني ص213-214، وهمع الهوامع (المحقق) 102/4-103، والاقتراح ص184-185، والدرر اللوامع على همع الهوامع 5/2، وشرح أبيات مغني اللبيب 119/4.

يَقُولُ ثَعْلَبٌ، مُؤَكِّدًا أَنَّ (كَمَا) مِنْ أَدَوَاتِ النَّصْبِ فِي النَّحْوِ الكُوفِيِّ: "زَعَمَ أَصْحَابُنَا أَنَّ (كَمَا) تَنْصِبُ، فَإِذَا حِيلَ بَيْنَهُمْا، أَيْ فُصِلَ بَيْنَ كَمَا وَبَيْنَ الفِعْلِ بِفَاصِلٍ، رَفَعْتَ، وَغَيْرُهُمْ يَقُولُ: كَمَا تَرْفَعُ ... قَالَ: يَزْعُمُ البَصْرِيُّونَ أَنَّهَا لَا تَعْمَلُ، كَمَا تَعْمَلُ كَيْ. قَالَ: وَأَصْحَابُنَا يَقُولُونَ: كَمَا مِثْلُ كَيْ"[1].

وَأَمَا البَصْرِيُّونَ، فَلَا يُسَلِّمُونَ بِذَلِكَ، وَيَنْفُونَ أَنْ تَكُونَ (كَمَا) مِنْ أَدَوَاتِ النَّصْبِ، وَيَرَوْنَ أَنَّهَا لَا تَعْمَلُ النَّصْبَ فِي الفِعْلِ المُضَارِعِ بَعْدَهَا، وَإِنَّمَا هُوَ مَرْفُوعٌ، لَا مَنْصُوبٌ، كَمَا أَنَّ الفِعْلَ المُضَارِعَ بَعْدَ رُبَّمَا فِي نَحْوِ: رُبَّمَا يَعُودُ زَيْدٌ، مَرْفُوعٌ؛ لِأَنَّ رُبَّ وَالكَافَ أَدَاتَانِ مُنْفَصِلَتَانِ، أُضِيفَ إِلَيْهِمَا (مَا)، فَأَصْبَحَتَا حَرْفًا وَاحِدًا، يَرْتَفِعُ الفِعْلُ بَعْدَهُمَا، وَلَا يَنْتَصِبُ؛ لِذَلِكَ، فَهُمْ يَرْفُضُونَ رِوَايَةَ الكُوفِيِّينَ هَذِهِ الشَّوَاهِدَ بِالنَّصْبِ، وَيَرْوُونَهَا بِالرَّفْعِ.

وَمِمَّنْ حَكَى النَّصْبَ بِـ(كَمَا)، مِنْ غَيْرِ الكُوفِيِّينَ، أَبُو العَبَّاسِ؛ المبَرِّدُ[2].

اللَّامُ:

وَهَذِهِ أَدَاةٌ أُخْرَى جَدِيدَةٌ، يُثْبِتُهَا الكُوفِيُّونَ[3] إِلَّا ثَعْلَبًا، فِي مُجْمَلِ الأَدَوَاتِ الَّتِي تَنْصِبُ الفِعْلَ المُضَارِعَ أَصَالَةً، سَوَاءٌ أَكَانَتْ هَذِهِ اللَّامُ لَامَ كَيْ، أَمْ لَامَ الجُحُودِ. فَعِنْدَهُمْ أَنَّ اللَّامَ فِي نَحْوِ: جِئْتُ لِأَدْرُسَ، وَمَا كُنْتُ لِأَقُولَ كَذَا وَكَذَا؛ أَدَاةُ نَصْبٍ، تَنْصِبُ الفِعْلَ أَدْرُسَ وَأَقُولَ بِنَفْسِهَا؛ لِأَنَّهَا قَامَتْ مَقَامَ كَيْ، وَلِهَذَا تَشْتَمِلُ عَلَى مَعْنَى كَيْ، كَمَا أَنَّ كَيْ تَنْصِبُ الفِعْلَ أَصَالَةً، فَكَذَلِكَ اللَّامُ القَائِمَةُ مَقَامَ كَيْ.

وَيَرَوْنَ أَنَّهُ إِذَا جَاءَتْ بَعْدَهَا كَيْ، كَمَا فِي قَوْلِكَ: جِئْتُ لِكَيْ أَتَعَلَّمَ، فَتَكُونُ كَيْ مُؤَكِّدَةً لِهَذِهِ اللَّامِ، وَكَذَلِكَ إِنْ جَاءَتْ بَعْدَ كَيْ أَنْ فِي نَحْوِ: جِئْتُ لِكَيْ أَنْ أَتَعَلَّمَ، فَتَكُونُ أَنْ مُؤَكِّدَةً لِكَيْ، وَكَيْ مُؤَكِّدَةً لِلَّامِ.

وَجَعْلُ اللَّامِ إِحْدَى أَدَوَاتِ النَّصْبِ مِمَّا قَالَ بِهِ الكُوفِيُّونَ أَنْفُسُهُمْ. يَقُولُ الفَرَّاءُ، مُفَسِّرًا قَوْلَهُ تَعَالَى: {وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ العَالَمِينَ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ}[4]: "فَرَدَّ أَنْ عَلَى لَامِ كَيْ؛ لِأَنَّ أَنْ تَصْلُحُ فِي

---

[1] مجالس ثعلب ص127.

[2] الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم81، وهمع الهوامع 102/4، وشرح الكافية 240/2.

[3] ينظر: اللامات ص53-54، وإعراب القرآن للنحاس 408/1، والإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم79، 82، وشرح المفصل 19/7-20، وشرح الكافية 2401/2، والجنى الداني ص143، 156، ومغني اللبيب ص277، وشرح الأشموني مع الصبان 292/3، والبحر المحيط 273/1، 224/3، 225، وشذور الذهب ص43، والإتقان في علوم القرآن 222/1، وهمع الهوامع 7/2، 17 17، والموفي في النحو الكوفي ص116.

[4] الأنعام الآيتان 71، 72.

مَوْقِعِ اللَّامِ. فَرَدَّ أَنْ عَلَى أَنْ مِثْلَهَا، يَصْلُحُ فِي مَوْقِعِ اللَّامِ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ فِي مَوْضِعٍ: {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا}[1]، وفِي مَوْضِعٍ: {يُرِيدُونَ أَنْ[2] يُطْفِئُوا}"[3].

وَأَمَّا أَبُو العَبَّاسِ، ثَعْلَبٌ، فَيُخَالِفُ أَصْحَابَهُ، كَمَا يُخَالِفُ البَصْرِيِّينَ، وَيَرَى أَنَّ الفِعْلَ المُضَارِعَ مَنْصُوبٌ، لَا باللَّامِ نَفْسِهَا، وَلَا بِأَنْ مُضْمَرَةً بَعْدَهَا، وَإِنَّمَا هُوَ مَنْصُوبٌ باللَّامِ؛ لقِيَامِهَا مَقَامَ أَنْ[4].

وَأَمَا البَصْرِيُّونَ، فَلَا يَرَوْنَ أَنَّ اللَّامَ أَدَاةٌ تَنْصِبُ الفِعْلَ المُضَارِعَ، وَإِنَّمَا يَعُدُّونَهَا حَرْفَ جَرٍّ بَاقِيًا عَلَى أَصْلِه، وَالفِعْلَ المُضَارِعَ بَعْدَهَا يَنْتَصِبُ عَلَى إِضْمَارِ أَنْ مُقَدَّرَةً بَعْدَهَا؛ لِأَنَّ اللَّامَ، كَمَا يَقُولُونَ، مِنْ عَوَامِلِ الأَسْمَاءِ، وَعَوَامِلُ الأَسْمَاءِ لَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ عَوَامِلَ الأَفْعَالِ؛ لِأَنَّ الحَرْفَ الوَاحِدَ لَا يَكُونُ خَافِضًا لِلاسْمِ، وَنَاصِبًا لِلْفِعْلِ. يَقُولُ سِيبَوَيْهِ: "هَذَا بَابُ الحُرُوفِ الَّتِي تُضْمَرُ فِيهَا أَنْ، وَذَلِكَ اللَّامُ الَّتِي فِي قَوْلِكَ: جِئْتُكَ لِتَفْعَلَ، وَحَتَّى وَذَلِكَ قَوْلُكَ: حَتَّى تَفْعَلَ ذَاكَ، فَإِنَّمَا انْتَصَبَ هَذَا بِأَنْ، وَأَنْ هَهُنَا مُضْمَرَةٌ، وَلَوْ لَمْ تُضْمِرْهَا، لَكَانَ الكَلَامُ مُحَالاً؛ لِأَنَّ اللَّامَ وحَتَّى إِنَّمَا يَعْمَلَانِ فِي الأَسْمَاءِ، فَيَجُرَّانِ، وَلَيْسَتَا مِنَ الحُرُوفِ، الَّتِي تُضَافُ إِلَى الأَفْعَالِ"[5].

حَتَّى:

لِحَتَّى عِنْدَ البَصْرِيِّينَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ: الأَوَّلُ حَرْفُ جَرٍّ، وَالثَّانِي حَرْفُ عَطْفٍ، وَالثَّالِثُ حَرْفُ ابْتِدَاءٍ. وَحَتَّى عِنْدَ الكُوفِيِّينَ قِسْمَانِ[6]: أَدَاةُ ابْتِدَاءٍ، وَأَدَاةُ نَصْبٍ، تَنْصِبُ الفِعْلَ المُضَارِعَ بِنَفْسِهَا، وَهَذَا القِسْمُ هُوَ الَّذِي يَعْنِينَا هُنَا.

فَالكُوفِيُّونَ يَجْعَلُونَ حَتَّى مِنَ الأَدَوَاتِ، الَّتِي تَنْصِبُ الفِعْلَ المُضَارِعَ أَصَالَةً، مِنْ غَيْرِ تَقْدِيرِ أَنْ بَعْدَهَا، مِثْلُ: أَنْ، وَكَيْ، وَإِذَنْ، وَلَنْ. فَإِذَا قُلْتَ: سِرْتُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، كَانَ الفِعْلُ تَطْلُعَ مَنْصُوبًا بِحَتَّى نَفْسِهَا؛ لِأَنَّ حَتَّى عِنْدَهُمْ لَا تَخْلُو أَنْ تَكُونَ، إِمَّا بِمَعْنَى كَيْ، مِثْلُ: أَطِعِ اللهَ حَتَّى يَدْخِلَكَ الجَنَّةَ، فَإِنْ

---

[1] الصف الآية 8.

[2] التوبة الآية 32.

[3] معاني القرآن 6/1، وينظر: 113/1، 261-263.

[4] شرح المفصل 20/7، ومغني اللبيب ص277، وشرح الأشموني 557/3، وهمع الهوامع 7/2، 17، والموفي في النحو الكوفي 117.

[5] الكتاب 5/3-6، وينظر: المقتضب 7/2، 38.

[6] القِسْمُ الأَوَّلُ، وَالقِسْمُ الثَّانِي، مِنْ أَقْسَامِ حَتَّى عِنْدَ البَصْرِيِّينَ، لَا يَعْتَرِفُ بِهِمَا الكُوفِيُّونَ. فَهُمْ يُنْكِرُونَ أَنْ تَكُونَ حَتَّى أَداة جرٍّ، تَجُرُّ ما بعدها من الأسماء، فالكسائيُّ يرى أَنَّ ما بعدها يكون مجرورا بإضمار إِلَى، عَلَى حين يَرَى الفَرَّاءُ أَنَّهُ مَجْرُورٌ لنِيَابَتِهَا مَنَابَ إِلَى. (ينظر: همع الهوامع 8/2)، وَيُنْكِرُونَ، أَيْضًا، أَنْ تَكُونَ أَدَاةَ عَطْفٍ، وَيَرَوْنَ أَنَّهَا هُنَا ابْتِدَائِيَّةٌ. ينظر: الباب الثاني الفصل الأول في تسمية الأدوات.

كَانَتْ بِمَعْنَى كَيْ نَصَبَت الفِعْلَ، كَمَا تَنْصِبُه كَيْ، وَإِمَّا بِمَعْنَى إِلَى أَنْ، كَقَوْلِه تَعَالَى: {حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى}[1]؛ فَإِنْ كَانَتْ بِمَعْنَى إِلَى أَنْ نَصَبَت الفِعْلَ بِنَفْسِهَا، كَمَا تَنْصِبُه أَنْ. وَيُجَوِّزُ بَعْضُهُمْ أَنْ تَظْهَرَ أَنْ بَعْدَ حَتَّى، كَمَا فِي قَوْلِكَ: لَأَسِيرَنَّ حَتَّى أَنْ أَدْخُلَ البَيْتَ، وَيَكُونُ الفِعْلُ مَنْصُوبًا بِحَتَّى، وَتَكُونُ أَنْ مُؤَكِّدَةً لَهَا.

وَيَرْفُضُ البَصْرِيُّونَ هَذَا القِسْمَ الكُوفِيَّ لِحَتَّى، وَلَا يُسَلِّمُونَ بِأَنْ تَكُونَ حَتَّى مِنَ الأَدَوَاتِ، الَّتِي تَنْصِبُ الفِعْلَ المُضَارِعَ أَصَالَةً، وَيَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّهَا حَرْفُ جَرٍّ، وَأَنَّ الفِعْلَ بَعْدَهَا مَنْصُوبٌ بِأَنْ مُضْمَرَةً؛ لِأَنَّهَا مِنْ عَوَامِلِ الأَسْمَاءِ، وَمَا كَانَ مِنْ عَوَامِلِ الأَسْمَاءِ لَا يَعْمَلُ فِي الأَفْعَالِ، لِانْتِفَاءِ شَرْطِ الاخْتِصَاصِ بِالعَمَلِ[2].

وَكَوْنُ حَتَّى مِنْ نَوَاصِبِ الفِعْلِ المُضَارِعِ مِمَّا نَصَّ عَلَيْهِ الكُوفِيُّونَ. فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الفَرَّاءِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِه تَعَالَى: {وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ}[3]، يَقُولُ الفَرَّاءُ: "قَرَأَهَا يَقُولَ، بِالنَّصْبِ إِلَّا مُجَاهِدًا، وَبَعْضَ أَهْلِ المَدِينَةِ، فَإِنَّهُمَا رَفَعَاهَا. وَلَهَا وَجْهَانِ فِي العَرَبِيَّةِ: نَصْبٌ وَرَفْعٌ. فَأَمَّا النَّصْبُ، فَلِأَنَّ الفِعْلَ الَّذِي قَبْلَهَا مِمَّا يَتَطَاوَلُ كَالتِّرْدَادِ. فَإِذَا كَانَ الفِعْلُ عَلَى ذَلِكَ المَعْنَى، نُصِبَ بَعْدَهُ بِحَتَّى، وَهُوَ فِي المَعْنَى مَاضٍ. فَإِذَا كَانَ الفِعْلُ الَّذِي قَبْلَ حَتَّى لَا يَتَطَاوَلُ، وَهُوَ مَاضٍ، رُفِعَ الفِعْلُ بَعْدَ حَتَّى، إِذَا كَانَ مَاضِيًا. فَأَمَّا الفِعْلُ الَّذِي يَتَطَاوَلُ، وَهُوَ مَاضٍ، فَقَوْلُكَ: جَعَلَ فُلَانٌ يُدِيمُ النَّظَرَ حَتَّى يَعْرِفَكَ، أَلَا تَرَى أَنَّ إِدَامَةَ النَّظَرِ تَطُولُ، فَإِذَا طَالَ مَا قَبْلَ حَتَّى، ذَهَبَ مَا بَعْدَهَا إِلَى النَّصْبِ، إِنْ كَانَ مَاضِيًا بِتَطَاوُلِه[4].

الوَاوُ وَالفَاءُ وَأَوْ:

وَهَذِهِ أَدَوَاتٌ أُخْرَى، أَلْحَقَهَا الكِسَائِيُّ، وَمَنْ تَابَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ الكُوفِيِّينَ، بِالأَدَوَاتِ النَّاصِبَةِ لِلْفِعْلِ المُضَارِعِ، المَسْبُوقِ بِنَفْيٍ، أَوْ طَلَبٍ.

فَالكُسَائِيُّ، وَمَنْ تَابَعَهُ مِنَ الكُوفِيِّينَ، يَرَى أَنَّ الوَاوَ، وَالفَاءَ، وَأَوْ فِي نَحْوِ قَوْلِكَ: لَا تَأْكُلِ السَّمَكَ وَتَشْرَبَ اللَّبَنَ، وَقَوْلِه تَعَالَى: {لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا}[5]، وَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

لَأَسْتَسْهِلَنَّ الصَّعْبَ أَوْ أُدْرِكَ المُنَى ... فَمَا انْقَادَتِ الآمَالُ إِلَّا لِصَابِرِ

---

[1] طه الآية 91.

[2] ينظر: فِي هَذَا الخِلَافِ: الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم83، وشرح المفصل 19/7، وشرح الكافية 240/2، والجنى الداني ص542، 554.

[3] البقرة الآية 21.

[4] معاني القرآن 132/1-133، وينظر: الموفي في النحو الكوفي ص116.

[5] فاطر الآية 36.

لَيْسَتْ بِأَدَوَاتٍ عَاطِفَةٍ، تَعْطِفُ مَصْدَرًا عَلَى مَصْدَرٍ مُتَوَهَّمٍ، وَإِنَّمَا هِيَ أَدَوَاتُ نَصْبٍ، تَنْصِبُ الأَفْعَالَ المُضَارِعَةَ بَعْدَهَا، كَمَا فِي هَذِهِ الأَمْثِلَةِ، وَنَحْوِهَا[1].

وَيَنْسِبُ بَعْضُ المَصَادِرِ إِلَى الجَرْمِيِّ مِنَ البَصْرِيِّينَ، القَوْلَ: إِنَّ الوَاوَ، وَالفَاءَ، وَأَوْ حُرُوفُ نَصْبٍ، تَنْصِبُ بِنَفْسِهَا الفِعْلَ المُضَارِعَ المَسْبُوقَ بِنَفْيٍ، أَوْ طَلَبٍ[2]، لَكِنَّ السُّيُوطِيَّ فِي (هَمْعِ الهَوَامِعِ)، عِنْدَ كَلَامِهِ عَلَى أَوْ، ذَكَرَ أَنَّ الكِسَائِيَّ، وَأَصْحَابَهُ مِنَ الكُوفِيِّينَ، وَالجَرْمِيَّ، قَالُوا جَمِيعًا: إِنَّ أَوْ مِنَ الأَدَوَاتِ الَّتِي تَنْصِبُ الفِعْلَ المُضَارِعَ بِنَفْسِهَا[3]. وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ الجَرْمِيَّ لَمْ يَكُنِ الأَوَّلَ، وَالأَوْحَدَ، الَّذِي عَدَّ هَذِهِ الأَدَوَاتِ أَدَوَاتٍ نَاصِبَةً لِلْفِعْلِ المُضَارِعِ، بَلْ هُنَاكَ نَحْوِيُّونَ كُوفِيُّونَ ذَهَبُوا هَذَا المَذْهَبَ، أَوَّلُهُمُ الكِسَائِيُّ، وَهَذَا مَا أَكَّدَهُ بَعْضُ المَصَادِرِ[4].

وَأَمَّا مَذْهَبُ البَصْرِيِّينَ، فِي هَذِهِ الأَدَوَاتِ، فَيَتَمَثَّلُ فِي إِنْكَارِهِمْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الأَدَوَاتُ أَدَوَاتٍ نَاصِبَةً لِلْفِعْلِ بِنَفْسِهَا، وَيَرَوْنَ أَنَّهَا أَدَوَاتٌ عَاطِفَةٌ، يَنْتَصِبُ الفِعْلُ المُضَارِعُ بَعْدَهَا بِأَنْ مُضْمَرَةً، وَتَكُونُ هِيَ، وَالفِعْلُ فِي تَأْوِيلِ مَصْدَرٍ، مَعْطُوفٍ عَلَى مَصْدَرٍ مُتَوَهَّمٍ مِنَ الفِعْلِ السَّابِقِ. يَقُولُ سِيبَوَيْهِ: "اعْلَمْ أَنَّ مَا انْتَصَبَ بَعْدَ أَوْ، فَإِنَّهُ يَنْتَصِبُ عَلَى إِضْمَارِ أَنْ، كَمَا انْتَصَبَ فِي الفَاءِ، وَالوَاوِ عَلَى إِضْمَارِهَا، وَلَا يُسْتَعْمَلُ إِظْهَارُهَا، كَمَا لَمْ يُسْتَعْمَلْ فِي الفَاءِ، وَالوَاوِ ... تَقُولُ: إِذَا قَالَ: لَأَلْزَمَنَّكَ أَوْ تُعْطِيَنِي، كَأَنَّهُ يَقُولُ: لَيَكُونَنَّ اللُّزُومُ، أَوْ أَنْ تُعْطِيَنِي"[5].

مُتَفَرِّقَاتٌ:

وَقَدْ أَضَافَ الكُوفِيُّونَ أَدَوَاتٍ أُخْرَى، أَنْكَرَهَا البَصْرِيُّونَ، وَلَمْ يَعْتَدُّوا بِهَا. فَقَدْ أَضَافُوا إِلَى أَدَوَاتِ الخَفْضِ أَدَاتَيْنِ جَدِيدَتَيْنِ، هما وَاوُ رُبَّ، وَلَاتَ.

فَعِنْدَهُمْ، وَعِنْدَ المُبَرِّدِ أَنَّ الوَاوَ فِي نَحْوِ قَوْلِ امْرِئِ القَيْسِ:

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِي

---

[1] ينظر: رصف المباني ص134، وشرح الأشموني مع الصبان 296/3، والجنى الداني ص129، 248، ومغني اللبيب ص213، وشرح الأشموني 551/3، 565، وهمع الهوامع 10/2، والأشباه والنظائر 157/2.

[2] شرح المفصل 21/7، وشرح الكافية 241/2.

[3] همع الهوامع 10/2، والموفي في النحو الكوفي ص126.

[4] إيضاح الوقف والابتداء 117/1، وشرح الأشموني مع الصبان 296/3، وشرح الأشموني 559/3، والأشباه والنظائر 157/21.

[5] الكتاب 46/3، وينظر: المقتضب 6/2-7.

أَدَاةُ خَفْضٍ، تَخْفِضُ مَا بَعْدَهَا مِنَ النَّكِرَاتِ أَصَالَةً، عَلَى خِلَافِ البَصْرِيِّينَ، الَّذِينَ يَعُدُّونَ هَذِهِ الوَاوَ حَرْفَ عَطْفٍ، لَا حَرْفَ خَفْضٍ، وَأَنَّ مَا بَعْدَهَا مَجْرُورٌ بِرُبَّ مُقَدَّرَةً بَعْدَهَا[1].

وَاسْتَدَلَّ الكُوفِيُّونَ لِرَأْيِهِمْ بِأَنَّ هَذِهِ الوَاوَ قَامَتْ مَقَامَ أَدَاةٍ خَافِضَةٍ بِنَفْسِهَا، هِيَ رُبَّ، وَبِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ مِنْ حُرُوفِ العَطْفِ، لَمَا صَحَّ أَنْ تَقَعَ فِي ابْتِدَاءِ الكَلَامِ، لِأَنَّ حُرُوفَ العَطْفِ لَا تَقَعُ فِي ابْتِدَاءِ الكَلَامِ.

وَاسْتَدَلَّ البَصْرِيُّونَ لِرَأْيِهِمْ بِكَوْنِ هَذِهِ الوَاوِ حَرْفًا غَيْرَ مُخْتَصٍّ، يَدْخُلُ عَلَى الأَسْمَاءِ، كَمَا يَدْخُلُ عَلَى الأَفْعَالِ، وَالحَرْفُ غَيْرُ المُخْتَصِّ، عِنْدَهُمْ، لَا يَعْمَلُ؛ لِذَا، فَإِنَّ الجَرَّ لَيْسَ بِهَا، كَمَا يَرَى الكُوفِيُّونَ، بَلْ بِرُبَّ مُقَدَّرَةً بَعْدَهَا.

وَأَمَّا لَاتَ، فَقَدْ عَدَّهَا الفَرَّاءُ مِنَ الأَدَوَاتِ، الَّتِي يُخْفَضُ بِهَا الزَّمَانُ، كَمَا يُخْفَضُ بِـ:مِنْ، وَعَنْ، وَإِلَى، وَنَحْوِهَا مِنْ أَدَوَاتِ الخَفْضِ. يَقُولُ عِنْدَ كَلَامِهِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {فَنَادَوا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ}[2]: "وَمِنَ العَرَبِ مَنْ يُضِيفُ، فَيَخْفِضُ. أَنْشَدُونِي:

..... لَاتَ سَاعَةَ مَنْدَمِ

وَلَا أَحْفَظُ صَدْرَهُ، وَالكَلَامُ أَنْ يَنْتَصِبَ بِهَا؛ لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى لَيْسَ. أَنْشَدَنِي المُفَضَّلُ:

تَذْكُرُ حُبَّ لَيْلَى لَاتَ حِينًا وَأَضْحَى الشَّيْبُ قَدْ قَطَعَ القَرِينَا

فَهَذَا نَصْبٌ، وَأَنْشَدَنِي بَعْضُهُمْ:

طَلَبُوا صُلْحَنَا وَلَاتَ أَوَانٍ فَأَجَبْنَا أَنْ لَيْسَ حِينَ بَقَاءِ

فَخَفَضَ (أَوَانٍ). فَهَذَا خَفْضٌ"[3].

وَلَا يُسَلِّمُ البَصْرِيُّونَ بِقَوْلِ الفَرَّاءِ، وَيَتَأَوَّلُونَ الجَرَّ عَلَى تَقْدِيرِ حَرْفِ جَرٍّ مَحْذُوفٍ.

وَأَضَافَ الكُوفِيُّونَ إِلَى أَدَوَاتِ القَسَمِ أَدَاتَيْنِ جَدِيدَتَيْنِ، هُمَا: عَوْضُ، وَلَا جَرَمَ. فَأَمَّا عَوْضُ، فَهِيَ عِنْدَهُمْ مِنْ أَدَوَاتِ القَسَمِ، الَّتِي تُغْنِي عَنِ القَسَمِ، كَمَا تُغْنِي غَيْرُهَا مِنْ أَدَوَاتِ القَسَمِ، كَالتَّاءِ، وَالوَاوِ، وَالبَاءِ؛ لِذَلِكَ يَصِحُّ أَنْ يُقَالُ: عَوْضُ لَأَفْعَلَنَّ، فِي مَعْنَى: وَاللهِ لَأَفْعَلَنَّ، اسْتِدْلَالًا بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

رَضِيعَيْ لِبَانِ ثَدْيِ أُمٍّ تَقَاسَمَا بِأَسْحَمَ دَاجٍ عَوْضُ لَا نَتَفَرَّقُ

---

[1] ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم55، وشرح الكافية 333/2، والجنى الداني ص185، وشرح الأشموني مع الصبان 233/2، وشرح أبيات مغني اللبيب 20/4.

[2] ص الآية 30.

[3] معاني القرآن 397/2-398، وينظر: إيضاح الوقف والابتداء 290/1، والجنى الداني ص456، ولسان العرب 468/15، والصبان مع الأشموني 256/1، والدرر اللوامع على همع الهوامع، 99/1، وشرح أبيات مغني اللبيب 29/5.

وَهَذه الأَدَاةُ لَا يَعْرِفُهَا البَصْرِيُّونَ فِي أَدَوَاتِ القَسَمِ. يَقُولُ أَبُو حَيَّانَ: "وَالبَصْرِيُّونَ لَا يَعْرِفُونَ القَسَمَ بِه، وَإِنْ ذَكَرَهُ الزَّجَّاجيُّ"[1].

وَأَمَّا لَا جَرَمَ، فَشَأْنُهَا شَأْنُ عَوْضُ. فَهِيَ مِنْ أَدَوَاتِ القَسَمِ الجَدِيدَة، الَّتِي أَثْبَتَهَا الكُوفِيُّونَ. فَقَدْ حَكَى الفَرَّاءُ أَنَّ العَرَبَ تَقُولُ: لَا جَرَمَ لَآتِيَنَّكَ، وَلَا جَرَمَ قَدْ أَحْسَنْتَ، وَذَكَرَ أَنَّ الأَصْلَ فِي اسْتِعْمَالِهَا أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى لَا بُدَّ، وَلَا مَحَالَةَ، بَيْدَ أَنَّ كَثْرَةَ الاسْتِعْمَالِ صَيَّرَتْهَا بِمَنْزِلَةِ حَقًّا، وَأَضْحَتْ بِذَلِكَ أَدَاةً، تُغْنِي عَنِ القَسَمِ[2].

وَأَضَافُوا إِلَى أَدَوَاتِ النِّدَاءِ الأَدَاتَيْنِ: (آ)، وَ(آي)، وَهُمَا لنداءِ البَعيد. يَقُولُ ابْنُ مَالِكٍ: "وَلَمْ يَذْكُرِ البَصْرِيُّونَ فِي حُرُوفِ النِّدَاءِ (آ)، لَكِنْ ذَكَرَهَا الكُوفِيُّونَ، وَزِيَادَةُ الثِّقَةِ مَقْبُولَةٌ"[3]. وَيَقُولُ: فِي (آي): "رَوَاهَا الكُوفِيُّونَ عَنِ العَرَبِ، الَّذِينَ يَثِقُونَ بِعَرَبِيَّتِهِم، وَرِوَايَةُ العَدْلِ مَقْبُولَةٌ"[4].

وَأَضَافَ الفَرَّاءُ إِلَى أَدَوَاتِ الاسْتِفْهَامِ: حَيْثُ، وَحَيْثُمَا، وَلَوْلَا، وَلَوْمَا.

أَمَّا حَيْثُ وَحَيْثُمَا، فَقَدْ ذَكَرَهُمَا فِي (مَعَانِي القُرْآن). قَالَ: "إِذَا رَأَيْتَ حُرُوفَ الاسْتِفْهَامِ قَدْ وُصِلَتْ بِ(مَا)، مِثْلُ قَوْلِه: أَيْنَمَا، وَمَتَى مَا، وَأَيّ مَا، وَحَيْثَمَا، وَكَيْفَمَا، وَ{أَيّامَا تَدْعُوا}[5]، كَانَتْ جَزَاءً، وَلَمْ تَكُنِ اسْتِفْهَامًا، فَإِذَا لَمْ تُوصَلْ بِ(مَا)، كَانَ الأَغْلَبَ عَلَيْهَا الاسْتِفْهَامُ، وَجَازَ فِيهَا الجَزَاءُ"[6]. وَالمَعْرُوفُ أَنَّ هَاتَيْنِ الأَدَاتَيْنِ لَا تُعْرَفَانِ فِي أَدَوَاتِ الاسْتِفْهَامِ عِنْدَ البَصْرِيِّينَ.

وَكَذَلِكَ الأَدَاتَانِ؛ لَوْلَا وَلَوْمَا. فَقَدْ أَثْبَتَهُمَا الفَرَّاءُ فِي أَدَوَاتِ الاسْتِفْهَامِ. قَالَ فِي قَوْلِه تَعَالَى: {لَوْمَا تَأْتِينَا بِالمَلَائِكَةِ}[7]: "لَوْلَا وَلَوْمَا لُغَتَانِ فِي الخَبَرِ وَالاسْتِفْهَامِ ... وَأَمَّا الاسْتِفْهَامُ، فَقَوْلُهُ: {لَوْمَا تَأْتِينَا تَأْتِينَا بِالمَلَائِكَةِ}، وَقَوْلُهُ: {لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ}[8]، وَالمَعْنَى، وَاللهُ أَعْلَمُ: هَلَّا"[9].

وَأَضَافَ الفَرَّاءُ إِلَى أَدَوَاتِ الاسْتِئْنَافِ ثُمَّ، فِي نَحْوِ قَوْلِكَ: أَعْطَيْتُكَ أَلْفًا ثُمَّ أَعْطَيْتُكَ قَبْلَ ذَلِكَ مَالًا[1].

---

[1] همع الهوامع 54/2، وينظر: شرح أبيات مغني اللبيب 424/3، 326.

[2] معاني القرآن 8/2، وينظر: تأويل مشكل القرآن ص550، وهمع الهوامع 45/2.

[3] شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ ص77، وينظر: والجنى الداني ص249، وجواهر الأدب ص102، وهمع الهوامع 172/1.

[4] الجنى الداني ص398، وينظر: همع الهوامع 172/1.

[5] الإسراء الآية 110.

[6] معاني القرآن 85/1.

[7] الحجر الآية 7.

[8] المنافقين الآية 10.

[9] معاني القرآن 84/2-85.

وَأَضَافَ الفَرَّاءُ إِلَى كَانَ وَأَخَوَاتِهَا بَعْضَ الأَفْعَالِ فِي الاحْتِيَاجِ إِلَى مَرْفُوعٍ وَمَنْصُوبٍ، أَهَمُّهَا: أَسْحَرَ، وَأَفْجَرَ، وَأَظْهَرَ، وهِيَ أَفعالٌ ذكرها فِي كِتَابِهِ (الحُدُودِ)، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ لَهَا شَوَاهِدَ، كَمَا يَقُولُ أَبُو حَيَّانَ[2].

المَصَادِرُ وَالمَرَاجِعُ

. ابن الحاجب النحوي آثاره ومذاهبه، طارق الجنابي، بغداد، 1394هـ.

. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ط4، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1398هـ.

. إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1357هـ.

. أخبار النحويين البصريين، السيرافي، الجزائر، 1356هـ.

---

[1] معاني القرآن 187/2، وينظر: همع الهوامع 132/2.

[2] همع الهوامع 112/1، 113.

. أسرار العربية، أبو البركات الأنباري، تحقيق محمد بهجة بيطار، مطبعة الترقي، دمشق، 1377هـ.
. اسم الفاعل بين الاسمية والفعلية، فاضل مصطفى الساقي، بغداد، 1390هـ.
. الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين السيوطي، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة، 1395هـ.
. إصلاح المنطق، ابن السكيت، شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1375هـ.
. الأصول في النحو، أبو بكر بن السراج، تحقيق عبد الحسين الفتلي، العراق، النجف، 1393هـ.
. أصول النحو، محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة، 1393هـ.
. أصول النحو العربي، محمد خير الحلواني، جامعة تشرين، اللاذقية، 1399هـ.
. الأضداد، أبو بكر الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الكويت، 1380هـ.
. إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ابن خالويه، منشورات دار الحكمة، دمشق، (د ت).
. إعراب الجمل وأشباه الجمل، فخر الدين قباوة، ط4، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1401هـ.
. إعراب الحديث النبوي الشريف، العكبري، تحقيق عبد الإله نبهان، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، 1397هـ.
. الإعراب في قواعد الإعراب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق على فوده نيل، ط1، جامعة الرياض، 1401هـ.
. إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة، 1383هـ.
. إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس، تحقيق زهير غازي زاهد، مطبعة العاني، بغداد، 1397هـ.
. الأعلام، خير الدين الزركلي، ط3، دار العلم للملايين، 1389هـ.
. الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب، الفارقي، تحقيق سعيد الأفغاني، ط3، مؤسسة الرسالة، 1400هـ.
. الاقتراح في علم أصول النحو، جلال الدين السيوطي، تحقيق وتعليق أحمد محمد قاسم، ط1، القاهرة، 1396هـ.
. الأمالي الشجرية، ابن الشجري، مصورة، دار المعرفة، بيروت، (د ت).
. إملاء ما من به الرحمن، العكبري، تصحيح وتحقيق إبراهيم عطوة عوض، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1389هـ.
. إنباه الرواة على أنباء النحاة، القفطي، دار الكتب، القاهرة، (د ت).
. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات الأنباري، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، (د ت).

. أنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم، تحقيق شاكر هادي شكر، ط1، مطبعة النعمان، بغداد، 1389هـ.
. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، مصورة، بيروت، 1400هـ.
. الإيضاح في علل النحو، الزجاجي، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، 1393هـ.
. إيضاح الوقف والابتداء، أبو بكر الأنباري، تحقيق محيي الدين رمضان، دمشق، 1391هـ.
. البحث النحوي عند الأصوليين، مصطفى جمال الدين، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، (د ت).
. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1328هـ.
. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، القاهرة، (د ت).
. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي، القاهرة، (د ت).
. البلغة، الفيروز آبادي، تحقيق محمد المصري، دمشق، 1392هـ.
. البيان في غريب إعراب القرآن، أبو البركات الأنباري، تحقيق طه عبد الحميد طه، القاهرة، 1389هـ.
. البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي، القاهرة، (د ت).
. تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، شرح ونشر السيد أحمد صقر، ط2، المكتبة العلمية، 1401هـ.
. تاج العروس، الزبيدي، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الكويت، 1385هـ.
. تاريخ النحو وأصوله، عبد الحميد طلب، مكتبة الشباب، القاهرة، (د ت).
– تذكرة النحاة، أبو حيان الأندلسي، تحقيق عفيف عبد الرحمن، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م.
. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، تحقيق محمد كامل بركات، القاهرة، 1387هـ.
. التصاريف، يحي بن سلام، تحقيق هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، 1399هـ.
. التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، القاهرة، (د ت).
. التفسير الكبير، الفخر الرازي، محيي الدين عبد الحميد، الطبعة المصرية، القاهرة، 1353هـ.
. تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، 1384هـ.
. التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل، محمد عبد العزيز النجار، الفجالة، القاهرة، 1386هـ.
. جامع البيان في تفسير القرآن، القرطبي، طبعة بالأوفست، دار المعرفة، بيروت، 1392هـ.
. الجمل، الزجاجي، مخطوط، تحقيق علي توفيق الحمد، 1402 هـ.
. الجمل، الزجاجي، تحقيق ابن أبي شنب، باريس، (د ت).

. الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، تحقيق طه محسن، جامعة الموصل، العراق، 1396هـ.
. جواهر الأدب في معرفة كلام العرب، علاء الدين الأربلي، ط2، بغداد، 1390هـ.
. حاشية الخضري على ابن عقيل، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د ت).
. حاشية الدسوقي، القاهرة، 1358هـ.
. حاشية الشنواني على شرح مقدمة الإعراب، ط2، تونس، 1373هـ.
. حاشية الصبان على شرح الأشموني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د ت).
. الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، تحقيق عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، 1391هـ.
. حجة القراءات، أبو زرعة، تحقيق سعيد الأفغاني، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1399هـ.
. خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، القاهرة، 1389هـ.
. الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، ط2، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، (د ت).
. درة الغواص في أوهام الخواص، الحريري، مكتبة المثنى، بغداد، (د ت).
. الدرر اللوامع على همع الهوامع، الشنقيطي، مصورة، دار المعرفة، بيروت، (د ت).
. الدرس النحوي في بغداد، مهدي المخزومي، بغداد، 1394هـ.
. دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، (د ت).
. الرد على النحاة، ابن مضاء القرطبي، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة، 1367هـ.
. رصف المباني في شرح حروف المعاني، المالقي، تحقيق أحمد محمد الخراط، دمشق، 1395هـ.
– الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري، تحقيق حاتم صالح الضامن، ط2، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1989م.
. سر صناعة الإعراب، ابن جني، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ط1، القاهرة، 1374هـ.
. شذرات الذهب، ابن العماد، مكتبة القدسي القاهرة، 1351هـ.
. شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، مصورة، دار الفكر، (د ت).
. شرح أبيات مغنى اللبيب، عبد القادر البغدادي، تحقيق عبد العزيز رباح وزميله، ط1، دمشق، 1393هـ.
. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، (د ت).
. شرح الأشموني مع الصبان، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د ت).
. شرح الألفية، ابن عقيل، طبعة محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1386هـ.
. شرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهري، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د ت).
. شرح جمل الزجاجي، ابن عصفور، تحقيق صاحب أبو جناح، العراق، 1400هـ.

. شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، أبو العباس ثعلب، مصورة عن دار الكتب، القاهرة، 1363هـ.
. شرح الشافية، رضى الدين الاستراباذي، تحقيق محمد نور الحسن وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1395هـ.
. شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ، ابن مالك، تحقيق عدنان عبد الرحيم الدوري، مطبعة العاني، بغداد، 1397هـ.
. شرح الكافية، رضى الدين الاستراباذي، مصورة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1399هـ.
. شرح كلا وبلى ونعم والوقف على كل واحدة منهن في كتاب الله عز وجل، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق أحمد حسين فرحان، ط1، دار المأمون، 1398هـ.
. شرح اللمحة البدرية في علم العربية، ابن هشام، تحقيق هادي نهر، بغداد، 1397هـ.
. شرح المفصل، ابن يعيش، عالم الكتب بيروت، ومكتبة المتنبي القاهرة، (د ت).
. شرح المقدمة المحسبة، ابن بابشاذ، تحقيق خالد عبد الكريم، الكويت، 1396هـ.
. شرح الوافية نظم الكافية، ابن الحاجب، تحقيق موسى بنان علوان، مطبعة الآداب، بغداد، 1400هـ.
. الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها، ابن فارس، تحقيق مصطفى الشويمي، مؤسسة أ.بدران للطباعة، بيروت، 1383هـ.
. ضحى الإسلام، أحمد أمين، القاهرة، الطبعة الثانية، (د ت).
. ضياء السالك إلى أوضح المسالك، محمد عبد العزيز النجار، مطبعة السعادة، القاهرة، 1393هـ.
. طبقات الشافعية، السبكي، مصر، 1324هـ.
. طبقات الشعراء، ابن سلام الجمحي، دار الفكر للجميع، (د ت).
. طبقات القراء، ابن الجزري، القاهرة، 1352هـ.
. طبقات اللغويين والنحويين، الزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1393هـ.
. العربية، يوهان فك، ترجمة رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1400هـ.
. العقد الفريد، ابن عبد ربه، القاهرة، 1366هـ.
. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ط4، دار الآفاق، بيروت، 1400هـ.
. الفصول، ابن معط، تحقيق محمود محمد الطناجي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، (د ت).
. الفصيح، أبو العباس ثعلب، جمع وتعليق محمد عبد المنعم الخفاجي، المطبعة النموذجية، القاهرة، 1368هـ.
. الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، (د ت).
. فقه اللغات السامية، كارل بروكلمان، ترجمة رمضان عبد التواب، جامعة الرياض، (د ت).
. الفهرست، ابن النديم، مصورة، دار المعرفة، بيروت، (د ت).

. في النحو العربي قواعد وتطبيق، مهدي المخزومي، القاهرة، (د ت).
. القاموس المحيط، الفيروزأبادي، دار الجيل، بيروت، (د ت).
. الكامل في اللغة والأدب، المبرد، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، (د ت).
. الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1977م.
. الكتاب، سيبويه، دار صادر، مصورة عن طبعة بولاق، (د ت).
.كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي، منشورات شركة خياط، بيروت، 1386هـ.
. كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي، تحقيق لطفي عبد البديع، الهيئة المصرية العامة للكتب، 1377هـ.
.كشف الظنون، حاجي خليفة، بعناية وكالة المعارف، 1361هـ.
. الكليات، أبو البقاء الكفوي، وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق، 1395هـ.
. الكواكب الدرية، محمد بن أحمد الأهدل، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت).
. اللامات، الزجاجي، تحقيق مازن المبارك، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1389هـ.
. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، (د ت).
. اللغة، فندريس، ترجمة الدواخلي والقصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د ت).
. اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، مطابع الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1393هـ.
. مجالس ثعلب، أبو العباس ثعلب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط2، القاهرة، (د ت).
. مجالس العلماء، الزجاجي، تحقيق عبد السلام هارون، الكويت، 1382هـ.
. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، 1393هـ.
. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، ابن جني، تحقيق علي النجدي ناصف وزميله، القاهرة، 1389هـ.
. المدارس النحوية، شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط2، (د ت).
. مدرسة البصرة، عبد الرحمن السيد، القاهرة، دار المعارف، 1388هـ.
. مدرسة الكوفة، مهدي المخزومي، ط2، مطبعة مصطفى البابي، القاهرة، 1377هـ.
. المذكر والمؤنث، أبو بكر الأنباري، تحقيق طارق عون الجنابي، مطبعة العاني، بغداد، 1398هـ.
. مراتب النحويين، أبو الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الفجالة، القاهرة، (د ت).
. المرتجل، ابن الخشاب، تحقيق علي حيدر، دمشق، 1392هـ.
. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، تحقيق جاد المولى وزميله، القاهرة، (د ت).
. مسائل خلافية في النحو، العكبري، تحقيق محمد خير الحلواني، دار المأمون، دمشق، (د ت).
. مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق حاتم الضامن، بغداد، 1385هـ.

. المعارف، ابن قتيبة، مصر، 1354هـ.
. معاني الحروف، الرماني، تحقيق عبد الفتاح شلبي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، (د ت).
. معاني القرآن، الفراء، مصورة، عالم الكتب، بيروت، (د ت).
. معجم الأدباء، ياقوت الحموي، طبعة دار المأمون، (د ت).
. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مطبعة الترقي، دمشق، 1381هـ.
. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق مازن المبارك وزميله، ط3، دار الفكر، بيروت، 1392هـ.
. مفاتيح العلوم، الخوارزمي، إدارة الطباعة المنيرية، 1342هـ.
. مفتاح العلوم، السكاكي، ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1356هـ.
. المفتاح لتعريب النحو، محمد الكسار، دمشق، 1396هـ.
. المفصل، الزمخشري، مصور، دار الجيل، بيروت، (د ت).
. المقتضب، المبرد، تحقيق عبد الخالق عضيمة، مصورة، عالم الكتب، بيروت، (د ت).
. مقدمة في النحو، خلف الأحمر البصري، تحقيق عز الدين التنوخي، دمشق، 1381هـ.
. المقرب، ابن عصفور، تحقيق أحمد عبد الستار وزميله، ط2، مطبعة العاني، بغداد، 1392هـ.
. من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1398هـ.
. منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك، أبو حيان الأندلسي، تحقيق سدني جليزر، نيوهافن، 1367هـ.
. الموجز في النحو، أبو بكر بن السراج، تحقيق مصطفى الشويمي، مؤسسة أ.بدران للطباعة، بيروت، (د ت).
. الموفي في النحو الكوفي، عبد القادر الكنغراوي، دمشق، 1371هـ.
. النحو الجديد، عبد العال الصعيدي، دار الفكر، (د ت).
. النحو العربي نقد وبناء، إبراهيم السامرائي، دار صادر، بيروت، 1388هـ.
. نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات الأنباري، القاهرة، 1387هـ.
. همع الهوامع شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، مصورة، دار المعرفة، بيروت، (د ت).
. همع الهوامع شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد العال سالم مكرم، الكويت، 1399هـ.
. الواضح في علم العربية، الزبيدي، تحقيق أمين علي السيد، دار المعارف، القاهرة، 1395هـ.
. الوفيات، ابن قنفذ، تحقيق عادل نويهض، ط2، دار الآفاق، بيروت، 1398هـ.

. وفيات الأعيان، ابن خلكان، مصر، 1310هـ.

فهرس الموضوعات

مقدمة 6 . 2
تمهيد: 17 . 7
. مدرسة الكوفة 9 . 8
. مصادر النحو الكوفي 12 . 9
. خصائص المدرسة الكوفية 14 . 12
. أعلام المدرسة الكوفية 15 . 14
. مصطلحات النحو الكوفي. 17 . 15
الباب الأول: مصطلحات الأبواب النحوية 106 . 18
. الفصل الأول: 80 . 19

. أقسام الكلمة: الاسم: المكنيات، الكناية والمكني، العماد أو الدعامة، المجهول، العماد، الأمر، نون العماد، حروف المثل، التقريب، صلة الموصول. 20 . 31

. الفعل: الماضي والمستقبل وصيغتا فعل ويفعل، فعل الأمر مقتطع من المضارع. تسميات اسم الفاعل: الفعل الدائم، الاسم أو اسم الفاعل. تسمية المصدر فعلا. تسميات أسماء الأفعال: أفعال حقيقية، أصوات، أسماء، أداة ليست بمأخوذة من فعل، الخالفة أو الخلفة. الفعل الواقع وغير الواقع، الفعل التام والناقص. 31 . 44

. الأداة: 44 . 45

. المرفوعات: ما لم يسم فاعله، المجهول، الفعل. 45 . 48

. المنصوبات: أشباه المفاعيل، الفعل، الاسم في أوله كلام وفي آخره فعل وقع على راجع ذكره، الاستيتاء، المصدر، التفسير؛ المفعول له، المفعول فيه، الصفات والمحال والأوقات والغايات، الصفة التامة، الصفة الناقصة، بدل ظرف المكان، التفسير؛ التمييز، المترجم، القطع، الإيجاب، يعرض، المدعو. 48 . 62

. الخفض وأدواته: الخفض، الصفات، الخوافض، حروف الإضافة. 62 . 66

. التوابع: النعت، النعت المخالف والنعت الموافق، نعت الخلف، البدل: الترجمة، التبيين، التكرير، التفسير، العبارة. عطف البيان، النسق، التوكيد: التكرير، التشديد، الاستيثاق.66 . 80

الفصل الثاني: 81 . 106

. الإعراب والبناء: علامات الإعراب والبناء، ما يجري وما لا يجري. 82 . 85

. العوامل: نظرية العامل. 86 . 89

. العوامل اللفظية: الترافع، الظرف، الرفع بالحروف، الرفع بجواب اليمين. 89 . 94

. العوامل المعنوية: رافع الفعل المضارع، الصرف، الخلاف، التقريب، الجوار، رافع الفاعل، المفعولية، الظرفية. 94 . 106

الباب الثاني: 107 . 182

. الفصل الأول: في تسمية الأدوات 108 . 122

أدوات الصلة والحشو، أدوات الجحد والإقرار، أل التبجيل والتعظيم، أن المصدرية، أي العاطفة، حتى الابتدائية، باء الإعتماد وباء الآلة، باء التمييز، لام الصيرورة، لام القسم، لام الحال أو لام "إلا"، لا التبرئة، واو الصرف، واو الظرف. 109 . 122

الفصل الثاني: الاختلاف في بعض خصائص الأدوات 123 . 140

نعم وبئس اسمان، أفعل في التعجب اسم، رب اسم، إذًا اسم، لا اسم، ما المصدرية اسم، لام المستغاث به اسم، ياء النسب اسم، إنما اسم، حاشا فعل، ليس حرف، عسى حرف، إذا الفجائة حرف. 124 . 140

الفصل الثالث: معان جديدة أضافها الكوفيون ابعض الأدوات 141 . 159

أن: التعليل، التحقيق. لو: المصدرية. كأن: الظن، التحقيق والوجوب، التقريب. لعل: الاستفهام، التعليل، الشك، بمعنى خليق. أن: بمعنى لعل. أو: الجمع، الأضراب. الفاء: بمعنى إلى. هل: التحقيق، النفي، الأمر. إلا: بمعنى سوى. كلا: بمعنى حقا. قد: بمعنى كفى. لا: الإثبات. أدوات الخفض: من: المجاوزة، الظرفية، ابتداء الغاية في الزمان، انتهاء الغاية المكانية. إلى: المعية، بمعنى حتى، بمعنى اللام، موافقة من. عن: بمعنى من، التعليل، الاستعانة، الاستعلاء، بمعنى بعد، البدل، الظرفية. على: المصاحبة، الظرفية، المجاوزة، التعليل، موافقة من، موافقة الباء. في: الاستعلاء، المصاحبة، موافقة الباء، بمعنى إلى. الباء: التبعيض، الاستعلاء، المجاوزة، الظرفية، المبالغة في المدح. الكاف: الاستعلاء. اللام: بمعنى أن، الاستعلاء، الظرفية بمعنى إلى، بمعنى بعد، بمعنى من، المجاوزة. 142 .

159

الفصل الرابع: أدوات جديدة أضافها الكوفيون: 160 . 182

أسماء الإشارة تكون أسماء موصولة. أدوات للجزم: كيف وكيفما، حيث وإذ، هل، مهمن، أن، إذا، كما. أدوات الاستثناء: ما، لا سيما، بله. أدوات العطف: هلّا وألّا، أين، كيف، ألا. أدوات الصلة والحشو: الواو، إلى اللام، ثم، من، الكاف. أدوات النصب: كما، اللام، حتى، الواو، الفاء، وأو. أدوات الخفض: واو رب، لات، عوض، لا جرم. متفرقات: آ، آي، حيث وحيثما، لولا ولولما، ثم، أسحر، أفجر، أطهر. 161 . 189

فهرس المصادر والمراجع: 183 . 189

فهرس الموضوعات: 190 . 192